سلسلة التراث العلوي

٤

مَجْمُوعَةُ الحَرَّانِيِّين

(١) المُؤَلَّفات الخاصَّة

أبناء شُعبة الحرّانيّون

تحقيق وتقديم

أبو موسى والشيخ موسى

دار لأجل المعرفة

ديار عقل - لبنان

مَجْمُوعَةُ الحَرَّانِيِّين

(١) المؤلفات الخاصة

سلسلة التراث العلَوي

٤

مَجْمُوعَةُ الحَرَّانِيِّين

(١) المُؤَلَّفاتُ الخَاصَّة

أبناء شُعبة الحرّانيّون

تحقيق وتقديم

أبو موسى والشيخ موسى

دار لأجل المعرفة

ديار عقل – لبنان

هويّة الكتاب

مؤلّفو الكتاب	**أبناء شعبة الحرّانيّون**
إسم الكتـاب	**مجموعة الحَرّانيّين**
	(١) المؤلّفات الخاصّة :
	١. حقائق أسرار الدين
	٢. رسالة موضحة حقائق الأسرار لمن تيقّظ من الأبرار
	٣. مسائل الحسن بن شعبة
	٤. مسائل ابن هارون إلى الشيخ الخصيبي
	٥. كتاب الأُصَيفر
	٦. حجّة العارف في إثبات الحقّ على المباين والمخالف
	٧. رسالة اختلاف العالَمين
	٨. الرسالة الحرّانيّة
إسم السلسلة	**«التراث العلوي»، رقم ٤**
تقديم وتحقيق	**أبو موسى والشيخ موسى**
قياسه وصفحاته :	**(١٧×٢٤سم)، ٣٢٠ ص.**
دار النشر	**دار لأجل المعرفة، ديارعقل–لبنان**
الطبعة الأولى	**سنة ٢٠٠٦**

مقدّمة

ثلاث وعشرون رسالة عَلويّة صدرتْ في مجموعة «**رسائل الحكمة العَلويّة**»، في ثلاثة مجلّدات، ضمن سلسلة «**التراث العَلوي**»؛ عليها اعتمدنا لمعرفة عقيدة العَلويّين الدينيّة، ومذهبهم الفكري، وقواعد سلوكهم الاجتماعي. إنّها كتبهم المقدّسة، وإن لم يكن عندهم، وحيٌ ونبوّةٌ وأنبياء.

إلاّ أنّ «التراث العَلوي» لا يقتصر على هذه «الرسائل» فحسب؛ بل هناك أيضاً مصنّفات عَلويّة أخرى من مؤلّفين عَلويّين عباقرة، تفيدنا في فهمِ معتقداتهم الدينيّة وسلوكهم الأدبيّ. من بين هؤلاء «أبناء شعبة الحَرّانيّون» الخمسة ورسائلهم، موضوع الجزءَين الرابع والخامس من هذه السلسلة: الأوّل سمّيناه: (١) المؤلّفات الخاصّة، أي التي يطّلع عليها خاصّة العلويّين، لا سواهم؛ والثاني سمّيناه: (٢) المؤلّفات العامّة، أي يستطيع أن يطّلع عليها عامّة النّاس.

«**مجموعة الحرّانيّين**» نسبةً إلى حرّان، مدينة قديمة بتركيا ما بين النهرَين. اشتهرت بمدرستها التي عُنيت بالعلوم الفلكيّة والرياضيّة. عُرِف أهلها بانتمائهم إلى مذهب «الصابئة» الذي اعترف به القرآن كمذهب دينيّ إلى جانب النصرانيّة واليهوديّة وغيرهما، ثلاث مرّات[1] حيث يقول عنهم بأنّهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويُجازون على أعمالهم الصالحة، ويستحقّون بها الجنّة، ولا يخافون، بالتالي، من نار جهنّم، ولا يحزنون من هلاكٍ يصيب الكفّار والمشركين.

---

(١) سورة البقرة ٢/٦٢؛ سورة المائدة ٥/٦٩؛ سورة الحجّ ٢٢/٢٢.

أمّا أهل حـرّان، الذين أخذو إسمَ «الصابئـة» من القرآن، فهم ليـسوا، في الأصل، من أهل الكتـاب، ولا كان اسـمهم «صـابئـة»؛ بل هم من عبـدة الكواكب والنجوم، وثنيّون مشركون كفّار، اتّخذوا اسم الصابئة لينجوا من سيف المأمون الذي أرغمهم على اعتناق دينٍ من الأديان التي يذكرها القرآن. وهكذا كان.

والصابئة الذين يذكـرهم القرآن، كانوا طبعاً موجودين قـبله؛ ولهم كتاب مـقدّس اسـمه: «كنزَا رَبًّا»، أي الكـتاب العظيم، أو «سِـدْرَا دَادَم»، أي سفـر آدم، لأنّهم يزعمون أنّ اللّه انزله على صدر آدم. وهم انفسهم سمّـوا فيما بعد باسماء عديدة، مثل: المغتسلة، لانّهم يعتمـدون كثيراً على الغسل، والمنداثيّين، من المعرفة، والمعمدانيّين، نسبة إلى يوحنّا المعمدان.

يقـولون بالاغتـسال، ويـغسلون جـميع مـا يأكلون. ورئيـسُهم يُعـرف بالحسيح، وهو الذي شرّع الملّة... ويأتي ابن كثير على ذكرهم في تفسيره فينقل آراء العلماء، ويؤكّـد انّ أبا حنيفة أحلّ أكْل ذبائحـهم بوصفهم أهل كتـاب. يقول: " ألصابئون فرقة من أهل الكتاب يقـرأون الزبور. ولهذا قال أبو حنيفة: " لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم "[٢].

وقال ابن جـرير: " هم قوم يعبـدون الملائكة». وعن الحسن، قال: " أخـبر زياد: يصلّون إلى القـبلة، ويصلّون الخمس " . وقـال إبن أبي حاتم: " ألصـابئون قوم يؤمنون بالنّبـيّين كلّهم، ويصومون من كلّ سنـة ثلاثين يومًا، ويصلّون إلى اليمن، كلّ يوم خمس صلوات " .

وقـال عـبـد الرحـمن بن زيد: " ألصـابئـون أهل دين من الأديان، كـانوا بجزيـرة الموصل، يقولون لا إلهَ إلاّ اللّه، وليس لهم عـمل، ولا كتـاب، ولا نبيّ، إلاّ قول لا إله إلاّ الله " . وحكى الرازي أنّ الصابئين قوم يعبدون الكواكب، بمعنى أنّ اللّه جعلَها قبلةً للعبادة والدعاء، أو بمعنى أنّ اللّه فوّض تدبيرَ أمرِ العالم إليها.

---

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٠٤.

وقال القرطبي: «وأظهرُ الأقوال، والله أعلم، قول مجاهد ومتابعيه، ووهب بن منبه أنّهم قوم ليسوا على دين اليهود، ولا النصارى، ولا المجوس ولا المشركين؛ وإنما هم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين لهم يتبعونه ويقتفونه. ولهذا كان المشركون يسمّون مَن أسلم بالصابئ، أي إنّه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض، وقال بعض العلماء: "الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبيّ"»[٣].

أبناء شعبة الحرّانيّون خمسة، هم :

١. **أبو محمّد الحسن بن شعبة الحرّاني**، من تلاميذ الشيخ الخصيبي الواحد والخمسين. له أربعة كتب، هي:
حقائق أسرار الدين
رسالة موضحة حقائق الأسرار لمن تيقّظ من الأبرار
تحف العقول عن آل الرسول
التمحيص[٤]

٢. **أبو عبد الله محمّد بن شعبة الحرّاني**، وهو أيضاً من تلاميذ الشيخ الخصيبي الواحد والخمسين. له كتابان، هما :
الأصيفر
رسالة اختلاف العالمين

٣. **أبو القاسم بن شعبة الحرّاني**، وهو أيضاً من تلاميذ الشيخ الخصيبي. لم نجد له مؤلّفات

٤. **أبو عمّار بن شعبة الحرّاني**، وهو أيضاً من تلاميذ الشيخ الخصيبي. لم نجد له مؤلّفات.

٥. **علي بن حمزة بن علي بن شعبة الحرّاني**. له كتاب هو
حجّة العارف في إثبات الحقّ على المباين والمخالف.

---

(٣) تفسير القرطبي ١/ ٢٧.

(٤) هذان الكتابان هما من «المؤلّفات العامّة»، لذلك سيكونان من موضوعات الجزء التالي.

إنّنا لم نجد مثل أبناء شـعبة الحرّانيّين مَن يشبـههم في تاريخ العلويّين في مـحبّـة بعضـهم بعضـاً، ووقـوفهم بجـانب بعضـهم بعـضاً في الملمّـات، وفي استفـادتهم من شيخـهم الخصيبي، الذي علّمـهم مبادئ دينهم؛ ولم يجـد خيراً منهم ليكونوا بجـانبـه، فقـد مدحـهم غـير مـرّة، وذكـرهم الطبراني مـراراً في «الدستور»، فخلّد ذكرهم.

ما كتبه الشيخ الخصيـبي عن أبناء شعبة يدلّنا على ما لهم من أثر مبكّر في تكوين العقـيدة العلويّة، وعلى ما لهم من أثر علـى صياغة المعـتقد، سيّـما وإنّهم كانوا الرعـيل الأوّل الذي ناصر الشيخ. وهذا مـا حدا بأبي سعيـد الطبراني إلى ذكـرهم في «الدسـتـور»، الذي يشـير إلى أفـكارهم واعـتقـاداتهم بصـراحـة، ويعتبرهم بحراً واسعاً من العلوم .

إنّ قضيّة أبناء شعبة الحرّانيّين قضيّةٌ بالغة التعقيد، وعقدتها الكبيرة تكمن في كيفيّة تطبيق الشريعـة الدينيّة على نظام الكون ورصد حركات الكواكب، وقد ورثوها من «الصابئة»، ديانة أجدادهم الحرّانيّين.

وبسبب مـا ورثوه من هؤلاء الصابئة، نشـبت بينهم خلافات حول تجـسّد الشـمس والقـمـر والنور والظلمـة. وهذا بابٌ واسعٌ لا يسع القـارئ إدراكـه إلاّ باطّلاعه على التاريخ العلوي، الذي سوف يكون لنا فيه باع. لقد جرّ هذا الخلاف التجسيمي للأجرام إلى خلافٍ آخر تكوينيّ شائكٍ حول القديم والمحدث.

شيء آخر يميّز أبنا شـعبة الحرّانيّين، هو التزامـهم بالشريعة الظاهرة، أي مذهب التشيّع، فيجعلون من العلويّين خاصّةَ الشيعـة، كما يعتبر الشيعةُ أنفسَهم خاصّةَ المسلمين.

أبو موسى والشيخ موسى

حقائق أسرار الدّين

لأبي محمد الحسن بن شعبة

إن اسم مؤلف كتاب «حقائق أسرار الدين» هو بحسب مؤلفاته التي وردت إلينا أبي محمد الحسن بن شعبة ولكنّ صاحب كتاب «النّسب الشّريف» يسمّيه يزيد بن شعبة الحرّاني، ويقول: هو صاحب كتاب حقائق أسرار الدّين، وغير ذلك. كان عالماً محبّاً للخير فاعلاً له حجّ إلى مكّة فاجتمع به أبو الفتح عبد الكريم، صاحب جزيرة كرمان، وسأله السّفر معه إلى جزيرته، ففعل ذلك. فلمّا توسّطوا في البحر، عارضتهم سمكة تسمّى البلبتان، وهي الّتي تبلغ حجم البعير، فخاف أهل المركب من الهلاك، فأخذ أبو محمّد بن شعبة ورقةً وكتب فيها ثلاثة أحرف وتركها في بندقة شمع ورمى بها نحو السّمكة فولّت عنهم، فاعتقده الشّيخ عبد الكريم، فلمّا وصلوا إلى الجزيرة أسمعه وأسمع جماعة من بلاد اليمن على الموجب الشّرعيّ، فأنشأ الدّعوة هناك، وأعقبوا، ثمّ سافر أبو محمّد بن شعبة إلى الشّام وانتقل بحماة وله كتب كثيرة موجودة في الجّبل.

كان ابو محمد الحسن بن شعبة الحرّاني من أجلّ شيوخ حرّان ومن أوائل تلاميذ الشّيخ الخصيبي. وقد جعله مع أقاربه الحرّانيّين من أهمّ ركائز الدّيانة العلويّة ومن أعظم أساتذتها، يتّسم منهجه كما جاء في مؤلّفاته بالتّدقيق والمقارنة، ذلك أنّه اطّلع على المئات من الكتب المؤلّفة في الباطن والظّاهر، وقد دوّن معتقداته في كتبه. ويعدّ صاحب منهج تقديس الأجرام

السّماويّة جاعلاً النّجوم الكواكب مقدّسة بذاتها غير مسخّرة لغيرها.

كان محمد بن شعبة تلميذاً نشيطاً من أنشط تلاميذ الشّيخ الخصيبي وأمّا كتابه حقائق أسرار الدّين فهو دالٌ على طريقته الّتي بدأها في كتابه «تحف العقول عن آل الرسول» وختمها في كتاب حقائق أسرار الدّين الّذي يقول أنّه بعد أن رأى أن الأحاديث تُفقد من أيدي الشيعة آثر أن يضع هذا الكتاب مبتدءاً بالرّغبة إلى الله جلّ اسمه وألجأ إليه أن يعينه على رضاه....

و يتضح هنا لدينا أهمية المؤلف وقيمته فهو أهمّ كتاب علويّ متكامل للعقيدة، نلمس فيه التزام المؤلّف بالتّشيّع وصولاً إلى الحقيقة العلويّة،ويعتبر الكتاب مع الرسالة الرستباشية والرسالة المصرية كتباً ذات منحىً واحد في التزام الشّريعة الظّاهرة الّتي هي التّشيّع، ويكون فيها العلويّون هم خاصة الشيعة.

مقدمة المؤلّف

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الّذي أظهر قدرته ونطقه من مقاماته، وأبان ربوبيّته بدلالاته من ظهوراته، ودلّ على وحدانيّته بمعجزاته، جلّت عن الأوهام ذاته ودلّت عليها أسماؤه وصفاته الّذي افترض على خلقه معرفته، وأوجب عليهم طاعته، المتجلّي لكلٍّ على حسب ما وهب له من المعرفة إثباتاً لوحدانيّته واحتجاجاً على بريّته، ظهر فلم يعرف وبطن فلم يخف. أحدث الأسماء والصّفات عند إختراعه ما خلق لحاجتهم إليها، إذ كان جلّ ثناؤه مستغنياً عن ذلك لا إله إلاّ هو أحداً صمداً فرداً لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

نحمده على ما عرّفنا من حمده ونستعين ونؤمن به ظاهراً وباطناً، واشهد أنّ محمّداً نبيّه، ورسوله، واسمه، وضياء توحيده، ونور قدسه، وصورة عرشه، وموضع صفته، ونفسه المحذّرة، وعينه النّاظرة، ولسانه النّاطق، وأذنه السّامعة، ويده الباطشة، وحجّته في كلّ وقتٍ وأوانٍ وعصرٍ وزمان على كلّ عباده في جميع بلاده. اخترعه من لدنه، واصطفاه إلى ما هو أعلم بنهايته، ووقف على غايته أكرمه بأتمّ الفضائل، وأعلى المنازل، وأحلّه أشرف المراتب، وفوّض إليه التّدبير، وملكه المقادير.

وأنّ سلمان باب رحمته المأثور به، وروحه المؤيّدة منه، مبدي معرفته، ومظهر حكمته، أبو الأيتام، الموصل جميع الأنام، إلى توحيد العليّ العلاّم، صلوات الله عليهم في كلّ ظهورٍ ومقامٍ، وعلى أهل مراتب قدسه الأنوار الكرام، إنّه جوادٌ منّان.

ولمّا رأيت مدّة عمري تقدّمت، وأيّامي قد تقضّتْ، وطوال الآمال قد قصرتْ، وعلمت أنّ المنيّة قد دنتْ، والنّقلة قد قربتْ، شوّقني الوعد، وخوّفني الوعيد، فارتحتُ إلى ما وعد الله به المؤمنين، وارتعت ممّا حذّر منه المخالفين، وتأمّلت ما خلا من أعوامي، ونظرت فيما مضى من أيّامي، وتدبّرت كثيراً من أ ،

فوجدتني عن الغاية مقصّراً، وعن درجات أهل السّبق متأخّراً، فاشتدّ من ذلك جزعي، وتزايد أسفي، واتّصل همّي، وزاد غمّي، على ما فاتني من درجات السّابقين، وحزناً على تقصيري عن مراتب الفائزين، وازددت من الله خوفاً ومن طاعته حقوقاً مفترضاً لبقيّة الأجل، ومغتنماً ما فيه من جميل العمل، فقد قال أمير المؤمنين منه السّلام: «أنتم في مهلٍ من ورائه أجلٌ ومعكم أملٌ يعترض دون العمل، فاغتنموا المهل وبادروا إلى الأجل وكذّبوا الأمل تزدادوا من العمل، هل من خلاص ومناص أو قراراً ومجازاً أو معاذاً أو ملاذاً، فأنّى تؤفكون».

فأحببت أن أعمل ما او أقلّ نفعه في المحيا والممات لأنّ المرء رهينٌ بعمله ولم أجد شيئاً بذلك أجمع ولا فيه أبلغ من المعرفة بالله جلّ ثناؤه وتوحيده والعلم بأنواره وأسمائه ومواقع صفاته وعدله في أفعاله إلى غير ذلك ممّا أمر به من طاعته ونهى عنه من معصيته إذا كان العلم الفريضة العظمى والمعرفة الدّرجة العليا والتّقيّة معرفته في المنزلة الكبرى.

فقد قال الباقر منه السّلام: فضل العلم خيرٌ من فضل العبادة، وقال: عالمٌ ينتفع بعلمه أفضل من عبادة سبعين ألف عابد، وقال لزرارة بن أعين وقد سأله عن دين الله فقال: المعرفة.

وقد قال الصّادق: أفضل العبادة العلم بالله والتّواضع له وقال: عالمٌ أفضل من ألف عابد وألف زاهد وألف مجتهد.

وقال النّبيّ منه السّلام: لبابٌ من العلم تعمله أفضل من ألف ركعة تصلّيها تطوّعاً وقال: قليلٌ من الفقه خيرٌ من كثير من العبادة.

وتأمّلت جميع ما انتهى إليّ وعرفته من علم التّوحيد الباطن، وهو شبه قريب مائة وخمسين كتاباً من التّوحيد الباطن ومائتين وخمسين كتاباً من التّخميس والتّفويض والتّقصير وعلم الظّاهر على أنّ ما فيه يدلّ على الباطن، وإن غفل عنه ناقله وجاهله وراويه، فوجدت المؤلّفين لذلك -شكر الله لهم فعلهم- قد ذكر كلّ واحدٍ منهم معنى من معانيه في كلّ كتابٍ أفرده على حسب ما يبلغه علمه واحتجّ به وتكلّم

عليه، ووجدت في كلّ كتابٍ أحاديث حسنة وأخباراً بيّنة وحججاً صحيحة، وينسبون ذلك نسباً من كلام المؤلّف على حسب ما يحسن في نفسه، فربّما زاد وطال وفيها تكريراتٌ وإعاداتٌ، ورأيت جميعها مختصراً ليس فيها كتابٌ اشتمل على منية نفسي وشهوة قلبي وأحاط بإرادتي واستغرق محبّتي على أنّ الّذي خرج من العلم يسيراً فيما لم يخرج وما وصل إلينا منه قليلٌ في جنب ما خرج مع تقادم السّنين واستخفّ المؤمنين وكتم الدّين عن المخالفين وموت العلماء الحاملين العلم من معادنه.

فإنّه حدّثني الحسن بن محمّد عن عليّ بن أحمد بن عليّ عن أبيه عن إبراهيم بن داوّد عن عليّ بن إسماعيل بن ميثم قال: رويت عن أبي عبد الله خمسة آلاف حديثا، قال إسماعيل ولا أحسب أنّ له في أيدي الشّيعة مائتي حديث.

فآثرت أن أعمل هذا الكتاب مبتدءاً بالرّغبة إلى الله جلّ اسمه وألجأ إليه أن يعينني على رضاه فيما قصدت ويمدّني بالتّوفيق لما تعمّدت ويسدّدني لتوفيق الصّواب فيما أردت ويبلغني الأمل فيما نويت، فقد علم الله عالم الخفايا ومنشي السّرايا أنّه لم يحملني على تأليف هذا الكتاب وجميع معانيه ونشر أخباره حبّ الرئاسة ولا صرف الوجوه إلى المباهاة والمكاشرة به ولا ضرب من ضروب الدّنيا.

وقال النّبيّ صلعم وعلى آله: من طلب العلم ليباهي به العلماء ويماري به الجّهلاء وليصرف قلوب النّاس إليه، فحظّه من النّاس ما أكله، ولكنّني لمّا رأيت موت العلماء وقلّة الباقين من نقلة العلم عن الماضين واقتصار بعض ما شاهدناه على إقامة الشّهادة من غير إغراقٍ في العلم ولا بحثٍ عنه، وجاء الوقت الّذي قال المولى الصّادق: لا يعرف فيه أباً من أب، فعملت رجاءً لثواب وخوفاً من عقاب الله وأملاً بحسن الجّزاء من الله فيه ليوم «تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَو أنَّ بَيْنَها وبَيْنَهُ أمَداً بَعيداً» «يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنُونَ، إلاَّ مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَليم » «يَصْدُرُ النَّاسُ أشْتاتاً لِيُرَوا أعْمالَهُمْ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، ومَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» وتجد كلاًّ يثبت الشّهادة ولا يجد عالم يهتدي به ولا علمٌ يدلّه على الصّراط المستقيم، فكتب الله لي ثواب ذلك، فقد روى

البرقيّ عن أبيه عن حمّاد بن عيسى قال: سمعت أبا عبد الله يقول: يأتي على النّاس زمانٌ يحتاجون إلى كتبهم، وقال زرارة: قال أبو عبد الله: احتفظوا على كتبكم، فإنّكم سوف تحتاجون إليها، فدلّ بهذين الخبرين على غيبة المقام والباب وعدم العلماء في آخر الزّمان، وقال أبو جعفر: من علّم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ولم ينقص من أجورهم شيءٌ، ومن علّم باب ضلالةٍ كان له مثل أوزار من عمل به ولم ينقص أولئك من أوزارهم، وقال الصّادق: من استنقذ حيران من حيرته أسكنته جنّتي وكتبته عندي، ولم أذكر فيه من الدّلائل والبراهين ولا ضمنته إحتجاجاً على المخالفين إلاّ يسيراً على المخمّسة لقربهم من التّوحيد، وتدبّرت ما قدّمت ذكره من الكتب والأخبار ونظرت في الآثار، فأخذت من كلّ كتابٍ معناه وجملة ما تقوم به الحجّة فيما قصدنا له وبيّنّا الطّريق المؤدّي إلى الحقّ وينفع باعتقاده والعمل به لقربه إلى الله جلّ اسمه.

فأضفت كلّ معنى إلى شكله وكلّ خبرٍ إلى جنسه وجمعت فيه ما تفرّق بغيره وأسقطت حشوة الكلام من المؤلّفين ممّا لا حاجة لنا إليه وما وقع فيه لبسٌ أو في سنده إعتلالٌ أو في متنه خلف أو بقيّةٌ، فإنّ المقامات إنّما حمّلت كلّ إنسانٍ على حسب طاقته ومبلغ قدرته، ولكلّ ما خرج عنها معنى صحيح ووجهٌ يتصرّف إليه، وقد قال الصّادق منه السّلام: نحن لكم بحيث تجعلوننا، ما أعظم هذا من خبر وأكثره من فائدة ومثله ما روي أنّ الله قال: أنا عند ظنّ عبدي المؤمن بي، فليظنّ بي ما شاء، ومثله قول النّبيّ صلعم وعلى آله: من سألني وهو يعلم أنّي أضرّ وأنفع استجب له، هذه ثلاثة أخبارٍ غريبةٍ حسنةٍ تدلّ على نطق المقام بها في هذه القبّة، وفيها لمن هداه الله فوائداً، وأنا في ذلك متّبعٌ لا مبتدعٌ وناقلٌ غير متكلّفٌ وناسخٌ غير متزيّد، أذكر ما ذكره العلماء ونقله المؤمنون وذكره الموحّدون من أصول الدّين والفروض اللاّزمة والحقوق الواجبة الّتي لا يجوز تركها ولا يسع جهلها وفقنا الله وإيّاكم لأفضل المنازل وأحلّنا أعلى المراتب ممّا هو غاية المؤمنين وآمال الموحّدين، وجعل

ما وهبه لنا من معرفةٍ مستقرّاً غير مستودعٍ وإيّاه نسأل المعونة على طاعته وهو حسبي ونعم الوكيل.

الباب الأول

معرفة التوحيد وإثبات الظهورات

أوّل ما أبتديء به في هذا الباب ذكر الذّات وإثبات المعنى الّذي اسمه بين الخلق عبارة الله والنّسبة في القدم قبل أن يخلق ما يقع عليه اسم شيء لأنّه جلّت أسماؤه كان ولم يزل ولا اسم ولا مكان ولا صفة ولا موصوف ولا واصف ولا باب، ثمّ خلق ما شاء أن يخلق.

قال العالم في كتاب الأسوس: " فإذا قلت: ليس كمثله شيء ولا يشبهه شيء، ولا ندّ له ولا ضدّ ولا مثل له، ولا خارج من شيء ولا داخل في شيء ولا يوصف بشيء تريد بذلك أنّه كان وحده لم يصف نفسه لخلقه وذلك أنّ الخلق لم يكونوا فهذه نسبته في القدم لأنّه لم يحتاج إلى أحدٍ أن ينسبه ولا يعرفه ولا يخاطبه ولا يناطقه.

فهذه صفات العزّ وإثبات الجّوهر بلا صفة لأنّه مستغنى أن يكلّم نفسه لنفسه، فهذه صفة القدم، ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ شاء وأراد وقدّر وقضا، فتكلّم وظهر للخلق وكان الخلق الّذين خلقهم وظهر لهم يرونه ويشاهدونه ويثبتونه وذلك أنّهم روحانيّون فأمكنهم النّظر إليه بلطف ذواتهم وبه سمعوا كلامه وعلموا قدرته وعلمه **فحينئذ وقعت الصّفات وإحتيج إلى معاني ونسبته المكان والأماكن الّتي كانت من قبل أن يجنّس الأجناس.**

فقالت الملائكة الرّوحانيّون ووصفت القديم الأزل بما رأت منه وذلك أنّها سمعت منه كلام ورأت له نفساً ورأت له روحاً ورأت منه قدرةً وشاهدت منه ما شاهدت من أنفسها فلم تعرف بأنّه ربّها، ثمّ إنّ الله أظهر أشخاصاً وأرواحاً بسيطة كهيئة الملائكة صوّرت صوراً مختلفة، فاختلفت الصّور على الملائكة ولم تختلف

القدرة، فذلك الّذي دلّ الملائكة أنّه شيءٌ واحدٌ، فجعلت الأسماء والنّسبة للرّبّ بما رأت منه ومن قدرته.

قال العالم جواباً للسّائل إن كان الله ممازجاً للأشياء **لو كان ممازجاً للأشياء** لكان مشاكلاً لها **ولو كان مباين** لها لكان ضدّاً لها **ولو كان لا مباين ولا ممازج** لكان مجهولاً، ولكن أقول إنّه مباينٌ لها في جوهرها من الإلهيّة والقدرة والعلم والقهر ولا أقول إنّه مبايناً لها مضاداً بل أقول إنّه خارجاً منها لا أريد أنّه ليس فيها بل إنّ جوهره مفارقاً لجوهرها وإن كان فيها ولا أقول إنّ جوهره مختلط بها لأنّها محدثة وهو قديمٌ وهي مخلوقةٌ وهو خالقٌ وهي مصنوعةٌ وهو صانعٌ.

فهذا جواب مسألتك وليس كونه فيها [في] كلّها وإن كانت ذوات أعداد لا تحصى فلو كان كونه فيها كلّها ككونها واحداً لكان من عبده فيها كلّها مصيباً ولا يضلّه ضالّ ولا يجهله جاهلاً ولا يعقله عاقل، وإن كان من عبد شيئاً مصيباً في عبادته وعرف موضعه وفي ذلك نفي لطهارتها عن المواضع الطّاهرة وتفاضل المكان وإنكار لما جاءت به الرّسل والأنبياء عليهم السّلام في نفي الشّرك والكفر والضّلال وفي ذلك أنّ جميع ما تقرّر أن يكون أماكناً لله ولكنّه في مكانٍ دون مكانٍ منها واتّساع الأمكنة بالقدرة والعلم كما أنّ الشّمس في السّماء ومحلّ ضيائها في كلّ مكان من الأرض وكذلك طهرت المواضع وتفاضلت الأماكن وأصيب الرّبّ وعرف نسبة الموضع وذلك ليس من شيءٍ إلاّ وهو منسوبٌ إلى نفسه وأماكنه يقول بقول القائل: الشّمس، يعني نسبة الجّوهر، ثمّ يقول: هي في السّماء، فهو نسبة المكان، فإذا قال الشّمس لم يجيء بنسبتها في جوهرها ولم يأت بنسبة المكان كان ذلك عند النّاس جاهلاً بالشّمس وإن أتى نسبتها ومعرفة جوهرها وصفات حدودها جميعاً فحينئذ يكون عارفاً غير جاهلاً وكذلك جميع الأشياء من الأفلاك والنّجوم والبحار والبلدان، يقول الرّجل بيت المقدس.

فإذا لم ينسبه إلى البلدة الّتي هو فيها لكان جاهلاً به حتّى يعرف ويأتي بنسبة المكان والجّوهر فإذا فعل ذلك كان عارفاً بنصف المعرفة ولم تكن المعرفة تامّة

حتّى يعرف معرفة الرّؤية والحدود والصّورة من أيّ، فإذا عرف ذلك كان معه ثلثي المعرفة لم يحتاج معها إلى شيء ولم تكن المعرفة تامّة حتّى يعرف، هل يجوز أن ينتقل بنسبة المكان والجّوهر والحدود والرّؤية أو لا ينتقل يضرّه إنتقاله، أو لا يضرّه بتغيير جوهره إذا إنتقل أو إنقلب أو لا يتغيّر إذا إنقلبت عنه تلك الصّفة، فإذا عرفت ذلك كملت له المعرفة فذلك معرفته بكونه في الأشياء.

فصلٌ من كتاب الهفت والأظلّة: " قوله للأرواح عند خلقه لها تعصوني بغير إعتماد منكم ولو إعتمدتم معصيتي ما آمنتم بي، ثمّ احتجب عنكم وأخلق أبداناً تحجب بعضكم عن بعضٍ، وأدعوكم إلى نفسي فيما أحتجب به عنكم فتعبدونني وحجبي كثيرةٌ، وسأختار منها حجاباً لا أفارقه ولا يفارقني، فمن عبدني به منكم كان مؤمناً حقّاً ومن عبدني بحجبي كلّها كان كافراً وذلك أنّ حجبي كثيرةٌ وكلّها أسكنها غيري، كلّ ذلك إبتلاءٌ لولد الشّيطان لئلاً يعرفوني ولا يعبدوني بحقيقة المعرفة، والحجاب والاسم بلا معنى أن يعبدون الاسم دون المعنى وهذا مثل ما جاء في الأخبار أنّ الله يظهر بمن هو دونه [1] وليس لمن دونه أن يظهر به، وممّا يشاكل الفرق بين الاسم والمعنى ما حدّثني به أبو عليّ محمّد بن همام قال: أخبرنا الحسين بن أحمد قال: حدّثني الحسين بن محمّد عن غيثان قال: حدّثنا سجّاد والحسين بن عليّ بن عبد الكريم بن عبيد الله عن مسلمة عن عطا عن أبي عبد الله منه السّلام أنّه قال: من زعم أنّه يعرف الله بجهاته فهو مشركٌ، ومن زعم أنّه لا يدرك فقد نفى العبوديّة، ومن زعم أنّه يعبد الاسم مع المعنى فقد جعل مع الله شريكاً، ومن زعم أنّه يعبد المعنى بغير إدراكٍ فقد أحال على غائبٍ، ومن زعم أنّه يعبد المعنى بحقيقة القلوب فأولئك أصحاب أمير المؤمنين الّذين يجيبونه في البرّ والبحر.

فصلٌ من كتاب الأسوس: قال العالم: لأنّ المجهول له صفات، فحدّ صفاته أن يقال: لا داخل ولا خارج، ولا مباين، ولا مفقودٌ فهذا حدّ المجهول، وأمّا حدّ المعروف أن يعرف بخمسة أشياء أن يكون الجّوهر مباين ويكون مشاكل ويكون من

---

[1] المقصود الاسم

جنس ولا يكون من ضدّ ويكون خارجاً من هذه المعاني وأن يكون في المكان مبايناً لهذه المعاني الأربعة أو يكون من شكل أو يكون من ضدّ أو يكون داخلاً فيه أو يكون يقدر عليه، فهو خارجاً من معانيها في الجّوهر وفي ذلك إثبات التّوحيد ومعرفة الجّوهر بلا صفة.

فصلٌ آخر منه: " فأوّل حدٌّ له وآخر حدٌّ له المعرفة بأنّه يقدر ولا يقدر عليه ومعرفة موضعه ونسبته ونسبة الموضع الّذي هو فيه ومعرفة زمانه لا يغيّره الموضع ولا يتغيّر للموضع وهو في كلّ موضع إذا إنتقل محتاج إلى نسبة الجّوهر ونسبة المكان ومعرفة الحدود والأقطار وأنّ نقلته لا تغيّره ولا يتغيّر للنّسبة ونبأت الأنبياء أنّه كان على الماء ثمّ صار إلى السّماء ثمّ صار إلى الأرض، فنسبته على الماء هي نسبته في السّماء، وليس نسبة الموضع واحدٌ وهو لا ينتقل عن نسبة الجّوهر ولا يفعل ذلك إلاّ والنّقلة حكمه وإذا إنتقل في الأرض والسّماء وكانت النّقلة لا تغيّر ذاته والسّماء والأرض جمادٌ لا حركة فيهما جاز أن ينتقل إلى التّحرّك النّاطق وأن ينتسب به لأنّه أثبت في الحكمة والصّفة والمخاطبة والأمر والنّهر، وكما أنّه يعرف بنسبة المكان الّذي هو غير حيٍّ كذلك ينبغي أن يعرف بنسبة المكان الّذي هو حيٌّ لأنّ المعرفة لا تكون إلاّ بمعرفة النّسبة في المكان وأن يجري عليه من النّسب في الأماكن في الحيوان كما جرى عليه في الجّماد والموات.

قال السّائل: فيظهر من الشّجر والحجر والماء كما يظهر من البشر؟

قال العالم: يظهر من حيث يشاء، فإنّ القدرة له يظهر بصورة الإنسانيّة لأنّها على صورته، وليس صور الشّجر والحجر والماء على صورته.

قال السّائل، فأراد أن يشبه الخلق.

قال العالم: يظهر من حيث يشاء، فإنّ القدرة له يظهر بصورة الإنسانيّة لأنّها على صورته، وليس صور الشّجر والحجر والماء على صورته.

قال السّائل: فأراد أن يشبه الخلق.

قال العالم: إنّما وقع الشّبه في الأجناس وليس هو من جنسهم.

فصلٌ منه: " قال السّائل هو شيءٌ قال العالم هو جسمٌ في مسائل كثيرة.

قال العالم: إعلم أيّها السّائل أنّ الجّسم شيءٌ والشّيء جسمٌ فلذلك تكافأت الأسماء والحجج ولو كان الشّيء أثبت من الجّسم لظهرت حجّتك.

ثمّ قال فالشّيء يدخل منه الضّعف من خمسة أوجه.

١. يدخل فيه الضّعف لأنّه عرضٌ والعرض لا يقوم بنفسه وإنّما يقوم بغيره والحركة لا تقوم بنفسها وإنّما تقوم بفاعلها وكذلك اللّون والطّعم والمذاق كلاًّ لا يقوم بنفسه وإنّما يقوم بغيره.

٢. والجّسم يقوم بنفسه وتحتاج هذه الأعراض إليه والأشياء تحتاج إلى الجّسم والجّسم لا يحتاج إلى هذه الأشياء.

٣. والشّيء داخلٌ في باب الجّسم وذلك أنّه يقول الجّسم شيء والجّسم داخلٌ في باب الشّيء، فإذا قال القائل: الشّيء دلّ على ضعف، فإن قلت شيءٌ لا جسمٌ فهو ضعيفٌ وكان الشّيء الجّسمانيّ أقوى فإذا كان جسمٌ دلّ على قويّ لا ضعيف.

٤. والصّورة أقوى من الجّسم وذلك أنّ ما لا صورة له لا عقل له ولا فهم ولا نطق، والجّسم الكامل الّذي له هذه الصّفات من صفة الصّورة والجّسم المنقوص الّذي لا صورة له.

٥. وكذلك إنّ الصّورة يتوقّع منها المنافع وما لا صورة له لا يتوقّع منه منفعةٌ.

ثمّ قال بعد كلام طويل: «فإنّه ليس بمحتاج إلى أن يخرج وليس بخارجٍ من حدّ الأجسام وهو خارجٌ من حدّ الأعراض لأنّه يحدّ بغير هذا الحدّ وهو حدّ لا في حدّ كأنّ الخالق ليس هو طعمٌ ولا لونٌ ولا رائحةٌ و لا صوتٌ ولكنّه جسمٌ أحدٌ منفردٌ خامسٌ بالوحدانيّة القديمة الأزليّة يدرك بالعيان، فليس هو لونٌ ولا رائحةٌ ولا صوتٌ ولا طعمٌ ولكنّه موجودٌ بالعيان».

فصلٌ منه: قال العالم: إنّ الله إذا أراد أن ينتقل فالإرادة محدثة، ثمّ انتقل بعد الإرادة إلى الموضع الّذي أراد، فإنّما إنتقل الجّوهر بالصّفة، فالموضع هو بالصّفة منتقل، قال العالم: إنّ الله أحلّ قدرته في أربعة من الملئكة وهم الّذين يجري على أيديهم التّدبير، فيكون التّدبير له دون خلقه وهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فإذا أراد أن يجري أمراً على يد بعضهم حلّ فيه شيءٌ من قدرته، فكان التّدبير له من الحجاب الملكيّ وذلك يحلّ فيهم وقتاً بعد وقتٍ عند إرادة الأمر ونفاذه.

قال السّائل: فله حجبٌ غير هذه؟

قال العالم: نعم حجب لنفسه خاصّة من نورٍ في كلّ سماءٍ حجاب.

قال السّائل أخبرني عن هذه الحجب بأيّ صورةٍ هي؟

قال: نورٌ يتلألأ.

قال السّائل: فله حجبٌ غير هذه؟

قال: نعم نزول قدرته في الأنبياء، فظهوره فيهم إذا نطقوا بالغيب وأحيوا الموتى.

قال السّائل: ولم فعل هذا؟

قال العالم: لينصف أهل الأرض كما أنصف أهل السّماء ولتعرفه أهل الأرض كما عرفته أهل السّماء؟

قال السّائل: يجزيني علم ظهوره في نبيٍّ دون نبيٍّ ووصيٍّ؟

قال العالم: إذا عرفته في الأنبياء كملت لك المعرفة معرفة المراحل، وإذا عرفته في القدرة عرفت الموضع الثّابت في الأرض.

فصلٌ منه: قال السّائل: لم لم يكلّم الله الخلق في الرّبوبيّة الّتي ليس فيها هيئةٌ ولا صورةٌ.

قال العالم: قد رأينا صوراً شتّى لا يفهم الشّيء عن خلاف جنسه، فهو بخلاف الأشياء، فكيف يفهم عنه الأمر والنّهي.

قال السّائل: بقدرته؟

قال العالم: وإنّ قدرته أزليّة، فكيف يعلم عنها المحدث والمحدث لا يعلم عن المحدث إلاّ إذا كان كمثل جنسه، فلا بدّ من هيئةٍ مثل جنس خلقه حتّى يكلّفهم فيفهموا عنه أمره ونهيه.

قال السّائل: فهو يظهر كأنّه خلقه أو يخلق خلقاً يستتر به ويتكلّم منه؟

قال العالم: هذا ما لا يمكن أن يحول نفسه عن هيئته ولكنّه يخلق خلقاً فيحتجب به ويتكلّم منه.

قال السّائل: وما ذلك الشّخص صورةٌ واحدةٌ أم صورٌ كثيرةٌ؟

قال العالم: إنّ الله خلق من كلامه صورة ومن روحه صورةً ومن نوره صورةً ومن إرادته صورةً ومن علمه صورةً ومن قدرته صورةً ومن قضائه صورةً وكلّها على صورة الإنسانيّة، ثمّ إنّ الله أظهر إثني عشر صورةً نوريّةً على عدد الأشهر الإثني عشر، ثمّ أظهر شخصاً فخاطب خلقه منه وهو كهيئتهم وهو بهيئته فيفهمون عنه ويعلمون أنّ صورهم مخلوقةٌ وأنّه خالقٌ.

قال السّائل: فكيف صارت له صورةٌ؟

قال العالم لحاجة المخلوقين إليها كحاجتهم إلى الكلام لأنّه لا كلام إلاّ من صورة ولأنّ معرفته بالقدرة، فأتاهم من حيث يعرفون.

قال السّائل: فمن هؤلاء الّذين عرفوا القدرة القديمة؟

قال المؤمنون.

قال: فمن لم يعرف القدرة؟

قال هم الكافرون وهم الّذين يسمّون يهود، وذلك أنّهم لم يعرفوا الجّنس.

قال السّائل: وكيف طوّل على العباد وكيف لم يناديهم من موضعٍ واحدٍ بلا تفريق حتّى يجيبونه تحقيق بلا تفريق؟

قال العالم: قد فعل ذلك ودعاهم إلى وحدانيّة بالقدرة.

قال السّائل: وكيف ذلك؟

قال العالم: إذا كانت صفة القدرة للقادر، فعلى النّاس أن يجيبوها من حيث جاءت، ويصدّقوها كيف ما ظهرت وإن إختلفت الصّورة لأنّه لا يظهر بالقدرة والمشيئة.

قال السّائل: فآثار القدرة مؤتلفة وآثار الأشخاص مختلفة؟

قال العالم: إنّما يعبد صاحب القدرة الّتي له هذه الأشخاص المختلفة.

قال السّائل: فكان قبل الخلق بحجاب؟

قال العالم: وكان قبل الخلق بلا حجاب، ومع الخلق وبعد الخلق بحجاب، ثمّ لا حجاب.

وروي عن أحمد بن عليّ عن محمّد بن إبراهيم عن إسحاق يرفعه إلى محمّد بن سنان في كتاب التّوحيد عن العالم قال: لمّا خلق الله أهل النّور الأوّل كانوا يرونه بصفة الوحدانيّة يقول فيقولون ويسكت فيسكتون يعلمهم ويخبرهم كيف يسبّحونه ويهلّلونه ويمجّدونه، فمكثوا على ذلك سبعة آلاف سنة وسبعة وسبعين سنة وسبع ساعات، فقال لهم العليّ العلاّم: من أنا وهو يومئذٍ متصورٌ بصورة متشخّص بشخص لم يعرفونه لأنّهم رأوه نورانيّاً، فلمّا تراءى لهم في البشريّة أنكروه، وقالوا: ما ندري إلاّ أنّا متّبعوك.

قال: إنّي أنا الله لا إله غيري، أظهر كيف شئت في صغير الخلق وكبيره، فقالوا (الخلق) بذلك هللّناك بالوحدانيّة، وقالوا بأنفسهم كيف لنا بالعلم.

قال الجليل: لخلقي النّور الثّاني من إرادتي، فخلق من تسبيحهم وتهليلاتهم حجب النّورانيّة، فلمّا صارت أبداناً لم يكن لها بدٌّ من مكانٍ، فخلق لهم السّماء الأوّلة، وهي السّماء السّابعة، وهم أهل النّور الأوّل، وخلق من تسبيحهم وتهليلهم الفردوس وهو علم عليّ العلاّم المكنون المخزون الّذي أخرجه إلى أوليائه.

وقال المفضّل: قلت: سيّدي: من أين جهل المؤمنون الرّتب.

قال: من جهة الحجب المختلفة.

وقال إسحاق في كتاب الصّراط: معنى قولهم إنّما عرف الله بالله ولولا الله ما عرف الله فله بواطن، أحدها إنّما عرف الله بالله يريد إنّما عرف المعنى بالأسم، ومنها أنّ الله لا يعرف بحقيقة المعرفة إلاّ بالله وهو الموجود الباطن وهو مباشرة المعنى للرّوح، فتلك معرفة الله حقّاً بالمباشرة والمعرفة، فهذا لا يكون إلاّ بالله، وجاء في بعض الأدعية: فيك عرفتك وبك اهتديت إليك، ولولاك لم أدر ما أنت.

فإن قال قائلٌ: إنّ القدرة من حيث ظهرت فهو هو، كما قال لأنّ القدرة لله وحده لا شريك له، وقد ثبت منها فمن شاء فليفعل بأمره من القدرة ما لا يفعله غيره، وهي قدرة الذّات الأصليّة والقدرة الّتي تتفوّض إلى من يختصّه الله فرقٌ وتباين.

فمنه ما حدّثني به أبو عليّ محمّد بن همّام عن الحسن بن محمّد بن جمهور عن أبيه عن الصّادق قال: ثلاثةٌ في الرّبوبيّة العظمى والإلهيّة الكبرى لا يكون الشّيء من غير شيء إلاّ الله، ولا ينقل الشّيء عن جوهريّته إلى جوهريّة غيره إلاّ الله، ولا ينقل الشّيء من العدم إلى الوجود إلاّ الله.

قال أبو شعيب في كتاب المثال والصّورة: مثال الله غير الله وصورة الله غير الله والصّورة غير المثال والمثال غير الصّورة، وهو الصّامت أبداً الّذي يدعونه وصيّ الإمام بعد الإمام.

قال: وسألته عن الصّورة هي المثال؟، فقال من قال أنّ الصّورة هي المثال فقد صدق ومن قال إنّ الصّورة غير المثال فقد صدق، وسأله عن تفسير ذلك فقال:هو الصّامت الّذي تدعونه صورة قبل إن كان تدعوه مثالاً، فمتى أظهر النّاطق الموت فالّذي يقال على المثال هو الميت هو المثال، وقد كنت تدعوه صورة قبل أن تدعوه مثالاً، فمن قال إنّ الصّورة والمثال واحدٌ فق دصدق على أنّه الإسم الّذي تدعوه مرّة مثالاً ومرّة صورة وهو الصّامت الّذي يدعوه النّاس وصيّ الإمام بعد الإمام.

وقال: روي في الخبر أنّ الله خلق صورته ثمّ أجرى فيها روحه ونفسه وكلّ إسمٍ معلومٌ وكلّ ظاهرٍ مخلوقٌ وكلّ صفةٍ غير الموصوف إلاّ أنّك بقصدك وعقدك

ومعرفتك تعلم أنّ الّذي رأيت الّذي يقول النّاس هو عليّ هو الله الّذي يظهر كيف شاء، لم يغب عن سمائه بمشاهدة أرضه ولا عن أرضه بمشاهدة سمائه، فمن زعم أنّ ما رأى بعضاً فقد بعّض الله ومن قال هو هو بذاته وحقيقته على أنّه بدن فقد عاناه وحدّه ووصفه، ومن قال: هو الله ظهر كيف شاء لم نشاء من خلقه لا موصوف ولا محدود ولا زائل ولا يقضى عليه بحراك ولا مثال استدللت به على معرفته وصورته ولم أستدلّ بمعرفته وصورته عليه، فقد صار بعون الله إلى سبيل النّجاة.

قال: فصورته وما زال منها دليله على خلقٍ من خلقه ونورٍ من نوره.

وروي عن الصّادق منه السّلام: أنّه قال: كلّ ما كان منقول الله خلقنا وقدّرنا ورزقنا: فهو ما جمع فيه الفعل من الخمسة وما شاء من صورته وصفاته ممّا يجري فيه المشيّة والقدرة والفعل من واحدٍ وكلّ ما كان من قوله خلقت ورزقت وقدّرت وأنا وإيّاي فاعبدوني، فهو واقعٌ على المعنى بالقصد وعلى النّفس بالصّفة كقوله: أنا عبد الله وأخو رسول الله، فأنا واقعةٌ على محمّد وهو النّفس وقوله: إيّاك نعبد وإيّاك نستعين: فإيّاك واقعةٌ على محمّد والقصد بالعبادة للمعنى، وأمّا قوله أخو رسول الله فمعناه أنّ محمّداً أخو رسول الله وهو الباب وهو الرّوح المرسلة وليس يقع على الله لفظٌ ولا يدري ما الله إلاّ الله، وأمّا قول النّبيّ أنا عليّ وعليّ أنا، فإنّما عنى بعليّ الاسم.

وروى أبو شعيب فيه عن عمر بن إبراهيم قال: قال الحكيم: كذب من زعم أنّ الله في شيء أو من شيء أو على شيء، فمن زعم أنّه من شيء فقد زعم أنّه محدثٌ ذاته غايةٌ من غايات المعنى والمعنى غير الغاية توحّد بالرّبوبيّة ووصف نفسه غير محدود، فالذّكر لله غير الله والله غير أسمائه وكلّ إسمٍ ما خلا الله أو صفةٌ أو معنى أو شيءٌ يقع عليه إسمٌ فهو مخلوقٌ إلاّ الله.

وقال: أدعو الله ألا ترى إنّك تقول العزّة لله والعظمة لله والكبرياء لله وقال: الحمد لله وقال: «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْماءُ الْحُسْنى» فالأسماء الحسنى مضافةٌ إلى الله.

قال الحكيم: هذا هو التّوحيد الخالص، وروي عن أبي جعفر أنّه قال: الحمد لله الّذي تراءى لخلقه بخلقه وهو غير رؤيته ورؤيته غيره.

ثمّ قال فيه الحكيم: من زعم أنّه يعرف الله بحجابه فهو مشركٌ بالله العظيم، أو بصورةٍ أو مثالٍ لأنّ حجابه غيره وصورته غيره ومثاله غيره، وإنّما هو واحدٌ موحّدٌ، فكيف وحّد الله من زعم أنّه يعرفه بغيره، وإنّما عرف الله بالله، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه وإنّما عرف غيره، وإنّما يعرفه بقلبه لأنّ القلب يحكي ما لم تراه العين ومثله معرفة الله بالأبدان عبادة الشّيطان أعاذنا الله وإيّاكم من سخطه.

وسأل سائلٌ الصّادق عن التّوحيد فقال: إنّ النّور المبدي الواحد الفرد الأزل لم يزل أحداً لا شيء غيره فرداً لا ثاني معه معلوماً لا مجهولاً محكماً لا متشابهاً مذكوراً لا منسيّاً لا يقع عليه اسمٌ شيءٌ من الأشياء كلّها قائماً بذاته غيبٌ متغيّب عن غيره لا من وقتٍ كان ولا إلى وقتٍ يكون، ولا من شيءٍ قام ولا إلى شيءٍ يقوم ولا في شيءٍ استكن ولا إلى شيءٍ استند، ولا يخطر ببال ولا صورة ولا مثال ولا شبح ولا ظلال ولا مدرك ولا فيه للقائل مقال، وذلك كلّه قبل الخلق في الحال الّتي لا شيء فيها غيره، والحال في هذا الموضع، فكلّما وقعت عليه من الكلّ، فإنّما هي صفات محدث وترجمة مترجم، فهم بها من فهم.

مجمع كتاب التّوحيد عن محمّد بن سنان: حدّثني الحسين بن أحمد قال: حدّثني محمّد بن محمّد وعمر بن أحمد الهمداني قال: حدّثنا جعفر بن محمّد الكوفيّ قال: حدّثني جعفر بن محمّد الرّسّيّ قال: حدّثنا محمّد بن سنان بعد أن دخلنا عليه ونحن سبعة عشر رجلاً كلّ واحد منّا يزعم أنّه قد بلغ التّوحيد في الملكوت والمعرفة واختصر من الكتاب معانية: فقال لنا محمّد بن سنان: توحّدون الله؟

قلنا: نعم، ونمجّده.

قال: وكيف تجدونه؟

قلنا: نشهد أنّ العين هو ربّ العالمين الّذي لم يزل ولن يزول ظاهراً بأسمائه الحسنى وأنّ محمّداًعبده ورسوله.

فقال لنا محمّد بن سنان: على أيّ معنى توحّدونه؟ على محتجب أم ظاهر؟

قلنا: على أنّه ظاهراً وهو العين المحتجب.

فقال: من زعم أنّ عليّاً الظّاهر هو الله فقد كفر، ومن زعم أنّه يجده فقد أشرك معه غيره، ومن زعم أنّه يعرف الله في الظّاهر فقد فسق، ومن زعم أنّه يجده فقد أشرك معه غيره، ومن زعم أنّه يصفه فقد مرق.

قلنا: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قد فنيت أعمارنا وذهبت أيّامنا حتّى ظننّا أنّا قد وحّدناه وبلغنا المنتهى في معرفته.

فقال لنا محمّد بن سنان: أوليس الاسم خلاف المعنى والمعنى خلاف الاسم.

قلنا: الاسم هو المعنى.

قال: إن كان الأمر على ما تقولون: أعوذ بالله الظّاهر هو الباطن والباطن هو الظّاهر.

قلنا: فقد قال على منابر عظمته: أنا الأوّل والآخر وأنا الباطن وأنا الظّاهر، فدلّ قوله أنّ الظّاهر هو الباطن والباطن هو الظّاهر.

قال: قد قال ذلك ولكنّه أراد بالظّاهر أنّه ظهر بالظّاهر إمتحاناً منه لهم ولم يكن لظهوره بالظّاهر حقيقةً، ولكنّه ظهر لتكون له الحجّة على خلقه وليأنس إليه المؤمن إذا رآه من جنسه بالبشريّة، فعلمنا أنّها القدرة الّتي أظهرها لخلقه.

قلنا: الباطن خلاف الظّاهر والظّاهر خلاف الباطن.

فقال ابن سنان: أجل هذا هو الحقّ لأنّ المحتجب به خلاف المحتجِب والقدرة خلاف النّاسوت والنّاسوت هي البيوت الّتي نطق منها الرّبّ.

ثمّ قال: أليس إنّما نظرتم إلى مخلوقٍ مثلكم تعرفونه باسمه وعينه ونسبه.

قلنا: نعم.

قال: كيف قلتم إنّه الله والله لا تدركه الأبصار، ثمّ قال: أوليس الله باطن محتجبٌ لا يرى؟

قلنا: نعم.

قال: فالباطن المحتجب الّذي لا يرى هو الله وهو القديم وهو الأزل الّذي لا شريك له ولا نظير ولا ضدّ ولا ندّ.

قلنا: صدقت.

قال: فهل هذا الاسم إلاّ المعنى؟

قلنا: نعم.

قال: ما معنى هذا الاسم عليّ؟

قلنا: علمنا أنّ عليّاً هو اسم المعنى وأنّ المعنى خلاف الاسم.

قلنا: فالمعنى هو الغاية؟

قال: المعنى هو المحتجب بالغاية والغاية هو الأزل القديم لأنّ الله لم يظهر في وقتٍ من الأوقات إلاّ بغايةٍ، والمعنى هو النّاطق من الغاية والغاية هو المحتجب بالحجاب البشريّ الآدميّ، ثمّ قال ابن سنان: قال لي سيّدي ومولاي الله باطنٌ لا يستدرك وظاهرٌ لا يعقل وظاهر الله هم الأوصياء، فاقبل قبولاً حسناً

قلت: سيّدي أعده عليّ.

فقال: باطن الله غيبٌ لا يستدرك وظاهره أنواره وحجبه وهم الأوصياء، ثمّ قال لنا ابن سنان إنّه لا يدلّ على الله إلاّ من كان من نوره الخاصّيّ.

قلنا: أعده علينا يا رحمة الله.

قال: نعم لا يدلّ على الله إلاّ من كان منه.

قلنا: أعده علينا.

قال: أليس تعلمون أنّ محمّداً دلّ على عليّ حيث قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، فمحمّدٌ دلّ على الله إذ كان منه ومن نوره أفهمتموه.

قلنا: نعم.

قال: أوليس عليٌّ حروفٌ متقطّعة ومتّصلة؟

قلنا نعم.

قال، والله حروفٌ متقطّعة ومتّصلة؟

قلنا: نعم.

قال: من زعم أنّ حروف الله هي الله فقد كفر، ومن قال بأنّ حروف عليّ هي الله فقد كفر.

قلنا: فسّر لنا هذا؟

قال: إنّ اسم عليّ ثلاثة أحرف والمعنى واحدٌ وهو خلاف الاسم، فالشّيء ومعناه النّور الّذي فيه والغاية الشّيء وهو النّفس لأنّ النّفس نور الجّسم والرّوح في نفس الجّسم والله ظاهرٌ غلاف في جوف غلاف، ولو ظهر في غلاف واحد لتبيّن النّور وعرّفه الصّادر والوارد، والله أجلّ من أن ينزل بيتاً كثيفاً كدراً ولكنّه ينزل نفسه المحذّرة وهي الغاية ويظهر نفسه في النّاسوت الظّاهر في النّفس لا في الجّسم وهو قوله: «ويُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ» والغاية أوّل مقامات الله.

قلنا: فاسم عليّ على ما وقع؟

قال: اسم عليّ وقع على النّاسوت واسم الله وقع على اللاّهوت، وعليّ هو الله والله هو عليّ، إلاّ أنّ ذلك النّاسوت عرف باسمه كما يعرف ناسوت الخلائق بأسمائهم، وإنّما سمّي النّاسوت في هذه العبارة للوجود وإثبات المعرفة.

قلنا: أخبرنا عن اللاّهوت؟ ما يقع عليه إذا كان باطنه نوريٌّ؟

قال: يقع عليه اسم الله.

قلنا: فتقع الحروف عليه؟

قال: لا لأنّ الحروف محدثةٌ، فمن قبلها ضلّ من ضلّ.

قلنا: فعلى ما تقع هذه الحروف؟

قال: تقع على وليّه لأنّه أنحله الأسماء والصّفات لأنّ الله باطنٌ غيبٌ لا يستدرك ووليّه نورٌ ظاهرٌ مستدركٌ، فتقع الرّوح الظّاهرة على شخص محمّد ويكون

جسم محمّدٍ اسم الله وصورة نفسه، وتقع حروف محمّد على وليّه، فالوليّ سلسل ومحمّد والوليّ ظاهران مستدركان، واللاّهوت هو المعنى الظّاهر في الغاية والغاية هي الأزل القديم، ثمّ قال: إنّ الله أنحل اسمه وصورته وأساميه وصفاته، فالأسماء والصّفات والنّعوت للوليّ لأنّ الله أجلّ من أن يقع عليه اسمٌ أو صفةٌ.

وقال ابن سنان: قال الباقر إنّ ورائي غيري وليس عليكم معرفة ذلك الغير، أراد به المحتجب بالحجاب.

قلنا: فعلى أيّ معنى أقام النّاسوت؟

قال: أقامه لعلّة أبدانكم، فلمّا ظهرت القدرة منه والعلم عجز المخلوقون عنها، علمتم أنّ لتلك الصّورة معنى وأنّ البشريّة الّتي أظهرها لكم لم يكن لها حقيقةٌ، وإنّ الحقيقة في الرّبوبيّة لإظهار القدرة وأنّ الله يظهر كيف شاء لمن شاء فيما شاء من كبير خلقه وصغيرهم وألهمكم الله معرفته بالنّاسوتيّة لئلاّ ترتابوا أو تضلّوا، ثمّ قال المعنى وهو الأزل القديم والغاية الحجاب الّذي يحتجب به وهو غاية هذا الخلق وصاحب النّداء الواضح والدّعاء الظّاهر حيث دعى إلى الله وهو الظّاهر الّذي ظهر منه النّطق والقدرة والتّوحيد أن تعلم أنّ الله قديمٌ أزلٌ ظهر بالعلويّة ونطق بالمعنويّة والمعاني هم الحجب لأنّ المعاني خلاف المعنى والمعنى هو الفرد والمعاني صورٌ شتّى والحجاب هو الّذي يحتجب الله به، فهذه معرفة الغاية والمعنى والمعاني المحدثة ومعرفة الحجاب، وإنّما يدلّ على الله المعنى والمعنى القدرة والقدرة دلّت على الله الحجاب.

وروي في كتاب معرفة الباري عن عليّ بن أحمد العقيقي قال: حدّثني أبي أحمد بن عليّ قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم عن محمّد بن مثنا بن القاسم عن أبيه عن عثمان بن زيد عن جابر عن أبي جعفر قال: لا شيءٌ أعظم من روح القدس إلاّ النّازل فيه، والنّازل فيه هو محتجب به وهو الّذي ليس بموصوفٌ وإنّ الاسم الّذي تقع عليه الأبصار مضافٌ إلى الّذي لا يعرفه إلاّ روح القدس بكماله، فبدن روح القدس الموصوف روح محمّد ومحمّد هو بدن الرّوح وروح القدس روح محمّد

غلافٌ في جوف غلاف، وله ضرب الله الأمثال في كتابه قوله: «كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ» الآية.

وروي عن يونس بن ظبيان عن جابر بن أبي جعفر قال: إنّ الله احتجب بحجاب النّساء والرّجال ولولا ذلك ما عرف منكحٌ ولا مأكلٌ ولا مشربٌ، يا جابر إنّ الله إحتجب بالسّموات فجهله المؤمنون واحتجب بالأرض فجهلوه واحتجب بأبدانهم فعرفوه، يا جابر، ما عرف الله إلاّ من عرفه من حجابه الذي تفرّد به.

وحدّثني محمّد بن إبراهيم عن أبي عليّ البصريّ قال: حدّثني الرّازي عن أبي الهيثم عن هشام عن المفضّل عن جابر قال: سئل أبو جعفر عن تفسير الصّعب المستصعب.

قال: الصّعب الإقرار بالصّورة والمستصعب إفراد المعنى عن الصّورة، وكلّ سرٍّ مستترٍ مقنّعٌ بالسّرّ، فمن فهم عن ذلك شيءٌ أو أذاعه الجهّال أو أراد به المعاندة فقد هتك سرّ الله.

وحدّثني عن محمّد بن موسى عن الكرخيّ عن محمّد بن عليّ عن ابن سنان قال: قال الصّادق في قوله: ولا تسبّوا الّذين كفروا فيسبّوا الله عدواً بغير علمٍ.

قال: لا تسبّوا طواغيتهم بعلمٍ فيسبّوا أئمّتكم بغير علمٍ، هذا تكريرٌ في الوصيّة بذلك.

وبالإسناد عن الكرخي عن إسماعيل بن عليّ عن محمّد بن صدقة عن محمّد بن سنان عن المفضّل قال.

قال سيّدي: من عرف الله من جهة الاسم فقد جهل أكثر ممّا علم، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ومن قال أنّه لا يرى فقد أحال على عدم، ومن قال أنّه تدركه الأبصار فقد شبّهه بخلقه، ومن قال إنّه في خلقه قد أحوجه إلى مكانٍ ومن قال إنّه خارجٌ عنهم فقد نفى وجوده، ومن عرفه بدلائله وأشار إليه من حيث ظهرت علاماته وآمن بما شاهد من معجزاته، فأولئك أصحاب أمير المؤمنين.

وبالإسناد عن الصّادق قال: إنّ الله لا يغيّر ولا يتبدّل ولا يتصوّر، وإنّما التّغيير والتّبديل والتّصوير والقرب والبعد في أعين البشر.

وبالإسناد عن محمّد بن صدقة عن يونس عن المفضّل قال: قال الصّادق من عبد ما لا يرى فقد عبد مجهولاً غائباً، ومن عبد من يرى فقد عبد محدوداً، ومن قال أنّه غير مشاهدٌ فقد أحال على غائب، ومن قال إنّ الأبصار تشاهده فقد يرى مثله، ومن عبد الاسم والمعنى جميعاً فقد أشرك به ومن وصفه بما يقع عليه من فكره فإنّما وصف نفسه، ومن قال إنّه محتجبٌ عن خلقه فإنّما عنى غيره ومن قال إنّه ظاهرٌ لهم يرونه فقد عاناه ومن عرفه من جهة الإقرار وعلمه من ظهور المعجزات ونفى ما رأى وأثبت ما علم فأولئك أصحاب أمير المؤمنين.

وحدّثني عنه عن عبد الله بن العلا عن إدريس بن زياد عن زيد بن طلحة عن المفضّل قال: قال الصّادق حلّ الله في كلّ مكان أو في مكان.

قال: بل بكلّ مكان.

قال: فهو في الجّماد والنّبات.

قال: ليس هو فيه كالشّيء في الشّيء حلولاً ولا هو خارجٌ منها كالشّيء في مكان دون مكان مبايناً.

وحدّثني عنه عن محمّد الكرخي عن إسماعيل بن عليّ عن أبي صدقة عن الرّضا أنّه قال: إنّ الّذي عاينتموه بأبصاركم من الصّورة هو الله بإضافته إلى إظهار القدرة، وليس هو الله بإضافته إلى الصّورة، فإذا ظهرت المعجزة بطلت الصّورة لأنّ من قال هو هو صورته على الحقيقة لا يستطيع أن يظهر المعجزة ومن أظهر المعجزة فليس تلك صورته على الحقيقة لأنّ تلك صورة الإنسان العاجز.

وبالإسناد عن الرّضا أنّه قال: إنّ الّذي عاينتموه بأبصاركم من الصّورة الّتي عاينتموها هو الله، وإنما يظهر بحسب ما أنتم لأنّكم لا تقدرون أن تنظروا إلى خلافكم.

وحدّثني أيضاً عنه عن العدوي عن أبي سعيد عن زيد بن طلحة عن الحكم عن جابر الجّعفي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلعم وعلى آله: صعدت إلى السّماء فرأيت ربّي، فما رأيته هناك إلاّ كما رأيته ها هنا.

وعنه عن أبي عليّ العدوي عن عبدالله بن العلا عن موسى قال: إنّ أهل السّماء يقولون أنّه في المدينة كما تقولون أنتم أنّه على العرش.

وحدّثني عنه عن محمّد بن موسى عن الكرخي عن إسماعيل عن ابن صدقة قال: قال الرّضا:القصد إلى الحجاب بالله لا إلى الله بالحجاب لأنّه لا يدلّ على الله إلاّ الله، ولا يعرف الله إلاّ من كان من الله، والحجاب علّةٌ في الخلق لو زالت لم يحتاجوا في النّظر إليه أي إلى الحجاب، بل يرونه كالقمر لا يضامون في رؤيته.

وحدّثني عنه قال: حدّثني عبد الله بن إدريس عن ابن سنان قال: قال الصّادق: إنّما يتوجّه إلى الله معرفة الله بحجاب الله، فإذا جاء بالمعجزات بطل إعتقاد الحجاب لأنّ الحجاب ذنوب النّاظرين إليه.

وحدّثني عنه عن العدوي عن ابن صدقة العنبريّ عن محمّد بن صدقة عن الرّضا قال: نحن حجب الله، فإذا أتينا بالمعجزة زالت الحجب عن معرفة أمير المؤمنين.

وحدّثني عنه عن أبي محمّد عن أبي سعيد قال: سألت السّيّد العسكري: هل يحتجب الله عن خلقه.

فقال: سبحان من احتجب عن خلقه بخلقه وأرى خلقه نفسه كخلقه، فإذا شاء عرّف من شاء نفسه.

وبالإسناد الأوّل عن ابن صدقة عن موسى قال: أوّل شيءٍ كلّف الله العباد أن قال:لا تنكروني في أيّ صورةٍ ظهرت، فظهر بمثل صورهم فأنكروه.

وحدّثني عنه عن العدوي عن عبد الله عن إدريس عن محمّد بن سنان قال: قال الصّادق إنّ الله لا يغيّر ولا يتغيّر ويصوّر ولا يتصوّر سبحانه إنّما التّغيير في أعين البشر.

وحدّثني عنه عن العدوي عن حمّاد عن خالد عن يونس قال: سئل الصّادق فقيل له إبليس يتغيّر فيتصوّر في صور الخلق للخلق، فقال: هو أعجز من ذلك.

قلت: فيغيّر أعين البشر حتّى تراه بما يريد.

قال: هو أضعف من ذلك.

قلت: فكيف هو يا سيّدي؟

قال: أعين الخلق ترى التّصوير والتّغيير لعلّةٍ فيها، ومن العجب أنّهم يجيزون تغيير أبصارهم على إبليس الّذي هو لا يملك تغييرها إلى ما يريد ويجيزون ذلك على الله خالقهم الّذي يغيّر أبصارهم ويقلّبها إليه وهو خالق إبليس.

قلت: فيتصوّر لخلقه بصورهم.

فقال: يغيّر أبصار الخليقة حتّى تراه بصورهم، ويصوّرها تحت فعلهم، ألا ترى أنّهم كانوا يرون رسول الله صلعم وعلى آله يأكل ولا يرون له نجوى.

وروي عن العالم أنّه قال: من زعم أنّه يعرف الله بحجابٍ أو بصورةٍ فهو مشركٌ لأنّ حجابه ومثاله صورة غيره وهو أحدٌ موحّدٌ لا يرى حتّى يترايا، والتّقليب ذاهبٌ عن صفته، والموصوف غير الواصف، ومن زعم أنّه يعرف الله بحجاب فهو مشركٌ، ومن زعم أنّه لا يدرك فقد نفى المعبود ومن زعم أنّه يعبد الاسم والمعنى فقد جعل مع الله شريكاً، ومن زعم أنّه يعبد المعنى بحقيقة القلوب فأولئك أصحاب العين.

وسئل العالم عن الظّاهر الّذي لا تدركه الأبصار هو هو بكماله أم يدرك البصر بعضاً دون بعضٍ وكيف حدود ما يدركه البصر؟

فقال: إنّ الّذي يراه البصر غير مدروك وقد يرى بكماله لأنّه واحدٌ لا يتبعّض ولمنّه حسر البصر للمزاج، فكما تعلمه القلوب ولا تدركه فكذلك تراه الأبصار ولا تدركه، فهل تعلم القلوب بعضه أو جزءاً منه أو تعاينه بكماله ولا تدركه وإنّما يراه العباد على قدر علمهم به، ولمّا كان العلم بالله يتفاضل كانت الرّؤية له تتفاضل ومن

إدّعى أنّ علمه بالله كعلم محمّد فقد افترى إثماً عظيماً وإذا اختلف العلم به إختلفت الرّؤية له، والإبتداء واحدٌ غير مختلفٍ إنّما يتذكّر أولو الألباب.

وحدّثني المبارك بن محمّد عن محمّد بن الحسن عن أبي عبد الله الحسين بن غياث عن إسحاق بن محمّد الأحمر لجميع كتاب المترجم بكتاب الشّواهد وهو ما وافق رواية العامّة فيه رواية الخاصّة، فالغنا منه موضع الحاجة قال داوّد بن شبيب الغنوي عن حمّاد بن سلمة عن عليّ بن زيد عن بلال بن يقطين عن كعب عن أبي الدّرداء قال: قال رسول الله صلعم وعلى آله: رأيت ربّي في صورة الشّاب الأمرد برجلاه نعلان من ذهب شعره أجعد قطط.

وبالإسناد عن إسحق قال: حدّثني محمّد بن جمهور عن حمّاد بن عيسى عن عليّ بن داوّد عن حريز قال: قال الصّادق قال رسول الله صلعم وعلى آله صبيحة ليلة أسرى بي ربّي رأيت ربّي في صورة الشّابّ الموّنّق.

قلت: ما الموّنّق؟

قال: ابن الأربعة عشر ورجلاه في خضرة وبيني وبينه فراشٌ من ذهب.

وبالإسناد عن إسحاق قال: حدّثني عليّ بن عبد الله بن جعفر قال: أخبرني عتاب بن العوّام عن ليث بن أبي سليم عن جابر بن زياد عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله إذا قاتل أحدكم صاحبه فليتجنّب الوجه فإنّ الله خلق آدم على صورة الرّحمن.

وبالإسناد عن إسحاق عن سليمان بن داوّد السّادكوني والهديل بن إبراهيم الجّماني قالا: حدّثنا عبيد الله بن موسى القيسي عن جعفر الأحمر عن أبي الزّبير عن جابر قال: ناجى رسول الله أمير المؤمنين بالطّائف فقالوا له في ذلك.

فقال: ليس هو ابن أبي طالب وقد رأيتموه ذاك، والله ربّي وربّكم وإلهي وإلهكم.

قال عبيد الله بن موسى فعبّرنا على جهة الولاية لأنّ وليّ الأمر ربّه كما يقال ربّ الدّار.

وقال يوسف ارجع إلى ربّك، هذا عليّ إنّ عليّاً القائم بأمور النّاس وإنّه يستحقّ ذلك بهذا الاسم.

وقال سليمان: هذا من عجيب الحديث.

وبالإسناد عن إسحاق عن عمر بن عمران عن الحارث عن عتبة عن سهم بن حوشب عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلعم وعلى آله: إنّ الله يتّخذ في الجنّة منظرة تبرز صورته منها ليراه المؤمنون منها كيف يشاء وهو اللّطيف الخبير.

وبالإسناد عن إسحاق عن أبي عبد الرّحمن العقيلي عن عبد الله بن موسى عن جعفر الأحمر عن أبي الزّبير عن جابر قال: قال رسول الله صلعم وعلى آله ذات يوم: إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لعليّ.

وبالإسناد عن إسحاق عن عبد الله بن سلمة بن قعنب عن مروان بن معاوية الفزاري عن بنان بن قيس بن أبي حازم عن حريز بن عبد الله قال: قال رسول الله صلعم وعلى آله: لا يضرّ مع الإيمان عمل كما لا ينتفع مع الشّرك عملّ.

وبالإسناد عن إسحاق عن محمّد بن جامع بن صبيح قال: حدّثني المعتمر بن سليمان التّميمي عن عقبة بن خالد بن عبيد الله بن غالب بن أبي المليح عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلعم وعلى آله: أتاني ربّي في أحسن صورة فوضع يده بين كتفي، فأصبت بردها بين ثديي.

فقال: يا محمّد فيما يختصم الملأ الأعلى.

قلت في الكفّارت والجّماعات والصّلوات.

وبالإسناد عن إسحاق بن أبي سكينة عن عمر بن زهير قال: قلت للصّادق: إنّ أصحاب الحديث يروون كذا وكذا إنّما قال: وضع يده بين ثديي، فوجدت بردها بين كتفيّ، إنّما كان مقبلاً عليه ولم يكن مدبراً عنه.

قال: سئل الرّضا عن التّوحيد فقال: من زعم أنّ لله مثلاً أو صورة أو شبهاً في ذاته فقد أشرك وكفر وخرج عن ملّة الإسلام لأنّ الله هو التّوحيد الخالص غير

صورة ولا مثال ولا شبه ولا شبح في الحقيقة عند نفسه، وإنّما هو أحدٌ واحدٌ بالعلم والقدرة والنّطق ولا يوحّد الله من زعم أنّه يعرف الله بغيره ولا يعرفه باسمه وصفته ونطقه ولا يعرف الله إلاّ بالله، ومن لم يعرفه به فليس يعرفه وإنّما يعرف غيره، ومن زعم أنّه مؤمنٌ بلا معرفة له باسمه وصفته ونطقه من شخصه فهو ضالٌّ عن المعرفة للعلّة المتقدّمة والحكم الجّاري في الخلق الأوّل والثّاني والثّالث والرّابع والخامس والسّادس والسّابع، فإنّه لا يدرك الله إلاّ بالله ولا يدلّ على الله إلاّ الله، ولا يجوز أن يعرف الله بغيره وليس بين الله وبين خلقه شيءٌ إلاّ فضل الرّبوبيّة لم يبد له من جهل ولم يجهل عن علمٍ.

قال إسحاق بن محمّد في كتاب باطن التّكليف: الصّورة خصيصته وإختباره من خلقه ومثاله الّذي يظهر فيه وهو الّذي قال: ليس كمثله شيءٌ وهو مثاله الّذي قال الله عزّ وجلّ: «ولِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى» وهذه الغاية الّتي ليس فوقها شيءٌ إلاّ معناها وليس بينه وبين الله فرقٌ وهو الصّامت الّذي يرى مع النّاطق من جوهرة محمّد ونوره، فإذا أراد إختبار الخلق ظهر في مثاله ويغيّبه عن أعين النّاس فيقول الممزوجون مات فلان وأوصى إلى فلان وهو الحيّ الّذي لا يموت ولا يتغيّر وإنّما التّغيير في أبصار الخلق وإظهاره الولادة والفقر والغنى إنّما يظهر ذلك في صامته وهو أجلّ من خلقه جميعاً.

ثمّ قال: إعلم أنّ أمير المؤمنين ظهر بالصّورة الّتي ظهر بها أصلع بطين في مبتدأ القبّة ليس عن صورة ظهر في شبهها، ثمّ بعد ذلك أبدى الصّورة والمثال بالحسن والحسين والسّطر وهي الأمثلة والأسماء، فلمّا أراد أمير المؤمنين إختبار العالم غيّب صورة الحسن عن أبصار النّاظرين، ثمّ ظهر في مثل صورته، فإذا ظهر في مثل صورة الحسن أحدث في أبصار النّاس الصّورة في هذا الموضع هو الاسم وهو المثال لا كما يظنّ من لا يدري أنّها الأنزع البطين على السّرير الّذي يغسل الميّت عليه صورة تشبه صورة الّذي كان يقولون عظيم البطن، فذلك هو

المثال والصّورة الّتي يظهر فيها وهو الّذي يقولون وصيّ الإمام وهو في الدعاء: يا من صورته غير مثاله يزيل ويغيّر مثاله خلاف الصّورة والأسماء.

ثمّ قال: يا من صورته ومثاله واحدٌ، يعني الحسن والحسين واحدي الجّوهرة وإن كانوا مختلفيّ الصّورة والأسماء هكذا إلى آخر السّطر.

قال أبو المطّلب جعفر بن محمّد بن المفضّل وكان عالماً رفيع المنزلة في كتاب آداب الدّين: إنّ الله جلّ وعزّ فردٌ لا يعرف بغيره وخلقه يعرفون به وكلّ صورةٍ يظهر بها، فالصّورة صفةٌ من صفاته وغسمٌ من أسمائه، والله لا يقع عليه صفةٌ ولا حدٌّ ولا اسمٌ، إسمه غيره وهو غير صفته،فتعالى العليّ الأحد أن يحدّ أو يوصف أو يرى إلاّ بما يشاء من أسمائه الّتي استحسنها واستخصّتها فجعلها أسماء ظاهرة نورانيّة ونطق فيها، و«لِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُو[1]» المحتجب بها وهو المعنى، ثمّ قال: لا تقولوا بالحجاب ولا بالصّورة وقولوا بالمعنى فإنّه الّذي خلق الصّورة والحجاب ولا تقولوا بصاحب النّطق، فإنّ صاحب النّطق يخطيء ويصيب وصاحب القدرة مصفّى من الكدورة لا يخطيء ولا يدّعي ما ليس له، فإذا رأيتم من شخصٍ قدرة أو معجزة يعجز عنها الخلق فاسألوه عن مقامه، فكلّ ما قاله لكم فصدّقوه، فإنّ صاحب القدرة لا يدّعي ما ليس له.

وعنه: حدّثني أحمد بن هوادة قال: حدّثني إبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حماد عن عبد الله بن بكير عن حمران بن أعين قال: سألت أبا جعفر عن قول الله عزّ وجلّ: «دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَو أَدْنَى » قال: أدنى الله محمّداً منه فلم يكن بينه وبينه إلاّ قفص من نورٍ فيه فراشٌ من ذهب يتلألأ فرأى صورة فقيل له يا محمّد أتعرف هذه الصّورة.

فقال: نعم هذه صورة عليّ بن أبي طالب.

فأوحى الله إليه أن زوّجه فاطمة واتّخذه وصيّاً.

---

[1] وردت الأية كاملة: " ولِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا"

وبالإسناد عن عبد الله بن حمّاد عن مروان الصّبّاح قال: قال أبو عبد الله: من عرف الأوّل وجب عليه معرفة الأخر لأنّ الآخر هو الأوّل، والقصد إلى الحجاب بالله لا بالحجاب إلى الله، فمن عرف الله بغير الله لم يعرف الله.

حدّثني الحسن بن محمّد الحسنيّ عن عليّ بن أحمد العقيقي عن أبيه أحمد بن عليّ عن أحمد بن الحسن عن أبيه عن بكير عن زرارة عن حمران بن أعين عن أبي عبد الله قال: قال إنّ محمّداً صلعم وعلى آله قد رأى ربّه وبينهما قفصٌ من لؤلؤ فيه فراشٌ من ذهب، فحالت سبحات وجهه دون صورته.

وعن جعفر بن أحمد عن محمّد بن يعقوب عن عليّ بن إبراهيم عن محمّد بن عيسى عن عبد الرّحمن بن أبي الحرم قال: سألت أبا جعفر عن التّوحيد فقلت: أتوهّم شيئاً غير معقولٍ ولا محدودٍ قال: فمهما وقع همّك عليه من شيء فهو خطأ لا يشبهه شيءٌ ولا تدركه الأوهام وهو خلاف ما يتصوّر في الأوهام، إنّما يتوهّم شيئاً غير محسوسٍ ولا محدود.

عنه عن محمّد بن أبي عبد الله عن محمّد بن إسماعيل عن الحسين بن الحسن عن بكر بن صالح عن الحسن بن سعيد قال: سأل سائلٌ أبا جعفر: أيجوز أن يقال أنّه شيءٌ قال: نعم تخرجه من حدّين حدّ التّعطيل وحدّ التّشبيه.

وبالإسناد الأوّل عم محمّد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن زياد عن أبي عبد الله قال: من عبد الله بالتّوهّم فقد كفر، ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته الّتي وصف بها نفسه يعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرّ أمره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين حقّاً، وفي حديث آخر أولئك هم المؤمنون حقّاً.

وحدّثني عنه عن عليّ بن إبراهيم عن العبّاس بن معروف عن عبد الرّحمن بن أبي نجران قال: قلت لأبي جعفر: جعلت فداك نعبد الرّحمن الرّحيم الواحد الأحد الصّمد.

فقال: من عبد الاسم دون المسمّى بالأسماء أشرك وكفر وجحد ولم يعبد شيئاً، بل أعبد الواحد الأحد الصّمد المسمّى بهذه الأسماء دون الاسم، والأسماء صفات وصف بها نفسه.

وقيل لأمير المؤمنين: أين كان ربّنا قبل أن يخلق سماء ولا أرضاً.

فقال: أين سؤل عن المكان وكان الله ولا مكان.

وروي عن محمّد بن زرارة قال له قلت لأبي جعفر: كان الله ولا شيء.

قال: نعم كان ولا شيء.

قلت: فأين كان يكون، -و كان متّكئاً فاستوى جالساً - وقال: جهلت يا زرارة وسألت عن المكان إذ لا مكان.

وممّا روي عن النّهي عن القول أنّ الله جسمٌ أو صورة فصحيح والمعنى أنّه ليس في ذاته جسمٌ ولا صورةٌ وأنّه يظهر بالأجسام كيف يشاء.

وبالإسناد عن عليّ بن إبراهيم عن محمّد بن خالد عن صفوان بن يحيى عن مسكان عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله يقول: لم يزل الله عزّ وجلّ ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم والسّمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصور والقدرة ذاته ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء فكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسّمع على المسموع والبصر على المبصور والقدرة على المقدور.

قلت: فلم يزل الله متحرّكاً.

فقال: تعالى الله عن الحركة، لأنّها صفةٌ محدثةٌ للفعل.

قلت: فلم يزل متكلّماً.

قال: إنّ الكلام صفةٌ محدثةٌ ليست بأزليّة كان الله ولا متكلّم.

الباب الثّاني

في معرفة الأسماء والصّفات والعقل والنّعوت والمراتب والقرآن

قال الله «فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً» وقال: «ولِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ» وقال: «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى».

وقال إسحاق في كتاب الصّراط: الإسمين الأعليين اللّذين إذا إجتمعا يدعيان فيجمعان ويفرقان فيفترقان، تمامهما في تام أحدهما.

فقال بعض العلماء: هما محمّد وعليّ.

وقال أصحاب الفضل خاصّة هما الله وعليّ وذلك أنّك تقول: الله، فيقال لك: من الله؟ فإذا قلت: عليّ كان تمام قولك عليّ، ثمّ قولك عليّ، ثمّ قولك الله، وإذا قلت: عليّ قيل لك من هو، فكان تمامها بتمام أحدهما.

وحدّثنا الحسين بن محمّد قال: حدّثنا محمود بن محمّد قال ابن الحسن عن أحمد بن يوسف قال: حدّثني إسحاق بن محمّد عن محمّد بن عبد الله بن مهران عن جابر عن المفضّل قال: الفرق بين أسماء الله وبين أسماء خلقه: أنّ أسماء الله أشخاصٌ فيها ما ذكرنا من الحسن والحسين السّطر.

فصل من كتاب الأسوس: قال السّائل: يجوز أن يوصف الله بإختلاف الجّوهر.

قال العالم: لا.

قال السّائل: فقلت مشيئةٌ وقدرةٌ وروحٌ: أليس ذلك مختلفٌ على اللّسان وفي السّمع والبصر.

قال: نعم.

قال السّائل : فهو مختلفٌ في الجّوهر كما هو مختلفٌ في السّمع.

قال العالم: لا.

قال السّائل: فكيف يختلف ولا يختلف؟

قال العالم: وإنّما يختلف بالمخلوقين، فإذا أورى نفسه بالقدرة فهو إلهٌ كاملٌ، ربٌ أرى نفسه عند المخلوقين كيف شاء لحاجة المخلوقين إليه ليطيعوه على كلّ وجهٍ.

قال السّائل: فقد يرى القدرة من لا يرى الرّبّ؟

قال: نعم.

قال العالم: هو كذلك، وذلك أنّ القدرة أقسامٌ مختلفة في الإسم والرّؤية والجّوهر واحدٌ، إنّما نرى الأقسام مختلفة ولا نرى الجّوهر.

قال السّائل: إنّ القدرة هي الرّبّ؟

قال العالم: إنّما على النّاس أن يتكلّموا بما يرون وليس عليهم أن يسمّوا إلاّ بما علموا، إنّ الله ربّ كلّ شيءٍ وخالق كلّ شيءٍ وإله كلّ شيءٍ، فهذه الأسماء الأشخاص.

قال السّائل: تكلّم الرّوح والقدرة، فيتبعّضان من الرّبّ؟

قال العالم: في الرّؤية والكلام وأمّا في الجّوهر فلا.

وروي عن يونس بن ظبيان في كتاب الأظلّة الكبير عن الصّادق قال: ثمّ إنّ الله خلق العلم والقدرة معاً لا يسبق واحدٌ منهما الآخر ولا يفترقان، فمن ثمّ لا يصلح أن يقال علم ما قدر وقدّر ما علم لأنّه لا يمكن يسبق واحدٌ منهما الآخر، ثمّ خلق بالأمر من بعدهما المشيئة والقضاء وقال: أحد أركانه العلم والثّاني القدرة والثّالث العظمة والرّابع المشيئة وأسكنهما الأرواح الأربعة، فروح القدس العلم طرفه وروح الأمر القدرة طرفه وروح ذي المعارج العظمة طرفه وروح الأمر المشيّة طرفه، فباطن أركانه الأرواح الأربعة.

وحدّثني الحسين بن محمّد العلويّ قال: حدّثني الحسين بن عليّ عن سليمان بن إدريس اليمانيّ عن زيد بن القاسم المدنيّ عن جعفر بن عبيد الله العلويّ قال: قال جعفر بن محمّد: بن جعفر بن عبيد الله: من عرف مواقع الصّفة بلغ قرار المعرفة.

قال إسحاق في كتاب الصّراط: وحقيقة التّوحيد إفراد المعنى بالوحدانيّة وتخليصه من نفسه وروحه وأسمائه وصفاته وأنّها ذريّة محدثة مكوّنه نصبها لنفي الصّفة عن المعنى إذ أظهرها في العيان ليوقع صفة ما أظهر على حقيقة موجودة وما وصف به نفسه في التّجزئة، فإنّما وقع على الصّفة نحو قوله: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» وقوله: «والسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ» وقال لموسى وهرون: «إنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وأَرى».

ثمّ جاء في الحديث: ضحك الرّبّ حتّى بانت نواجذه وأضراسه، وقوله ك رأيت ربّي في صورة شاب مؤنّق ورجلاه في خضرة، وقوله: وضع قدمه في جهنّم، فقالت قط قط أي حسب حسب، وأشباه ذلك، وهو حقٌّ والّذي أظهر من الرّؤية، فله مواقع صفة، ومنه قوله: دلّ على نفسه بنفسه من نفسه أي دلّ على محمّد من محمّد بمحمّد، وكلام الله هو محمّد شخصٌ نوريّ.

وروي عن يعقوب بن مزيد عن محمّد بن أبي عمير عن أبي سعيد المدائني عن أبي عبد الله في قوله تعالى: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ» قال: الكلمات محمّد وفاطر والحسن والحسين، لأنّهم جوهرة واحدة ومحمّد في الباطن هو القرآن وكلام محمّد بأنّه رسول الله هو غير محمّد ومحمّد غيره وهو شخصٌ نوريٌّ صفةٌ من صفات محمّد يجري على لسان محمّد، وذلك الشّخص هو نفس محمّد المضافة كمنزلة محمّد من الله، كذلك منزلة الشّخص من محمّد، ومحمّد هو نفس الله المحذّرة.

وقال أبو شعيب في كتاب المثال والصّورة: وإخلاث الأيمان معرفة الله من محمّد، ثمّ معرفة محمّد ومنزلته من ربّه وأنّه موضع صفاته وأوّل كلّ شيء وبعد كلّ شيء ومعنى كلّ شيء بعده أي لا أحد أقرب إلى الله منه، ولا يقال له مخلوقٌ ولكن الله فوقه وهو الغاية والمعنى فوق الغاية والله كونه ومثله في الأرض البيت وفي السّماء الشّمس، وفي الكروبيّين العرش، وفي الرّوحانيّين الكرسي، وكلّما أوقع عليه اسم وصفة ما خلا الله فهو مخلوقٌ.

وقال: وكلّ إسمٍ من أسماء الأنبياء في القرآن مثل إبراهيم في قصّة وموسى في قصّة وعيسى في قصّة وعيسى في قصّة، وكلّ واحدٍ منهما غير صاحبه هذا العيسى غير هذا العيسى، وهذا الموسى غير هذا الموسى وهذا الإبراهيم غير هذا الإبراهيم، لأنّ الحكيم لا يوصف بإعادة الشّيء مرّتين من اسم أو صفة أو وعد أو وعيد، وكلّما دلّ الله به الخلق على نفسه وأراهم مثاله، فمثاله غيره وقوله عينه ورأسه ولسانه ويده ورجلاه، وكلّما وقعت عليه الأبصار فهو من الله غيره وهو دليلٌ على نورٍ من نوره وصفةٍ من صفاته واسم من أسماء نوره وخلق من خلقه حتّى يصير إلى سبعمائة وعشرون عرفاً وثلثمائة وستّين ضاربة وهي الرّسل خارجة متحرّكة وثلثمائة وستّين ساكنة وهي الصّامتة، وكلّ نورٍ من نورِ الله واسم من أسمائه وصفة من صفاته أو شيء من صورته، فهو قائمٌ أبداً ظاهراً باطناً غير زائل، له شخصٌ موجودٌ يجب معرفته ولا يسع جهله، فإذا عرفت ذلك نفيت الصّفات وهو قوله: من عرف مواقع الصّفة بلغ قرار المعرفة، فإذا شاء الله أن يسكن شيئاً من ذلك ما صفا من عباده أسكنه فدعا ذلك المسكون بالاسم الواقع على ذلك النّور السّاكن فيه والاسم غير المسمّى والسّاكن غير المسكون باين منه ظاهرٌ بكماله، وكذلك كلّما أظهره الله من الأسماء والحجب والأستار والعقل كمثل قولك اكل وشرب وركب وجاء وضحك وبكى وقعد وقام، فهو دليلٌ من الله على صفة من صفاته وخلقٍ من خلقه لأنّه لا يقضي عليه بحركة، من ذلك المولى الصّادق: من زعم أنّ الله يسمع ببعض دون بعض أو يرى ببعضٍ دون بعض فقد كفر.

وقال الصّادق في صفة الله: تقمّص بالرّحمة واتّزر بالعزّ وارتدى بالكبرياء، وقال: تاجه العظمة ورداؤه الكبرياء وازاره المجد، والقرآن هو الباب الّذي قرن بين الأشياء، والفرقان الاسم الّذي يفرّق بين الحقّ والباطل والحجاب الحاجز بينهما وهو محمّد، وكلّما كان من هذه الأسماء من ذوات الهاء مثل العظمة والمشيئة والإرادة، فهو ما أظهره من الأنوار يدعونهم إناثاً، وما كان في اللّفظ مذكّراً فهو ما ظهر من الأنوار يدعونهم ذكراناً والنّفس هي الغاية وهو الاسم الّذي إليه القصد، فكلّ لفظ أو

تسبيح فهو الّذي لا يجاوزه نعتٌ ولا صفةٌ، والمعنى فوقه الّذي ليس كمثله شيءٌ وهو خالق الأشياء.

روي فيه عن الصّادق: أنّ هذا الإقليم على ظفر ملك ليس أنّ لملكٍ ظفرٌ ولكن صفة الملك تقع على غير الملك، وذلك قوله: أوجب الله لرسوله ما أوجب لنفسه ولوليّه ما أوجب لرسوله: معناه إنّ الشّخص الّذي يدعى ظفر ذلك الملك هو الّذي يدبّر هذا الإقليم.

ثمّ قال: إنّ جميع ما وصف الواصفون خلق من خلق الله لأنّ الله أضاف الأشياء كلّها إليه، فهو غيرها وهي غيره، فأفعاله معروفةٌ به وليس يعرف هو بأفعاله.

قال الصّادق في رسالة التّوحيد: إنّ الإرادة والمشيئة إسمان يجمعهما معنى واحد وذلك أنّك تقول: نريد ونشاء ونعرف الحقّ من الباطل، وقد جمعهما اللّفظ بالفعل، ولست تقدر على إفراد خصلة منهما وتفرّق بين اسمائها.

١. فالخلق الأوّل من الله الإرادة بلا وزنٍ ولا حركةٍ، والله سابق الإرادة.
٢. والخلق الثّاني الحروف لا وزن ولا لون.
٣. والثّالث ما كان ملموساً منظوراً إليه.

واسم كلّ شيءٍ غير مسمّى وصفة كلّ شيءٍ غير الموصوف، وحدّ كلّ شيءٍ غير المحدود، إنّما هي حروفٌ متقطّعة برؤوسها لا تدلّ إلاّ على نفسها ما دامت منفردة، فإذا إجتمعت تلك الحروف دلّت بإجتماعها على غيرها لأنّ الله لا يجمع منها شيءٌ فيؤلّفه إلاّ محدث لم يكن قبل ذلك شيئاً مذكورا، واعلم أنّه لا تكون صفةٌ لغير الموصوف ولا اسم لغير معنى ولا حدّ لغير محدود والأسماء والصّفات كلّها تدلّ على كمال الوجود الّذي هو التّثليث والتّربيع، وذلك أنّ الله وحده دون خلقه لأنّ الله لا يدرك بالأسماء والصّفات ولا يدرك بالتّحديد، وما كان سوى الله فهو يدرك بالأسماء والصّفات والتّحديد بالطّول والعرض، والقلّة والكثرة، وليس يحلّ بالله شيءٌ من ذلك ولكن قد يدلّ على الله ويدرك صفاته بأسمائه، ويستدلّ عليه بخلقه حتّى لا

يحتاج الطّالب المرتاد إلى رؤية بعين ولا لمس بكفّ ولو كانت صفاته لا تدلّ عليه وأسماؤه لا تدعو إليه كان المعبود غير الله لأنّ صفاته وأسماءه غيره، فإن سألت عن الإرادة خلق هي أم غير خلق قلت هو خلقٌ ساكنٌ لا يدرك بالسّكون وإنّما صار خلقاً لأنّه شيءٌ محدثٌ غير الّذي أحدثه، فلمّا سمّي شيئاً صار خلقاً، وإنّما هو الله وخلقه لا ثالثاً معه بينهما ولا ثالثاً غيرهما، فلمّا خالف الله لم يقدر أن يكون خلقاً ساكناً وغير ساكنٍ ومختلفاً وغير مؤتلف معلوماً منظوراً إليه وغير منظورٍ إليه بعد أن يدلّ عليه الحواسّ الخمس، فهو معنى مدروك، فكلّ حاسّة تدلّ على ما جعل الله لها في إدراكها، وكلّ مدرك بحاسّة من الحواس محدودٌ موجودٌ والعلم يجمع ذلك.

قال محمّد بن سنان في كتاب التّوحيد وقد تقدّم إسناده في باب التّوحيد: والأسماء والصّفات والنّعوت تقع روح القدس وهو روح الغاية أي حجاب الغاية والغاية هو المحتجب بالرّوح.

وحدّث صالح بن حمزة عن أبان بن مصعب عن أسد بن إسماعيل عن أبي عبد الله في كتاب الأظلّة قال: كان الله ولا مكان، ثمّ خلق المكان ففوّض إليه الأمر.

فقلت: وما المكان: قال: محمّد عليه السّلام.

فيه روى أحمد بن أحمد عن محمّد بن المفضّل عن أبي حمزة الثّمالي عن أبي جعفر قال: قال رسول الله أنا آدم في بطن القرآن وأنا أوّل خلق الله.

وفي كتاب الأظلّة فأحد أركانه العلم والثّاني القدرة والثّالث الرّحمة والرّابع المشيئة، فأسكن في الأركان الأرواح الأربعة، فروح القدس العلم طرفه وروح الأمر القدرة طرفه وروح ذي المعارج الرّحمة طرفه وروح الأمر المشيئة طرفه.

قال إسحاق في كتاب التّنبيه في قوله: «ولا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الأَرْضِ ولا رَطْبٍ ولا يابِسٍ إلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ» وهو العلم وكلّ شيءٍ خلق بعلم وقدرة، فالقدرة في العلم وهو خالق الأشياء وهو عبده سامع مطيع الله الّذي خلقه خلقاً لا كخلق الآدميّين لكنّه خلق من نورٍ، وإنّما يظهر في صورة الآدميّين حجّة على العباد، ولم

يزل العلم في الصّورة الّتي يكون فيها في السّماء لافتتن به جميع الخلق ولعبد من دون الله.

حدّثني محمّد بن إبراهيم عن أبي البصريّ عن محمّد بن موسى عن الكرخي عن ابن صدقة عن ابن سنان قال: قال الصّادق أنّ الله أحد خلق واحداً فجعله عينه الّتي يبصر بها ويده الّتي يبطش بها وأذنه الّتي يسمع بها ولو كانوا مائة ألف كانوا واحداً.

وحدّثني عن الهمداني عن أبي سعيد عن زيد بن طلحة عن يونس قال: قال الصّادق: إنّ الله كان ولا مكان ثمّ خلق المكان فجعله يحوي ولا يحوى وهو الميم.

فصل من كتاب الدّستور: قال: حدّثني الحسن بن محمّد قال: حدّثني الحسين بن عليّ عن محمّد بن الحسين قال: حدّثني محمّد بن الحسن عن ابن المنذر عن محمّد بن عبد الله بن مهران قال: حدّثني محمّد بن سنان عن المفضّل بن عمر قال: سمعت الصّادق يقول: جهدت أن أجد بين محمّد وعليّ فرقاً فلم أجد.

قال المفضل: قلت يا سيّدي ومولاي وكيف ذلك؟

قال لو كان فرقاً لكان شخصاً لأنّه أقرب إليه من جميع الخلق.

وبالإسناد عن محمود بن الحسن قال: حدّثني أحمد بن يوسف عن إسحاق بن محمّد عن محمّد بن عبد الله عن محمّد بن سنان عن المفضّل بن عمر قال: سمعت الصّادق يقول: «الله غاية من عاناه والمعنى فوق الغاية».

قلت: يا سيّدي: من الغاية؟

قال ك محمّد بن عبد الله الهاشميّ.

وبالإسناد الأوّل عن ابن المنذر قال: حدّثني أحمد بن محمّد بن خالد البرقي عن أبيه محمّد عن محمّد بن سنان عن المفضّل قال: قال أبو عبد الله إنّ الله أحد خلق واحداً فجعله موحداً بما فيه الواحد جعله عينه النّاظرة وأذنه السّامعة ويده الباطشة ولسانه النّاطق في خلقه بأمره، فلو كانوا مائة ألف لكانوا واحداً.

قلت: يا سيّدي من هذا الواحد؟

قال: محمّد بن عبد الله الهاشمي.

وحدّثني أبو محمّد العلوي عن أبي عبد الله البلدي عن محمّد بن المفضّل عن أبيه المفضّل عن الصّادق أنّه قال: أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد وكلّنا محمّد. أراد بقوله أوّل اسم للمعنى لأنّ السّطر كلّه أسماء للمعنى، وهذه الأسماء مات به يظهر المعنى بها فهي من جوهرة محمّد.

وحدّثني الحسن بن محمّد قال حدّثني عليّ بن أحمد بن عليّ العقيقي عن أبيه قال: حدّثني أحمد بن إبراهيم الزّهري قال: حدّثني أحمد بن المثنّى عن القاسم الحضرمي عن أبيه عن عمر بن يزيد الجّعفي عن أبي جعفر محمّد بن عليّ قال: يا جابر روح القدس خالقٌ مخلوقٌ يخلق نفسه كيف يشاء ويتصوّر كيف يشاء وإنّه لا يُذكر في القول غير مؤنث وإنّه أوّل المبتدأ وغاية المنتهى وإنّه محيط في الخلق وإليه مرجعهم وإنّما على النّاس معرفة روح القدس بكماله وليس عليهم معرفة ما وراء ذلك، فإنّه لا شيء أعظم من روح القدس إلاّ النّازل فيه وهو المحتجب به وهو الّذي ليس بموصوف، والاسم الّذي يقع عليه الأبصار مضاف إلى الّذي لا يعرفه إلاّ روح القدس بكماله وروح القدس محمّد وهو بدن لروح القدس، فروح القدس في روح محمّد غلاف في جوف غلاف، وكذلك ضرب الله مثلاً في كتابه: «كمشْكاةٍ فيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ في زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ ولا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضيءُ ولَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ ويَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثالَ لِلنَّاسِ واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ».

قال: يا جابر في وصفه المسرجة بدن محمّد والفتيلة والدّهن قلبه، والمشكاة وهي البرهرة وهو الّذي في محمّد روح القدس بكماله في الإمام.

وحدّثني أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي عن أحمد بن محمّد الصّحّاف قال: حدّثن محمّد بن أسد عن عليّ بن حسّان عن محمّد بن جندب وعليّ بن أمّ الرّقّاد قالوا: سألنا أبا شعيب، فقلنا: يا رحمة الله: المعنى اسمٌ أو معنى؟

قال: معنى له اسمٌ يدعو إليه.

قلنا: اسمٌ مخلوقٌ؟

قال: مخلوقٌ وخالقٌ، ألا تعلمون أنّ محمّداً اسم الله وهو مخلوقٌ، وقد جعل الله له أن يخلق، وذلك أنّ لله عزّ وجلّ إثني عشر اسماً أوّلهم محمّد وأوسطهم محمّد وآخرهم محمّد، احتجب بها وأظهر القدرة منها بالأجسام النّاسوتيّة، وذلك لطف منه، وأظهر أنواره وصوره.

قلنا: فالعين قبل الميم، فكيف سبقت الميم للعين؟

قال: الميم أصل الأسماء والعين معناها خالق الأسماء، والاسم في نفسه محدثٌ مخلوقٌ، والباري الباطن الّذي لا يدرك هو العليّ الأعلى.

قلنا: فالحجب ما هي؟

قال: الأسماء الّتي أظهرها.

قلنا: فالرّسل؟ ما هم.

قال: الأبواب الظّاهرة.

قلنا: فما يجب على الباب؟

قال: أن يدعو إلى سيّده أنّه مولاه المدعو إليه محتذياً.

قلنا: فالأسم، ما هو؟

فقال: حجّة لمحجّة، هي طريق الحجّ إلى بيت الرّحمن.

حدّثنا الحسن بن محمّد بن يحيى قال: حدّثنا أبو الحسن عليّ بن أحمد العقيقي عن محمّد بن الحسين عن محمّد بن حسّان عن الهيثم بن عودة عن جابر الجّعفي عن أبي جعفر قال: فينا عرف الله وبنا عبد الله وبنا عظّم الله، ومحمّد حجاب الله والله من وراء كلّ حجاب.

أخبرنا أبو عبد الله عثمان بن محمّد، قال: حدّثنا اسماعيل بن محمّد بن العذافر عن أحمد بن محمّد بن راشد عن بكر بن أحمد عن أبي الحسن عن إسماعيل بن عليّ القمّيّ قال: قال محمّد بن صدقة في كلامٍ واحتجاجٍ سأله عنه في الأوقات،

فإن قلت: فالعلم أصل الأشياء فالأشياء فرعه، قلت: مسألتك هذه على وجهين، إن أردت أنّ العلم أصل الأشياء والأشياء فرعه على الاتّصال مرّة وعلى الأفتراق أخرى كالغصن من الشّجرة، فإذا قطع فارقها، فمحالٌ، وإن أردت أنّ العلم أصل الأشياء على أنّها تسبق كون الأشياء قبل كونها أحاط فذلك أوفق وهو أصل الأشياء، وإن قلت إنّ العلم عرضٌ أو جوهرٌ، قلت: مسألتك على ثلاثة أوجه، إن أردت أنّ العلم عرضٌ أو جوهرٌ في الحالة الأولى، فمحالٌ إذكان العلم في ذاته غير موصوف بعرض ولا جوهر، في الحالة الثّانية عند سبقه لكون الأشياء، فعرض وإن أردت في الحالة الثّالثة عند الابتداء الأشياء واخترعها واحداثها منه، فجوهرٌ.

فإن قلت: فليس العلم في ذاته واحدٌ، قلت: نعم.

فإن قلت: لم جعلته مرّة عرضاً ومرّة جوهراً، قلت: لأنّه في الحال الأول صفة نسبته في ذاته ومحالٌ أن يوصف الله بعرض ولا بجوهر وهو في الحالة الثّانية عرضٌ لأنّه ظهر منه في صفته لتدبير صنعته على غير مباينة، وهو الّذي به تدبير الجّسد، والجّسد جوهرته مدروكةٌ موصوفةٌ لأحداث الأشياء والأمر والنّهي والاستعبار بالدّعوة إلى الصّانع القديم لا بجوهريّةٍ مدروكةٍ وشبحٍ موصوفٍ به إيجاب الحجّة والإستعباد للبريّة.

قال إسحق بن محمّد في كتاب باطن التّكليف: حدّثنا يزيد بن حمّاد عن محمّد بن سنان عن يونس بن ظبيان عن الصّادق منه السّلام قال: نظر السّيّد محمّد إلى حمزة وجعفر فقا: هذان السّمع والبصر.

وحدّثني أحمد بن إبراهيم عن عبد الله بن المفضّل عن جعفر قال: إنّ الله منح حمزة البرّ ومنح جعفر البحر، فإذا أصابهم هولٌ في البرّ فنادوا يا حمزة، وإذا أصابهم هولٌ في البحر فنادوا يا جعفر.

وقال: حدّثنا الوليد بن يحيى قال: حدّثني أبو إسماعيل عن سليمان السّوسي عن المفضّل بن عمر قال: سئل الصّادق عن حمزة وجعفر قال: هما السّمع والبصر وهما الشّاهدان.

وسئل أبو عبد الله عن كلام الخالق مخلوقٌ هو أم لا؟ قال: الله الخالق، وما سواه فمخلوق، والعلم كلام الله وقدرته ومشيئته وأمره وجميع ذلك في العلم وهو مخلوقٌ، ولو لم يكن مخلوقاً كان خالقاً مع الله إله إلاّ الله وحده لا شريك له.

وقال أبو جعفر: «هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ»، الكتاب محمّد والحقّ أمير النّحل.

وحدّثني الحسن بن محمّد عن عليّ بن أحمد العقيقي عن أبيه أحمد بن عليّ عن إبراهيم بن هاشم قال: حدّثني إبراهيم بن الهيثم عن درست بن أبي منصور عن زرارة بن أعين عن أبي عبد الله قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق المشيئة بنفسها لا بغيرها، ثمّ خلق الأشياء بتلك المشيئة.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن أيّوب بن نوح عن صفوان بن يحيى عن موسى بن بكر عن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله: أرأيت قول الله: «وسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ والأَرْضَ» قال: السّموات والأرض وسعن الكرسي أم الكرسي وسع السّموات والأرض.

قال: ويحك إنّ الكرسي يسع السّموات والأرض والعرش وكلّ شيءٍ خلقه الله في الكرسي.

وحدّثني جعفر بن أحمد عن محمّد بن يعقوب عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن النّضر بن سويد عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله قال: قلت له لم يزل الله مريداً، قال: المريد لا يكون إلاّ لمرادٍ معه، بل لم يزل عالماً قادراً ثمّ أراد.

حدّثني عنه عن أحمد بن إدريس عن محمّد بن عبد الجبّار عن صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي الحسن: أخبرني عن الإرادة من الله أو من الخلق.

قال: الإرادة من الخلق، والضّمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل.

وأمّا من الله، فإرادته إحداثه الأشياء لا غير ذلك لأنّه لا يرى ولا يهمّ ولا يفكّر، وهذه الصّفات منفيّةٌ عنه وهي صفات الخلق، فإرادة الله الفعل لا غير، ذلك لأنّه يقول له كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسانٍ ولا همّةٍ ولا تفكّرٍ.

وحدّثني عنه عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم عن أبي عمير عن ابن أذينة عن أبي عبد الله أنّه قال: خلق الله المشيئة بنفسها ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة.

وبالإسناد عن إبراهيم بن هاشم عن العبّاس عن عمير عن هاشم بن الحكم في حديث الزّنديق الّذي سأل أبا عبد الله، فكان سؤاله أن قال له: هل لله رضا وسخط؟

فقال أبو عبد الله: نعم، ولكن ليس ذلك على جهة المخلوقين، وذلك أنّ الرّضا حالٌ يدخل عليه فينقله من حالٍ إلى حالٍ، لأنّ المخلوق أجوف منعمل مركّب الأشياء فيه مدخل، وخالقنا لا مدخل لشيء فيه، لأنّه واحدٌ أحديّ الذّات واحديّ المعنى، فرضاه ثوابه وسخطه عقابه من غير أن يداخله شيء فيهيجه وينقله من حال إلى حال لأنّ ذلك من صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين.

وروى أحمد بن محمّد عن أبيه عن أبي عمير عن ابن أذينة عن محمّد بن مسلم عن أبي عبد الله قال: المشيئة محدثة وصفات الذّات العلم والقدرة وغير ذلك من الصّفات وهي صفات الفعل.

حدّثنا عليّ بن محمّد عن محمّد بن يعقوب عن أحمد بن إدريس عن الحسن بن عبد الله عن محمّد بن عبد الله وموسى بن عمر والحسن بن عليّ بن عثمان عن ابن سنان قال: سألت الرّضا عن الاسم ما هو؟

فقال: صفة الموصوف.

وحدّثنا عنه عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن النّضر بن سويد عن هاشم بن الحكم أنّه سأل أبا عبد الله عن أسماء الله واشتقاقاتها، الله ممّا هو مشتقّ؟

فقال: يا هاشم الله مشتقّ من إله والإله يقتضي مألوه والاسم غير المسمّى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد الاثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذلك التّوحيد، أفهمت يا هاشم.

قلت: زدني.

قال: لله تسع وتسعون اسماً، فلو كان الاسم هو المسمّى لكان كلّ اسم منها إله، ولكنّ الله معنى تدلّ عليه هذه الأسماء، فكلّها غيره، يا هشام، الخبز اسم المأكول والماء اسم المشروب.

وحدّثني عنه عن محمّد بن أبي عبد الله يرفعه إلى أبي هاشم الجّعفري قال: كنت عند أبي جعفر الثّاني فسأله رجلٌ فقال له: أخبرني عن الرّبّ تبارك وتعالى له أسماء وصفات في كتابه، فأسماؤه وصفاته هي هو، قال أبو جعفر إنّ لهذا الكلام وجهين، إن كنت تقول هي هو أي ذو عددٍ وكثرةٍ، فتعالى الله عن ذلك، وإن كنت تقول هذه الصّفات لم تزل، فهو يحتمل معنيين، فإن قلت: لم تزل عنده في علمه وهو مستحقّها، فنعم وإن كنت تقول: لم يزل يصوّرها وهجا حروفها وتقطيع حروفها، فمعاذ الله أن يكون معه شيءٌ غيره، بل كان الله ولا خلق، ثمّ خلقها وسيلةً بينه وبين خلقه يتضرّعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره، وكان الله ولا ذكره المذكور بالذّكر هو الله القديم الأزل لم يزل والأسماء والصّفات مخلوقات، والمعنى بها هو الله الّذي لا يليق به الإختلاف والإئتلاف، وإنّما يختلف ويأتلف المتجزّيء، فلا يقال في الله مؤتلف ولا الله قليلٌ ولا كثيرٌ ولكنّه القديم في ذاته لأنّ ما سوى الواحد متجزّيء والله واحدٌ لا متجزّيء ولا متوهّم بالقلّة والكثرة وكلّ متجزّيء مخلوق ودالٌّ على الخالق له كقولك إنّ الله قد خبّرك أنّه لا يعجزه شيءٌ نفيت بالكلمة العجز وجعلت العجز سواه، كذلك قولك عالمٌ إنّما نفيت بالكلمة الجّهل وجعلت الجّهل سواه، وإذا أفنى الله الأشياء وأفنى الصّورة والهجاء والتّقطيع ولا يزال متى لم يزل عالماً.

قال الرّجل: فكيف سمّينا ربّنا سميعاً؟

فقال: إنّه لا يخفى عليه ما يدرك في الأسماع ولا يصفه بالسّمع المعقول في الرّأس من لون وشخص وغير ذلك ولم تصفه ببصرٍ يخطر، وكذلك سمّيناه بصير لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار من لون وشخص وغير ذلك ولم يصفه ببصرٍ

يخطر، وكذلك سمّيناه لطيفاً لعلمه بالشّيء اللّطيف مثل البعوضة وأحقر من ذلك وموضع النّشؤ منها والعقل والشّهوة للفساد والحدث على سبيلها، فعلمنا أنّ خالقنا لطيفٌ بلا كيفيّة وإنّما الكيفيّة للمخلوق والتّكليف تبارك ربّنا وتعالى لا شبيه له ولا نظير ولا ضدّ ولا ندّ ولا كيف ولا نهاية محرّم على القلوب أن تمثّله وعن الأوهام أن تحدّه وعلى الضّمائر أن تكوّنه، جلّ عن إرادة خلقه وسبحانه ربّ العالمين وبه نستعين.

الباب الثّالث

معرفة الباب في منزلته وطاعته والأيتام والنّقباء

قال الله: «لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها ولكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى» معناه إتّقى الظّاهر: «وأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» وقال: «فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ».

فصلٌ من كتاب الصّراط: قال إسحق في كتاب الصّراط: حدّثني الكرخي عن عيسى بن عليّ الحسنيّ البصريّ عن رجلٍ من أصحابه عن الثّمالي عن ابن أمّ الطّويل عن عليّ بن الحسين أنّه قال: إنّ الله يظهر في صورة الباب وليس للباب أن يظهر بصورته، يعني المعنى روح الله هو الباب.

وقال محمّد بن سنان في كتاب التّوحيد: قد تقدّم إسناده في باب التّوحيد: وأمّا الوليّ فإنّه الباب محدثٌ، أما علمتم أنّ الله محدثٌ والوليّ محدثٌ لأنّه جلّ وعزّ أظهر قدرته، وإظهار القدرة إحداثها، فالقدرة محدثة وإحداثها خالقها القادر على إظهارها، ويجوز أن يدعى المعنى بالوليّ لقول الله ذلك بأنّ الله هو الوليّ وأنّه يحيي الموتى، ويجوز أن يدعى به أيضاً الغاية لأنّها أسماء محدثات أحدثها الله لنفسه ثمّ قال: أنحلها للوليّ وأنحلها المولي لمن دونه، فلا يتعاظمنّكم ذلك، ثمّ قال: المقداد هو الحجاب الّذي علا بالوليّ إلى الغاية لأنّه اليتيم الأكبر وهو وليّ الوليّ، وإنّما علا

بالوليّ إلى الغاية لأنّه أعلا أصحاب المراتب، فمن دونهم فأعلا الله درجته لمّا عرّفه نفسه في صورة أبي طالب فوحّده المقداد، فلمّا وحّده إرتضاه لنفسه فاتّخذه وليّاً وهو أوّل شخص عرف سلمان، فسلمان هو الوليّ علا إلى الغاية، فسلمان اسم محمّد كما أنّ محمّداً إسم الأزل وهو الرّوح الّذي احتجب فيه النّور.

قلنا: فما اليتيم الأصغر؟

قال: هو الحجاب الأقصى وهو حجاب الوليّ.

قلنا: وكم للوليّ من حجاب؟

قال: حجابان إحتجب بهما وهو اليتيم الأكبر واليتيم الأصغر، اليتيم الأكبر هو المقداد واليتيم الأصغر أبو الذّرّ وهم أولياء الباب، ثمّ قال المحتجب به هو محمّد والمحتجب هو الله لأنّ الله لا يحتجب إلاّ بنوره، ونوره محتجبٌ بوليّه والمحتجب غلافٌ في جوف غلاف، والمحتجب هو الحجاب الظّاهر الّذي ظهر لك منه ما ظهر من المخلوقين، وإنّما القدرة للمحتجب وهو الله.

فصلٌ من كتاب معرفة الباري في ذكر الحجب، قال مؤلّف كتاب معرفة الباري: إنّ الله إختار حجباً لنفسه يظهر فيها وجعلها لحجبه أبواباً يظهر فيها إذا شاء وقال: قال العالم: إنّ الله يظهر بالباب وليس للباب أن يظهر بالله، فمن أراد الوصول إلى الله فليأته من بابه الّذي جعله سبباً إلى الوصول إليه، ثمّ روي عن عليّ بن الحسين بن بشر الدّهّان عن الحلواني عن محمّد بن سنان عن محمّد بن صدقة قال: دخلت على الرّضا فقال: يا محمّد اعرف هذا البدن الزّاهر الّذي اسكنت فيه روحي الّذي هو بابي وحجابي، وإنّي لا أقبل إلاّ من يأتيني من بابي الّذي خلقت فيه العلم الرّفيع المنير الّذي من عرفه نجا ومن صدّ عنه كفر.

وحدّثني محمّد بن إبراهيم عن البصريّ عن العبدسانيّ عن محمّد بن جعفر البرسيّ عن الأرمنيّ عن ابن سنان عن يونس قال: قال الصّادق إنّ لله بيوتاً ولبيوته أبواباً، فمن دخل بيوته من أبوابها اهتدى ومن دخلها من سوى ذلك ضلّ، وعنه عن البصريّ عن محمّد بن موسى عن الكرخيّ عن أبي سمينة عن ابن سنان عن

المفضّل قال: قال سيّدي: لا بدّ من أصل وفرع ومفروع، فالأصل مدينة العلم والفرع بابها والفروع هو المستقي من الباب وهو المفروع.

وحدثني عنه قال: حدّثني محمّد عن الكرخيّ عن إسماعيل عن ابن صدقة قال: قال الرّضا: إنّ لله أن يظهر ببابه وليس للباب أن يظهر بشيء من الله، فما قاله الباب، فالله قاله.

وحدّثني عنه عن عبد الله عن إدريس عن زيد عن يونس قال: قال الصّادق ظاهر الله إمام وباطنه غيبٌ لا يدرك وظاهر الباب إنسان وباطنه إمام ولا تصحّ إمامة مدّعي إلاّ بدلاله، فمن إدّعى بشيءٍ فطالبوه بدلالته، وفي خبرٍ آخر: إذا ظهرت الدّلالة فاسألوا صاحبها عن مقامه وعن غيره، فما قاله فاتّبعوه، فإنّه لا يقول إلاّ حقّاً والسّلام.

فصلٌ من كتاب الدّستور: قال محمود في كتاب الدّستور: إنّ الله إحتجّ على النّساء في صورتين بأمّ سلمة وهي مشيئة الله وهي جوهرة سلمان ومنه وإليه يرجع أمرها وهي باب النّساء كما أنّ سلمان باب الرّجال وهو ما شاء الله.

حدّثني الحسن بن محمّد الحسنيّ قال: حدّثني أبو عبد الله الحسين عن محمّد بن الحسين عن أحمد بن يوسف قال: حدّثني إسحاق بن محمّد قال: حدّثني جعفر عن محمّد بن المفضّل عن أبيه عن السّيّد موسى في قوله: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ الْقَمَرُ» قال: هو ظهور الباب صفقتيه وهو سلمان وسفينة في وقتٍ واحدٍ.

وبالإسناد عن إسحاق بن محمّد عن بشر بن مبشّر قال: حدّثني محمّد بن سنان عن بشّار الشّعيري قال: دخل أبو خالد الكابليّ على أبي الطّيّب عليّ بن الحسين قال: كم أنتم؟ فقال: أنا وأصحابي الخمسة، قال أنت وأيتامك النّور في ظلمات الأرض.

وبالإسناد عن إسحق عن أبي سكينة عن محمّد بن سنان عن المفضّل بن عمر قال: سمعت الصّادق جعفر يقول: إنّ الله يظهر في هذه القبّة بإثني عشر بيتاً واثني

عشر شخصاً واثني عشر مقاماً، ينصب لنفسه لكلّ مقام باباً يدخل منه إلى معرفته، فمن جحد باباً فقد جحد مقاماً، ويأبى الله أن يقبل لجاحد الباب صرفاً ولا عدلاً.

وبالإسناد عن إسحاق بن محمّد قال: حدّثني محمّد بن عبد الله بن مهران عن محمّد بن سنان عن المفضّل بن عمر قال: قال الصّادق منه السّلام قال: الأبواب أنوار الله أوّلهم كآخرهم وآخرهم كأوّلهم وهم الموصلون إلى الله والدّاعون إليه والدّالّون عليه، محمّد أبو الآباء وباب الأبواب مؤيّداً أولياء الله من جحد الباب فقد جحد المقام ومن جحد المقام فقد كفر بالله الواحد القهّار.

وحدّثني ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن الصّادق قال: قلت له: كان أبو الخطّاب باباً، فما زاده على منزلته بالفعل الّذي فعل والدّعوة الّتي أظهرها ولأيّ شيء علت منزلته ودرجته، فقال: إنّ مراتب الإيمان سبع، في كلّ مرتبة سبع درج، ولم يكن أبو الخطّاب إلاّ في أدنى درجة من مرتبة الأبواب، فرفعه الله إلى الّتي تليها وهي الدّرجة الثّانية من الأبواب وقد بقي من المرتبة خمس درج لم يعرفها أبو الخطّاب ولئن تمّ لله على طاعته وحسن نيّته وبصيرته ليبلغنّ الله به أعلى درجة.

وروي أنّ لسلمان سبعة أسماء في الأدوار وهم سلسل حام دان أحمد جبرائيل روزبة سلمان.

وحدّثني جعفر بن أحمد عن أبي الحسين المنجّم عن أبي القاسم وأبي جعفر الأفطس عن محمّد بن زيد قال: حدّثني سيّدي أبو الحسن عليّ بن محمّد العسكريّ عن أبيه عليّ عن أبيه موسى عن أبيه جعفر في حديث باطن السّحر وهو مشهورٌ قال.

يا يونس أتدري ما عصا موسى؟

قلت: نعم، الخشبة الّتي كان يهشّ بها على غنمه.

قال: ومن أيّ شيء كانت الخشبة؟

قلت: تزعم علماء الكوفة أنّها من عوسج.

فضحك ثمّ قال: «ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» إنّما العصا سلسل أما سمعت يقول:«وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى» أي يفعل جميع ما أمره به لم يزل سلسل مطيعاً للنبي والأوصياء لأنّه يظهر في كلّ عصر نبيٌّ بصورٍ مختلفة، وكان في عصر نوح هود وصالح وموسى وشعيب وداوود وسليمان وأيّوب وعيسى ومحمّد في صورٍ مختلفة.

وحدّثني المبارك بن محمّد عن محمّد بن الحسن عن يوسف بن يعقوب عن الحسن بن عليّ عن داؤود بن عاصم عن أبيه عاصم العسلاني عن بصير بن قيس عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر في قول الله: «وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى» قال التّوبة من موالاة الاثنين والإيمان بالولاية لأمير المؤمنين وعمل صالحاً رضي لأخيه ما يرضى لنفسه من دنياه وآخرته، ثمّ اهتدى قال: هذه إلى الباب الّذي يوصله إلى معرفة الله.

النّقباء على عهد النّبيّ وهم الّذين اختارهم من السّبعين ليلة العقبة وهم اثنا عشر: البراء بن معرور الأنصاري والمنذر بن عمرو بن لوزان الأنصاري ورافع بن مالك الأنصاري وعمرو بن لوزان الأنصاري وأسيد بن حصين الأنصاري والعباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري وعبادة بن الصامت النوفلي وعبد الله بن عمرو بن حزام وسالم بن عمير الخزرجي وأبي بن كعب ورافع بن ورقة وبلال بن رباح الشنوي.

والنّجباء ثمانية وعشرون وهم: أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري وأبو سعيد الخدري وقيس بن سعد بن عبادة الخزرجي وسعد بن مالك الأنصاري[1] وأبو الطفيل عامر بن واثلة وزيد بن نفيع وعثمان بن حنيف [2] و حذيفة بن اليمان وعمر بن خدان [3] وسهم بن عمار وحبيب بن جندب بن جنادة الأنصاري وجويريّة بن مسهر العبديّ [4] و أبو سفيان الأنصاري وأبو عمرة [1] بن كميل الأنصاريّ وبشير أبو ليلى [2] الخولي

[1] في كتب التاريخ أنّ سعد بن مالك هو أبو سعيد الخدريّ
[2] وردت أحنف في بعض النسخ
[3] وردت خدانة في بعض النسخ
[4] وردت في بعض النسخ حويرثة بن مشهر

وهشام بن عتبة بن أبي وقاص وهشام بن هشام وجبير بن مطعم والمسيب بن نخبة وأبو خالد الوابلي وسويد بن غفلة وأبو بركة الأنصاري [٣] وذو اليمينين وسهل بن حنيف وسهمان بن خنيف مولى فضة والمخول الكلبي وعبد الله بن سبأ وعبد الله بن سبأ هو سيّدهم.

الأبواب على مذهب أهل التّوحيد غير الإسحاقيّة، فإنّ إسحاق بن محمّد الأحمر لم يكن يقبل ببابيّة أبي شعيب: سلمان سفينة رشيد أبو خالد يحيى جابر أبو الخطّاب المفضّل بن عمر بن الفرات محمّد بن نصير.

الأبواب على مذهب التّخميس: سلمان، رشيد أبو خالد يحيى بن جابر أبو الخطّاب المفضّل بن عمرو محمّد بن سنان عمر بن الفرات عليّ بن حسكة محمّد بن موسى الرّقّي ومحمّد بن الحسن النّجيلي.

أيتام الأبواب.

المطلع الأوّل: الباب سلمان: أيتامه.

المقداد بن أسود الكنديّ، أبو ذرّ جندب بن جنادة بن سكن الغفّاريّ، عبد الله بن رواحة الأنصاريّ، عثمان بن مظعون النّجاشيّ اليمانيّ، قنبر بن كادان الدّوسيّ.

المطلع الثّاني: سفينة أبو عبد الرّحمن قيس بن ورقة الرّياحي وأيتامه.

صعصعة بن صوحان العبديّ، زيد بن صوحان أخوه، عمّار بن ياسر، محمّد بن أبي بكر، محمّد بن أبي حذيفة.

المطلع الثّالث: أبو العلاء رشيد الهجري وأيتامه.

عمر بن الحمق الخزاعيّ، الحارث الأعور الهمذانيّ، الأصبغ بن نباتة الطّائي، ميثم التّمّار النّهرواني، حجر بن عديّ الكنديّ.

---

[١] في بعضها أبو عمر
[٢] وفي بعضها بشير – وأبو ليلى
[٣] ورد أبو تراكة في بعض النسخ

المطلع الرّابع: أبو خالد عبد الله بن غالب الكابليّ وأيتامه.

سعد بن المسيّب، حكم بن خيبر [جبير]، جابر بن عبد الله السّلمي، القاسم بن محمّد بن أبي بكر، حبيب بن محمّد بن أبي بكر.

المطلع الخامس: أبو عبد الله يحيى بن معمّر بن أمّ الطّويل الثّمالي وأيتامه.

يحيى بن أبي العقب، أبو حمزة ثابت بن أبي صفيّة الثّمالي، كميل بن زياد، فرات بن أحنف، حمران بن أعين.

المطلع السّادس: أبو التّحف جابر بن يزيد الجّعفي وأيتامه.

خالد بن يحيى [جابر بن يحيى المعبراني]، بشارة بن المغيرة، ميمون بن براهيم التّبّان، فرات بن أحنف، حمران بن أعين.

المطلع السّابع: أبو الطّيّبات محمّد بن أبي زينب الكاهليّ وأيتامه.

ولده إسماعيل المعبرانيّ، محمّد بن مصعب العبديّ، بشّار الشّعيريّ، المعلّى بن خنيس، أبو أيّوب القمّيّ.

المطلع الثّامن: أبو عبد الله المفضّل بن عمرو الجّعفي وأيتامه.

يونس بن ظبيان الصّخريّ، أبو الغصن جحا وإسمه الدّجين بن ثابت، يحيى بن يزيد، أبو الغمر الثّماليّ، أبو أيّوب القمّيّ.

المطلع التّاسع: أبو جعفر محمّد بن المفضّل وأيتامه.

أسد بن إسماعيل، الحرّ النّخّاس للدّواب لا للنّاس، صالح بن عبد القدّوس، عبد الله بن محمّد الهرثميّ، عليّ بن عبد الملك.

المطلع العاشر: أبو القاسم عمر بن الفرات الكاتب وأيتامه.

الحسن بن قاران، وهب أخوه، خالد بن الأشعث، نصر بن سلام، محمّد بن عمر الكتّانيّ [الكنّاسي].

المطلع الحادي عشر: أبو شعيب محمّد بن نصير بن بكر النّميريّ وأيتامه.

محمّد بن جندب، فادويه الكرديّ، عليّ بن أمّ الرّقّاد، إسحاق الكوفيّ، أحمد بن محمّد بن الفرات.

الباب الرّابع

في معرفة إبتداء الخلق في الأظلّة والهفت والمراتب

قال العالم في فصلٍ في كتاب الأسوس: «إنّ الله خلق الخير قبل الشّرّ والنّور قبل الظّلمة والقدرة قبل العقل والرّوحانيّة قبل الجسمانيّة والحياة قبل الموت والمؤانسة قبل المفارقة، ثمّ إنّ الله احتجب بخلقه في دهر دهر أعلى عدد حجبه السّبعة وجعل ذلك على عدد الأيّام وجعل السّموات سبعاً كلّ سماءٍ لروح آدم وجعل البحار سبعاً كلّ بحرٍ لعلم آدم وجعل النّجوم سبعة دليلاً على السّبعة أبدان ولكلّ آدم سبع دلالات في التّكرير ينتقلون إلى درجة في العلم».

وروي أنّ ما خلق الله خلقاً قبل محمّد.

وروى مؤلّف كتاب الهفت والأظلّة أنّ أبا عبد الله جعفر قال ليونس بن ظبيان أنّ الله خلق النّور قبل الظّلمة وخلق الخير قبل الشّرّ وخلق الجنّة قبل النّار وخلق الرّحمة قبل العذاب وخلق آدم قبل إبليس وخلق الأظلّة قبل الأشباح وخلق الأشباح قبل الأرواح وخلق الأرواح قبل الأبدان وخلق الأبدان قبل الموت وخلق الموت قبل الفناء وخلق الفناء قبل التّراكيب وخلق التّراكيب قبل الرّجعة وخلق الرّجعة قبل القيمة وخلق القيمة قبل النّشر وخلق النّشر قبل القصاص وخلق القصاص قبل النّدامة وخلق النّدامة قبل الحشر وخلق الحشر قبل أن يبدّل الأرض غير الأرض والسّموات: «وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ».

قال يونس: فما أوّل ما خلق الله من شيء.

قال أوّل ما خلق الله من شيءٍ خلق النّور الظّلّيّ.

قلت: وممّ خلقه؟

قال: خلقه من مشيئته ثمّ قسمه أظلّة، ألم تسمع إلى قول الله: «لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ولَو شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً، ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً» خلقه قبل أن يخلق سماءً وأرضاً وعرشاً وسماء وماء، قلت: وعلى أيّ مثال خلقه؟

قال: خلقه على مثال صورته، ثمّ قسمه أظلّة، فنظرت الأظلّة بعضها إلى بعض فرأت نفسها فعرفت أنّهم قد كوّنوا بعد أن لم يكونوا وألهموا من المعرفة هذا المقدار لم يلهموا معرفة شيءٍ سواه من الخير والشرّ، ثمّ إنّ الله أدّبهم، قال: كيف أدّبهم؟

قال: سبّح نفسه فسبّحوه وحمد نفسه فحمدوه ولولا ذلك لم يكن أحد يعرفه ولا يدري كيف يثني عليه ويشكره.

فلم تزل الأظلّة تحمده وتهلّله سبعة الآلاف سنة، فشكر الله ذلك لهم فخلق من تسبيحهم السّماء السّابعة، ثمّ خلق الأظلّة أشباحاً وجعلها لباساً للأظلّة وخلق من تسبيح نفسه الحجاب الأعلى، ثمّ تلا: «وما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وحْياً أو مِنْ وراءِ حِجابٍ» الوحي يعني الأظلّة أو من وراء حجاب يعني الأشباح الّتي خلقت من تسبيح الأظلّة، ثمّ خلق لهم الجنّة السّابعة في السّماء السّابعة وهي أعلى الجنّان، ثمّ خلق آدم الأوّل وأخذ عليه الميثاق وعلى ذرّيته فقال لهم من ربّكم قالوا سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا، فقال للحجاب الّذي خلقه من تسبيح نفسه انبئهم بأسمائهم ومن أيّ شيءٍ خلقوا، فأنبأهم الحجاب في ذلك، فكان الحجاب الأوّل يعلّمهم، فمن هناك وجبت الحجّة على الخلق.

ثمّ إنّ الله خلق على مثال ذلك سبعة آدم وخلق لكلّ آدم سماء وجنّة، فجعل الأوّل لأخذ الميثاق، ثمّ الثّاني واحداً بعد واحد يفضل الأوّل فالأوّل.

وخلق النّور الثاني أفضل من الثّالث، وخلق الأظلّة من إرادته على ما شاء وأدّبهم على مثال الأوّل، وخلق لهم السّماء الثّانية والجنّة وقال: «أَنبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ» «قَالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا».

فقال للحجاب الثّاني أنبئهم بأسماء هؤلاء من أيّ شيءٍ خلقوا، وأخذ من أهل السّماء الثّانية الميثاق للحجاب الثّاني ثمّ قرأ: «وإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ ورَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ» وهو الحجاب الأوّل، فصار ما بين سماء إلى سماء هواءً وصار الحجاب الثّاني مؤدّياً عن الله إذا صعد إلى السّماء السّابعة، وكذلك إذا نزل الرّبّ إلى السّماء الثّانية والثّالثة والرّابعة والخامسة يؤدّبهم وصارت السّموات أبواباً تلا: «وأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها» ثمّ خلق النّور الثّالث على مثل ما خلق النّور الأوّل والثّاني من الأظلّة والأشباح والسّماء والجنّة، وخلق الحجاب الثّالث ورأسه كما رأس الحجاب الثّاني وأخذ ميثاقهم وأنبأهم كما أنبأ أهل السّماء الثّانية، فأجابوا على ما أجابوا، وكذلك بقيّة الأنوار والسّموات فأضعفهم السّابع، وذلك أنّهم أقلّهم نوراً وأرقّهم إيماناً ويقيناً وكلّ هؤلاء قد شاهدوا الرّبّ وشاهدهم، وخلق السّموات كلّها من سبعة أنوار جعل كلّ نورٍ متقدّم أفضل من صاحبه لسابقته في الإجابة وجعل مقدار ذلك خمسين ألف سنة، وخلق في كلّ سماءٍ جنّة وضياء، وإنّما إحتملت كلّ سماء وأهلها وصارت قطباً لهم لأنّ الله خلقها من أعمالهم، والعيون السّبعة الّتي في الجّنان، فإنّها خلقت من علوم أهلها، ثمّ خلق سبعة أيّام لكلّ سماء يوم، ثمّ خلق للأرواح أبداناً من نور فكان الله إذا نزل إلى السّماء لبس حجاب تلك السّماء وحجابه من نوره وإنّما أظهر الله لخلقه بهذه الصّفة بأجناسهم ليفهموا عنه ولو ظهر بخلاف خلقه لم يفهموا عنه لأنّ الشّيء إنّما يفهم عنه من يكون مثل صورته.

وروى أحمد بن عليّ بن أبي الحسن بن محمّد بن إبراهيم الهاشميّ عن إسحاق بن محمّد الأحمر يرفعه إلى محمّد بن سنان في كتاب التّوحيد عن العالم منه السّلام قال: خلق الله النّور الأوّل من مشيئته الّتي كانت محدثة من النّور الأوّل وآدم الأوّل، ثمّ خلق النّور الثّاني وآدم الثّاني من إرادته، وخلق النّور الثّالث وآدم الثّالث من تقديره، وخلق النّور الرّابع وآدم الرّابع من قضائه، وخلق النّور الخامس من رضائه، وخلق النّور السّادس من محبّته، وخلق النّور السّابع من أمره.

قال: ثمّ خلق النّور الأوّل وآدم الأوّل ولا مكان ولا موضع ولا حيث كانوا متمسّكين بمشيئة الله وكانت المشيئة تمسكهم وتقيهم كما كان يمسك المشيئة ويقيمها، ثمّ خلق لهم السّماء الأولة وهي السّماء السّابعة وكان أهل النّور الأوّل يقولون لأهل النّور الثّاني الّذي ترونه هو حجاب لأنّ الغاية غيره، فهمّوا بتكذيبهم وظنّوا أنّ الله على غير تلك الصّورة.

فقال أهل النّور الثّاني لأهل النّور الأوّل: كيف كان ذلك؟

فقالوا: أنتم من إرادته وكنّا نحن سبعة آلاف سنة وسبعة وسبعين سنة وسبع ساعات يقول الله فنقول ويتكلّم فنتكلّم، ثمّ قال لنا بعد هذه المدّة إنّي أنا ربّكم، فلم نعد. ذلك أنّا رأيناه في حجاب الظّلمة شخصاً بشريّاً مثلنا فلم نعرفه حتّى خلقكم من نوره. فصار أهل النّور الأوّل أبواب النّور الثّاني لأنّهم بوّبوا لهم معرفة العليّ العظيم. ثمّ مكث أهل النّور الثّاني لا يصدقون ولا يكذبون ولا ينكرون، ويظنّون أنّ هذا الحجاب البشريّ الّذي يرونه مقدار سبعة آلاف سنة وسبعة وسبعين سنة وسبع ساعات. ثمّ إنّ الله خلق من تسبيحهم وتهليلهم وتمجيدهم إثني عشر حجاباً وكذلك من النّور الثّالث والرّابع والخامس والسّادس والسّابع، وكان الله يأتيهم في إثني عشر حجاباً من النّور ويديم سبعة حجب بحجب الكلام، قال: وسمعت العالم يقول: كان بين أن خلق الله النّور الأوّل إلى النّور الآخر أحد وخمسون ألف سنة وهو الدّور الجامع.

معرفة خلق إبليس من أيّ شيء خلق واحد هو أم جماعة

فصل من كتاب الهفت والأظلّة والأشباح الكبير: «ثمّ إنّ الله عرّفهم كيف خلق الأبالسة وكيف يكرّرهم وكيف أحبّ أن يعبد سرّاً، ثمّ خلق الأدوار إثني عشر دوراً. فكان منذ خلقهم إلى أن خلق لهم الأبدان من الطّين خمسة أدوار، فكان من الأدوار السّبعة دور الأبدان النّورانيّة وستّة لأعدائه وقال الله لآخر خلق خلقه من النّور وهو أضعفهم: قد أذن لكم أن تنزلوا إلى الأرض ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً وكلّ من عصاني منكم خلقت من معصيته عدوّاً، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: لضعف

يقينهم: نجتمع إلى ربّنا فنسأله أن نطيعه في سمواته ولا نحتاج أن نهبط إلى الأرض، فلمّا قالوا ذلك وهم لا يعلمون أنّ ذلك معصية وردّوا على الله قوله، فاجتمعوا إليه وكان يومئذٍ ظاهراً لهم يرونه ويراهم رأى العين، فقالوا: إلهنا أخبرتنا أنّك تنزلنا وتسكنّا الأرض وتبلونا وتخلق من معاصينا عدوّاً لنا ولك المشيئة في أمرك والبدا في فعلك، فلا تهبطنا إلى الأرض ودعنا في السّماء نحمدك ونشكرك، وقال الله: ها قد عصيتموني بردّكم عليّ إلاّ قلتم إلهنا أنت أعلم ولا علم لنا استلمنا لأمرك وإتّبعنا رضاك، فكنت أشكر ذلك لكم من قولكم ولكنّكم رددتم عليّ أمري، فخلق من معصيتهم حجاباً واحتجب عنهم وخلق لكلّ واحدٍ منهم سبعة أبدان يردّدزن بها، ثمّ ينقلون إلى غيرها، فطافوا بذلك الحجاب سبعة آلاف سنة ندماً على ما فاتهم من الله وحرموا من النّظر إليه، فلمّا تحيّروا رحمهم، فأرسل إليهم الرّسل، فكان أوّل من أتاهم محمّد رأس الأنبياء وخاتمهم في قديم الأمر وحديثه في الأظلّة والأشباح والأرواح، ثمّ خلق لهم الأبدان اللّحميّة الدّمويّة وخلق من معصيتهم إبليساً، فخلقه روحانيّاً بلا بدن وخلقه من معاصي المؤمنين وزلاّتهم وخطاياهم، فلمّا خلقه نظر إلى السّماء من فوقه وهو قائم وربّ محتجب وأرواح نورانيّة تختلف في الأبدان، فلم تعرف الملعون إبتداء الخلق وكيف خلقه ومن أيّ شيءٍ خلقوا ولم يشهدها».

ثمّ قال: «إنّ إبليس وذرّيته جهلة خلقوا من جهل ومعصية فلا يطيعون سبيل الرّشد من سبيل الغيّ، وخلق المؤمنين من روح الحياة، فإن شكّوا رجعوا وإن جهلوا أوقفوا حتّى يعرفوا وإن عصوا استغفروا ومعصية المؤمن على غير تعمّد ولإبليس أسامي مختلفة على قدر الظلّ والشّبح والرّوح».

فصل من كتاب الهفت والأظلّة: قال الصّادق: يا مفضّل إنّ الله خلق كلّ آدم من الآدام السّبعة على حدة وخلق معه إبليساً من الأبالسة، فمكث كلّ آدم مع ذرّيّته في الأرض سبعة آلاف سنة، ثمّ ينقضي أمره ويخلق الله آدم آخر، فإذا فرغ من كلّ آدم وكلّ إبليس خلق آخراً على هذا المثال وصار المؤمنونملائكة وإبليس وذرّيّته في

أبدان المسوخيّة حتّى إذا أراد الله انقضاء الآدام السّبعة كرّة وهي كرّة الأبد وسمّي كرّة الكرّات.

قلت: فهل يخلق بعد ذلك خلقاً؟

فقال: يا مفضّل قد أبطلت ملك الله وقدرته هيهات هيهات، إنّ الله لم يزل خلّاقاً رزّاقاً محيياً مميتاً،إنّ الله يبدّل الأرض فيخلق غيرهاو يخلق سماءً خلاف هذه السّماء ويخلق خلقاً آخر.

قلت سيّدي فصف لي ما يخلق الله؟

قال: إنّ الله يخلق نوراً بعد ذلك من مشيئته خلاف النّور الأوّل ويقيمه أظلّة خلاف الأظلّة الأوّلة، ثمّ يصف لأهل النّور الأوّل ويأخذ ميثاق النّور الثّاني والأوّل أقوى من الثّاني، فإذا قسمهم في الأظلّة أخرجهم أشباحاً فيرون أنفسهم على ما قد تقدّم من ذكر الأنوار.

فصلٌ منه: قال الصّادق منه السّلام: خلق الله الشّمس من الحجاب الأعلى الّذي احتجب به وهو النّور الأوّل فلذلك صارت الشمس من الحجاب الأعلى الّذي حتجب به وهو النّور الأوّل، فلذلك صارت الشّمس تعبد،و جهل ابليس وولده، فمثل النّهار مثل الإمام ومثل الشّمس مثل النّبيّ، والقمر خلق من الحجاب الأدنى فلم يعبد كما عبدت الشّمس ومثله مثل الإمام لأنّه يزيد وينقص في صفاته والشّمس لا زيادة فيها ولا نقصان والنّجوم الخمسة يجري عليها اللّيل والنّهار والصّلاة والزّكاة وهي حجب الخمسة والنّجوم الخمسة والنّجوم الباقية والأبدان النّورانيّة الّتي خلقت للمؤمنين من أعمالهم وكذلك في كلّ سماءٍ أبدانٌ وشمسٌ قمرٌ يراهم الّذين من دونهم على أمثال ما ترون أبدان الآدميّين النّورانيّين.

فصلٌ منه: قال وقد كان قبلنا سبعة آدم وسبعة أدوار وقد مضت ونحن في الدّور الثّامن لكلّ ذريّة آدم منهم بعث وحسابٌ وثوابٌ وعقابٌ والجّمع الأكبر يقوم به محمّد فإذا جاء الدّور الآخر صار ثواب أهل ذلك الدّور ثلاثة فرق، فرقة صارت نورانيّة وفرقة ردّت في دار البلوى وفرقة صارت قشش في الدّور الجّاري نسخاً.

وصارت أهل العقاب ثلاث فرق،فرقة صارت ناريّة وفرقة ردّت إلى دار البلوى وفرقة صارت قشش وفي الدّور الجّاري مسخاً، فما كان منها نسخاً فهو من أهل الثّواب وما كان منها نسخاً فهومن أهل العقابثمّ يصير المسخ والنّسخ في الجّمع الأكبر في الدّور الأخير فتلاشى.

فصلٌ منه: قال:في الحجب سبعة.

حجابٌ بين الأمر والرّوح.

وحجاب بين الرّوح والملائكة.

وحجاب بين الملائكة والجّان.

وحجاب بين الجّانّ والجّنّ.

وحجاب بين الجنّ والأنس.

فأوّل من عمر بعمارة الأرض الجانّ فأقاموا فيها إقليم فأفسدوا فيهاو اسفكوا الدّماء ونسيوا العهد ثمّ هلكوا ومنه قول الملائكة: «أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها ويَسْفِكُ الدِّماءَ ونَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ونُقَدِّسُ لَكَ» الآية.

ثمّ خلق آدم وعلّمه الأسماء وعدد السّنين والحساب، ثمّ أهبطه إلى الأرض وأمر الفلك بالدّوران، فكان الفلك على عهد الجّان لا يدور، فهو وذرّيّته أقام فيها إقليم، والاقليم انقطاع حساب العرب والعجم والرّوم، ومبلغ حساب الهند.

فالأقاليم ثمانية سبعة منها تدور وواحدٌ منها قائمٌ لا يتحرّك، فهو إقليم الجّان، فجعل في الفلك سبعة أقاليم، فإذا انقشى الدّوران أمر الفلك أن يقوم، فعندها لا يعرف اللّيل من النّهار ولا النّهار من اللّيل.

وسئل الصّادق عن الدّنيا كم مضى منها؟

قال: هي أربع مائة دورِالدّور أربعمائة ألف سنة في كلّ دورٍ سبعة آدميّين، في كلّ دور آدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد وآله.

قال المفضّل: سألت الصّادق فقلت مع دنيانا هذه دنيا؟

قال: خلف قبّتكم هذه إثنا عشر ألف قبّة لو أخذت قبّتكم ووضعت في وسط واحدة منها لم تبن فيها، لكلّقبّة إثنا عشر ألف باب، عرض المصراع إثنا عشر ألف عام، فيه صفوف الملائكة قيامٌ يسبّحون الله ويقدّسونه ويلعنون فلان وفلان.

قلت: من ذرّيّة آدم؟

قال: ما يعرفون آدم ولا ذرّيّته ولا يعرفون إبليس.

قلت: يعرفونكم؟

قال: نحن عندهم أعرف منّا عندكم.

وعن جميل بن درّاج عن إسماعيل بن جابر عن أبي عبيد الله قال: إنّ في القرآن سبعة أمكنة مختلفة في مخاطبة موسى وفرعون ستّة منهم فعل الله بهم ما يشاء وسابعهم وهو آدمنا يجعل الله له دار الخلود.

وعن الحسن بن عليّ بن يوسف عن إبراهيم بن هشام عن إسماعيل بن عبد العزيز قال: قلت لأبي عبد الله، كان آدم قبل آدمنا؟

قال: نعم آدم قبل آدم حتّى عدّ أحد وعشرين آدم وكلّ واحد عمّر وعمّر ولده في الدّنيا والجنّة والنّار أحد وخمسين ألف سنة، ثمّ يصير أهل الجنّة أملاكاً وأهل النّار فشاش.

وعن أحمد بن عليّ بن أبي نصير عن الحسين عن زرارة قال: قال أبو جعفر مرّ رسول الله برجال من أصحابه وهم يتكلّمون فقال: فيم أنتم؟

قالوا فكّرنا في القمر كيف لا يؤثّر في السّماء كما تؤثّر النّجوم في السّماء إذا رمى بها.

فقال رسول الله: نعم، في هذا تفكّرون، وإنّ لله تسعاً وثلاثين أرضاً ليس فيها شمسٌ ولا قمرٌ تضيء تلك الأرض بنورها لا يعلم أحدٌ منهم أنّ أحداً يعمل المعاصي وأنّ أرضك مهذه تمام الأربعين.

وعن محمّد بن أبي عمير عن ابن سنان عن الثّمالي عن أبي عبد الله قال: إنّ هذه قبّة أبينا آدم، لله سواها تسعة وثلاثون قبّة.

قلت: من ولد آدم؟

قال: ما يعلمون أنّ الله خلق آدم.

وعن محمّد بن سنان عن نصر بن أبي عون رفع الحديث إلى النّبيّ قال.

إنّ لله ثمانية وعشرين ألف عالم الدّنيا فيها عالماً واحداً، وفي الدّنيا ألف أمّة سوى الجنّ والأنس ستّمائة في البحر وأربعمائة في البرّ.

خلق المنافق وذنوب المؤمن

فصلٌ منه: قال المفضل قال أبو عبد الله: إنّ الله خلق المؤمنين أشباحاً قبل أن يخلقهم أظلّة، فسبّح نفسه وهلّل نفسه والأشباح يومئذٍ كالشّيء الّذي لا يستبين، والدّليل على ذلك أنّ موضع الصّدى الّذي خلقه الله إذا تكلّم الرّجل وصاح أجابه مثل صوته، وذلك في موضع دون موضعٍ جعل الله ذلك دليلاً على الأشباح، وذلك أنّ الأشباح كانت تجيب الله كما يقول ولا حياة فيها، كما أنّ الصّدى يجيب ولا روح فيه، ثمّ إنّ الله خلق الأظلّة فسبّح نفسه وهلّلها فأجابته الأشباح والدّليل على ذلك ما تراه في المرآة إذا تكلّمت فكأنّه يتكلّم وكأنّه ينطق ولا روح فيه، كذلك الأظلّة أجابت الأشباح ولا روح فيها، ثمّ خلق الله الأرواح وسمّيت بذلك لأنّ رواحها في معرفة الله.

حدّث أحمد بن محمّد عن محمّد بن سليمان عن أبي عليّ محمّد بن محمّد قال: حدّثني عبد الله بن مهران قال: حدّثنا حنان بن سدير عن أبيه سدير بن حنان عن أبي إسحاق الكتبي قال: قلت لأبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر: أخبرني عن المؤمن المستبصر من شيعتكم إذا كمل وبلغ في المعرفة هل يزني؟

قال: لا.

قلت: هل يسرق؟

قال: لا.

قلت: هل يلوط؟

قال: لا.

قلت: هل يذنب؟

قال: نعم، إلاّ إذا أذنب لم يلحقه من ذلك الذّنب شيءٌ لأنّ المؤمن مزج به من شحم.

قلت: بيّن لي ذلك يا ابن رسول الله، قال: ما سمعت قول الله عزّ وجلّ: «الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ والْفَواحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ» أتدري ما اللّمم يا إبراهيم؟

قلت: لا.

قال: هو ما يلمّ بالمؤمن من المزاج من سنح الكافر وطينته في الأظلّة والأشباح.

قلت: فسّره لي يا بن رسول الله فقد خفي عليّ، فإنّي أجد في شيعتكم الّذين يخصون لكم المحبّة من يشربون الخمر ويخيفون السّبيل ويتهاونون بالصّلاة والصّيام والزّكاة والحجّ، وأنت تزعم أنّه لا يلحقه من ذلك الذّنب شيءٌ واحدٌ من مصيبيكم من يتجنّب هذه كلّها ويقيم الصّلاة ويؤدّي الفرائض.

قال: أتدري – ويحك يا إبراهيم – ما السّبب في ذلك؟

قلت: لا يابن رسول الله فسّره لي.

قال: يا إبراهيم إنّ الله لم يزل عالماً قديماً خلق الأشياء لا من شيء، فمن زعم أنّ الله خلق الأشياء من شيء فقد كفر، فكان ممّا خلق أرضاً طيّبة فجّر فيها ماءً زلالاً عذبٌ ثمّ عرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتاها، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيّام حتّى طبقتها وعمّمتها، ثمّ نضب ذلك الماء عنها وأخذ من صفو ذلك الطّين طيناً فجعله طين الأئمّة، ثمّ خلق الله أرضاً سبخة خبيثة منتنة، ثمّ فجّر فيها ماءً أجاجاً آسناً، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فلم تقبلها، فأجرى عليها ذلك الماء سبعة أيّام حتّى طبقها وعمّها، ثمّ نضب عنها الماء، ثمّ أخذ من ذلك الطّين فخلق منه الطّغاة وأئمّة الكفر، ثمّ مزج ما بقي من الطّين الأوّل ولو تركت طينتكم لم تمزج طينتهم لم يشهدوا الشّهادتين ولم يصلّوا ولم يصوموا ولم يزكّوا ولم يحجّوا ولم

يشبهوكم في الصّور وليس شيءٌ على المؤمن أعظم من أن يرى صورة عدوّه مثل صورته.

ثمّ مزج الطينتين وخلطهما.

قلت: بماذا؟

قال: بالماء الأوّل الطّيّب، والماء الثّاني المالح، ثمّ عركهما عرك الأديم، ثمّ أخذ منهما قبضة وقال: هذه إلى الجنّة ولا أبالي، ثمّ أخذ منها قبضة أخرى وقال: هذه إلى النّار ولا أبالي، ثمّ خلط بينهما أيضاً فوضع من سنخ المؤمن وطينته على سنخ الكافر وطينته، فما أتاه أحدٌ من شيعتنا من زنى أو لواط أو ترك صلاةٍ أو صيامٍ وحجٍّ وجهادٍ فمن سنخ الكافر الّذي مزج به وما أتاه النّاصبي من صلاةٍ وحجٍّ وصيامٍ وجهادٍ فهو من سنخ المؤمن وطينته وعنصره لأنّ من سنخ المؤمن الصّلاة والصّيام والحجّ والزّكاة وعمل البرّ ومن سنخ الكافر النّاصبي الزّنا واللّواط وشرب الخمر وارتكاب المآثم، فإذا عرضت هذه الأعمال على الله قال بعلمه النّاطق وقضائه السّابق: أنا عليم حكيم وعدل لا أجور ومنصف لا أظلم ألحقوا الأعمال بجواهرها، فألحقت الأعمال السّيّئة الرّديئة المنكرة سنخ الكافر وطينته وعنصره الخبيث وألحقت الأعمال الحسنة بجواهرها، ثمّ قرأ: «مَعاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظالِمُونَ» يا إبراهيم هذا والله تفسيرها في باطن علومنا.

قلت: يا بن رسول الله أيأخذ الله حسنات النّاصبيّ فيردّها إلى شيعتكم ويأخذ سيّئات شيعتكم فيردّها إلى أعدائكم؟

قال: أي والله والّذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة، إنّما أخبرتك بموجود في القرآن اقرأ: «وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا ولْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ وما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَو لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وأَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ ولَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَمَّا كانُوا يَفْتَرُونَ» معنى يحملون أوزارهم مع أوزار المؤمنين إذ كانت من سنخهم وجوهرهم وطبعهم، ثمّ قرأ: «لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ ومِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ».

ثمّ قال: في شيعتنا: «فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ» وإنّ هذا لمن عدله وإنصافه في بريّته، ثمّ قرأ: «الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ» ثمّ قرأ: «كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ، فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ» يقول كما أخرجكم من الأرضين الطّيّبة والأرضين الخبيثة تعودون إلى جواهركم وأصولكم مختصّين في غير هذا، فمن هاهنا صار المؤمن يلد الكافر والكافر يلد المؤمن.

ومثله ما حدّثني الخصيبي قال: حدّثنا أبو القاسم الهمذاني عن محمّد بن عبد الله عن الحسين بن محبوب عن هشام عن أبي عبد الله قال: النّاس متناسلون متناسبون ومتناسلون لا متناسبون، فأمّا المتناسبون المتناسلون المؤمن من المؤمن والكافر من الكافر لأنّهما متّفقان والمتناسلون لا متناسبون فالمؤمن يلد الكافر والكافر يلد المؤمن، فقد تناسلا ولم يتناسبا لإختلاف مذهبهما.

حدّثني الحسن بن محمّد بن عليّ العقيقي عن أبيه عن عليّ بن الحسين عن أبان بن محمّد عن أيمن بن محرز بن زيد عن أبي عبد الله قال: ما عملت الشّيعة من سيئة فهي في أعناق النّاصبة، وما عملت النّاصبة من حسنة فأجرها للشّيعة وقال: الله «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ» فالحيّ المؤمن الّذي يخرج من صلب الكافر والميّت من الحيّ الكافر الّذي يخرج من طينة المؤمن.

التّكوين

وحدّث أبو عبد الله الحسين بن عليّ اليمانيّ البزّاز قال: حدّثني محمّد بن عليّ الصّنعانيّ عن أبي عبد الله محمّد بن خالد البرقيّ عن محمّد بن سنان عن صالح بن يزيد السّلّميّ عن يونس بن ظبيان بكتاب الأظلّة فيه شرحٌ طويل اختصرنا منه موضع الحاجة إليه قال: سألت أبا عبد الله عن مبدأ الخلق، فكان أوّل ما خلق أسماء الحروف غير منظور وباللّفظ غير منطق وبالشّخص غير محسّ وبالمشيئة غير منصوص وباللّون غير مصنوع منفيّ عنه الأقطار مبعد عنه الحدود محجوبٌ عن الحسّ كلّ متوهّم مستتر عن كلّ مستور، فجعله كلمة تامّة على أربع حروف معاني ليس منها واحدٌ قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها وحجب واحداً

منها وهو الاسم المخزون المكنون بهذه الأسماء الثّلاثة الّتي أظهرت، فالظّاهر هو الله لكلّ اسم أربع أركان، فلذلك إثنا عشر ركناً، ثمّ خلق لكلّ ركن منها ثلاثين إسماً، فعليّ منسوب إليها فهو الرّحمن الرّحيم الخالق الباريء، فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى يتمّ ثلاثمائة وستّون اسماً وهي نسبة لهذه الأسماء الثّلاثة وهذه الأسماء الثّلاثة أركان وحجب الاسم الواحد الأوّل المكنون بهذه الأسماء الثّلاثة، ثمّ خلق كلمة على أربعة حدود وأربع أحرف أجزاء وحقّ وصدق وعدل ورحمة، فتّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً بالاسم الأوّل، ثمّ خلق بعد هذه الكلمة سبع كلمات لا يجاوزهنّ برّ ولا فاجر واحدة بعد واحدة حتّى تمّت الكلمات ثمانية فقال: «ويَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ» فالاسم المكنون مستورٌ بالكلمة الثّامنة التّامّة والكلمات السّبع بعضها حجب بعض، ثمّ خلق عرشه في هذه الكلمات على الماء معروفاً بالعلم والقدرة وجعل كلماته آياته وميثاقه وعهده وأمانيه وذمّته وعزمه وأمره وأنشأ أربعة أرواح أركاناً لعرشه روح القدس وروح الأمين وروح ذي المعارج الّذي ينزل ويرتفع وروح الأمر، فاستوت أسماؤه في كلماته واستوت كلماته في الأرواح فوق عرشه فتبارك الله أحسن الخالقين.

ثمّ إنّ الله سطح سطحاً من نوره، ثمّ خلق من ذلك النّور صورة محدودة بالأقطار وهو البشائش، ثمّ خلق بالأمر الفعل من العلم والقدرة والنّور والمشيئة محدوداً بالأقطار والأجزاء، فجزء منه الفهم وجزء منه التّثبيت وهو ستّة أجزاء محدودة بالأقطار.

فقال له بالأمر: أقبل، فأقبل، ثمّ قال: أدبر فأدبر، فسكنت تلك الصّورة من النّور، ثمّ قال له بك أثيب وبك أعاقب، فجعله حيّاً بالماء قائماً بالعلم دائماً بالملكوت، فأقام الأظلّة قدداً وجعلها لنفسه نسبة وجعل نفس الأظلّة الّتي عقلوا بها نفخة منه، والأظلّة الّتي أجريت فيها النّفخة الأولى سبع طرائق وسبع صفوف.

فالطّريقة الأولى نور والثّانية الهواء والثّالثة الكلمة الظّلمة والرّابعة النّار والخامس الرّيح والسّادس الماء والسّابعة النّفخة الّتي أجريت في كلّ صنفٍ، فأقام

فى الأجزاء بالكلمة حتّى تمّت الأيّام بالصّفوف سبعاً، فكانت سبع صفوف، فكلّ صفّ مقام في كلّ يوم بكلمة حتّى تمّت سبع كلمات وسبع أيّام، فبيّن اليوم الأوّل والثّاني غاشية وبين الثّاني والثّالث سنة وبين الثّالث والرّابع نعسة وبين الرّابع والخامس نسيان وبين الخامس والسّادس غفلة وبين السّادس والسّابع سكرة، فأوّل صفوف الظّلال وأقربها إلى الله صفّ الرّسل والصّفّ الثّاني بعده الأنبياء والصّفّ الثّالث بعده المؤمنون والصّفّ الرّابع بعده الملائكة والصّفّ الخامس بعده الكفّار والصّفّ السّادس بعده الفراعنة والصّفّ السّابع بعده الأبالسة والطّواغيت، فأقيموا صفوفاً، ثمّ أخرجهم الله بأمره إلى الذّرو والطّرائق والقدد الّتي قال الله عنها «طَرائِقَ قِدَداً»[1] فالأنبياء والرّسل والأوصياء قيامٌ عن يمين العرش، ثمّ ظلال مؤمني الجنّ وكانت الظّلال ظلّين شبهاً ومثلاً، الظّلّ الأوّل شبه الظّلّ والظّلّ الآخر مثله، وإنّما جعلهما الله ظلّين لأنّ الله فرد فلا ينبغي لعظمته أن يقوم بين يديه فردٌ واحدٌ، ثمّ إنّ الله أقام بأمره عن شمال العرش ظلّين ملعونين، ثمّ من بعدهم ظلال الجبّابرة، ثمّ من بعدهم ظلال المشركين، ثمّ من بعدهم ظلال الأبالسة والشّياطين، ثمّ بعدهم ظلال كفّار الجنّ ظلّين ظلّين شبة ومثل، ثمّ إنّ الله أقام الظّلال بذرو الخلق، فأجرى الشّبه في الظّلّ الأوّل والمثل في الظّلّ الآخر، فجعلهم نسباً في الميلاد ميلاد بعد ميلاد، وقال في كتابه: «وخَلَقْناكُمْ أَزْواجاً» يقول أشباهاً وأمثالاً فكان الشّبه في الأوّلين والمثل في الآخرين، وقال الله: «ومِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ» فكان زوجٌ ناجياً عن يمين العرش وزوجٌ هالك عن شمال العرش قال الله في المؤمنين: «هُمْ وأَزْواجُهُمْ في ظِلالٍ عَلَى الأَرائِكِ مُتَّكِؤُنَ» وقال للكفّار: «احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأَزْواجَهُمْ وما كانُوا يَعْبُدُونَ، مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلى صِراطِ الْجَحِيمِ» والأزواج الّذين عنى بهم شبهيهم وأمثالهم – قال بعد كلام طويل – فلمّا أراد الله خلق آدم بعث جبرائيل فقبض بيمينه قبضة من كلّ سماء تربةً، ثمّ قبض من الأرض قبضة بيده الشّمال من كلّ ه فعجنها، ثمّ قال له افلق الطّين فلقتين وذرا من الأرض ذرواً ومن السّموات ذرواً

[1] وردت الآية في سورة الجنّ: "، وأنّا مِنّا الصّالِحُونَ ومِنّا دُونَ ذلِكَ كُنّا طَرائِقَ قِدَداً "

فقال: أطيعوا كلمتي وأمري وقال للّذي بيد اليسرى مثل الجّبابرة والمشركين والكافرين والطّواغيت، ومن أراد الله هوانه وذلك قوله: «فالِقُ الْحَبِّ والنَّوى» فالحبّ طينة المؤمن الّذي ألقى عليها محبّته والنّوى طينة الكافر الّذي نأت عن كلّ خيرٍ وتباعدت عنه، فلمّا خلق آدم وأجريت فيه النّفس وهي الحياة وطرح عليه النّوم فنام ألف سنةٍ قبل أن ينفخ الله فيه روحه، وخلق حوّاء منه، فاستيقظ آدم فرآها ولو كان نفخ فيه الرّوح ما نام لأنّ الرّوح لا تنام والنّفس تنام ولو أنّ الرّوح تنام لم يكن الانسان يرى الرّؤيا ويحلم، فكانت النّفخة الأولى قبل العقل، فمن ثمّ لا تكون الخطيئة من الصّبيان حتّى يعقلوا، وإنّما يعقل من يحتلم لمّا فرّق بين نفس آدم وروحه، فلمّا نفخ فيه من روحه سجت الملائكة كما أمرهم الله وأمّا إبليس فإنّه تعزّز على الطّين ولم يدر الملعون ما حلّه وإنّما سجت الملئكة للرّوح ولم تسجد لجسد آدم.

وقال مؤلّف كتاب الأشباح: ثمّ خلق الله بيده الحجاب الأوّل سبع حجب سمّى كلّ حجاب منها آدم، ثمّ دعا إلى كلّ حجابٍ بمثل ما دعا إلى الحجاب الأوّل سبع حجبٍ سمّى كلّ حجابٍ منها آدم، ثمّ دعا إلى كلّ حجابٍ بمثل ما دعا إلى الحجاب الأوّل من السّجود والأسماء كلّها هذه الآدام مثل الأسماء في الآدميّين المتقدّمين وكذلك الحجب والمؤمنون بالنّسب والعشائر والعرب والعجم والفرس والقبط والتّرك والدّيلم والحبشة والزّنج والرّوم وخلق سبعة أبدان في كلّ بدن منها روح إبليس فصارت سبعة أبالسة كما صارت سبعة آدميّين، وكما أنّ إبليس أبى أن يسجد لآدم كذلك الأبالسة بعده أبت أن تسجد للآدميّين وقد قال قومٌ إنّما هو آدمٌ واحدٌ مكرّرٌ سبعة أدوارٍ وشيطانٌ واحدٌ وذرّيّته مكرّرين سبعة أدوار، وقال قومٌ بل هم سبعة آدميّين وسبعة أبالسة، وكذلك خلق سبع سمواتٍ وسبعة أرضين وجعل لجهنّم سبعة أبواب وجعل للجنّة ثمانية أبواب وجعل سبعة أدوار وجعل في كلّ دورٍ سبعة أعصارٍ وجعل في كلّ عصرٍ سبع عيونٍ عذبةً وسبع عيونٍ مالحة، فأسكن الله آدم الأوّل وذرّيّته السّماء السّابعة وأسكن آدم الثّاني السّماء السّادسة كذلك سبعتها وكذلك أسكن سبع أبالسة سبع أرضين فخير الآدميّين آدمنا وشرّ الأبالسة إبليسنا وجميع ذلك

في أحد وخمسين ألف سنة وكذلك ا ب ت ث إحدى وخمسين حرفاً بنقطها وكذلك ركوع الصّلاة إحدى وخمسين ركعة وجعل الله درج الإيمان سبع درجات كما أنّ أهل السّموات ومنازلهم سبعة وبعضهم أعلى من بعض فمنازل الإيمان: المؤمن الممتحن والنّقيب والنّجيب والمختصّ والمخلّص والحجاب والباب.

والثّواب الأوّل كما ثواب الآدميّين لآدمنا فهو الأوّل فعلى هذا أخرج الخلق وعليه أخذ ميثاقهم، وإنّما إختلفت درجاتهم بعد الحجاب وإنّما كانوا في منزلة واحدة قبل أن يكون حجابٌ، وكذلك سبع درجات من الإيمان حجب بعضهم عن بعض، وكذلك الأبالسة في سبع درجات وسبع أهوية في كلّ أرض هواءٌ وعين من أعين الكفر والعذاب من أجناس العذاب ولظى والسّعير والنّار والجّحيم وجهنّم والفلق وبرهوت والسّاهرة، وهذه سبعة أطباق من جهنّم، فإبليس الأوّل وذرّيّته في السّاهرة ثمّ الثّاني إلى السّابعة بعضهم أسفل من بعض وإن كانوا كلّهم كفروا بالله وإنّما اشتدّ عذاب بعضهم لسبقهم إلى الكفر وخلقة بعضهم قبل بعضٍ والدّرجات في الكفر أسماؤها كأسماء الدّرجات في الإيمان ممتحنٌ في الكفر ونقيبٌ في الكفر وبابٌ في الكفر، وإنّما صار المؤمنون قليلاً والكافرون كثيراً لأنّ المؤمن يردّ إلى مكانه والكافر يردّ إلى الأرض وإن كان المؤمنون أكثر من الكافرين بجزء واحد لأنّ الجنّة لها ثمانية أبواب ولجهنّم سبعة أبواب لكلّ بابٍ منهم جزءٌ مقسوم، ثمّ إنّ الله خلق من رنّة المؤمنين سبع حجب للمؤمنين وسبع حجب للكافرين وأنشأ الله الكافرين في الحجب وأنشأ المؤمنين على غير حجب وهو قوله تعالى: «ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ والأَرْضِ ولا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً» يقول لم أتّخذ الأبالسة ستراً وإنّما اتّخذ المؤمنين ستراً ولم يبق كافرٌ إلاّ وقد خلق له سبع حجب من حجب الانسانيّة ولم يبق مؤمناً إلاّ وقد خلق له سبع حجب من حجب الإنسانيّة وكذلك الرّبّ اتّخذ سبع حجب هي السّبة الآدميّين ولكلّ آدم سبعة حجب، فلذلك تسعة وأربعين حجاب إحتجب الله بها سوى الحجاب الأعلى، فلذلك خمسون حجاباً تفسيره خمسون ركعة، ولكلّ إبليس سبع حجب، فيكون تسعة وأربعين حجاباً في دور آدم

وليس صور أرواح المؤمنين والكافرين سواءً لأنّ صورة روح الكافر على قدر كلّ بدنٍ نزلت فيه، فتقلّب صورته على البدن، فإنّما كانوا أناساً حين كانوا في أبدان النّاس وإنّما صاروا مسوخاً حين صارت أبدانهم أبدان المسوخ، فكيف ما انقلب البدن انقلبت الرّوح وكذلك أرواحهم قلبت صورة ما يموت فيها ويقتل فيها وصورة ما يذبح فيها ألف موتة وألف قتلة وألف ذبحة نعوذ بالله من عذابه والمؤمنين خلقوا على صورة واحدة وهي صورة الإنسانيّة كما صوّرها الرّبّ لن ينتقلوا عنها أبداً، فلذلك قال الله تعالى: «سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ [١]» في أنفسهم وذلك أنّ على قلب المؤمن من الشّكّ والتّشكيك والكذب والتّكذيب والظّنّ والتظنين والوقفة يعني الحجاب الّذي لا إيمان فيه ولا كفر بلى قلب المؤمن، فكلّ ما كان عند المؤمن من تكذيب الصّادقين والتّوهّم على الله وعلى أوليائه بالكذب فهو على سبيل الجّهل لا على سبيل المعاندة وهو من الحجاب الّذي على قلب المؤمن، ثمّ يصير المؤمن إلى البصيرة وإلى الإيمان إذا انكشف ذلك الحجاب عنه، وإنّما صار بعض المؤمنين أعلى درجة من بعض في الفهم والمعرفة إذا رفع عنه الحجاب أكثر ممّا رفع عن صاحبه حتّى يبلغ حجاب الرّفعة، وعلامة ذلك الرّجل يقف في الشّيء إذا سمعه فيقول: ما أدري أحقٌ هو أم باطلٌ، فلو رفع ذلك الحجاب عنه لكان إمّا يقبل وإمّا يجحد لأنّه قد كان يصل إلى القلب، فإن قبل القلب كان مؤمناً وإن جحد كان كافراً، وقال الله تعالى: «فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ» يعني قلوب المؤمنين ممّا إستقرّ الإيمان فيها وهو ما استكن في القلب والمستودع فهي الحجب، فكما أنّها يؤخذ ما فيها وكما أنّ الصّواب يترك ما فيها ولو أنّ القلب إعتقد كفراً ما آمن أبداً ولو أنّه اعتقد إيماناً ما كفر أبداً، فما كان من الكافر من خيرٍ وصلاحٍ فذلك من الوديعة الّتي في الحجب، فإذا جحد الحجاب أخذ ما فيه حتّى يبقى قلب الكافر محضاً لا خير معه ويبقى قلب المؤمن بإيمانٍ محضٍ، وإذا أخذت الودائع والحجب وبقي الاستقرار في القلب، فكلّ ما حان عليه الزّوال فهو من الذّات الّتي خلقها الله، فهو يعتقد عليه الإيمان والكفر للمؤمنين سبعة أبدانٍ من نورٍ

---

[١] وردت الآية كاملة: " أمْ حَسِبَ الّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أنْ نجْعَلهُمْ كالّذِينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ سَواءً مَحْيَاهُمْ ومَمَاتُهُمْ ساءَ ما يَحْكُمُونَ"

في كلّ سماءٍ بدنٌ، فالبدن في الجنّة على صورة المؤمن يعرف في السّماء بصورته كما يعرف في الأرض بصورته، وللكافر سبعة أبدان من الظلمة على صورة الكافر ...ذ قدرة الله قبل أن يتوالد الخلق، فمكثوا في ذلك أحد وخمسين ألف سنة، ثمّ إنّ الله ...شأهم على المواليد فتوالدوا وامتزجت الأبدان.

وقال السيّد أبو شعيب في كتاب المثال والصّورة: وأمّا الأعداد فهما عددان، ...عدد فيه الخمسة من الإثني عشر والإثني عشر من الأربعين وهم الأبدال والأربعين من السّبعين والسّبعين من الثّلثمائة وستّين حتّى يبلغ إلى المائة وأربعة وعشرين ألفاً، وقيل إنّها أعداد المؤمنين وكلّ عددٍ غير صاحبه والأقلّ هو الأفضل.

وقال الصّادق في رسالة التّوحيد بعد ذكر الإرادة والمشيئة أنّ أوّل إرادته ومشيئته الحروف الّتي جعلها الله أصلاً لكلّ شيءٍ ودليلاً على كلّ شيءٍ مدركٍ وفاصلاً لكلّ شيءٍ يشتكل ولم يجعل للحروف عند إرادته معنى غير اسمها لأنّها أوّل فعل الله والحروف هي المفعولة بذلك الفعل وهي خمسة وثلاثون حرفاً منها ثمانية وعشرون حرفاً على اللّغة العربيّة وإثنين وعشرون حرفاً على اللّغة السّريانيّة والعبرانيّة وخمسة أحرف منحرفةٍ على سائر اللّغات من أقاليم الأرض الخمسة منحرفة هي بالتّفحيم كاف قا با حا خا واللّسان بينهما لفظاً لا بالكتابة.

ثمّ جعل الحروف فعلٌ منه للمفعول به كقوله للشّيء كن فكان فيكون، فالكن ...ـه منه صنع وما يكون به فهو المصنوع فلذلك جعلت فعلاً وما أخرجته الحروف غير المفعول به من إسم أو صفة أو دلالةٍ أو نهي.

فالخلق الأوّل من الله الإرادة ولا وزن ولا لون ولا حركة ولا يسمع ولا يحسّ.

والخلق **الثّاني** الحروف لا وزن لها ولا لون وهي مسموعة بالأذان وموصوفة بالألسن وغير منظورٍ إليها بالأعين.

و**الخلق الثّالث** كلّما كان من الحروف من الأنواع ملموساً ذو وزنٍ منظورٍ ...ـه فالله عزّ وجلّ سابق الإرادة لأنّه ليس قبله شيءٌ ولا كان معه شيءٌ.

والإرادة سابقة الحروف لأنّ الحروف بالإرادة كانت ولم تكن الإرادة بالحروف، والحروف مرادة بالإرادة والمشيئة وما جمعت الحروف وفرّقته مفعوله بالحروف موصولة غير مفصولة، وذلك في التّدبير الثّاني بعد الإرادة لها والمعرفة لإحصاء عدّتها وسأبيّن ذلك إن شاء الله أنّ الكون الواحد قبل خلقه راد الحروف مبتدعاً وكانت الحروف محدثة منه فعلاً بالإرادة، وكانت الإرادة بالله وحده وليس وراء الله مذهب الأشياء كلّها بعد الإرادة أو لا بالارادة.

ثمّ قال: والواحد الّذي هو قائمٌ بغير تقدير ولا تحديد خلق خلقاً لتحديد وتقدير، وكان الّذي خلق خلقين بالتّقدير والمقدور، وليس في واحدٍ منهما لونٌ ولا وزنٌ ولا ذوقٌ، فجعل احدهما مدركاً بالآخر وجعلهما جميعاً مدركين بنفسه، ولم يخلق شيئاً فرداً بعينه دون غيره للّذي أراد من الدّلالة على نفسه وإثبات وجوده لخلقه، والله فردٌ لا ثاني معه ولا يجوز أن يقوم بين يد الله فرد واحد مثله قائمٌ بنفسه بلا جوهر ولا عرض ولا تقدير.

وحدّثني محمّد بن إبراهيم عن البصريّ عن عبد الله بن العلا عن إدريس بن زياد عن أبي سعيد عن عليّ بن الحسن عن ابن سنان قال: قال الصّادق منه السّلام: إنّ من وراء عالمكم هذا ستّ وثلاثين ألف عالمٍ في كلّ عالمٍ ستّ وثلاثون ألف عالم في كلّ عالم ستّة وثلاثون ألف مدينة منقوشة في كلّ مدينة ستّ وثلاثون ألف ملك يسوس كلّ ملك ستّة وثلاثين ألف نفس لا يعلمون أنّ الله خلق آدم وذرّيّته ولا أنّ الله خلق إبليس ولا أنزل كتاب.

وحدّثني عنه قال: حدّثني محمّد بن موسى عن الكرخيّ عن إسماعيل بن عليّ عن ابن صدقة عن هاشم عن المفضّل قال: قال الصّادق منه السّلام: لقد ظهر أمير المؤمنين في الفرس فأنكره بعضهم فنفخ ناراً فأحرقهم وأدركتهم رحمته فانتشروا لوقتهم وقد غاب أمير المؤمنين وبقيت النّار فعظّموها لتعظيم صاحبها إلى وقتنا هذا وكذلك قال أبو حمزة رحم الله يزدجرد فقد كان موحّداً.

قال المفضّل: قلتُ يا سيّدي فظهر في الفرس؟

فقال: وإن لم يظهر إنّ لله من وراء عالمكم هذا إثني عشر ألف باب على كلّ ـــ إثنا عشر ألف مدينة في كلّ مدينة إثنا عشر ألف باب على كلّ باب إثنا عشر ـف رجل يكبّرون ولا يسمعون من على الباب الّذي يليهم من كثرتهم لا يعلمون أنّ ـ خلق آدم ولا إبليس وهم أعرف بنا من كثيرٍ من شيعتنا منكم.

وحدّثني الحسن بن محمّد العلويّ قال: حدّثني أبو عبد الله المدائنيّ قال: حـــي إبراهيم الخلاّل عن داؤود بن إبراهيم عن عمر بن توبة قال: قال المفضّل: ســـت مولاي أبا عبد الله فقلت: مع دنيانا هذه دنيا؟

فقال: خلف دنياكم هذه إثنا عشر ألف قبّة لو أخذت قبّتكم هذه ووضعت في وسـ واحدة منها لم تبن فيها، لكلّ قبّة إثنا عشر ألف باب، عرض المصراع إلى ـمصراع إثنا عشر ألف عام فيه صفوفٌ قيامٌ على أقدامهم حتّى لو ألقيت إبرة ما وقعت إلاّ على رأس رجلٍ منهم، يسبّحون الله ويقدّسونه ويمجّدونه ويلعنون فلان وفـ في تسبيحهم.

قلت: من ذرّيّة آدم هم؟

قال:لا يعلمون أنّ الله خلق آدم ولا لإبليس.

قلت: فيعرفونكم؟

قال: نحن عندهم أعرف منّا عندكم.

وعنه قال: حدّثني عليّ بن أحمد بن عليّ العقيقي عن أبيه عن أحمد بن بـ هيم عن محمّد بن عبد الله بن مهران قال: سألت سيّدي كم مضى من الدّنيا؟

قال: مضى من الدّنيا أربعمائة ألف كور كلّ كور أربعمائة ألف سنة في كلّ كورٍ سبعة آدام، في كلّ كورٍ نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد وآل محمّد وفي غيره. كلّ كور أربعمائة ألف دور والدّور خمسين ألف سنة، ما كان لمؤمن فيها ـونة.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ العقيقي عن محمّد بن عبد الله عن عليّ بن حديد عـ جميل بن درّاج عن إسماعيل الجّعفيّ عن أبي عبد الله قال: مضى ستّة آدميّين

وهو الدّور السّادس وهم يدخلون في السّابع في كلّ دورٍ سبعة آدميّين وفي كلّ آدم منها موسى وفرعون، فلذلك إختلفت المخاطبة في قصّتهما في سبع مواطن في القرآن الكريم.

أخبرني أبو عبد الله محمّد بن يعقوب المدائنيّ ولقيته وهو شيخٌ كبيرٌ في الموصل عن محمّد بن عبد الله النّيسابوري عن أحمد بن العبّاس بن الحريش عن إبراهيم بن عمر عن يحيى المكفوف عن إبراهيم بن يزيد عن أبي جعفر وأبي عبد الله وقد سألوهما عن الكرسي وصفة الخلق.

قال: وهو كتاب مترجم بكتاب الكرسي والقلب والقدد والقدرة إختصرنا منه موضع الحاجة إليه: إنّ الله خلق أركانه أربعة علماً وقدرة ومشيئة وإرادة وأسكن فيها الأرواح الأربعة روح القدس وروح الأمين وروح ذي المعارج وروح الأمر.

فباطن الأركان الأرواح مجمعهم بالأمر وغرس الأركان على الماء المعين الّذي خلقه بلا شبح بالقدرة ولا بجسد ولا حدود قائم غير معدوم وهو قوله: «وجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ» وكان عرشه على الماء [1] ثمّ برأ الهواء بالنّدا والنّدى من المشيئة فظلّ الماء على الهواء متّصلاً به فأنشأ من الهواء والماء ظلاً، ثمّ أنشأ من ذلك الظّلّ ظلمة، فكان الهوى مظلماً والظّلّ مظلماً والظّلمة مظلمة، فقال: «وجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ» ثمّ خلق من ذلك النّور صورة محدودة بالأقطار وخلق العقل فقال له أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر، ثمّ أسكنه ذلك النّور، فخلق العقل من العلم وقدّر صورة النّور بالقدرة، فأقامه حيّاً بالماء قائماً بالعلم دائماً في الملكوت فقال: «حَيٌّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ» إلاّ به وأقام به الأظلّة وجعل لنفسه نسبة فقال: «أحدٌ صمد، لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ» وأشهد الأظلّة على نفسها ثمّ قال في تفسير النّفخة الأولى أنّها سبع طرائق وسبع صفوف الطّريق الأوّل نور والثّاني الهوى والثّالث الظّلمة والرّابع النّار والخامس الرّيح والسّادس الماء، والسّابع النّفخة، كلّ صفٍّ منها يقام في يوم حتّى تموت الصّفوف سبعاً، فالصّفّ الأوّل الرّسل

---

[1] وردت الآية: " وكانَ عَرْشُهُ عَلى الماءِ لِيَبْلُوكُمْ أيُّكُمْ أحْسَنُ عَمَلا"

والثّاني الأنبياء والثّالث الملئكة والرّابع المؤمنون والخامس الكفّار والسّادس الفراعنة والسّابع الأبالسة والطّواغيت، ثمّ أخرجهم إلى الذّر وأجرى فيهم النّفخة الثّانية وأخذ عليهم عهودهم ومواثيقهم، ثمّ خلق الكلمة الطّيّبة عن يمينه والكلمة الملعونة عن شماله، فأسكن فيها الذّرو فرقتين ناجيةً بالكلمة الطّيّبة وفرقةً هالكةً بالكلمة الملعونة، ثمّ خلق البحرين أحدهما عذبٌ فراتٌ والآخر ملحٌ أجاجٌ، ثمّ أنشأ منها الذّرو ثمّ أغشى الطّرائق السّبع والصّفوف السّبعة بغواشي، فأوّل يومٍ إلى الثّانس غشوة وبين الثّاني والثّالث سنة وبين الثّالث والرّابع نعسة وبين الرّابع والخامس نسيان وبين الخامس والسّادس غفلة وبين السّادس والسّابع سكرة.

ثمّ جعل اللّيل من هذه الغواشي، ثمّ إنّ الله سطح نوراً وخلق منه قدرة وصورة، ثمّ أمره أن يخلق ناراً سطوحاً، ثمّ أمره أن يقدّ منه قدداً ويصوّر منه صوراً فقاموا لله حيناً ثمّ نهى الله النّورانيّة أن تختلط بالنّاريّة، فاختلط بعضها ببعض، فسطح التّغيير الّذي اختلط، ثمّ أمر أن يخلق ماء، فسطح وخلق من خلقتين، ثمّ أمر أن يخلق ريحاً فخلق فقدّ منه قدداً وصوّر منه صوراً فقاموا لله عابدين، فأمر الله النّاريّة أن لا تختلط بالرّياحيّة فاختلط بعضها ببعض، فسطح التّغيير الّذي اختلط ثمّ أمر أن يخلق ماء فخلق وسطح وصوّر منه صوراً وقدّ منه قدداً، ثمّ أمر الرّياحيّة أن لا تختلط بالمائيّة فاختلطت، ثمّ خلق خلقاً طيناً من البحرين العذب الفرات والمالح الأجاج، ثمّ خلق منه قدداً وصوّر منه صوراً وأمر المائيّة أن لا تختلط بالطّينيّة فاختلط بعضها ببعض فسطحت الطّينيّة ثمّ كان من هذا الخلق الممزوج الأربعة بالنّور وبالنّار وبالرّيح والماء وصفحة الطّين آدم، فخلق من شأن الدّنيا والآخرة وقال بعد كلام طويل، ثمّ خلق النّور وخلق النّار فحجب النّور بالنّار، ثمّ خلق الرّيح فحجب بها النّار، ثمّ خلق الماء فحجب به الرّيح، ثمّ خلق الطّين من زبد البحر فحجب به الماء، فهذه الطّرائق والقدد، فالنّور خلق نمه الملائكة ومصوّرين والنّار خلق منها الجّان مصوّرين والرّيح خلق منه الجّنّ مصوّرين والماء خلق نمه الأنس مصوّرين والطّين صورة آدم، فخلق آدم من النّور والنّار والرّيح والماء ومن سائر

الأجزاء وقال: «وجعلناكم طَرائقَ قِدَداً [١]» كلّ جوهر خلق منه وقدّ منه صورة ففيكم من جوهرهم فصارت الملئكة ترى جميع الخلق ولا يراهم من الخلق أحدٌ إلاّ الجّان لأنّهم خلقوا من نارٍ ولا يراهم الجنّ والانس إلاّ من أكرم منهم على الله وإنّما رآهم من النّاس من جوهره النّور، فصار الإنسان يأكل ويشرب بالنّار ويشمّ ويسمع ويتحرّك بالرّيح ويجد لذّة الطّعام والشّراب بالماء ويبصر ويعمل بالنّور، فلولا النّار الّتي في معدته ما طحنت الطّعام والشّراب ولولا الرّيح ما التهمت نار المعدة ولا خرج الثّفل من بطنه ولولا برد الماء لأحرقته نار المعدة ولولا النّور ما أبصر ولا عقل ولولا الرّيح ما تحرّك ولا جاء ولا ذهب فإذا فرّق بين الرّوح والجّسد ردّت الرّوح والنّور والنّار إلى القدد الأوّل وترك الجّسد في الأرض لأنّه من شأن الدّنيا، وإنّما فسد الجّسد في الدّنيا لأنّ الرّيح هي تنشف الماء فييبس الطّين فيصير رفاتاً وردّ كلٌ إلى جوهرته الأولى، فما كان من نفس المؤمن فهو نورٌ وهذه صورة نار ثمّ قال: الحجب سبعة حجابٌ بين الرّوح والأمر وحجابٌ بين الملائكة والرّوح وحجابٌ بين الجّان والأنس وحجابٌ بين الماء والنّار وحجابٌ بين النّور والظّلمة.

الهبطة

فلمّا أهبط آدم إلى الأرض أمر الفلك بالدّوران وكان الفلك على عهد الجّان لا يدور فبقي هو وذرّيّته فيها إقليم من الدّهور والأقليم إنقطاع حساب العرب والرّوم ومبلغ حساب الهند والأقاليم ثمانية سبعة أقاليم يدور بها القطب فمن أجل ذلك عرف اللّيل من النّهار.

أخبرني الحسين بن حمدان قال: أخبرنا أبو محمّد عبد الله بن أيّوب القمّي قال: أخبرني أبو المثنّا عمر بن المختار الخزاعيّ عن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن أبي عبد الله الصّادق بجميع الكتاب كتاب المراتب والدّرج ذكرنا منه موضع الحاجة إليه قال: إنّ الله خلق الخلق روحانيّين لا يطعمون ولا يشربون ذوي أجسامٍ نورانيّة فظهر فيهم على هيآتهم وأشكالهم وأظهر لهم القدرة

---

[١] وردت الآية: " وأنّا منّا الصّالحون ومنّا دون ذلك كنّا طرائق قِدداً "

ـ ـدرة والعلامة النّيّرة وجعلهم يشاهدونه ويرونه وينظرون إليه ويسمعون كلامه ويعرفون قدرته ويثبتونه ويعقلون أمره ونهيه، ثمّ إنّه هداهم إلى معرفته ووحدانيّته والإقرار بربوبيّته وجعل لهم من العقل ما يفصلون به بين الخير والشرّ والطّاعة والمعصية، فأجابه إلى ذلك من أجابه وعصاه منهم من عصاه، فكان الّذين أجابوا إلى الإقرار بربوبيّته والمعرفة بوحدانيّته أجابوه في أوقات شتّى فمنهم من أجاب في أوّل دعوة ثمّ أجاب من بعد ومنهم من أبى واستكبر ومنهم من تخلّف عن ذلك الوقت ثمّ أجاب في أوّل دعوة، ومنهم من شكّ ووقف فافترق الخلق كلّهم على فرقتين فرقةً مؤمنةً وفرقةً كافرةً وكان مقدار الوقت ما بين أن دعاهم إلى أن افترقوا سبعة أيّام وسبعة ليالي، فجعل الله إيمان المؤمنين ضياءالنّهار وجعل كفر الكافرين ظلام اللّيل وصار السّابقون من المؤمنين رؤساء المؤمنين والسّابقون في الكفر رؤساء الكافرين، وسبق في القدم أجمع إيمانهم وكفرهم في هذا المقدار من الأيّام السّبعة واللّيالي السّبعة فجعلها الله الدّائرة بين هذا العالم، ثمّ إنّ الله جعل المؤمنين والكافرين على مراتب في الإيمان والكفر على قدر سبقهم إلى الطّاعة والمعصية، فجعل السّابقين الّذين أجابوا في أوّل الدّعوة هم الأبواب، ثمّ يليهم الأيتام، ثمّ يليهم النّقباء ثمّ يليهم النّجباء، ثمّ يليهم المختصّين، ثمّ يليهم المخلّصون، ثمّ يليهم الممتحنون، فهذه سبع مراتب للمؤمنين على قدر السّبعة الأيّام، وكذلك جعل للكافرين أيضاً سبع مراتب في الكفر، ثمّ قسم أيضاً كلّ مرتبة من هذه المراتب على سبع درج على حسب ما كان منهم من السّبق في الطّاعة والمعصية، فكمل للمؤمنين تسعة وأربعون درجة، ثمّ إنّ الله أسكن المؤمنين السّموات وجعلها منازلهم وخلق لهم من أفعالهم أجساماً نورانيّة، فجعلهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يألمون.

قلت: جعلت فداك: فهل ترى تلك الأجسام النّورانيّة؟

قال: نعم يا عمر أما ترى الشّمس والقمر والنّجوم والكواكب هذه كلّها أجسام الّذين أجابوا الرّبّ وقبلوا دعوته على حقيقة المعرفة.

قلت: فما بال بعضهم أشرح من بعضٍ؟ وبعضها أرفع من بعض؟ وبعضها أسرع من بعض؟

فقال: أمّا شدّة الضّياء فهو على كثرة علومهم وقلّتها وأمّا علوّ المكان فهو على قدر الإجتهاد في الدّعاء والنّيّة الصّافية وأمّا سرعة السّير فهو على حسب المواضع الّتي قد أمر بالدّعاء أهلها ولبثهم في القرب والبعد وعلى قدر الأماكن في ذلك ممّا قد تعرّض على كلّ وليّ من الملازمة للمكان والمفارقة له.

قلت: فهل للمؤمنين منزلةٌ أعلى من منزلة الشّمس وأجلّ قدراً؟ فلست أرى أشدّ ضياءً منها؟

فقال: أمّا ما كان يلي أهل العلوّ فنعم ثمّ أعلى وأشدّ ضياءً منها أعني الشّمس وذلك أنّه لو ظهر نوراً واحداً ممّن يحلّ ذلك الموضع لأعشى أبصار أهل الأرض أجمعين وإنّما أظهر لهم ضياء عين الشّمس، والأولياء دون غيرهم ممّن هو أجلّ قدراً منها وأكثر علماً وأشدّ ضياءً لمعرفته بما يظنّون من ذلك، فجعل أهل السّماء الّتي تلي الأرض هم الّذين عليهم الفروض في النّورانيّة لم يتخلّصوا منها بعد، فإذا قضى كلّ وليٍّ ما عليه من الدّعاء المفترض رفع من هذه السّماء إلى محلّ يعرف بعمود الشّبح، ومن ذلك الموضع يأتي أهل هذه السّماء المادّة المبرّة من العلوم.

قلت: جعلني الله فداك، فهل للّذين وصفت من النّور الّذي فوق أهل هذه السّماء دليلٌ من الشّاهد نحتجّ به إن سئلنا عنه.

فقال: يا عمر: ألست ترى إذا فتق الله ناحية من هذه السّماء فأظهر مقدار شراك من النّور الّذي يكون من أهل المراتب والدّرج يحلّ هذا الموضع.

قال: يحلّه أهل أربع درج من مرتبة الأبواب وما سوى ذلك في هذه السّماء.

قلت: فهل للوليّ إذا نقل من هذه السّماء إلى الموضع الّذي يسمّى عمود الشّبح علامةٌ؟

قال: أمّا ما كان من نقلة الشّمس والقمر، فبالكسوف والإستتار، وأمّا ما كان من نقلة الكواكب فبالانقضاض إلاّ أنّه لا يصعد إلى ذلك الموضع إلاّ من درجة

الشّمس، وما كان من دون ذلك من الأقمار والنّجوم فإنّما يكرّ حتّى يلحق بالشّمس، ثمّ يكون مع درجة الشّمس إلى ذلك الموضع وليس يحلّه من أهل الدّرج إلاّ أهل الأسماء والحجب والسّماء والأنوار، وإنّ الدّرجة الواحدة يكون فيها عالمٌ من المؤمنين، ثمّ إنّ الله كرّر الخلق بالمواليد وظهر فيهم وجعل المؤمنين من الدّعاة إليه والدّالّين عليه وجعل الدّليل لهم على نفسه ظهوره بالقدرة والمعجزة الّتي لا يأتي بها سواه، فلا يزال العبد يكرّ مرّة بعد مرّة ووقتاً بعد وقتٍ وعصراً بعد عصرٍ حتّى يخلص له الإيمان المحض والكفر المحض، فإذا خلص العبد منهم بالإيمان ردّ إلى الرّوحانيّة والأجسام النّورانيّة.

وإذا أخلص العبد الكفر المحض أنشأ له من فعله جسماً من المسوخيّة يعذّب فيه فيبقى على مقدار كفره وجهله، فالمؤمنون يثابون على إيمانهم ويزداد الكافرون يعذّبون على قدر كفرهم، فإذا اقتصّ ما عليهم ردّوا إلى الأشخاص البشريّة ولحقوا بالإقليم الّذي فيه الرّبّ ظاهراً والدّعوة مستأنفة.

قال أبو المثنّى: قلت لأبي الحسن، فإذا ظهر الرّبّ لأحداث أمرٍ وتغيير شريعةٍ أو تبديل دين كلّ هؤلاء المؤمنين من أصحاب المراتب والدّرج يكونون معه؟

قال: لا يا عمر إنّما يكون معه من أحبّ الجّهاد وصبر على الدّعاء إليه فأمّا من قد سئم من معاشرة هذا الخلق المنكوس وملّهم لم يكلّفه الله ذلك.

قلت: فأيّ القوم أفضل المقيمون في الملكوت أم النّازلون مع اللاّهوت؟

قال: ألم تسمع الله يقول: «لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» الآية؟

قلت: كم نزل منهم في هذا العصر ممّن حلّ المراتب ويستلم الدّرج وكان مع الملائكة؟

قال: يا عمرو أوليس هم الملائكة الّذين قد ملكهم الله علمه واستودعهم حكمه، وكذلك كلّ من صفا من هذا العالم وخرج من سهل هذا الجّرم يكون ملكاً.

ثم قال: يا عمرو إنّه لم يهبط الله تبارك وتعالى من المؤمنين في عصرٍ من الأعصار أكثر ممّا هبط مع الشّخص المحمّديّ في هذا العصر الخامس من الدّور السّابع.

قلت: كم كان أكثر ما كان معه منهم في وقتٍ واحدٍ منذ ظهر محمّد إلى أن غاب؟

قال: لم يكونوا معه منهم في وقتٍ واحدٍ من الأوقات أكثر ممّا كانوا معه يوم حنين، فإنّه كان منهم معه خمسة آلاف وقد كانوا قبل ذلك يكون معه ألف وألفان وثلاثة آلاف وأقلّ من ذلك وأكثر، وفي ذلك يقول إذ يخاطب بعض أوليائه في يوم الأحزاب: «إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ» وكانوا يوم بدر ألفاً فقال: «أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ»، فلم يزالوا مع محمّد لم ينصرف منهم واحدٌ ولا غاب منهم واحدٌ إلاّ أنزل الله موضعه واحداً من ذلك اليوم إلى اليوم الّذي يشهد بصفّين مع أمير المؤمنين وهو اليوم الثّالث من أيّام الهنى الّذي تسمّيه يوم شرطة الخميس، وذلك أنّ أمير المؤمنين كان له كلّ يوم شرطة ولعارفه منهم شرطة الخميس، فقصّر بهم جموع أهل الشّام، ثمّ أذن لهم فرجع كلّ مرتبةٍ إلى مرتبتهم وأهل كلّ درجةٍ إلى درجتهم وإلى مقاماتهم في الملكوت، فلم يبق معه إلاّ نفرٌ يسرٌ وهذه الخمسة الآلاف مقسومون على تسعة وأربعين درجة.

قلت: يا سيّدي: هؤلاء الخمسة آلاف الّذين أقاموا مع محمّد وأمير المؤمنين معروفون في الأسماء والأشخاص ينسبون في القبائل على أنّهم من سائر النّاس؟

قال: نعم، لا يكون إلاّ كذلك، أيجوز يا عمر أن يكون الله جلّ ذكره يظهر بشخصٍ بشريٍّ واسم ونسب وقبيلة وعشيرةٍ حتّى يراه النّاس مثلهم وعلى صورهم ويظهر عبيده بخلاف ذلك يا عمر، ولو ظهر بخلافهم لم يخف على أحدٍ أمره واستوى النّاس في معرفته وخرج ذلك عن حدّ المحنة.

قلت: يا سيّدي إن رأيت أن تطول عليّ وتشرح لي أسماء هؤلاء الخمسة الآلاف لي وتقسمهم على درجاتهم وتعرّفني أسمائهم وأنسابهم وأسمائهم المحمودة التي دعاهم الله بها في كتابه.

قال: قد أعلمتك أنّ أعلى المراتب في الإيمان الأبواب وهي الّتي لم يجعل لأحدٍ سبيلاً إلى خالص معرفته إلاّ بهم فقال: «لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها» معناه ما ظهر من البيوت من علم الظّاهر والبيوت ها هنا الأشخاص إذا ضربت «ولكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى وأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» يعني بقوله، ولكنّ البرّ من اتّقى أن يأتوا البيوت من قبل الظّاهر، فإنّهم لا يريدونه على أنّ الشّخص الّذي بينهم مخلوقٌ مربوبٌ، فأمر بالأتقى منهم ثمّ قال: «وأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها» يعني هؤلاء الّذين يدخلون النّاس إلى معرفة الله على الحقيقة من جهة علم الباطن.

المراتب العلويّة لعالم الكبير، المراتب، الدّرج

٤٠٠	الأبواب	الأسماء ٣٠	الحجب ٤٠	الآيات ٥٠	الأنوار ٧٠	الشّموس ٧٥	الأفلاك ٧٥	الغمام ٦٠
٥٠٠	الأيتام	المشارق ٥٠	المغارب ٧٠	الأقمار ٧٠	الأهلّة ٧٠	النّجوم ٧٧	الرّعود ٧٠	البروق ٨٨
٦٠٠	النّقباء	الصّلاة ٧٠	الزّكاة ٧٠	الحجّ ٨٠	الصّيام ٧٥	الهجرة ٩٠	الجّهاد ٩٥	الدّعاء ١٢٠
٧٠٠	النّجباء	الجّبال ٧٠	المعصرات ٨٠	البحار ٩٠	الأنهار ١٠٠	الرّياح ١١٠	السّحاب ١٢٠	الصّواعق ١٣٠
٨٠٠	المختصّون	اللّيل ٩٠	النّهار ١٠٠	الغداة ١٢٠	العشيّ ١٢٠	الغدوّ ١٣٠	الآصال ١١٠	السّبل ١٣٠
٩٠٠	المخلصون	الأنعام ١٠	الدّواب ١١٥	الإبل ١٢٠	النّحل ١٣٠	الطّير ١٤٠	الصّوامع ١٤٥	البيع ١٥٠
١١٠٠	الممتحنون	البيوت ١٣٠	المساجد ١٤٠	النّخل ١٥٠	الأعناب ١٥٠	الرّمّان ١٧٠	الزّيتون ١٧٠	التّين ١٩٠

ذكر أسماء الأولياء في جميع الدّرج تركناه إختصاراً، ومثل هذه الأسماء والمراتب للكفّار مثلاً بمثل على حسب منازلهم وكفرهم، وأمّا العالم الصّغير الّذين توالدوا وأكلوا وشربوا وهذا جدولهم

المقرّبون ١٤٠٠٠	الافلاك ٧٥	الغمام ٦٠
الكروبيّون ١٥٠٠٠	الرعود ٧٠	البروق ٨٨
الرّوحانيّون ١٦٠٠٠	الجّهاد ٩٥	الدّعا ١٢٠
المقدّسون١٧٠٠٠	السّحاب ١٢٠	الصّواعق ١٣٠
السّائحون ١٨٠٠٠	الأصال ١١٠	السّبل ١٣٠
المستمعون ١٩٠٠٠	الصّوامع ١٤٥	البيع ١٥٠
اللاّحقون ٢٠٠٠٠	الزّيتون ١٧٠	التّين ١٩٠

كلّ مرتبة من هذه المراتب فوق الّتي تليها وهي الّتي ألقت العلم إليها وأوّل من أمر بالكتمان منهم المقدّسون لأنّه جعل فيمن تقدّمهم ما ليس فيهم، فأمّا السّائحون فإنّهم عند النّاس بمنزلة رفيعة لزهدهم في الدّنيا والنّاس يقبلون منهم ما لا يقبلون ممّن تقدّمهم من المراتب، ولا تخلو بقعةٌ أن يكون فيها واحدٌ منهم.

حدّثنا الحسن بن محمّد بن عليّ بن أحمد العقيقي عن أبيه أحمد بن عليّ عن الحسين بن محمّد بن عليّ عن محمّد بن سنان عن من سمع حمران بن أعين يذكر عن أبي جعفر أنّه قال: خلق الله سبع آدميّين كلّهم تفتح بمحمّد وتختم بمحمّد.

وحدّثني عن أبيه عن عليّ الحسين بن عليّ عن إبراهيم بن هشام عن إسماعيل بن عبد العزيز قال: قلت لأبي عبد الله: أكان آدم قبل آدم؟

قال: نعم، آدم وآدم وآدم حتّى عدّ أحد وعشرين آدم عمّر كلّ آدم وذرّيّته في الجنّة والنّار خمسين ألف سنة، ثمّ يصيّر الله أهل الجنّة ملائكة ويصير أهل النّار خشاش الأرض، الخبران صحيحان وإن إختلف لفظهما، يكون الأوّل عن ذروٍ واحدٍ ويكون الخبر الثّاني عن أدوار مضت – والله أعلم –.

حدّث أبو نصر القاشاني قال: حدّثني إسحاق الأحمر يرفعه إلى محمّد بن صدقة عن محمّد بن سنان عن المفضّل أنّ سيّدنا أبا عبد الله قال: يا مفضّل، إنّ الله خلق آدم من نورٍ وخلق آدم من ظلمة، فأظهر من صلب آدم الحجب ثمّ الأبواب ثمّ الأيتام والنّقباء والنّجبا والأبدان والموحّدة والمفوّضة والقزمانيّة وهي أقلّها درجة، وخلق الشّياطين والعفاريت والأبالسة والأضداد من آدم وأصل آدم من ظلمة النّار ومسح ظهر آدم فأخرج منه حوّاء وكذلك فعل بآدم الآخر وتناسلوا، ثمّ قال: يا مفضّل: إنّ الله لمّا أكمل الخلق ظهر لهم في أحد وسبعين حجاباً وخاطبهم مع كلّ حجاب بلسانٍ حتّى حتّى عرّفهم الألسن كلّها، ثمّ أخذ الميثاق بالإقرار له بالوحدانيّة، ثمّ ردّهم إلى الأصلاب، فمكثوا ما شاء الله، ثمّ أذن في إظهارهم فتوالد النّاس وتناسلوا في الأرض من آدم وآدم كما أخبرتك، هذا يشاكل الخبر المتقدّم إنّ آدم محمود وآدم مذموم ونوح محمود ونوح مذموم، وكذلك إبراهيم وموسى وعيسى.

قال الحسين: الأكوان ستّة: النّوراني والجّوهري والهوائي والمائي والنّاري والتّرابي.

حدّثني الحسين بن حمدان عن محمّد بن يحيى الفارسي عن الحسين بن محمّد بن جمهور عن الهيثم بن يحيى النّوفليّ عن بشّار الشّعيري قال: قلت لأبي عبد الله: يا سيّدي عندي مسائل أهاب أن أسألك عنها إجلالاً لك. فقال: يا بشّار: نصبنا لكم لنعرفكم ما تحتاجون إليه فاسأل عمّا بدا لك؟ قلت يا مولاي منذ خلق الله هذه الدّنيا وكم يكون إلى إنقضائه؟ فقال: يا بشّار: خلق الله الدّنيا إلى إنقضائها خمسين ألف دور كلّ دور خمسين ألف كور كلّ كور أربعمائة ألف سنة. قلت: يا مولاي هذا أمرٌ لا ينقطع. قال: نعم يا بشّار، وعلم ذلك عند الله، إنّ الله يرى السّاعة وتراها بعيداً. قلت: يا مولاي، فأين الجّنّة قال: ها هنا. قلت: في الدّنيا؟ قال: نعم. قلت: فأين النّار؟ قال: حيث يشاء الله. قلت: الجّنّة في الأرض؟ قال: نعم. فداخلني من ذلك ضعفٌ. فقال: يا بشّار: قال الله الحمد لله الّذي صدقنا وعده «وأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ».

قلت: فللجنّة والنّار مدّة وإنقطاع؟ قال: نعم قال الله: «خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ إلاّ ما شاءَ رَبُّكَ إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ » استثني. قلت: إلى ما يصير أهل الجنّة وأهل النّار؟ قال: أهل النّار قشاش. قلت: وما القشاش؟ قال البقّ والذّباب والنّمل وأشباهه. قلت: ينتقلون من شيء إلى شيء. قال: نعم. قلت: فأهل الجنّة؟ قال: ملائكة. قلت: ملائكة بأعيانهم. قال: روحانيّين. قلت: ينتقلون من شيء إلى شيء؟ قال: ينتقلون من حسن إلى حسن ومن طيّب إلى طيّب ومن نورٍ إلى نور. قلت: الحمد لله الّذي خصّكم بهذا دون جميع خلقه. قال: رحمك الله، استر ما استودعت من سرّ الله.

وحدّثني محمّد بن همام عن عبد الله بن جعفر عن سعيد بن عبد الله عن محمّد بن هرون عن سهل بن زياد عن عجلان أخي صالح قال: سألت أبا عبد الله عن قبّة آدم فقلت له: هذه قبّة آدم؟

فقال: نعم، ولله قبابٌ كثيرةٌ أما أنّ خلف معغربكم هذا تسعة وثلاثون مغرباً أرضاً بيضاء مملوءة خلقاً يستضيؤون بنورها لم يعصوا الله طرفة عين ولا يدرون أنّ الله خلق آدم أم لم يخلقه يتبرّؤون من فلان وفلان، قيل له، وكيف يتبرّؤون من فلان وفلان وهم لا يدرون أنّ الله خلق آدم أم لم يخلقه.

فقال للسّائل عن ذلك: تعرف إبليس؟

فقال: لا، إلاّ بالخبر.

قال: فأمرت بلعنه والبراءة منه؟

قال: نعم.

قال: وكذلك أمر هؤلاء.

وبالإسناد عن سعد بن محمّد بن عيسى عن يونس بن عبد الرّحمن عن عبد الصّمد عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر قال: من وراء شمسكم هذه أربعين شمساً ما بين شمس إلى شمس أربعين عاماً فيها خلق كثيرٌ ما يعلمون أنّ الله خلق آدم أم لم يخلقه، وأنّ من وراء قمركم هذا أربعين قرصاً ما بين القرص إلى القرص أربعين

عاماً فيها خلقٌ كثيرٌ ما يعلمون أنّ الله خلق آدم أم لم يخلقه، قد أُلهموا كما أُلهمت النّحلة لعنة فلان وفلان في كلّ الأوقات وقد وكّل الله بهم الملائكة متى لم يلعنوهم عذّبوا.

وحدّثني أحمد بن هودة قال: حدّثني إبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حماد عن ابان بن تغلب وابن أبي الهمدان قال: قلت لأبي جعفر: أخبرني عن حوّاء من أيّ شيءٍ خلقت؟

فقال: ما يقول النّاس؟

قلت: يقولون إنّها خلقت من ضلعٍ من أضلاع آدم.

قال: كذبوا، سبحان الله ما يقدر أن يخلقها من غير ضلعٍ من أضلاع آدم؟

قلت: من أيّ شيءٍ خلقها؟

قال: أخذ الرّبّ قبضة من طين بيده اليمنى وكلتا يديه يمين، فخلق منها آدم، وفضل من الطّين شيءٌ، فخلق منه حوّاء.

قلت: كيف زوّج آدم ولده؟

قال: أيّ شيء يقولون هذا الخلق؟

قلت: يقولون انّه إذا ولد له ولدٌ جعل بينهما بطناً، ثمّ زوّج بطنه من الولد الآخر.

فقال أبو جعفر: كذبوا هذه المجوسيّة المحضة، أخبرني أبي عن آبائه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: لمّا وهب الله لآدم هابيل وهبة الله بعث الله إليه حوريّتين من الجنّة يقال لأحدهما ناعمة والأخرى مزنة، وأمره أن يزوّج ناعمة من هابيل ومزنة من هبة الله، فزوّجهما إيّاها،فتوالدوا،فكان يزوّج بنات العمّ.

وحدّثني الحسن بن محمّد عن عليّ بن أحمد عن أبيه أحمد بن عليّ عن أحمد بن الحسين عن أبيه أحمد عن عمر عن درست بن أبي منصور عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر أنّه قال: ما بين السّماء السّابعة إلى العرش كما بين السّماء السّابعة

ـ‍ى الأرض السّابعة السّفلى أكثر من مائة ألف مرّة، وفي خبر آخر عن أبي جعفر ـ‍نّه قال: لمّا أهبط إلى هبة الله جارية حوريّة اسمها نازلة فولدت له بنين فأوحى الله ـ‍ى آدم أن زوّج الابنين من بنات الجّان، ففعل، فما كان في النّاس من حسن وجمال فمن الحوريّة، وما كان فيهم من سكينة ووقار وحلم فمن آدم، وما كان فيهم من حدّة وعلق وعجلة أو قبح فمن الجّان.

وحدّثني الحسن بن محمّد عن عليّ بن أحمد عن أبيه أحمد العقيقي عن محمّد ـ‍ن الحسين عن محمّد بن سنان قال: حدّثني صباح المزنيّ عن الحارث بن حضيرة عن حنّة القرنيّ قال: سمعت أمير المؤمنين يقول: يعبد الله في البحر مثل ما يعبد في ـ‍ـر، ومثله وزيادة ستّة عشر ألف خلق مختلف.

وبالإسناد عن أحمد بن الحسن عن أبيه عن المثنّى بن الوليد عن أبي بصير قـ‍ل: قلت لأبي عبد الله: أخبرني عن السّموات كيف خلقها الله؟

قال: ما من سماء إلاّ وفيها خلقٌ من خلق الرّبّ وتصير هوى ليس فيها شيءٌ.

وبالإسناد عن أحمد بن أيّوب بن هشام عن محمّد بن سنان عن سعد بن ضريف عن أبي جعفر قال: بين كلّ سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام وخمسمائة حجاب ظلال وخمسمائة حجاب غمام وخمسمائة حجاب لؤلؤ تخرق ذلك كلّه دعوة ـ‍مظلوم.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن أحمد بن الحسين عن أبيه أحمد بن عليّ ـ‍حلبي عن عبد الله بن سنان عن أبي حمزة الثّمالي قال: كنت عند أبي جعفر، فرفع ـ‍سه فنظر إلى السّماء وقال: هذه قبّة آدم ولله سواها تسعة وثلاثون قبّة فيها خلقاً لم يعصوا الله قطّ.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن أحمد بن الحسين عن أحمد أبيه بن محمّد ـ‍ن الحسين بن موسى عن زرارة عن أبي جعفر قال: مرّ رسول الله صلعم وعلى ـ‍ه برجالٍ من أصحابه وهم يتكلّمون.

فقال لهم: فيم أنتم؟

قالوا يا رسول الله فكّرنا في القمر كيف لا يؤثّر في السّماء كما تؤثّر النّجوم إذا رمى بها.

فقال رسول الله نعم، في هذا فتفكّرون، إنّ لله تسعة وثلاثين أرضاً ليس فيها شمسٌ ولا قمرٌ يضيء تلك الأرض بنورها لا يعلم أحدٌ منهم أنّ أحداً يعمل بالمعاصي وإنّ أرضكم هذه تمام الأربعين.

وبالإسناد عن أحمد عن موسى عن الحسن عن إبراهيم بن يوسف عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله يقول: هذا الخلق ببطاق واحدٌ ولله عزّ وجلّ تسعٌ وخمسون بطاقاً ركّعاً سجّداً ألهموا لعن رجلين من هذه الأمّة.

أخبرنا أحمد بن همام قال: حدّثنا عبد الله بن جعفر قال: حدّثني الحسن بن طريف عن الحسين بن علوان عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة عن عليّ قال: الأرضمسيرة خمسمائة عام، الخراب منها مسيرة أربعمائة عام والعمران مسيرة مائة عام والشّمس ستّون فرسخاً في ستّين فرسخ، والقمر أربعون فرسخاً في أربعين فرسخاً بطونهما يضيآن لأهل السّموات وظهورها لأهل الأرض والكواكب كأعظم جبلٍ على الأرض.

أخبرنا عنه قال: حدّثنا محمّد بن الحسين عن رجلٍ عن الحسن بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله يقول: خلق الله النّور قبل الأرواح بألفيّ عامٍ وخلق الميثاق قبل الذّرّ بألفي عام.

وحدّثني محمّد بن همّام عن أحمد بن محمّد بن موسى قال: حدّثني عيسى بن مهران قال: حدّثني ابن أبي عقلة عن أبي الصّامت عن أبي عبد الله أنّه قال لبعض أصحابه: أتدري ممّا خضرة السّماء؟

قال: لا.

قال: من زمرّدة خضراء من وراء النّطاق والنّطاق هو الحجاب، وإنّ لله من وراء ذلك سبعين ألف عالمٍ أدناهم عالماً أكثر من الجنّ والأنس وكلّوا بلعن الظّالمين.

أخبرني أحمد بن محمّد بن سعيد عن محمّد بن المفضّل عن الحسن بن محبوب عن محمّد بن النّعمان عن سلام بن المستبين عن أبي جعفر قال: قال: إنّ الله خلق الجنّة قبل أن يخلق النّار وخلق الطّاعة قبل المعصية وخلق الرّحمة قبل الغضب وخلق الخير قبل الشرّ وخلق السّماء قبل الأرض وخلق الحياة قبل الموت وخلق الشّمس قبل القمر وخلق النّور قبل الظّلمة.

الباب الخامس

في معرفة وجوب الباطن والدّلالة عليه والإشارة إليه

قال الله تعريفاً إنّ للقرآن ظاهراً وباطناً وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ ها هنا الوقف، ثمّ استأنف فقال: «والرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا» الرّاسخون رفع بالإستئناف لا بالسّبق على الله وسمّاهم راسخون بتسليمهم وقال «وقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وما قَتَلُوهُ وما صَلَبُوهُ ولكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ» وقال: «ونُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وأَبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ» فقال: «وذَرُوا ظاهِرَ الإِثْمِ وباطِنَهُ» وقال: «ولا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وما بَطَنَ» وقال: «قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وما بَطَنَ والإِثْمَ والْبَغْيَ» بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتيهم تأويله كذلك كذّب الّذين من قبلهم، فانظر كيف كان عاقبة الظّالمين.

فصلٌ من كتاب المثال والصّورة: قال أبو شعيب في كتاب المثال والصّورة، وكلّما أحلّه الله وحرّمه فهو علم ومعرفة أشخاص أوجب الله معرفتها وطاعتها وأشخاص نهى الله عنها وأمر بمعرفتها والإجتناب منها، فإنّ الله أكرم من أن يجعل فرائضه وأوامره ونهيه وشرائعه في فرجٍ أو في مجرى بول وأكل خبزٍ ولحمٍ يعود إلى عذرة.

وحدّثني محمّد بن إبراهيم عن أبي عليّ البصريّ عن عبد الله بن العلا عن يونس عن زيد بن طلحة عن المفضّل قال: قال سيّدي أبي عبد الله: إنّ لكلامنا ظاهراً وباطناً، فظاهره حكم وباطنه عميق وحديثنا صعب مستصعب وأمرنا سرٌّ

مستتر، فمن عرف لحننا عرف ما أردنا ومن لم يعرف التّعريض لم ينتفع بالتّصريح.

وبالإسناد عن زيد بن طلحة عن ابن عبد الملك عن المفضّل قال: قال سيّدي إنّ هذا القرآن له ظاهرٌ وباطنٌ ومحكمٌ ومتشابهٌ وناسخٌ ومنسوخٌ وعامٌّ وخاصٌّ وتشديدٌ وترخيصٌ وتعريضٌ وتصريحٌ وكلامنا أهل البيت كذلك، وإنّا لنتكلّم بالكلمة ولها سبعين وجهاً لنا من جميعها المخرج.

وبالإسناد عن عبد الله بن إدريس الكفرتوني عن ابن سنان قال: سئل الصّادق **عن كلامهم** فقال: إنّا لنتكلّم بالكلمة فيكون لها سبعون وجهاً فقيل: سبعون؟فقال: سبعمائة.

فقيل سبعمائة؟ قال: سبع آلاف، فأمسك القائل، ولو إستزاد لزاد.

حدّثنا مبارك عن محمّد بن الحسن بن محمّد عن أيّوب بن هشام عن الحسن بن أيّوب عن محمّد بن منصور عن أبيه عن أبي عبد الله قال: قلت: إنّا نقول إنّ عالمكم يتكلّم على سبعين وجهاً.

فقال: يا منصور، ثمّ على تسعين وثلاثمائة وجهاً.

وحدّثني عنه عن العبدانيّ عن إسماعيل بن عليّ القمّيّ عن محمّد بن صدقة قال: قال الرّضا: ليس في كتاب الله مكول ولا مشوب ولا ملبوس، وإنّما هي أمثلة مضروبة يعني لكلّ واحدٍ معنى يستحقّه، وكذلك لا جوهرٌ ولا فضّةٌ ولا ذهبٌ ولا عطرٌ ولا درٌّ وإنّما ذلك أمثلةٌ.

فقال محمّد بن صدقة: قال الرّضا: ليس ذلك بكتاب الله وحده بل وكلامنا ليس فيه شيءٌ ممّا مضى، وإنّما كلّ ذلك أمثلةٌ وأشخاصٌ ومعاني وأشباحٌ إشارةٌ إلى أنوار وإلى ظلمٍ.

وحدّثني عنه قال: حدّثنا محمّد بن موسى وأبو بعلة وعبد الله بن العلا عن ابن مهران عن الكرخيّ عن محمّد بن عليّ عن ابن سنان عن يونس بن ظبيان عن المفضّل قال: قال سيّدي ومولاي لولا التّلبيس ما جهل الله أحداً ولولا التّصريح ما

عرف الله أحداً، ولقد أخفى الله دينه حتّى ظنّ أنّه يحبّ أن لا يعبد ولقد أظهر أمره حتّى ظنّ أنّه لا يجهل.

وحدّثني أيضاً عنه عن عبد الله بن العلا عن إدريس عن زياد عن زيد بن طلحة عن المفضّل عن جابر قال: قال الباقر، لو وجدت ثلاثة رهط مسلمين لتلقّي أمري لاستودعتهم حديثاً لم يحتاجوا معه إلى النّظر لا في حلالٍ ولا فيحرامٍ ولا ما كان ولا ما يكون إلاّ ترى إلى هذه الإشارة إلى علم التّوحيد وإنّه لو كان الحقّ فيماعليه الكثير من الشّيعة ما قال هذا القول ومثله يكثب الأخبار في القلّة مجتمعة إن شاء الله.

وبالإسناد عن إدريس عن محمّد بن يحيى عن محمّد بن سنان قال: قال الصّادق: ما قلنا لكم في الله فهو فينا وما قلنا لكم فينا فهو فيكم.

وحدّثني الحسن بن محمّد الحسنيّ قال: حدّثني إبراهيم بن الحسن عن إسماعيل بن محمّد قال: حدّثني أبو القاسم الهمذاني قال: حدّثني الحسن بن محمّد رواه عن ابن داؤد عن عليّ بن الحسين التّغلبيّ عن محمّد بن صدقة عن محمّد بن سنان قال: قال الصّادق: إنّ الله كتم أربعاً في أربعٍ،فبدأ بعبيده الموحّدين، فكتمهم عن خلقه وكتم رضاه في طاعته،فلا يدري العبد في ماذا يرضى عنه، وكتم سخطه في معصيته، فما يدري العبد فيماذا يسخط عليه من ذنبه ومعصيته، وكتم اسمهالأعظم بين أسمائه.

المحمود المذموم

وعنه بإسناده عن إدريس عن زيد بن طلحة عن يونس بن ظبيان قال: قال الصّادق: كلّ إسمٍ محمودٌ فهو بعينه مذمومٌ،فمن ذلك أنّ الشّمس محمودةٌ ومذمومةٌ والقمر والجبّال والشّجر والنّخل والدّواب، وكلّ ذلك محمودٌ ومذمومٌ، وكذلك آدم خاطي وآدم زكي وإبراهيم خاطي وإبراهيم زكي على هذا جميع ما سمعت في القرآن.

وروى أنّ ذكر موسى وفرعون مكرّرٌ في القرآن على حسب ما تقدّم من الآدميّين.

وقال أبو شعيب في كتاب المثال والصّورة: «وكلّ إسمٍ من أسماء الأنبياء في القرآن مثل إبراهيم في قصّة وإبراهيم في قصّة وموسى في قصّة وموسى في قصّة وعيسى في قصّة وعيسى في قصّة، فكلّ واحدٍ من هذه الأسماء غير صاحبه، هذا العيسى وهذا الموسى غير هذا الموسى وهذا الإبراهيم غير هذا الإبراهيم لأنّ الحكيم لا يوصف بإعادة الشّيء مرّتين من اسم أو صفة أو وعدٍ أو عيدٍ».

وقد روي أنّ أبا عبد الله قال: إنّ في القرآن سبعة أمكنة مختلفة في مخاطبة موسى وفرعون لكلّ آدم منها موسى وفرعون ستّة منهم فعل الله بهم ما شاء وسابعهم وهو آدمنا يجعل الله له الخلود.

وقال أيضاً: مضى من سبعة آدميّين ستّة وهو النّور السّادس ويتمّ ويدخلون في السّابع وهو كلّ دورٍ سبعة آدميّين في كلّآدم موسى وفرعون ولذلك اختلفت المخاطبة في قصّتهما في سبع مواطن في القرآن.

وروى جماعةٌ من الشّيعة ما نقلوه في تفسير القرآن عن الأئمّة قالوا: قال الصّادق: جهنّم المحمودة في الباطن هي القائم وهو جهنّم الكافرين أي معذّبهم بالسّيف، وجهنّم المذمومة فرعون هذه الأمّة وهو الّذي إذا وقع المؤمن فيحباله وقع في جهنّم الّتي ذكرها الله وهي على الحقيقة المسوخيّة النّار المحمودة هي الباب والنّار المذمومة هي المسوخيّة والحمد في النّار أكثر من الحمد في جهنّم والحمد في جهنّم أقلّ من الحمد في النّا ر، حمد النّار أصل وحمد جهنّم فرع وفي قوله: «مَأْواكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ» هذا للمقصّرة، يقول: مأواكم عذاب القائم الّذي كنتم تسمّونه مولانا ثمّ تكفرون به وتعادون أولياءه، وفي القرآن تورية في أشخاص محمودة ومذمومة، فمنه ما قصّه الله بالحمد ثمّ جعله مثلاً لأهل الذّمّ وهو يحتمل الحمد والذّمّ ومعناه المفصول في الأصل محمودٌ، ثمّ فرّعه الله بالذّمّ ومنه ما قصّه الله بالذّمّ وجعله مثلاً لأهل الحمد ومعناه المقصود في الأصل مذمومٌ، ثمّ فرّعه الله إلى الحمد وعلى هذا

لمثال ما جاء في القرآن أنّ الملائكة محمود الأصل وقد يحتمل هذا الكافرين، والمحمود أحمد في هذا الاسم لأنّ المحمود متّفقٌ في الأصل والفرع وأصلهما من شيءٍ واحدٍ وفرعهم من شيءٍ واحدٍ وصورهم في التّقلّب واحدٌ والمذمومون صورهم مختلفةٌ في التّقلّب وفي الفرع مختلفين وإن كانوا في الأصل واحداً فالملائكة الّذين علّموا الملكوت فهم ملائكة الله وكذلك كلّ من كان في علم الشّيطان الملعون قائماً به فقد سلك علم الشّيطان، والدّليل على ذلك قول الصّادق: إنّ الملائكة ليمرّون بالزّمرة من الملائكة وهم في فضلنا فيقول بعضهم لبعضٍ كفّوا حتّى يجوز هؤلاء، ثمّ قال: إنّ من الملائكة من لا يسوى كشة بقلٍ فقد دلّ هذا على أنّ الملائكة الّذين يتجاوزون فضل السّادة هم أهل الباطن وإنّ الملائكة الّذين مرّوا بهم هم أهل الظّاهر وقوله: إنّ منهم من لا يسوى كشة بقلٍ يريد ممّن كان يروي عن الصّادق ولقيه وشافهه ثمّ لم يحتمل علمه وهو يتولاّه في الظّاهر فيستر علم الظّاهر عن المرجئة فقد ملك علم الظّاهر وصدّ عن الباطن.

حدّث مبارك عن محمّد عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن عبد الرّحمن بن عن حمران بن أعين عن أبيه قال: قال الصّادق: تجلسون وتتحدّثون وتذكرون فضلنا فإذا جاءكم من لا يحتمل فأمسكوا.

قلت: أي والله قال إنّ الملائكة يجتمعون ويذكرون فضلنا فإذا جاءهم من لا يحتمل أمسكوا، قلت: جعلت فداك ومن الملائكة من لا يحتمل فضلك م؟

قال: أي والله إنّ من لا يسوى كشّة بقل.

الفقر المحمود هو الزّهد في الدّنيا والتّخلّي عنها والفقر المذموم هو الجّهل والجّهل هو الكفر وهو علم الضّدّ وكذلك الغنى المحمود هو علم الله والغنى المذموم المستغني بالأضداد عن أهل الحقّ الآلهة المذمومة المدعوّة من دون الله هم أئمّة الجّور وكذلك كلّ من عبد غير الله وأومأ إلى إله غيره وذلك أنّك لا ترى أحداً من العالم إلاّ وهو يومي إلى الله ومنه قوله: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» الآية، فإن سألت أحدهم فقلت له الله الّذي رضي فعلك قال: نعم.

فقد علمت أنّ ذلك إبليس لأنّه قد زيّن له والله لا يرضى بالكفر ومنه قول أمير المؤمنين يوم النّهروان وقد صافقهم في الحرب: يا ابن وهب، الّذي منحك دماءنا هو الله ربّكم؟

فقالوا: بأجمعهم نعم.

فقال هو: إذاً غير ربّنا، ثمّ قال لأصحابه شدّوا عليهم فقد عبدوا الشّيطان وكفروا هنا بالرّحمن.

الشّيطان: محمودٌ في وجهٍ مذمومٌ في وجهٍ، الشّيطان المذموم هو الّذي طغى على الله والمحمود الّذي يعذّب الإنسان وقال: ومن الشّياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنّا لهم حافظين، وفي قوله: «أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا».

الجّنّ المحمود وهم الّذين استجنّوا عن العالم بالمعرفة وهم أرواحٌ بلا أبدان، والجّنّ المذموم هم المسوخ.

والمارق محمودٌ ومذمومٌ، فالمحمود الّذي مرق من دولة إبليس وشيعته والمذموم الّذي مرق عن الحقّ وخرج عن الأنبياء.

والملائكة هم أتباع المقام والدّاعي بالتّصريح، والدّاعي بالرّسالة في كلّ وقتٍ فإنّما تقع المخاطبات عليهم، وممّا يدلّ على ذلك قول أمير المؤمنين علمنا صعبٌ مستصعبٌ لا يحمله إلاّ ملكٌ مقرّبٌ أو نبيٌّ مرسلٌ أو مؤمنٌ إمتحن الله قلبه للإيمان.

فأعلمك أنّ هؤلاء يحملون الصّعب من علمهم وقال أبو عبد الله: وإنّ من علمنا ما لا يحمله ملكٌ مقرّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ ولا مؤمنٌ ممتحنٌ، فدلّ أنّ هؤلاء ليس هم أولئك الّذين ذكرهم أمير المؤمنين وعلمهم على درجاتٍ ومراتب بهذه الأسماء لأنّ كلّ من لقي الحجّة وسمع منه وأخذ عنه فهو ملكٌ، ومن نبّأ عنه بحقيقة فهو نبيٌّ، وكلّ من أرسله إلى قومٍ رسولٌ فالرّسول والنّبيّ والمؤمن في الدّرجة الثّانية لا يحتملون علم الرّسول والنّبيّ الّذي في الثّالثة والرّابعة وما فوقهما ومنه قوله: قد اطّلع سلمان على علمٍ لو اطّلع عليه المقداد لكفر به واطّلع المقداد على علمٍ لو اطّلع

عليه أبو الذرّ لكفر به، واطّلع أبو الذرّ على علمٍ لو اطّلع عليه عمّار لكفر، واطّلع عمّار على علمٍ لو اطّلع عليه عثمان لكفر واطّلع عثمان على علمٍ لو اطّلع عليه أهل الدنيا لكفروا به، فدلّ هذا على أنّ قوله في المحكم يا أيّها النّبيّ ويا أَيُّهَا الرَّسُولُ وجميع المعاتبات وغيرها هي لهؤلاء ولمن كان دونهم.

وقال في كتاب الأشخاص وغيره: أنّ المنبّأين كانوا على عهد النّبيّ سبعة عشر رجلاً ولكلّ واحدٍ منهم أخبارٌ وتفسيرٌ في القرآن يطول ذكرهم وهم زيد بن حارثة وسعد بن معاذ وثابت بن أبي الأفلح وأبيّ بن كعب وتميم الدّاري ومعاذ بن عمر وثابت بن قيس وسعد بن مالك وعمر بن تغلبة وخزيمة بن ثابت وحارث بن النّعمان وأبو دجانة سماك بن خرشنة وعمّار بن ياسر وعبد الله بن حزام وأبو الهيثم مالك بن التّيهان وحزام بن حيّان وأبو لبانة وعمر بن الحمق، وقد بعثوا هؤلاء رسلاً، فما كان في القرآن من خطابٍ وعتابٍ فهو لهؤلاء.

وحدّثني السّيّد الخصيبي عن عبد الله بن أيّوب القمّيّ قال: أخبرني أبو المثنّى عمر بن المختار عن عبد الله بن معاوية بن عبد الله عن الصّادق في كتاب المراتب والدّرج ذكرنا منه موضع الحاجة في هذا الفصل بعد ذكره المراتب والدّرج وعدد من يحلّها من الأولياء وقد قدّمنا ذلك في باب الإبتداء قال: ثمّ إنّ الله لمّا كرّر الخلق بعد الدّعا بالمواليد والتّربية دعاهم وجعل لهم السّبيل والإستطاعة إلى الطّاعة والمعصية، فمن آمن وأقرّ بأنّه هو اتّخذه وليّاً وألزمه الأسماء المحمودة ومدحه في كتابه وقرنه بنفسه وأقسم في مواضع القسم إجلالاً وإعظاماً ولزم الكفّار الأسماء المذمومة ولعنهم في كتابه وبريء منهم ومن أفعالهم وأشياعهم.

الأسماء المحمودة

قلت: جعلت فداك ما هذه الأسماء المحمودة فسّرها لي؟

قال: هي على خمسة حدود.

١) فالحدّ الأوّل هو كلّ اسم اختاره الله لنفسه واتّخذه وليّاً واصطنعه ولم يجعله لأحدٍ سواه وهو قوله: «ولَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ

والأَرْضِ وهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» وقوله:«لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ» وقوله:«ولِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنى» وقوله:«ولِلَّهِ مُلْكُ السَّماوات والأَرْضِ» وقوله:«فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً» وقوله: «أَلا لَهُ الْخَلْقُ والأَمْرُ».

٢) وأمّا الحدّ الثّاني، فهو كلّ إسم قرنه الله بنفسه وأضافه إليها وأقامه مقامها وهو قوله: «كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» وقوله: «تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ والإِكْرامِ» وقوله:«إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ ورُسُلِه» وقوله: «رَحْمَتُ اللَّهِ وبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» وقوله: «وعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وعْدَهُ» وقوله: «أَ فَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ» وقوله: «كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وأُحِلَّ لَكُمْ ما وراءَ ذلِكُمْ» وقوله: «وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ» وقوله: «ولكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ والْمَلائِكَةِ والْكِتابِ والنَّبِيِّينَ» وقوله:«مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ ومَلائِكَتِهِ ورُسُلِهِ وجِبْرِيلَ ومِيكالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُو لِلْكافِرِينَ» وقوله: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُو والْمَلائِكَةُ وأُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلاَّ هُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» وقوله: «واعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ولِلرَّسُولِ ولِذِي الْقُرْبى والْيَتامى والْمَساكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ»، فهذه الأسماء قرنها بنفسه ولم يقرنها بغيره.

٣) وأمّا الحدّ الثّالث فهو كلّ اسم افتتح به كلامه في كتابه وأقسم به في اخباره وهو قوله: الم، ذلك الكتاب والم و«المص، كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ» و:«المر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ» و:«الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ » والم تلك آيات الكتاب وقرآن مبين وطه وص وحم ويس ون والقلم وما يسطرون وق والقرآن المجيد وقوله: والنّجم إذا هوى والطّور

وكتاب مسطور في رقٍّ منشور والبيت المعمور والسّقف المرفوع والبحر المسجور وقوله والذّاريات ذرواً فالحاملات وقراً فالجّاريات يسرا فالمقسمات أمرا وقوله والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا وقوله والسّماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود وقوله والفجر وليالٍ عشر والشّفع والوتر واللّيل إذا يسر وقوله والشّمس وضحيها والقمر إذا تلاها وكذلك كلّ ما كان في القرآن من الأقسام فهي أشخاصٌ وأقسامٌ معلوماتٌ.

٤) وأمّا الحدّ الرّابع فهو كلّ اسمٍ فرض الله طاعته على العباد وقبولهم منه والقيام به والخفض والسّعي إليه مثل قوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا» وقوله تعالى:«يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً» وقوله: «فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ» و:«وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ وأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» وقوله: «ولَو أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ والإِنْجِيلَ وما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ» وقوله: « الم، اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وأَنْزَلَ التَّوْراةَ والإِنْجِيلَ، مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وأَنْزَلَ الْفُرْقانَ» وقوله: «إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ وذَرُوا الْبَيْعَ» وقوله: «ذلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآياتِ والذِّكْرِ الْحَكِيمِ» وقوله: «وأَتِمُّوا الْحَجَّ والْعُمْرَةَ لِلَّهِ» وقوله: «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنَّاسِ والشَّهْرَ الْحَرامَ والْهَدْيَ والْقَلائِدَ» فهذه الأسماء الّتي فرض الله على العباد قبولها والعمل بها والإنقياد إليها وجعلها الأدلّة عليه.

٥) وأمّا الحدّ الخامس: فهو كلّ اسمٍ ذكره فحمده بفعله وعرف الخلق طاعته وذكر اجتهاده والمبالغة في رضاه وقبول أمره ومحافظته على حدوده وفروضه وهو قوله:«الم، ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ ومِمَّا رَزَقْناهُمْ

يُنْفِقُونَ» وقوله:«آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ والْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وقالُوا سَمِعْنا وأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» وقوله:«الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا إِنَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وقِنا عَذابَ النَّارِ، الصَّابِرِينَ والصَّادِقِينَ والْقانِتِينَ والْمُنْفِقِينَ والْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحارِ» وقوله:«التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ والْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ».

وليس يخرج وليٌّ من أولياء الله من هذه الحدود الخمسة فاعلم ذلك.

قلت: إنّه قد يأتي من الأسماء ما يشتكل عليّ فلا أدري محمودٌ هو أم مذمومٌ.

قال أبو الحسن: يا عمر: ما يشتكل عليك منها فاقصد إلى قرينه، فإن كان قرين الاسم محمودٌ وإن كان القرين مذمومٌ فالاسم مذمومٌ.

قلت: جعلت فداك اشرح لي ذلك.

فقال: إنّ الأسماء على ثلاثة ضروب: اسمٌ محمودٌ واسمٌ مذمومٌ واسمٌ مهملٌ، فما كان محموداً فهو وليّ الله وما كان مذموماً فهو عدوّ الله وما كان مهملاً فهو من الّذين قال الله فيهم: «وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»، فأمّا القرينة الّتي تكون مع الاسم دليلاً فإذا رأيت اسماً قد وقع عليه ذكر كفراً أو عصياناً أو سخط أو لعنة أو ما كان من الأفعال المكروهة المنهي عنها فاحكم على ذلك الاسم بالذّمّ، وإذا رأيت الاسم وقع عليه ذكر إيمانٍ أو طاعةٌ فاحكم عليه بالحمد، وإذا رأيت الاسم لا يقع عليه من هذه الضّروب شيءٌ فلا تلزمه حمداً ولا ذمّاً، وقد تجري أسماء على لفظٍ واحدٍ فيكون بعضها محموداً وبعضها مذموماً تعرف ذلك بقرينة الاسم، فمن ذلك قوله تعالى: «يا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» فهذه أرضٌ محمودةٌ وقوله:«ونَجَّيْناهُ ولُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها» فهذه محمودةٌ، ثمّ ذكر الارض المذمومة فقال: «فَخَسَفْنا بِهِ وبِدارِهِ الأَرْضَ» وقال:«ومِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ ويَعْمَلُونَ عَمَلاً

دُونَ ذلكَ وكُنَّا لَهُمْ حافظِينَ» فهؤلاء محمودون لأنّ الله لا يحفظ إلاّ مؤمناً فقال:«وما كَفَرَ سُلَيْمانُ ولكِنَّ الشَّياطينَ كَفَرُوا» فهؤلاء مذمومون وقال:«قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ استَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ» فهؤلاء محمودون مؤمنون، ثمّ قال:«يا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ استَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ» الآية وقال:«وهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ والْبَحْرِ» فهؤلاء محمودون، ثمّ قال:«فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ» فهذه مذمومةٌ، وقوله: «ونَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكاً فَأَنْبَتْنا بِهِ جَنَّاتٍ وحَبَّ الْحَصِيدِ» فهذا محمودٌ وقوله:«لَمَّا طَغَى الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ» فهذا مذمومٌ، والمهمل الّذي لا يجب عليه حمدٌ ولا ذمٌّ مثل قوله تعالى:«ولَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ» فهذه الأرض لا يجب أن تحمد ولا أن تذمّ لأنّها لم يذكر لها فعلاً محموداً ولا مذموماً ومثله:«ألم تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا» فهؤلاء ليس لهم قرينة توجب حمداً ولا ذمّاً، فيجوز أن يكونوا محمودين لأنّ الله أرسلهم، ويكونوا مذمومين لأنّ الله سلّط على الكافرين، وقد قال الله:«وكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً».

ثمّ قال بعد كلام طويل: سألته عن أسماء المؤمنين أهل المراتب في الملكوت الّذين حلّوا في الأجسام النّورانيّة هل هي مثل أسمائهم نبينا؟

قال: إنّما يدعون في الرّقيع الأعلى بعيداً لله لا بغيره، أما تسمع قول المسيح: «قال إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وجَعَلَنِي نَبِيًّا» فسمّى نفسه بالاسم الحقيقيّ.

قلت: فإذا استوت أسماؤهم، فكيف يعرف بعضهم من بعض؟

قال: إنّما جعلت هذه الأسماء المختلفة لأصحاب الأجسام الكثيفة الّتي تسير بعضها إلى بعض، فالأجسام النّورانيّة فصاحبها يبلغ حيث يشاء من وقته.

قلت: فقد نرى النّجوم تسمّى بأسماء مختلفة وهي نازلة في الملأ الأعلى؟

قال: إنّما سمّيت بالأسماء المختلفة عندنا لا عندهم، وإنّما فعل ذلك لحاجتنا إليه ولولا ذلك ما فعل.

حدّثنا أبو عليّ محمّد بن عبد الله بن جعفر عن سعد بن عبد الله عن محمّد بن الحسين عن صفوان بن يحيى بن ذريح بن محمّد قال: سمعت أبا عبد الله كان يقول: إنّ أبي ونعم الأب يقول: لو أجد ثلثة رهطٍ أستودعهم العلم وهم أهلٌ لذلك الحديث فما كانوا يحتاجون فيه إلى نظرٍ في حلالٍ ولا في حرامٍ ولا ما كان وإلى ما يكون إلى أن تقوم القيامة.

وبالإسناد عن سعد بن عبد الله عن أحمد ومحمّد ابني محمّد ومحمّد بن الحسن والهيثم بن مشرق عن الحسن بن محبوب عن عليّ بن حبّاب عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله: أما والله لو وجدت منكم ثلاثة مؤمنين يكتمون حديثي ما استحللت أن أكتمهم شيئاً.

حدّثني أحمد بن القاسم عن محمّد بن جعفر عن عون الأسديّ عن سهل بن زياد عن محمّد بن رومة عن النّصر بن يحيى عن أبي خالد القمّاط عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر: ما أقلّنا لو إجتمعنا على شاةٍ ما أفنتيناها.

قال: ألا أحدّثك بحديثٍ أعجب من ذلك، من أنّ المهاجرين والأنصار ذهبوا إلاّ وأشار بيده إلى ثلاثة.

قال حمران: قلت: جعلت فداك ما حال عمّار.

فقال: رحم الله عمّار أبا اليقظان فإنّه وافق أمير المؤمنين وقتل شهيداً.

فقلت في نفسي: ما أفضل من الشّهادة.

فنظر إليّ وقال: لعلّك ترى أنّه مثل الثّلاثة؟ هيهات هيهات، قلت الثّلاثة: سلمان والمقداد وأبو الذّرّ.

وبإسناده عن ابن رومة عن جعفر بن بشير عن يحيى بن عاصم عن المفضّل بن قيس عن أبي عبد الله قال: كم شيعتنا بالكوفة؟

قلت: خمسون ألفاً، فما زال يقلّحتّى قال: نرجو عشرين، ثمّ قال: والله يا مفضّل لوددت شيعتنا بالكوفة خمسة وعشرين رجلاً يعرفون أمرنا الّذي نحن عليه لا يقولون علينا إلاّ الحقّ.

قال: حدّثنا محمّد بن أرومة عن محمّد بن سنان عن قتيبة الأعشى عن أبي عبد الله قال: المؤمنة أعزّ من المؤمن والمؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر، فهل رأى أحدكم الكبريت الأحمر.

وإذا تأمّل ذو البصيرة هذه الأخبار في قلّة المؤمنين هذا وهم في أيّام أبي جعفر وأبي عبد الله متوافرون علم الحقّ في توحيد العليّ الأعلى العلاّم لأنّه قد نفى الجمّ الغفير من الشّيعة ولم يثق بهم وأشار إلى النّفر اليسير من العدد فهم الموحّدون، وكذلك في قوله: حديثنا صعبٌ مستصعب لا يحمله إلاّ ملكٌ مقرّبٌ أو نبيٌّ مرسلٌ أو مؤمنٌ امتحن الله قلبه للإيمان.

فقد رأيت يحمل هذا الظّاهر الكثير من الشّيعة وإنّما يحمل الصّعب المستصعب النّفر القليل وهم الموحّدون.

حدّثني أبو سليمان أحمد بن هودة قال: حدّثني إبراهيم بن إسحاق قال: حدّثني عبد الله بن حمّاد عن صبّاح المزنيّ عن الحارث عن الأصبغ بن نباتة قال: جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين فقال له: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الدّابّة الّتي تخرج في آخر الزّمان؟

فقال عليٌّ والله إنّي لأعرفها وأعرف أباها وأمّها وانّها لتأكل وتشرب وتمشي في الأسواق.

وبالإسناد عن عبد الله بن حمّاد عن عمر بن شمّر عن جابر عن أبي جعفر قال: إذا بعث الله العباد وأتى بالأيّام يعرفها الخلائق بأسمائها يقدّمها يوم الجّمعة له نورٌ ساطعٌ ويتبعه سائر الأيّام كأنّه عروسٌ كريمةٌ ذات وقارٍ تهدي إلى ذي حلي وإيثار يكون يوم الجّمعة شاهداً لمن حفظه وسارع إلى يوم الجّمعة، ثمّ يدخل المؤمنون الجنّة على قدر سبقهم إلى الجّمعة.

حدّثني محمّد بن همّام عن عبد الله بن جعفر عن إبراهيم بن هاشم ويعفور بن مرشد والحسن بن طريف عن محمّد بن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله قال: إنّ الكلام يتصرّف على سبعين وجهاً لو يحفظ متحفّظ ما كذب.

الباب السّادس

معرفة الأشخاص المحمودة وأنّها باطن التّكليف المأمور به

قال الله تبارك وتعالى: «لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وأَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ ولا جُنُباً إلاَّ عابِري سَبيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا» وقال: «إنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً» وقال في الصّلاة: «يا شُعَيْبُ أَ صَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا أَو أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوالِنا ما نَشؤُا إنَّكَ لأَنْتَ الْحَليمُ الرَّشيدُ» الآية.

الغسل والطّهارة: روى مؤلّف كتاب الهفت والأظلّة عن أبي عبد الله في قوله: «وكانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ والزَّكاةِ» فالصّلوة أمير المؤمنين والزّكاة معرفته، وأمّا إقامة الصّلاة فهي معرفتنا وإقامتنا وقال الله: «ولا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ ولا تُخافِتْ بِها» فدلّ على أنّها المعرفة، والدّليل على أنّ المأمور به من الصّلوة ليس بحركات الأعضاء وإختلافها في الأمم والشّرائع في الظّاهر، فأمّا في الباطن فلا إختلاف فيها وقال: «إنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ والْمُنْكَرِ ولَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ» وقال: «وذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى» فدلّ على أنّ الذّاكر لربّه مصلّي وقال أبو شعيب في كتاب المثال والصّورة: الخمس صلوات محمّد وفاطر والحسن والحسين ومحسن.

وقال إسحاق في كتاب الصّراط قال: حدّثني محمّد بن عبد الله عن صالح بن عقبة عن أبيه عقبة عن أبيه الصّادق أنّ رجلاً دخل عليه فقال: أنت القائل إذا عرفت فلا أبالي أن لا أصلّي وهم الصّلوة ونحن أفضل من الصّلاة نحن جعلناها للأنام كالثّياب، فإذا ترك الصّلاة عري الأنام فيستقم لأحدكم أن يكون عرياناً يمشيفي الأسواق جميع ظاهر الفرائضلازم لأهل الظّاهر مفترضٌ عليهم على جهة الآصار والأغلال والأعمال الّتي لا يقبلها الله إذا كانوا جاهلين بالله غير عارفين به وهي مفترضةٌ على أهل الباطن والمعرفة بالله سبحانه على جهة التّأديب والتّقيّة وإقامة الظّاهر منها، فمن تركها وضيّع إقامتها على هذا المعنى فقد تعدّى حدّاً من حدود الله وضيّع فرضاً من فروضه وهو التّقيّة اللازمة والأدب المأمور به وبالله التّوفيق إلاّ

أن تكون ممّن تقدّمنا في ذلك ممّن له منزلة مثل أبي الخطّاب ويحيى بن أمّ الطّويل وغيرهم من أهل المراتب.

وأمّا **الغسل من الجنابة** باطناً فإنّه شيءٌ يخالط النّفس والرّوح من الشّيطان حتّى يسأل الرّوح.

قال الأحمر الغائط هو الأوّل والثّاني البول والثّالث النّعثلي والرّيحين المصوّتة والخفيّة خليلتيهما، فمن قارب شيئاً من أسباب الثّاني فهو الجنابة وهو أن يبتلي الإنسان بذكر مدح له أو ثناء عليه أو رواية فيها شيءٌ من فضله أو يقيم شيئاً من سنّته أو بدعة من بدعه يريد بها الحظوة عند ولده في الدّنيا والقرب منهم فقد أجنب في الزّنا والزّنى هو هو وعليه الغسل والطّهارة ممّا قارب الألمام بالباب يذكر بدعه وفضله على الأضداد، وقال فيه، وأقم الصّلاة وأقيموا الصّلاة وإقامة الشّيء نصبه في المعرفة ولا تطرحه، ثمّ فرض على من عرفه إقامة الإستهزاء عنه إذا وجب إقامته حتّىيفوته الوقت وهو غيبته عنه بإظهار الموت ألا يعرف ذلك الشّخص حيّاً بعينه لأنّه بظاهر الحيرة فتكون قد سهوت عن صلاة حتّى ذهب وقتها وفاتك أداء فرضها بمعرفتها وقضاء ما يجب لها ودخل وقتٌ آخر، فعليك القضاء لما فاتك والقضا أن تعرف فرض صلاةٍ من قبل وجوب فرضها وسجدتا السّهو مقام يتيمين من قبل وقت قيامها، فالصّلاة هي أربع ركعاتٍ معرفة طلوع الشّخص الّذي هو معنى الصّلاة المفروضة في ظاهر الأمر أربعة أشخاص والصّلوة الّتي ركعتان فعلى ذلك المثال وهو أن يطلع شخص الصّلاة في ذلك العدد وأشخاص الفريضة جوهرةٌ واحدةٌ وأشخاص النّافلة جوهرة دون ذلك الجّوهر **فالفريضة جوهرة النّفس والنّافلة جوهرة الأيتام**، وقيل جوهرة الرّوح.

حدّثني الحسن بن محمّد عن الحسن بن عليّ العلويّ عن الحسين بن إبراهيم عن أبي خديجة عن يونس بن ظبيان عن الصّادق منه الرّحمة قال: الصّلاة أمير المؤمنين والقراءة فيها الإقرار بوحدانيّته.

والصّلوات الخمس الحجب النّوريّة **والأذان** الباب الدّاعي إلى الله، **والإقامة** والمقام أمير المؤمنين، ومعنى **المسجد** معرفة الله، فمن دخل معرفة الله فقد دخل المسجد، ومن كبّر في المسجد على معرفةٍ فقد وحّد الله، ومن كبّر على غير معرفةٍ لم ينفعه ذلك شيئاً **والجّماعة** إجتماع المؤمنين على وحدانيّته والعمل بما أمرهم ونهاهم.

قال المفضّل المسافر هو الطّالب الّذي لا يعرف إلاّ محمّد وسلمان، فليس عليه في ذلك الوقت إلاّ ركعتان وهما معرفتهما حتّى ينقضي سفره ويتمّ معرفته فيعلم أنّ الأربعة واحدٌ، وفي وجهٍ آخر المسافر هو المؤمن في دولة إبليس مسافراً أبداً إذا كان في أرضٍ غريبةٍ، وفي وجهٍ آخر المؤمن مسافر ما دام أهل الخلاف، فإذا خلا مع إخوانه فقد وصل إلى أهله، قال أبو اللّيث محمود الشّاشي في كتاب المرشد: حدّثنا الحسن بن منذر قال: حدّثني محمّد بن عبد الله بن مهران عن محمّد بن سنان عن المفضّل منه السّلام قال: قال المولى الصّادق: من ترك صلاة الفريضة ظاهراً وباطناً فقد كفر وأشرك بالله ما لم ينزل به سلطانٌ.

قلت سيّدي: **صلاة الفريضة** في الباطن ما هي: قال: هي معرفة أشخاص الأئمّة.

قلت: سيّدي، فما **صلاة السّنّة**؟

قال: معرفة الحجب حجب الله والدّعاة إلى دينه والقوام بقسطه.

قلت: **الصّلاة النّافلة**؟

قال: معرفة العلويّين العارفين من آل أبي طالب.

وقال بعضهم أنّه لمّا تشخّص العليّ العلاّم بأشخاصٍ كثيرةٍ وجبت على النّاس الفرائض الكثيرة ولمّا اصطفى أبوابه وأيتامه ونقباءه ونجباءه وجبت على الخلق النّوافل إذ كانت طاعة الرّسل من طاعته.

وحدّث أبو نصر القاشاني عن أبي يعقوب إسحاق بن محمّد عن محمّد بن عبد الله بن مهران عن محمّد بن سنان قال: سألت سيّدي ومولاي عن قوله: «ولَو لا دَفْعُ

اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً» فقال: يدفع الله لعباده المحتجب عن الحجاب ولو عبدوه دون المحتجب لهدمت **صوامعٌ** وهي الدّعاة إلى الله وهي مقامات محمّد وهي صورته ونوره وحجابه **والبيع** الأبواب، **والصّلاة المفترضة** نفس الله ومقامه وتقدّست أسماؤه، **والنّافلة** الأنبياء **والمساجد** المؤمنين من أصحاب المراتب لأنّ كلّ مؤمنٍ مسجد لمن هو دونه في المعرفة وقبلته يذكر فيها اسمه كثيراً لهدمت لعطّلت عن علم الملكوت يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ يقول في أوّل ما يحتجب في أوّل النّهار وأصيله، **فأوّل النّهار** ظهوره **وأصيل النّهار** غيبته، وأوّل صلاة اللّيل هو أوّل حجاب اللّيل المغرب والعشاء والفجر لأنّها حجاب اللّيل فيجهرون في الظّلمة ولا يجهرون في صلاة النّهار الظّهر والعصر، لأنّه حجابٌ نوريٌّ ظاهرٌ موجودٌ والجّهر يوم الجّمعة هو الّذي يجمع الله فيه الخلق ويقع الكشف والجّهر وقوله: «أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً» قال: **المساجد** مقامات الأوصياء لأمير النّحل وقوله: «خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ» قال: خذوا **العلوم** وهم الأئمّة في الباطن، وقيل **المسجد الحرام** محمّد لأنّه حرامٌ جهله، وروي أيّ موضعٍ قتل فيه شيطانٌ مؤمناً سمّي ذلك مسجداً وروي أنّ **عمارة المساجد** برّ الإخوان **الطّهارة** معرفة أمير المؤمنين بالحقيقة، فمن عرفه ظهر من النّجاسات وهم الأضداد، **باطن الماء** معرفة الباب وبه حياة المؤمنين وبمعرفته يتطهّرون من الأقذار في الأنجاس وهي ولاية الطّواغيت.

المضمضة: معرفة قنبر، **وغسل الوجه** معرفة محمّد، وقيل تنظيف جبهتك الّتي تومي بها إلى الله، وقيل توجّهك إلى الباب، **وغسل الذّراعين** معرفة اليتيمين المقداد وأبي الذّرّ، **ومسح الرّأس** محمّد **ومسح الرّجلين** فاطمة، **الجّنابة** الشّكّ وميلك إلى الأضداد، فمن والاهم فقد جانب الله وهو جنب إلى أن يتبرّأ منهم، وباطن آخر أنّ كلّ من ذكر إخوانه وكذب عليهم أو أفشا سرّهم فهو جنبٌ مجانبٌ الإيمان إلى أن يستغفر الله ويتوب إليه، **والغسل من الجّنابة** البراءة من الأضداد وشهادة الحقّ الإقرار بالمعنويّة والعبوديّة، الأذان الدّاعي إلى الله في كلّ وقتٍ وهو النّاطق،

والإقامة الباب وهو الصّامت والقبلة في بعض الرّوايات هو الله العليّ الأعلى المتوجّه إليه بالمعرفة والطّاعة وهو القبلة لكلّ مصلٍّ إذ كانت الصّلاة معرفته، وفي روايةٍ أخرى: أنّ **القبلة** محمّدٌ لأنّه أمر العالم إليه **والإمام** في الباطن الباب وبه يأتمّ المؤمنون وإليه قصدهم وبه يتوجّهون إلى الله وهو السّبب بينه وبينهم، **والصّفوف** فهو إجتماع المؤمنين على وحدانيّة الله، فمن لم يدخل في جماعة المؤمنين العارفين بالله العليّ العظيم فلا صلاة له، **وإفتتاح الصّلاة** معرفة الباب لأنّ الباب الدّالّ على البيت، فأمّا **التّكبير** فهو سبع تكبيراتٍ، فالتّكبيرة الأولى هو الوليّ وله تعتقد الصّلاة، فلمّا أقام الوليّ ظهر له في صورة العليّ فكبّره وعظّمه حتّى ظهر له سبع صورٍ يقول الله أكبر من هذه، القراءة توحيد الله ومعرفته والقرآن محمّد وهو الّذي فرّق بين الحقّ والباطل، والرّكوع خضوعك لله وللباب، **فإذارفعت رأسك** معناه أنّك عرفت الله حقّ معرفته، **والسّجود** قيل فيه أنّه الحسن والحسين **والتّشهّد الأوّل** فاطم **والقنوت** معرفة سلمان.

وروى إسحاق بن محمّد الأحمر في كتاب باطن التّكليف قال: حدّثني يحيى بن عبد الله السّبيعي قال: حدّثني عمر بن أسمر عن جابر عن الصّادق في قوله: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ والْمُنْكَرِ» قال: معرفة أمير المؤمنين في باطن القرآن هي **الصّلوة** ومعرفة الشّيء يا جابر خلاف الشّيء، وبالإسناد عن جابر عن الباقر في قوله: «أَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ» قال: الصّلاة في باطن القرآن محمّد **والزّكاة** الحسن والحسين.

عن إسحق قال: حدّثني الحسن بن حمّاد العبديّ عن عليّ بن شجرة عن المفضّل في قوله: «**وذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**» قال: من ذكر محمّداً بحقيقة الذّكر فقد صلّى لأنّ محمّداً اسم الله الأعظم.

قال إسحاق: حدّثني أحمد بن قيس الجّعفي عن أبيه قيس بن نعلي عن عمر بن عمر عن جابر عن الباقر في قوله: «إِنَّ اللَّهَ ومَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ» الآية، قال: صلّوا عليه أي اعرفوه حقّ معرفته وسلّموا له الطّاعة تسليماً، ثمّ قال، الصّلاة

معرفة المعنى جلّ ذكره وكلّ صورة يظهر بها فهي صلاة والصّلاة الاسم الّذي يظهر فيه قدرته ويجعله مرّة صورة ومرّة مثالاً ومرّة قريباً ومرّة بعيداً دلّ على أنّ الكتاب الموقوت كما قال: «هُو الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ» الصّلاة محمّد وقوله: «أَنزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ» فجماعة الصّلاة الخمسة في الجّملة محمّد وفاطر والحسن والحسين ومحسن، وهم محمّد الظّهر فاطر العصر الحسن المغرب لاشتباه المعرفة لقولهم بايع معاوية والحسين العتمة خالص الظّلمة والحيرة بقولهم القتل، وإنّما سمّي حاير لتحيير النّاس فيه، محسن الغداة وهو وقت الخفية لقولهم: لم يظهر، والمؤذّن في الجّملة سلسل، ثمّ تبرز هذه الأشخاص في أوقاتٍ عدّة وكذلك يبرز بابه الدّاعي فيه أشخاصاً كثيرة، فكان اسم صلاة الظّهر للظّهور، فحذفت الواو وخفّفت والزّوال من الشّمس وهو محمّد وتوسّطه في كبد السّماء وارتفاعه أرفع المقامات وإزالة المعنى عنه إلى الله، وقيل سمّي زوال لأنّه أوّل شيء زال عن الله من الحقّ وهو محمّد، وقال صلاة الخوف طالب بن أبي طالب لمقامه في الكفر وتذكّره الذّاكر وهو خائف وجعفر بن أبي سفيان بن الحارث، وقال: **صلاة الاستسقاء** محسن لأنّه الماء في الباطن وهو موكل بالمياه المرغوب إليه في إنزال القطر، ثمّ يصير أبو الذّرّ سماء وهي دعاءٌ ورغبةٌ ليس فيها ركوعٌ ولا سجودٌ وهو الوقت الّذي يظهر الوليّ فيه الصّمت فيصير ذلك بالّذي دونه فيرغب إلى الله أن يجري الماء فيه وهو النّاطق يتعلم، **وصلاة الآيات** وهو إظهار عليّ في النّورانيّة وكشف أمره بين هذا العالم فيرغب المؤمنون إلى الشّخص الّذي يدعى صلاة الآيات وهو عبد الله بن رواحة في تسهيل ذلك عليهم وهو عشر ركعاتٍ وأربع سجداتٍ يدلّ على عشر مناطق لم يحتج لعبد أن يعظم فيها وأربع توابع صمتٌ تدلّ على أنّهم راضون لمقاربة الأرض من السّجود.

قال إسحاق بن محمّد الأحمر في كتاب باطن التّكليف وفي كتاب الصّلاة وقد رواه غيره عن أشخاص الصّلاة الخمس صلوات الخمس محمّد وفاطر والحسن والحسين ومحسن وهم واحدٌ الزّوال ثمان ركعات عمر والعبّاس ومحمّد بن الحنفيّة

ويحيى وعبد الله وأبو بكر وعثمان وجعفر ولد أمير المؤمنين، فرض الظّهر محمّد أربع ركعات محمّد وفاطر والحسن والحسين بعدها ثمان ركعات عبد الله ومحمّد وعون أبناء جعفر الطّيّار وأبو سفيان وجعفر ومحمّد وأبو الهياج ولد الحارث بن عبد المطّلب، العصر أربع ركعات الحسين والقاسم بن الحسين ومحمّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة وزينب وأمّ كلثوم إبنتا أمير المؤمنين بعدها أربع ركعات أبو الهيثم بن التّيهان وخزيمة بن ثابت وثوبان مولى النّبيّ وأبو سعيد الخدريّ، العشاء الحسين أربع ركعات محمّد بن عليّ وزيد بن الحسين وفاطمة وسكينة ابنتي الحسن بعدها ركعتين تعدّ بواحدة من جلوس زينب الحولاء العطّارة وأمة الله ابنة خالد بن سنان العبسيّ.

صلاة اللّيل: ثمان ركعات عبد الله والحارث والزّبير والمقوّم وحجل والغيداق بنو عبد المطّلب وعبيدة بن عبد المطّلب وعبد الكعبة.

والوتر ثلاث كعات أسد بن حصين وعبادة بن بشير وعمران بن الحصين ركعتان الفجر محمّد بن أبي بكر والقاسم بن محمّد بن أبي بكر.

صلاة الفجر ركعتان جعفر بن محمّد وفاطمة ابنة محمّد.

قال أبو عبد الله الخصيبي في كتاب الرّسالة وقد قرأته عليه: إنّ الثّمانية الّتي قبل الظّهر هم القاسم والطّاهر وعبد الله وزينب ورقيّة وأمّ كلثوم وهي آمنة وفاطمة وإبراهيم بنو محمّد وإنّ الفرائض كلّها في الظّهر والعصر والعشاء ومحمّد وفاطر والحيأسن والحسين وفي المغرب محمّد وفاطر والحسن والغداة محمّد وفاطر، وذكر صلاة اللّيل في موضع أنّه عبد الكعبة وعبيدة بن الحارث وأبو طالب وحمزة ابني عبد المطّلب وركعتا الفجر سعد بن مالك الأنصاريّ ونعيمان الأنصاريّ وقال: الستّركعات الموضوعات على التّمام شمس بن عبد المطّلب وهاشم والزّبير وعبد الله وأبو طالب بنوه لأنّهم ظهروا بلا شريعة، وكان التّكبير سبعاً والشّخص عمّار يريد الله أكبر من السّماء تكبيره والله أكبر من الأرض تكبيره والله أكبر من العرش

تكبيره والله أكبر من الكرسي تكبيره والله أكبر من الجنّة تكبيره والله أكبر من النّار تكبيره واله أكبر من العالم تكبيره.

ومعنى هذه الصلوة على الميّت المحمود وهي إماتة النّفس من كلّ شيء إلاّ من معرفة الله فذكر الله ويطلب الفهم عليه من الله في هذه الأشخاص أن يمدّه بعلومها والموت المذموم الكفر والصلوة عليه شهادة الله عليه في هذه الأشخاص وتعذيب كلّشخص له على جهته والله أجلّ وأقدر.

صلاة الأضحى ظهور الدّعوة وهو شخص القائم لقتله هذا الخلق المنكوس ألا ترى أنّ الأضحى عذاب البهائم و**الفطر** هو شخص الباب إذا ظهر وجب الأفطار فنطق المؤمنون ولله الحمد والمنّة.

وروى أحمد بن عليّ عن محمّد بن سماعة عن سعد الأسكاف في حديث قال: قلت لأبي جعفر: أيتكلّم القرآن: فتبسّم ثمّ قال: رحم الله الضّعفاء من شيعتنا إنّهم أهل رضى وتسليم، ثمّ قال: يا سعد والصّلاة تتكلّم لها صورة وخلق تأمر وتنهي.

قال سعد: فتغيّر لوني وقلت: هذا شيءٌ استطيع أن أتكلّم به في النّاس فقال سيّدي: وهل النّاس إلاّ شيعتنا ومن لم يعرف صورة الصّلاة فقد أنكر حقّنا، ثمّ قال: يا سعد: ألا أسمعك كلام القرآن؟

فقلت: بلى «إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ» والنّهي كلام الفحشاء والمنكر حال رجال ونحن ذكر الله ونحن أكبر، وقال: إذا شكّ أحدكم في معرفة الله وجب عليه أن يأتي الباب، فإن لم يقدر فليأت من هو أعلم منه وهو قول أمير المؤمنين: إذا خالط أحدكم **النّوم** وهو الشّكّ وجب عليه الوضوء وهو إتيان الباب وهو الماء، فإن لم يجد فالتّيمّم بالصّعيد وهو أخذ العلم من الشّيعة الموحّدين و**المضمضة** سنّة الفم وهي معرفة محمّد بن الحنفيّة، و**الإستنشاق** سنّة الأنف وهو قبر، وقيل في الوضوء: إنّ غسل الوجه معرفة الباب و**غسل الذّراعين** معرفة اليتيمين و**مسح الرّأس** معرفة النّقباء و**مسح الرّجلين** معرفة النّجباء ومنه قول الرّسول: إن نسيت فغسلت ذراعيك قبل وجهك فأعد الطّهر، يقول: إن كنت قدّمت

على معرفة الباب اليتيمين وجب عليك الرّجوع إلى ما فرض الله عليك على نسقه وحقّه، ومعنى **الذّراع الأيمن** المقداد **والأيسر** أبو الذّرّ، فلا يجوز أن تقدّم أبا الذّرّ على المقداد لأنّ المقداد اليتيم الأكبر وكذلك مسح الرّأس والرّجلين، وقوله في الخبر: إن غسلت قدميك لوضوئك إن كان بهما قذر فإنّ ذلك يجزيك عن المسح، يقول: إن عرفتهم بغير أسمائهم في وقت أخرى ذلك مع معرفة الباب واليتيمين لا يجب منه الوضوء إلاّ فيما أنعم الله به عليك ممّا خرج من طرفيك الثّفل والبول والرّيح وهو يتبرّئك من الأضداد وقوله: ليس من القيء والحجامة والرّعاف ولمس الذّكر وضوء، فهذه كلّها أشخاص أتباع الأضداد والظّلمة وهو إماطة الأذى.

والغسل أربعة عشر وجهاً منها ثلاثة فرضاً وهي غسل الجنابة وهو الشّرك بالله والثّاني تعريف المؤمن التّوحيد وهو غسل الميّت لأنّ الموت هو الكفر وغسل الكافر هو أن تأخذ عليهم العهود والمواثيق وتأمرهم بالتّقيّة وتحرّمعليه الإذاعة وما سوى ذلك من الغسل في الأوقات المذكورة فهو أن تعرف أنّ محمّداً نفس الله الّتي يقول فيها: «وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ».

وعن الحسن بن عليّ العلويّ عن محمّد بن إسماعيل عن الحسن بن الجّارود عن أبي عليّ الخراسانيّ عن عمر بن أبان قال: سألت أبا عبد الله عن قوله: «لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وأَنْتُمْ سُكارى» قال: تفسيره: لا تقربوا أي لا تتوالوا أمير المؤمنين حتّى تتبرّؤوا من أئمّة الضّلال، عن عمر بن جعفر عن أبي نعيم قال: حدّثني أحمد بن عبد الله قال حدّثني عليّ بن غراب قال: حدّثني جعفر بن محمّد عن أبيه محمّد عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين عن أمير المؤمنين إنّه قال رجل تعرف تأويل صلاتك؟

فقال: وهل للصّلاة تأويلٌ غير التّعبّد؟

قال: إنّ الله لم يبعث محمّداً بأمرٍ من الأمور إلاّ وله تأويلٌ، وكلّ ذلك يدلّ على التّوحيد، قال: فما رفع النّاس في الصّلاة الأولى في الرّكعة الأولى؟ قال: تأويله الله أكبر من أن يحسّ بالحواسّ أو يدرك بالأجناس.

قال: فما معنى مدّالرّجل عنقه في الرّكوع؟ قال: تأويله آمنت بك ولو ضربت عنقي.

قال: فما معنى السّجدة الأولى؟ قال: اللّهمّ منها خلقتني يعني الأرض.

قال: فما معنى السّجدة الثّانية؟ قال: اللّهمّ إليها تعيدني.

قال: فما معنى الجلوس بين السّجدتين؟ قال: اللّهمّ ومنها تخرجني تارة أخرى.

قال: فما معنى طرح الرّجل اليسرى وإقامة رجله اليمنى في التّشهّد؟ قال: معناه اللّهمّ أقم الحقّ وأمت الباطل.

عن جعفر بن محمّد بن المفضّل في كتاب آداب الدّين: معنى قول أمير المؤمنين لا يصلّي أحدكم وعليه قميص متوسّخ يقول: لا تعرفوا ربّكم بالحجاب، فإنّ الحجاب لا حقيقة له وهو البشريّة، بل اعرفوه بقدرته ونطقه والحجب كثيرة والمعنى هو القادر النّاطق وقال: الصّلاة في الحرمين تعادل ألف ألف صلاة، يعني بالحرمين اليتيمين، وقال: معنى قولكم: أجلسوا بين السّجدتين حتّى تستقرّ الأعضاء، معناه يقول: بين المقام إلى المقام إلى أن تجتمع كلمة المؤمنين على المقام الثّاني.

وقال: ولا يقطع الصّلاة التّبسّم ولكن يقطعها القهقهة، فالقهقهة ولاية الأضداد.

وقال: إذا إنفتل أحدكم من صلاته فلينفتل عن يمينه،يقول: إذا عرف أمير المؤمنين بحقيقة وبعده محمّد وهو اليمين.

وقوله: إذا فرغ أحدكم من صلاته فعليه بالدّعاء إليه، يقول: إذا عرفت ربّك فعليك بالدّعا إليه وقوله: صلّوا والنّاس نيام يقول: اعرفوا الله ما دام النّاس في غفلة عن ربّهم وقوله: لكلّ صلاة وقتان أوّل الوقت رضوان الله وآخر الوقت عفو الله وآخر الوقتين المريض والمشتغل، قال من سبق إلى الدّعوة وقال في التّوحيد كتب في السّابقين وإذا تأخّر في الإجابة كتب ممّن عفا الله عنه، المريضّ هو الشّاكّ في

الله والمشتغل اللاّهي عن الله، وقوله يقضي النّوافل أي يعرف الفرض سرعة ويقول به وله فمهلة في النّوافل يعرف الأيتام والنّقبا والنّجبا.

وروي عن النّبيّ صلعم وعلى آله قال: أتاني جبرائيل بغسلين ومسحين والغسلان هما معرفة محمّد وسلمان والمسحان اليتيمان.

عن أبي الخيّر بن نخيلة عن أبي درّة عن عليّ عن محمّد بن الحسين عن الحسن بن عليّ عنأبيه عن ذريح المجازي عن أبي حمزة عن عليّ بن الحسين في قوله: «أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً» قال: هم الأئمّة وقال في قوله: «ولَو لا دفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ» الآية قال: الصّلوات والمساجد الأئمّة والصّوامع هؤلاء الضّعفاء من المؤمنين ولو كان الغسل نافياً للطّاهر من الخيانة هو المأمور به لكان واجباً عليّ.

وقال أبو محمّد الحسن بن المنذر قال: حدّثني محمّد بن عبد الله بن مهران بجميع كتاب المراتب المترجم بالمحمودين والمذمومين قال فيه: حدّثنا عثمان بن عبد العزيز عن أبي سعيد جنبريّ عن المفضّل قال: تمتّعت بأمرأة فأرسل ليأبو عبد الله قبل أن أتوضّأ، فلمّارآني قام إليّ وجعل يخبرني بالحاجة الّتي يريدني لها يقبل بيده على عاتقي، وجعلت كأنّي كارهٌ للّزوق به به وأنا على الحال الّتي أنا عليها من الجّنابة، فلمّا رأى ذلك منّي قال لي: ما لك؟

فقلت: إنّي جنبٌ.

فقال لي:يا مفضّل: أما علمت أنّ المؤمن مطهّرٌ ليس ينجس، وقال فيه أيضاً: حدّثني الحسن بن عليّ بن فضائل عن أبي جبلة عن أبي نصر ليث المراوي قال: دخل أبو بصير على أبي عبد الله، فلمّا نظر إليه قال: أما علمت أنّه لا ينبغي لجنب أن يدخل بيوت الأنبياء، فخرج أبو بصير.

فتدبّر هذين الخبرين من هذين الرّجلين لمّا كان المفضّل عارفاً لم ينجسه ظاهر الجّنابة ولمّا كان أبو بصير مذموماً مقصّراً أنكر عليه ظاهر الجّنابة لأنّه كلّ جنب الباطن شاكّاً مرتاباً.

قال أبو جعفر بن محمّد بن المفضّل: لا تقيموا أئمّة الضّلال مقام أئمّة الهدى وهو قوله: لا تصلّوا على كدس حنطة ولا شعير ولا على شيء ممّا يؤكل ولا على الخبز، وقال في قول أمير المؤمنين: **لا يصلّي أحدكم نافلة في وقت الفريضة** إلاّ من عذر، معناه لا يأخذ أحدكم العلوم ممّن هو دون الباب، والباب حاضرٌ إلاّإذا لم يصل إلى الباب، فإن غاب وجد يتيماً أو نقيباً أو نجيباً أو مؤمناً فيسأله عمّا يحتاج إليه، وقال في قوله: إذا قام أحدكم في صلاته فليخشع لله، قال، ومن خشع قلبه لله خشعت جوارحه، إذا عرف أحدكم ربّه بحقيقة المعرفة فليعرف حقوق المؤمنين أطمأنّ إليه المؤمنون.

وقال في قوله: **قيام اللّيل** صحّة البدن ورضى الرّبّ وتعرّضاً للرّحمة وتمسّكٌ بأخلاق الأنبياء يقول معرفة الله في دولة الضدّ وهو اللّيل رضا لربّ العالمين.

حدّثني المبارك بن محمّد عن محمّد بن عليّ عن جعفر بن محمّد بن مالك عن الحسن بن عليّعن محمّد بن سنان عن المفضّل عن جابر قال: سألت أبا جعفر عن قوله: «**قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ**» قالوا جحدنا أمير المؤمنين، قلت: «**وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ**» قال: لم نك نصل الشّيعة.

وحدّثني عنه عن جعفر بن محمّد عن محمّد بن الحسن عن الحسين بن عليّعن حازم عن المفضّل قال: قلت لأبي عبد الله: جعلت فداك إنّ لحديثكم ظاهراً وباطناً، فقولكم إنّه **لا ينبغي للمرءأن يصلّي في الأرض السّبخة** ما معناه؟ قال: لا يصلح أن يكون هذا الأمر في يد واحدٍ من العرب وقد تقدّم ذكر العرب أنّهم ممّن قال في الضدّ.

حدّثني أحمد بن هودة قال: حدّثني إبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حمّاد عن صفوان بن مهران قال: قلت لأبي عبد الله عن قوله عزّ وجلّ: «**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**» قال: **أقم الصّلاة** معرفة أمير المؤمنين **وطرفيّ النّهار** الدّور الأوّل والدّور الآخر وزلفاً من اللّيل دولة إبليس،

إنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ والسيّئات أئمّة الضّلال ذلك ذكرة للذّاكرين لمن ذكر في الذّروين جميعاً.

حدّثني الحسن بن محمّد عن عليّ بن أحمد العلويّ عن أبيه أحمد بن عليّ بن الحكم عن زرارة عن أبي عبد الله قال: تذاكر العلم دراسة والدّراسة صلوة حسنة.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن إبراهيم بن هاشم عن محمّد بن أبي عمير عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله قال: العلم صلاة حسنة **القرآن** اسم يقع على معنيين باطنه محمّد وظاهره هو اللّفظ المتكلّم به.

حدّثني المبارك بن محمّد عن أحمد بن محمّد عن عوانة بن الحسين عن الحسن بن أيّوب عن عبد الله بن سكن عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر قال: سألته عن القرآن خالقٌ هو؟ قال لا، قلت فمخلوقٌ هو؟ قال: لا.

قلت: فما هو؟

قال: كلام الخالق.

وبالإسناد عن أحمد بن محمّد عن الحسن بن محمّد عن الحسين بن محبوب عن عليّ بن ريّان عن الطّيّار قال: سئل أبو عبد الله عن القرآن خالقٌ هو؟ قال: لا قيل: مخلوقٌ؟ قال: لا، قيل: فما هو؟ قال: كلام الله.

حدّثني أحمد بن هودة عن إبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حمّاد عن عليّ بن أبي حمزة عن إسحاق بن غالب عنه قال: إذا جمع الله الأوّلين والآخرين إذا هم بشخصٍ قد أقبل بصورة لم يروا قطّ أحسن منها وهو القرآن، فإذا نظروا إليه المؤمنون قالوا: هذا أحسن شيء رأيناه وإذا هو إنتهى إليهم جازهم كلّهم ثمّينظرون إليه الشّهداء حتّى إذا إنتهى إليهم كلّهم يقول هذا القول،فيجوزهم حتّى ينتهي إلى المرسلين فيقولون هذا القول فيجوزهم حتّى ينتهي إلى الملائكة فيقولون مثل ذلك القول، فيجوزهم حتّىيقف عن يمين العرش.

فيقول الجبّار: وعزّتي وجلالي وإرتفاعي في مقامي لأكرمنّ اليوم من أكرمك ولأهيننّ من أهانك.

وبالإسناد عن عبد الله عن عبد الله عن عمربن المقدّم عن عبد الله قال: إنّالله لمّا خلق قل هو الله أحد، خلق لها ألفيّ ألف جناحٍ من نورٍ، فلم تمرّ على أهل سماءٍإلاّ خرّوا لها سجّداً وقالوا: هذه نسبة الرّبّ.

حدّثني الحسن بن محمّد عن علي بن أحمد عن أبيه أحمد بن عليّ عن أحمد بن الحسين عن ثعلبة بن ميمون عن أبي خالد القمّاط عن حمران بن أعين قال: سمعتأبا جعفر يقول: ظهر القرآن للقوم الّذي نزل فيهم بأعيانهم ويظنّه الّذين عملوا بمثل أعمالهم فجرى فيهم.

وحدّثني أحمد بن محمّد عن الحسن بن محبوب عن مالك بن عطيّة عن يونس بن عمّار عن أبي عبد الله في خبرٍ آخر اختصرناه قال: يتقدّم القرآن أمام العبد يوم القيمة في أحسن صورةٍ فيقول: يا ربّ أنا القرآن خلقتني من قبل وهذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه في تلاوتي وتفيض عيناه إذا تهجّد بي،فارضه اليوم كما أرضاني فيعطيه الله ما يشاء.

الباب السّابع
في القضاء والقدر

بالإسناد عن أحمد بن عليّ عن بن حرزاد عن محمّد بن خالد البرقىّ عن جروا بن حرست الأزديّ عن جميل بن درّاج قال: قلت لأبي عبد الله: أيكون شيءٌ إلاّ بقضاءٍ وقدرٍ؟ فقال: لا يكون شيءٌ إلاّ بقضاء وقدر ومشيئة وإرادة وكتاب وأجل.

قال: قلت: فرضى الله؟

قال: لا.

قلت: فواجب؟

قال: لا.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن إبراهيم بن هشام عن عليّ بن معبد عن درست بن أبي منصور عن ابن أذينة عن المفضّل عن بشّار قال: سمعت أبا عبد الله يقول: شاء وأراد ولم يحبّ أن يقال له ثلاثة، ولم يرضى لعباده بالكفر.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن عليّ بن إسماعيل عن حمّاد بن عيسى عن الحسين بن مختار عن حمزة بن حمران قال: قلت لأبي عبد الله: إنّا كنّا فارقنا النّاس ولسنا معهم ما ندري أين وقعنا فأعرض عليك ما أقول، فإن كان ذلك موافقاً أمرتنا به وإن خالفنا نهيتنا عنه فأخذنا بقولك.

قال: هات.

قلت: إنّا نقول أنّ الله سبحانه لا يكلّف العباد إلاّ ما شاءالله وأراد وقدّر وقضا؟

فقال: إنّ هذا ديني ودين آبائي.

وبالإسناد عن أمد بن إبراهيم بن هشام عن عليّ بن سعد عن درست عن أبي يعفور عن ابن أذينة عن المفضّل بن بشّار عن ابن سنان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: شاء الله أن يكون مستطيعاً لما يشاء إذا كوّن فاعله، وفي غير هذه الرّواية قال بعد ذلك: وكما أنّ الخير من الله وقد أنحلكموه وكذلك الشّرّ من أنفسكم وإن جرى عليه قدرٌ.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن الحسين بن حرزاد عن محمّد بن خالد عن جروا بن خرشنة عن رجلٍ قال: قلت لأبي عبد الله: أجبر الله العباد على المعاصي؟

قال: لا. قلت: ففوّض إليهم الأمر؟ قال: لا. قلت: فماذا. قال: لطفٌ من ربّك بين ذلك. وبالإسناد عن أحمد عنبعض أصحابنا عن عثمان بن عيسى عن محمّد بن عجلان قال: قلت لأبي عبد الله: فوّض الله إلى العباد؟

قال: الله أكرم من أن يفوّض ثمّ يتوب. قلت: فجبر الله العباد؟ قال: الله أعدل من أن يجبر عبداً ثمّ يعذّبه. قال: قلت: فبينهما شيءٌ؟ قال: نعم وأشياء.

وبالإسناد عن أحمد بن جعفر بن يحيى عن الوليد عن هرون بن جارحة قال: قلت لأبي عبد الله: أجبر الله العباد؟ قال: الله أعدل من أن يجبرهم ثمّ يعذّبهم. قلت:

ففوّض إليهم؟ قال: لو فوّض إليهم لم يحتجّ عليهم بالرّسل. قلت: فكيف ذلك. قال: أمرٌ بين أمرين، أما أنّها البحار العمق الّتي لا يعلمها إلاّ العالمون.

وفي خبرٍ عن مهزمٍ قال: سألت أبا عبد الله عن مثل ذلك فقال: لو أجبتك به لكفرت.

وبالإسناد عن أحمد بن محمّد بن عبد الجبّار عن عبد الرّحمن بن حمّاد عن محمّد بن القاسم بن المفضّل قال: سألت أبا الحسن الرّضا عن أفاعيل العباد، مخلوقةٌ هي أم غير مخلوقةٍ. قال: هي والله مخلوقةٌ.

وذكر أبو جعفر محمّد بن الحسن المصعبيّ أنّه سأل عليّ من موسى عن القدر فقال: كان في كتاب أمير المؤمنين: بسم الله الرّحمن الرّحيم: سبق العلم ومضى القضاء وتمّ القدر بتحقيق الكتاب وتصديق الرّسل وبالسّعادة من الله لمن آمن واتّقى وبالشّقا من الله لمن كذّب وعصى، يقول الله: يابن آدم بمشيئتي كنت أنت الّذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبإرادتي كنت أنت الّذي تريد لنفسك ما تريد، وبفضل نعمتي قويت على معاصيّ وبعافيتي أدّيت إليّ فرائضي، فكنت أولى بإحسانك منك وكنت أولى بسيّئاتك منّي.

وبالخبر عن أحمد بن هودة عن إبراهيم عن عبد الله بن حمّاد عن حمران بن أعين قال: سمعت أبا جعفر يقول: القرآن قاضينا أهل البيت، فمن خالفه لو شفه له من في السّموات والأرض من ملكٍ مقرّبٍ أو نبيٍّ مرسلٍ أو صدّيق أو شهيد على أن يخرجه الله من النّار ما أخرجه، وذلك قوله: «ماكثِينَ فيه أبَداً».

وحدّثني الحسن بن محمّد العلويّ عن أحمد بن عليّ العقيقي عن أبيه عليّ بن أحمد عن أيّوب بن نوح عن جميل بن درّاج عن أبي عمير عن يوسف بن عمير عن أبي حمزة الثّمالي عن أبي جعفر قال: عالمٌ ينتفع بعلمه أفضل من عبادة سبعين ألف عابد.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ بن أيّوب بن نوح عن محمّد بن أبي جعفر بن عمير عن جميل بن درّاج قال: سألت أبا عبد الله عن الزّاني متى يخرج عنه روح الإيمان، فقال: إذا كان على بطنها، فإذا قام عادت إليه الرّوح.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن إبراهيم بن هاشم عن أبي عميرة عن أبي جعفر عن جعفر بن البختري عن أبي عبد الله أنّه قال، وذكر النّاصب فقال: سمّه بأيّ إسمٍ شئت.

وبالإسناد عن أحمد بن محمّد عن أبيه أحمد بن النّضر عن جابر عن الحسن عن جابر بن يزيد الجّعفيّ عن أبي جعفر قال: المرجئة أشدّ بغضاً لنا من اليهود، وإنّ بغضهم لنا ليلحقهم باليهود والنّصارى.

وبالإسناد عن أحمد بن يعقوب بن يزيد عن أبي عمير عن الحسين بن مختار عن أبي عبد الله أنّه قال: أهل الشّام أشرّ من أهل الرّوم لأنّ أهل الرّوم كفروا بالله ولم يعاندونا وأهل الشّام كفروا بالله وعاندونا.

وبالإسناد عن أحمد بن إبراهيم بن هاشم عن حمّاد بن عيسى عن زرارة عن أبي جعفر قال: لقد ضلّ الحسن البصريّ من هذه الأمّة أكثر ممّا أضلّ السّامريّ بعجله من قومه.

وبالإسناد عن أحمد عن الحسن عن عليّ عن الحسين بن يوسف بن عميرة عن أبيه عن أبي بكر الخضرمي قال: سئل أبو عبد الله عن قومٍ من جزائر البحر يشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله فقال: ضلاّلٌ، إنّ الأمر افتتح بالضّلال.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ بن إسماعيل عن صفوان بن يحيى عن أبي الحسن الثّاني قال: قال افتتحت الأرض عن ضلال، فمن لم يعرف هذا الأمر فهو ضالّ.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن إبراهيم بن هاشم عن أبي عمير عن جعفر بن يحيى عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله: إنّا نروي عنك الحديث، فإن رويته

عن أمير المؤمنين قبلوه وصبوا إليه أسرع منهم إليك، قال: فارووه عنه فأنا منه وأنا هو.

وبالإسناد عن أحمد بن عبد الله بن عمران قال: عن الحسن بن عليّ بن وثّاب عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله قال: لا جناح عليكم أن ترووا ما سمعتم من أبي عنّي وما سمعتم منّي عن أبي.

وحدّثني محمّد بن همّام عن عبد الله بن جعفر عن أحمد بن محمّد عن أبي فضّال عن أبي جميلة عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر: كان طلحة والزّبير مستودعيّ الإيمان، ثمّ نزع منهما فصارا كافرين.

حدّثني أبو عليّ قال: حدّثني محمّد بن جعفر عن إسحاق بن تبّان عن عليّ بن الحسين عن الحسن بن عليّ بن يقطين قال يونس بن عبد الرّحمن عن سهل بن أبي إسماعيل عن أبي عبد الله قال: سألته ثلاث سنين عن قوله: «وهُو الّذِي فِي السّماءِ إلهٌ وفِي الأرْضِ إلهٌ» قال: يا محمّد: من وصفنا بالصّفة الّتي نحن بها كان بمنزلة من في السّماء ينظر إليه.

وحدّثني أيضاً قال: حدّثني عبد الله بن العلا عن محمّد بن الحسن بن ميمون قال: ورد داوّد الرّقّيّ إلى البصرة بعقب مقام أبي الحسن موسى بها فيسنة تسعة وسبعين ومائة فسار بي إليه ولي إثني عشرة سنةً، فسأله أن يحدّثنا، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: ما على النّاصب صلّى أشدّ منّا.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن يعقوب بن يزيد عن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله قال: ما عظم الله عزّ وجلّ بمثل البدا.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن إبراهيم عن أبي عمير عن هشام بن سالم عن زرارة بن أعين ومحمّد بن مسلم قالا جميعاً: قال أبو عبد الله: ما بعث الله نبيّاً قطّ حتّى أخذ عليه الإقرار بالعبوديّة وخلع الأنداد من دون الله وأنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن جعفر بن محمّد بن يونس عن جهيم عن أبي جهنة عن أبي عبد الله قال: إنّ الله أخبر نبيّه منذ كانت الدّنيا، وأخبر نبيّه بما يكون إلى يوم القيامة وأخبره بالمحتوم من ذلك فاستثنى عليه فيما سوى ذلك المشيّة.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن الحسن بن محبوب عن عليّ بن جناب عن معلاً بن خنيس قال: قلت لأبي عبد الله: أكان ذلك الّذي وعد يونس في الكتاب مثبتاً؟ قال لا لم يكن في الالكتاب ولكنّه كان في العلم.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن محمّد بن الحسين عن محمّد بن سنان عن أبي خالد القماطر عن سليمان بن عبد الله قال: قلت لأبي عبد الله أخبرني عمّا بلغت الرّسل عن ربّهم وأوصلوه إلى قومهم هل يكون ذلك بدا؟ فقال: إن شاء الله فعل.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن محمّد بن الحسن عن العبّاس بن عمر عن الحسن بن عليّ بن يقطين عن الحسن بن محمّد قال: سألت أبا الحسن الرّضا عمّا أخبرت به الأنبياء قومهم عن الله: هل فيه مشيئةٌ أم لا يكون إلاّ ما نطقت به وأخبرت قومها؟ فقال: قد قال الله: «ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» ثمّ قال: «فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ» وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن إبراهيم بن داوْود عن عليّ بن إسماعيل عن موسى بن عمران بن ميثم عن يعقوب بن شعيب عن ميثم عن أبي عبد الله في قوله: «وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ»، قال: يا ميثم: ما قالوا هكذا وأومأ بيده إلى عنقه، ولكن قالوا قد فرغ الله من الأشياء.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن إبراهيم بن هشام عن أبي عميرة عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله قال: إنّ الدّعا يردّ القضاء وقد أبرم إبراماً.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن يعقوب بن يزيد عن أبيعميرة عن هشام بن سالم وجعفر بن البختري عن أبي عبد الله في هذه الآية: «يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ»؟ قال: هل يمحو إلاّ ما كان وهل يثبت إلاّ ما لم يكن.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن يعقوب بن يزيد عن ابن أبي عميرة عن هشام بن سالم وجعفر بن البختري عن أبي عبد الله في هذه الآية مكرّرة.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن أيّوب بن نوح عن أبي عميرة عن جميل بن درّاج عن زرارة ومحمّد الطّيّار قالا: سمعنا أبا عبد الله يقول: «إذا ترون امرأً طرا [أن امروء طرا] والله لو سئل عنه صاحب العين ما كان عنده من الأحاديث أنّه شيءٌ بدا فيه».

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ العقيقي عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن عليّ عن الحسن بن بشّار قال: قلت لأبي الحسن الرّضا: ما معنى قول أبي عبد الله: «إذا ترون امرأً طرا [أن امروء طرا] والله لو سئل عنه صاحب العين ما كان عنده فيه شيء»؟ قال: لم يكن خرج إليه في أسماء الملوك.

وحدّثني أحمد بن محمّد بن سعيد قال: حدّثني محمّد بن المفضّل عن إبراهيم وسعد بن إسحاق وأحمد بن الحسن عن الحسن بن محبوب عن أبي الصّامت الجلّيّ قال: قلت لأبي عبد الله: أرأيت قولك: «يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ» فسّره لي؟ فقال: نعم، ما قال الصّامت يمحو ما كان عنده مثبتاً ويثبت ما لم يكن مثبتاً من ذلك.

وممّا كان له عنده مثبتاً من ذلك وممّا كان له مثبتاً مسلك [مثلك] سليمان بن عبد الملك كان له عند ملكه عشرون سنة، فبغى وطغى وقال: أنا سليمان بن ثلاث وستّين وهذا أيّوب ابني ابن ستّة عشر سنة فاكلها دهراً طويلاً، فمن يطمع فيها سوانا، فقطع الله أجلهما ومحا ملكهما، ومروان بن محمّد لم يكن له عنده ملكٌ مثبتٌ، فأثبت الله له ملكه، وإنّما كان مروان أمراً طرّاً لو سئل عنه صاحب العين لم يكن عنده فيه شيءٌ.

وبالإسناد عن الحسن بن محبوب عن أيّوب بن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر في قوله: «وواعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» قال: كان ذلك في العلم والتّقدير في الميعاد الأوّل ثلاثين ليلة، ثمّ بدا لله تعالى بعد ذلك أن يزيده، فزاده عشراً، فتمّ ميقات ربّه الأوّل والآخر أربعين ليلة.

هذه الأخبار منطرق مختلفةٍ جهات غير جهة الموحّدين، بل عن كثيرٍ من المقصّرين ممّا رواه عامّة الشّيعة في كتاب المسبحة وكتاب المعرفة دالّة على توحيد العين، وانّ مادّة الميم منه بهذه الإشارة بل بهذا التّصريح، ولا يكون في باب إفراد المعنى من اسمه وباب البدا شيء أوكد من هذا ولا أحسن.

وبالإسناد عن الحسن بن محبوب عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله يقول: قد كان لهذا الأمر وقتٌ وكان في سنة أربعين ومائة فأذعتموه فأخّره الله.

وحدّثني أبو محمّد الحسن العلويّ الحسنيّ عن عبد الله عنعليّين أحمد عن أبيه عليّ بن أحمد العقيقي عن أحمد بن الحسن عن أبي عبد الله عن حمران بن أعين قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله: «قَضى أَجَلاً وأَجَلٌ مُسَمًّى»؟ قال: هما أجلان أجلٌ موقوفٌ يصنع فيه ما يشاء وأجلٌ محتومٌ.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن إبراهيم بن هشام عن ابن أبي عميرة عن الحسن بن عطيّة قال: جاءنا المعلاّ بن خنيس فقال: إنّ أبا عبد الله يقرئكم السّلام ويقول لكم: أقرّوا بالبدا ولا تسألوا عنه.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ بن محمّد عن أبيه عن يحيى بن عمران عن أبي مسكان عن زرارة عن أخيه حمران بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله يقول: هما أمران موقوفٌ ومحتومٌ، فما كان محتومٌ فأمضاه وما كان موقوفاً فله فيه المشيئة يقضي ما يشاء.

وبالإسناد عن أحمد بن الحسين عن أبيه عن ثعلبة عن زرارة بن أعين عن أخيه حمران بن أعين عن أبي جعفر في قول الله: «قَضى أَجَلاً وأَجَلٌ مُسَمًّى» قال: هما أجلان أجلٌ محتومٌ وأجلٌ موقوفٌ، فقال حمران: فما المحتوم؟ قال: هو الّذي لا يكون غيره، قال: فما الموقوف؟ قال: هو الّذي تعدّ فيه المشيئة.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن أحمد بن الحسين عن أبيه عن أحمد بن عمير عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله قال: إنّ الله يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء ويَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ، وكلّ أمرٍ لا بدا الله فيه فهو في

علمه قبل أن يصنعه، ثمّ ذكر أهل مصر فقال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: «ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» وقد كان في علمه أنّهم سيعصون ويتيهون أربعين سنة، ثمّ دخلوها بعد تحريمه إيّاها عليهم، وكلّ ذلك قد كان في علمه وليس شيءٌ يبدو لله فيه إلاّ وقد كان في علمه إنّ الله لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وهُمْ يُسْئَلُونَ.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن الحسن بن العبّاس بن عامر عن عمر بن أبان عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: يا أبا محمّد القرآن ينسخ بعضه بعضاً.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن أحمد بن محمّد عن أبيه عن عليّ بن النّعمان عن ابن مسكان قال: قلت لأبي عبد الله: حديث أهل المدينة الّذي يروونه عن النّبيّ كلّه باطلٌ؟ قال: لا لأنّ رسول الله كان يكون على الأمر فيتحوّل عنه إلى غيره، وإنّ الّذي مضا عليه رسول الله قول عليّ.

قال عليّ بن مسكان: حدّثني من سأل أبا جعفر عن أحاديث النّاس الّتي يروونها عن رسول الله كلّها باطلٌ؟ فقال: لا لأنّ رسول الله كان كلامه يشبه بعضه بعضاً، وإنّما نعطيكم منه النّاسخ.

أخبرنا محمّد بن إبراهيم عن عبد الواحد عن عبد الله عن أبي عليّ بن أبي ياسر عن أحمد بن أبي طالب عن الحسن بن محبوب عن أبي أيّوب عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر قال: إنّ العبد ليسأل الله الحاجة من حوائج الدّنيا فيكون من شأن الله قضاؤها إلى أجلٍ قريبٍ أو وقتٍ بطيءٍ فيذنب ذلك العبد عند ذلك الوقت فيقول للملك الموكّل بحاجته: لا تنجز له حاجته واحرمه إيّاها، فإنّه قد تعرّض لسخطي فاستوجب الحرمان منّي.

حدّثني أبو عليّ بن همّام قال: حدّثني جعفر بن محمّد قال: حدّثني أحمد بن ميثم عن أبي هريرة عبد الله بن سلام قال: حدّثني خالد الجزّار قال: سمعت أبا عبد الله يقول: ليس الكذب إلاّ الكذب على الله وعلى رسول الله.

حدّثني أيضاً عن جعفر بن محمّد عن أحمد بن ميثم عن صالح عن محمّد بن عمران قال: سمعت أبا عبد الله يقول: يكون مع القائم ثلاثة عشر امرأة، قلت: وما يصنع بهنّ؟ قال: يداوين الجرحى ويقمن على المرضى كما كان مع رسول الله.

قلت: فاسمهنّ؟ قال: القنوى بنة رشيد الهجري وأمّ أيمن وحبّابة الوالبيّة وسميّة أمّ عمّار بن ياسر وزهرة وأمّ خالد الأحمسيّة وأمّ سعد الجهنيّة وصيانة الماشطة وأمّ خالد الجهنيّة.

وحدّثني أحمد بن محمّد بن أحمد ومحمّد بن المفضّل عن الحسن بن محبوب عن صالح عن أبي عبد الله في قول الله: «وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ» قال: من زعم أنّه إمامٌ من عند الله وليس هو كذلك.

الباب الثّامن

في البدا والقول فيه

قال الله: «مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا» كذلك نزلت الآية، وقال: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ» قال الصّادق: لم يقولوا أنّها مضمومة إلى عنقه ولكن قالوا: قد فرغ الله من الأمر فلا زيادة ولا نقصان، فكذّبهم الله، وقالوا: «وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ» وقال: «وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ» وما جاء في القرآن من النّاسخ والمنسوخ الّذي علمه جميع أهل القبلة وألّف فيه علماء العامّة كتباً من أقوى حجّة عليهم وأدلّ دليل على صحّة البداء، وقال: «وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ».

وحدّثني الحسن بن محمّد العلويّ الحسنيّ قال: حدّثني أبو الحسن عليّ بن أحمد العقيقي قال: حدّثني أحمد بن العجليّ عن إسحاق بن يزيد عن حريز بن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر قال: ما بعث الله نبيّاً قطّ حتّى أقرّ له بالعبوديّة والبداء والمشيئة والمزاجر.

وحدّثني أبو سليمان أحمد قال: حدّثني إبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حمّاد عن ابن سنان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إنّ الله عزّ وجلّ يقدر ولا يقضي، وإنّ الله ليقدر ويقضي ثمّ لا يمضي وإذا أراد الله أمراً قدّره ثمّ قضاه ثمّ أمضاه، فإذا أمضاه لم يكن فيهمردّ أبداً، وذلك المحتوم من أمر الله الّذي لا يكون فيه بدا.

وحدّثني الحسن بن محمّد الحسنيّ قال: حدّثني عليّ بن أحمد العقيقي عن أبيه أحمد بن عليّ عن يعقوب بن يزيد عن زياد بن مروان عن محمّد بن سنان عن أبي عبد الله وعبد الله بن سنان عن أبي حمزة الثّمالي عن أبي جعفر قال أبو جعفر وأبو عبد الله: إنّ الله يقدر ولا يقضي ولا يمضي، وإنّ الله تعالى إذا أراد شيئاً قدّره ثمّ قضاه ثمّ أمضاه، فإذا أمضاه فلا مردّ له ولا فيه، وذلك المحتوم من أمرالله الّذي لا يكون فيه بدا أبداً.

وقال في كتاب الكافي وهو مشهورٌ: إنّ الله علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى، فالعلم متقدّم المشيئة والمشيّة متقدّمة الإرادة والإرادة متقدّمة القدر والقدر متقدّم القضاء والقضاء متقدّم المضا، ولله البدا فيما علم وشاء وأراد وقدّر، فإذا وقع القضا بالمضا فقد زال البدا لأنّ القضا بالمضا دلّ على المدركات المحسوسات من ذوي الأجسام بالرّؤية.

حدّثني أبو سليمان أحمد بن أبي هراسة عن أبي إبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حمّاد عن محمّد بن جعفر عن أبيه عن آبائه قال رسول الله: إنّ الله ليصل رحمه وقد مضى أجله فما بقي منه إلاّ ثلثة أيّام فيؤخّره الله إلى ثلاثين عاماً وإنّ الرّجل ليقطع رحمه وقد بقي من أجله ثلاثون عاماً فما يؤخّره الله إلاّ ثلاثة أيّام.

وبالإسناد عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر قال: سألته عن الامرأة إذ يأخذها الطّلق أدعو الله أن يجعله ذكراً؟ قال: نعم وإن خرج رأسه، فإنّ الله يقدر أن يجعله ذكراً.

وحدّثني الحسن بن محمّد العلوي عن عليّ بن أحمد عن أبيه أحمد بن علي العقيقي عن محمّد بن الحسين عن محمّد بن سنان عن عمّار بن مروان عن مبجّل

بن جميل عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر في قوله: «مُخَلَّقَةٍ وغَيْرِ مُخَلَّقَة»؟ قال: المخلّقة هو الّذي خلقه الله في صلب آدم وأخذ عليهم الميثاق وأجراهم في أصلاب الرّجال وأرحام النّساء وهم الّذين يخرجون إلى الدّنيا حتّى يسألون عن الميثاق، وأمّا قوله: وغير مخلقة: هم كلّ نسمة لم يخلقهم الله من صلب آدم حين الذّرو ولم يأخذ عليه مالميثاق، فمنهم النّطفة من العزل والسّقط قبل أن ينفخ فيه الرّوح روح الحياة، والحياة البقاء وما يموت في بطن أمّه قبل الأربعة أشهر وهم الّذين لا يسألون عن الميثاق وإنّما هو خلقٌ بدا الله فيه، فخلقهم في أصلاب الرّجال وأرحام النّساء.

وحدّثني أحمد بن محمّد بن الفضل عن الحسين بن محبوب عن عبد العزيز بن أبي يعقوب قال: قلت لأبي عبد الله: أخالط النّاس فيكثر تعجّبي من أقوامٍ لا يتوالونكم ويعرفون حقّكم ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء ولا الورع.

فقال أبو عبد الله: لا دين لمن دان بولاية إمامٍ جائرٍ ليس من الله ولا عتب على من دان بولاية إمامٍ عادلٍ من الله.

قلت: لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء؟ قال: نعم لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء ألم تسمع لقول الله: «اللّهُ وليُّ الّذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ منَ الظّلُّماتِ إلَى النُّور» أي إلى نور التّوبة والمغفرة بإذنه بولاية كلّ إمام عدل من الله وقال: «والّذينَ كَفَرُوا أوْلِياؤُهُمُ الطّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ منَ النُّورِ إلَى الظّلُّمات».

قلت: أليس عنى بهذا الكفّار قال: وأيّ نورٍ للكفّار فاخرجوا منه إلى الظّلمة وهو كافرٌ إنّما عنى بهذا أنّهم الكفّار، قال: وأيّ نورِ الاسلام، فلمّا توالوا إماماً جائراً ليس من الله أخرجوه بولايتهم إيّاه من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب لهم بذلك النّار، فقال: «أُولئِكَ أصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ».

وحدّثني عن أحمد بن مدلّل عن الحسن بن عبد العزيز عن عبد الله بن أبي يعفور الان في رواية ابن الجمّام الطّواغيت: حدّثني محمّد بن همام عن عبد الله بن جعفر عن محمّد بن عبد الحميد ومحمّد بن خالد عن يوسف بن عميرة عن أبي بكرٍ عن أبي جعفر قال: من مات وليس له إمامٌ مات ميتة جاهليّة وكفر ونفاق وضلال.

وحدّثني عنه قال: حدّثني الفضل بن إسماعيل عن أحمد بن بشر عن الحارث بن المغيرة البصريّ قال: قلت لأبي عبد الله: قال رسول الله: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهليّة، فقال: نعم، فقلت: الجاهليّة الجّهلاء أو جاهليّة الأمانة؟ فقال: جاهليّة كفر ونفاق وضلال.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن أحمد بن الحسين عن أبيه عن أحمد بن عمر عن أبيه عن أبي بكر الخضرميّ قال: دخلت على أبي عبد الله أنا وأخي علقمة، فقال علقمة: أصلحك الله، ما تقول إذا سئلنا عنكم أهل البيت نوالي وليّكم وناعدي عدوّكم؟ فقال: لا تحدّثه وإذا كان قال: لا تحدّثه حتّى أعاد ذلك ثلاثاً، قال علقمة، فإذا كان كما يقول بني له بيتٌ في النّار من مدر لا يمسّه من حرّها وبردها شيءٌ ويأتيه رزقه من الجنّة.

وحدّثني أيضاً عن جعفر بن محمّد عن أحمد بن ميثم عن محمّد بن زياد عن حبيب السّجستانيّ عن أبي جعفر قال: قال الله لأعذّبنّ كلّ رعيّة في الإسلام دانت بولاية إمام جائر ليس من الله وإن كانت الرّعيّة في أعمالها برّة تقيّة ولأعفينّ عن كلّ رعيّة في الإسلام دانت بولاية إمام عادل من الله وإن كانت الرّعيّة في أعمالها ظالمة مسيئة.

الباب التّاسع

في القضاء والقدر والاستطاعة وأفعال العباد

والعدل هذا بابٌ من غامض علم الله ودقيقه وقد نزلت فيه آياتٌ وجاءت فيه روايات وسنذكر من ذلك ما تناهى إلينا إن شاء الله تعالى: قال العالم في كتاب الأسوس: ولمّا علم الله أنّ قابيل قد همّ بقتل هابيل وأراد الإختبار والتّعليم كما أظهر تعليم الخبر بعث صورتين على صورة الإنسانيّة مع أحدهما ذهب وفضّة، فوثبت الصّورة الأخرى فقتلتها وأخذت ما معها، فلمّا رأى قابيل ذلك وثب على أخيه فقتله وبقي لا يدري كيف يصنع حتّى جاءت الصّورة القاتلة فحفرت حفيرة وأدخلت فيها

المقتول فحفر قابيل وأدخل أخاه في الحفيرة، فقال آدم لابنه: من أين تعلّمت هذا؟ قال: ظهر لي صورة صفتها كيت وكيت، فعند ذلك صار الدّفن والقتل، فقال آدم: إلاهي علّمت النّاس الخير وعلّمتهم الشّرّ أيضاً، وإنّما جعل الله هذا لتعرف الطّاعة من المعصية عند الأمر والنّهي، فالتّعليم من عند الله لهذه العلّة والعبيد المتعلّمون فعندها وجبت الطّاعة والمعصية وظهر الحقّ والباطل.

قال له: فلم صار ذلك قبيحاً وصاحبه ملعون – يعني القتل.

قال العالم: لأنّ الرّبّ فعله على الضّرر.

وحدّثني أبو سليمان أحمد قال: حدّثني إبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حمّاد عن صباح المزنيّ عن الحارث بن حضير عن الأصبغ بن نباتة قال: جاء رجلٌ إلى عليّ وهو يخطب على المنبر فقال: يا أمير المؤمنين: أخبرني عن الخير والشّرّ؟ فقال له عليّ: سألت عنهما خبيراً عالماً، فلا تسأل عنهما أحداً أخبر بهما منّي: الله خلق كلّ شيءٍ والخير والشّرّ من الشّيء الّذي خلقه الله والعباد العاملون بهما.

وحدّثني الحسن بن محمّد عن عليّ بن أحمد عن أبيه أحمد بن عليّ عن أيّوب بن نوح عن أبي عميرة عن جميل بن درّاج عن زرارة بن أعين وعبد الله بن سليمان وعمر بن حنظلة قالوا جميعاً سمعنا أباعبد الله يقول: إنّ المشيئة والقدر خلقان من خلق الله والله يزيد في الخلق ما يشاء.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن محمّد بن عبد الحميد عن محمّد بن سنان عن عبد الله بن مسكان عن أبي عبيدة عن أبي جعفر قال: إنّ الله يقول: إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا خالق الخير وخالق الشّرّ وهما خلقان من خلقي، فطوبى لمن قدّرت له الشّرّ وويلٌ لمن قال: كيف ذا.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن إبراهيم بن هاشم عن أبي عميرة عن غير واحد عن أبي عبد الله قال: كان لموسى عبداً سؤولاً فقال: يا ربّ قضيت القضيّة

على عبدٍ، ثمّ تعذّبه عليها، فأوحى الله إليه: يا موسى: إنّه من سرّي فلا تسأل الله عن سرّه.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ بن درست عن ابن أذينة عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر: جعلت فداك: ما تقول في القضاء والقدر؟ قال: أقول إنّ الله إذا جمع العباد يوم القيمة سألهم عمّا عهده إليهم ولم يسألهم عمّا قضى عليهم، وبالإسناد عن أحمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ عن عبد الله بن الحسن عن أحمد بن ابان عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله: الله شاء؟ قال: نعم، قلت: قدّر؟ قال: نعم، قلت: فأحبّ؟ قال: لا، قلت وكيف ذا؟ قال: هكذا خرج إلينا.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن إبراهيم بن هاشم عن عليّ بن معبد عن واصل بن سليمان عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: أمر الله وشاء ولم يأمر أمر إبليس أن يسجد لآدم وشاء أن لا يسجد لآدم ولو شاء أن يأكل منها السّحق.

قال إسحاق الأحمر في كتاب الصّراط: السّحق محمودٌ ومذمومٌ، فالمحمود ضعفاء المؤمنين الّذين اقتصدوا [افتقدوا] بعضهم على بعضٍ يتذاكرون العلم فيأخذ بعضهم عن بعضٍ ليس لهم مادّة من العلماء الكبار الّذين وقع عليهم اسم التّذكير إذ كان من دونهم يقع عليه اسم النّساء، والسّحق المذموم هم المستأثرين عن الله وهم الّذين تسلو الله سؤال بعضهم على بعضٍ مستغنين بعلومهم المذمومة عن الله وعن ولاة أمره.

السّرق والفساد في الأرض: السّارق هو الّذي يجيء إلى أهل الحقّ ويسرق علمهم ثمّ يذيعه عليهم إلى المقصّرة وغيرهم، والسّارق هو الموجد الّذي يأتي إلى الباب فيسترق علمه ويدّعيه لنفسه «والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ»، وقطع اليدين أن تتبرّأ إليه ممّا كنت ألقيته لتدهشه وتوهمه أنّ الّذي كان سمعه منك باطلٌ حتّى يفسد قولك عند قلبه فيضلّ.

قال جعفر بن محمّد بن المفضّل في كتاب آداب الدّين: قال: من سألكم علماً فأعطوه على مقداره إذا كان من أهله وإذا كان معانداً فاقطعوا يده ورجله قال الله: «والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللَّهِ» والسّارق والسّارقة هما اللّذان يطلبان علوم الله رياءً ويعادون العلماء على ذلك يقول اقطعوا عنهم العلم والمعرفة بما أصرّوا من المعاندة وقال في قوله: «إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ ورَسُولَهُ» الآية قال: هم المقزمنة والمفوّضة والموحّدة المرائية بذلك المعاندة للمؤمنين، فالله أمير النّحل ورسوله محمّد والأرض الأبواب وأصحاب المراتب من الأيتام والنّقبا والنّجبا، والمؤمنون أنْ يُقَتَّلوا يخرجونهم من الإيمان أو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ يمنعون من العلوم الباطنة أو يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ لا يكلّمون.

الطّلاق: إخراج الضّعيف المقصّر عن درجته إلى غيرها، وذلك أنّ زوج الرّجل أبوه الملقي إليه العلم، فإذا طلّقه فقد أقصاه وردّه عن العلم المحمود، وذلك عندما يرى منه الميل إلى الأضداد.

وقوله: «يا أَيُّها النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» فالنّساء في هذا الموضع يقع على ضربين على المقصّرة وعلى ضعفاء المؤمنين الطّالبين العلم وقوله: " فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ " على عدد الأشخاص «لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ولا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» يقول: لا تخرجوا من كان من المقصّرة لا يحتمل علم الباطن إلى الخروج بالقول «إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» وهي ولاية الطّواغيت أو يأتي الضّعيف بولاية زرارة بن أبي يعفور.

الشّرك بالله تعالى قال عيسى سألت الرّضا عن الكبائر فقال: هي سبعة: أكبرها الشّرك بالله جلّ ثناؤه وقد أنزل الله فيها ما أنزل وقد شهد الرّبّ للخلق بقوله: «ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» أفترى ههنا شركاء؟ قلت لا، ولكن لا أعقله، فقال: يا عيسى من نصب إماماً من دون الله فقد أشرك.

الباب العاشر

ما قيل في الخمرة

لا خلاف أنّ الخمرة الظّاهرة كانت حلالاً في أيّام من تقدّم من الأنبياء وفي صدر الأيّام أيّام نبيّنا حتّى نزل تحريمها ولو كان هذا التّحريم واقعاً على تلك العين بعينها لبطل قول الصّادق: الحلال حلال إلى يوم القيامة والحرام حرام إلى يوم القيامة.

لأنّ الحكيم لا يحلّل شيئاً في الحقيقة ثمّ يحرّمه في الحقيقة لئلاّ يكون في الشّر رضاه، وليس هذا مثل النّاسخ والمنسوخ، فأمّا نفس الله وهي التّوحيد فلا يتغيّر ولا يتبدّل ولا يحول ولا يزول ولا يرخص فيه ولا ينسخ وهو الّذي قال الله فيه: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وصَّى بِهِ نُوحاً والَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ» الآية، ومثل قوله: التّبديل والتّغيير والتّحويل يريد التّوحيد لا الشّريعة لأنّ الشّرائع تنسخ بعضها ويقع فيها التّبديل والتّغيير والتّحويل والتّحريم والإمتحان والبلوى والإختبار لعلّة في الخلق لا لعلّة فيه ولا لحاجةٍ به إليه، فكيف ما غيّرت وحوّلت حالاً فينقلهم من محنةٍ إلى محنةٍ فيرتاب الانتحال ويثبت أهل العزم.

فأمّا باطن الشّرائع فهو توحيد لا غير، فمن المحال أن يغيّر أو يحوّل أو يبدّل أو ينسخ لأنّ المقامات والأنبياء كلّهم إلى التّوحيد دعوا وإليه دانوا [ندبوا] لا خلاف بينهم فيه وإن إختلفت الشّرائع فهي الظّاهرة لاستعمال أهل الدّعوة وإمتحانهم وتعذيبهم.

والتّوحيد هو معرفة المطاع المعبود بما وصف نفسه لا تختلف دعوته في الملّة وإن إختلفت أوقات مقاماته والبيوت والمعادن واللّغات الّتي ينطق بها تأويلها في الحقيقة على معنى واحد لأنّ ما ظهر من الأسماء والمقامات والصّفات ما تدلّ على الله، فله أن يغيّرها ويسمّيها بما يشاء ويظهر كيف يشاء ولا يجوز أن يتغيّر عينها ومعناها.

وحدّثني محمّد بن همّام عن عبد الله بن العلا عن إدريس بن زياد عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر قال: ذكر أبو هريرة بيّاع الخمر قال: رحم الله أبا هريرة فإنّه كان ممّن يعقد قلبه على ولايتنا أهل البيت، فقال له الصّامت: إنّه كان يشرب نبيذ الزّرواق، فقال: وأيّ شيء نبيذ الزّرواق عندكم؟ قال: الخمر، فضرب أبو جعفر بيده على جبهته ساعة ثمّ قال: رحم الله أبا هريرة، والله لو أتى بمثل رمل عالج ذنوباً أو بمثل زبد البحر لغفرها الله له، وما ذنبٌ إلاّ يغفره في مودّتنا أهل البيت.

حدّثني بهذا الخبر الحسن بن محمّد عن العقيقي عن أبيه عن إبراهيم عن أبي عميرة، وقال إسحاق الأحمر في كتاب الصّراط: حدّثني محمّد بن الحسن بن شمعون عن هارون بن مسلم بن سعد عن محمّد بن أبي عميرة عن جميل بن صالح عن إبراهيم بن ميمون التّبّان قال: قال أبو جعفر الباقر: يا ميمون: ما فعل أبو هريرة، وكان أبو هريرة يقول الشّعر فيهم؟ قلت: مات. قال: رحمه الله. قلت: إنّه كان يشرب نبيذ الزّرواق؟ قال: رحمه الله. قلت: إنّه كان يشرب الخمر. قال: رحمه الله. ثمّ سكت هنيهة ثمّ قال: أوعزيزٌ على الله أن يغفر لمحبٍّ علي شرب الخمر، ألا ترى هذا الخبر وما بيّن عن إباحة ما حظر على المخالفين، هذا مع تشدّدهم [illegible] المثل من النّبيذ وأن يقع في سواء عنه شيءٌ من خمر على [illegible] الظّاهرة الّتي لم يحرم على العارض ولو كانت محرمة [illegible] وفاز فيه.

حدّثني أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر بن حفص قال: حدثنا علي بن إسماعيل الميثميّ عن فضيل الرّسّان قال: دخلت على الصّادق فذكر حديثاً ثمّ أسنده للسّيّد فقال: لمن هذا؟ فقال للسّيّد بن محمّد، قال: رحمه الله، قلت: إنّي رأيته يشرب النّبيذ، قال: رحمه الله، قلت: إنّي رأيته يشرب نبيذاً أسوداً قال يعني خمراً، قلت: نعم، قال: رحمه الله وما ذنب إلاّ يغفره الله لمحبّ عليّ؛ هذا مع شدّة ما روي عنهم في تحريم الخمر وأنّ شاربها في النّار ولا تقبل له صلاة وفي خبر [illegible]

شرحه، فلو كانت هذه الخمرة هي الّتي جاء فيها التّحريم لم يكن أن يترحمّا على من مات وهو يشربها، وإنّ ذلك دليلاً على أنّ المحرّم غير هذا المشروب، وإنّما هو إسمٌ واقعٌ على معنيين ظاهراً وباطناً حظر على أحدهما وأبيح الآخر.

حدّثني محمّد بن إبراهيم عن أبي عليّ البصريّ عن أبي محمّد الهمذاني عن أبي سعيد عن محمّد بن موسى عن عليّ بن الحسن عن محمّد بن سنان قال: كان المفضّل وجماعة من أصحابه في غرفة مجتمعين يشربون ويتذاكرون إذا هبط السيّد من السّقف وبيده باقة أذريون فقال لهم: «شاذ خرم يا شاد خاريد كان » قال آخرون: إنّما قال: حلالٌ لكم معكم حرامٌ عليكم مع غيركم، فقال قومٌ: إنّما عنى بهذا القول العلوم الباطنة، وقال آخرون إنّما عنى الشّراب، والقول الثّاني أشبه بالخبر لأنّ لو كان الشّراب في الباطن محرّمٌ مثله في الظّاهر لنهاهم عنه وقد علم سائر الشّيعة أنّ إفشاء سرّ آل محمّد حرامٌ لا شكّ فيه ولا خلف.

عن محمّد بن محمّد قال إسحاق بن محمّد يرفعه إلى يونس بن ظبيان عن هشام بن الحكم عن المغيرة بن سعد قال: كنت عند أبي جعفر فدخل عليه نفرٌ من أهل الكوفة فقالوا: إنّه نشا فينا ناشي يقال له أبو الخطّاب يقول عليكم ما لم تقولوا، يقول إنّ الخمر والميسر فلان وفلان، فقال: ما قلنا هذا قطّ، فخرجوا من عنده، فقلت: يا سيّدي، فكذّبوه بقوله؟ فقال: يا مغيرة: قد كذب: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» فالرّجس الأوّل والشّيطان الثّاني، فإذا عرفت ذلك فتم عليّ، قلت: يا سيّدي، فما الخمر؟ قال: عنمه، قلت: والميسر، قال: روح الكفر، قلت الأنصاب والأزلام؟ قال: أهل الشّام الّذين قاتلوا العليّ العلاّم، فإذا عرفت ذلك عرفت باطن ربّك وظاهره، ثمّ إنّ قوماً كانوا يعتمدون سلمان وكان له كوزاً يضعه عند رأسه فيشمّون منه رائحة الخمر، فشكوا ذلك إلى النّبيّ فقال له: إنّ هذا ابن الفارسيّة تفضّله علينا وهو يشرب الخمر، فغضب رسول الله من كلامهم، ثمّ قال: فارصدوه إذا رأيتموه يشرب فخذوا كوزه حتّى تأتوني به، قال: فرصدوه وكان في القوم أبو الذّرّ فلمّا هوى في الكوز يشربه فشرب منه جرعة أو جرعتين أخذوه،

ثمّ أتوا به إلى النّبيّ، فنظروا إلى ما في الكوز فلم يشكّوا إلاّ أنّه خمر، فقال النّبيّ: يا سلمان تشرب الخمر: قال: لا والله ما شربته ولا أشربه قطّ، فقال النّبيّ: صدق والله ما شربه قطّ.

فقالوا: يا نبيّ الله لا تحلف، فقال لهم: اهرقوا ما في الكوز، فأهرقوه، فإذا هو لبن، فتحيّ رالقوم ثمّ قالوا: سحرنا محمّد غير أبي الذّرّ، فإنّه قال في نفسه أبى الله وأبى الرّسول إلاّ أن يسرّا على عبد مؤمن، فلمّا تفرّق النّاس عن رسول الله قال لأبي الذّرّ: يا أبا الذّرّ لن تؤمن بالله حتّىتأكل من طعام أخيك وتشرب من شرابه ولا تتّهمه، ثمّ قال: يا أبا ذرّ إنّسلمان عرف الخمر فبريءمنه وبرئت منه، فقال أبو الذّرّ،فكيف أحلّ واحداً وحرّم الآخر وهو حلالٌ في الجنّة، فقال: لقد لبثت زماناً حتّىعرفت ما أحلّ الله لأهل الجنّة محمّد وسلمان.

وروى موسى بن محمّد عن عليّ بن موسى الطّلحيّ عن محمّد بن عليّ عن محمّد بن سنان عن محمّد بن مروان عن زيد بن عبد الملك النّوفليّ قال: دخلت على السّيّدلأبي عبد الله فقال لي: يا زيد بن عبد الملك: سبعةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذابٌ عظيمٌ: من شرب مسكراً ومن عقّ والديه وترك طاعتهما وردّ عليهما ومن لعب بالشّطرنج وصاحب شاهين وقاذف حصنة أو محصن ومن خطب إليه مؤمن فأبى أن يزوّجه لفقره.

قال عليّ بن موسى عن أبي إسحاق المكفوف عن ابن سنان عن أبي خديجة الجمّال قال: دخلت على سيّدي أبي عبد الله فسألته عن تفسير قول يزيد بن عبد الملك في السّبعة؟ فقال: يا أبا خديجة إنّما شرب المسكر فعلم زرارة وأبي بصير بن يعفور وهو علم الظّاهر الّذي خرج إلى هذا الخلق عنهم، وأمّا الشّاهين فالشّاهين المذموم عند المؤمن الدّينار والدّرهم، وأمّا من خطب إليه فأبى أن يزوّجه لفقره، فذلك رجلٌ يأتيك وعندك الوليّ ويسألك أن تلقي إليه معرفته فتأبى عليه، فاتّقي الله ولا تنهره لقلّة معرفته، فإنّما يأخذ منكم علم الوليّ لكي يلقيه إلى غيره فتكون نجاته فيه.

ورُوي عن بعض العلماء في كتب الباطنة أنّه قال: الخمر المحمود في الباطن الأوّل الحسين وفي الباطن الثّاني أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب وفي الباطن الثّالث أبو الذّرّ وفي الباطن الرّابع علوم الله الباطنة وفي الباطن الخامس أبو الطيّبات وإظهار علمه وفي الباطن السّادس إسماعيل بن أبي الطّيّبات وفي الباطن السّابع المؤمن وهو بساط الشّيعة.

والخمرة هي العلوم ومحادثة المؤمنين ومجاراتهم ذكر الله والخمرة المذمومة توليه الضّدّ والقول بما أظهر من أشخاصه وعلومه.

وحدّثني المبارك بن محمّد عن محمّد بن الحسن عن عليّ بن يحيى عن عليّ بن المهريات عن الحسن بن محبوب عن الحسن بن يزيد عن داوود الرّقّي قال: كنّا عند أبي عبد الله أنا وصفوان الجمّال والمفضّل بن عمر إذ أتاه رجلٌ فقال: إنّ عندي مالاً قد حال عليه الحول، وقد وجبت عليه الزّكاة ولست أجد أحداً أعطيه إيّاه، فقال له: إنتظر إلى قابل، فلمّا كان من قابل أتاه وقال له مثل ذلك، فلمّا كان في الثّالث قال له: ادفعه إلى شارب الخمر، فقال له: أعطيها يا سيّدي لشارب الخمر؟ فقال: نعم، إنّ الله يغفر للنفاق من شيعتنا، قلنا: يا بن رسول الله ومن النّفّاق من شيعتكم؟ قال: شرّاب الخمر، قال: فإن لم نجد هاؤلاء فلا تعط المخالف منها شيئاً، فإنّ الله لا يأجركم على ذلك، ولكن اجعلها نوى وأزرعها في البحر، فإنّ الله يؤدّ بها إلى أهلها بمشيئته ورحمته ولطفه.

الغناء والعود والنّرد والملاهي.

قال اسحق في كتاب الصّراط: الغناء على ضربين محمودٌ ومذمومٌ: فالمحمود هو العلم ما لذّ للسّمع وكثرته لذّة والمذموم ما يصدّ عن ذكر الله ويمنع من التّوحيد ويضرب من إلى الشّيطان ويلذّه إلى الشّاكّ وهو جوهرتهم.

حدّثني محمّد بن إبراهيم عن البصريّ عن عبد الملك الكريم عن الكرخيّ عن إسماعيل بن عليّ عن محمّد بن صدقة قال: قال سيّدي: مزامير داوّد هي العود ولكن كان عليها ثمانية وتراً.

وروى أسحاق بن محمّد عن جعفر بن محمّد بن المفضل عن أبيه عن جدّه المفضل قال: سمعت مولاي الصّادق وقد سأله رجلٌ عن الغناء فقال: لو حضر وأنا جالسٌ ما قمت ولو جئت إلى موضعٍ وهو فيه ما رجعت، قال المفضّل: فلمّا خرج الرّجل: قلت يا سيّدي هذا العود المضروب به ما هو؟ قال: يا مفضّل مزامير داؤد نغمة سليمان.

وقال العالم منه السّلام: العود خزانةٌ من خزائن الله مفاتيحها في أيدي ملائكته، فإذا أراد الله جلّ ذكره أن يظهر نطقاً أمر الملائكة أن تحرّك الأوتار، فتحرّكها فيظهر منها نطقٌ توحيدي تشمئزّ منه قلوب غالية الشّيعة، قلت: من غالية الشّيعة؟ قال الّذين يقصّرون في معرفة الله ويظنّون بالله الظّنون، والعود بيتٌ من بيوت النّور أوتاره مناطق الوليّ ولغة سليمان.

وقال العالم: وقع الأوتار نغة العجم وأصوات الأغاني هي مسامرة المؤمنين ونحنّ من لغة العرب،و قال في وقع الأوتار خير لمن اتّقى وعرف الغناء المحض مزدجرٌ لمن عرف البواطن.

قال عليّ بن الحسين التّغليسي سألت محمّد بن سنان عن داؤد النّبيّ فقال: سألت المفضّل عنه فقال: سألت مولانا عنه وعن حسن نغمته وتلاوة الزّبور؟ فقال: نعم له نبأ عجيبٌ اعلم يا مفضّل أنّي أفيدك علماً يفوز به كلّ من عرفه إن شاء الله: يا مفضّل اسمع وعي إنّما لمّا أقيم الظّاهر داؤود للمحنة كما أقيم ظاهر نبوّة محمّد كان الزّبور يجري على لسانه بحلاوة منطقٍ وعذوبة لسان حتّى كان الإنس والجنّ والطّير والهوام ترفرف على رأسه لحسن صوته وطيب نغمته، فأراد الله يمتحن الخلق بالتّوحيد، فأظهر لهم معصية وكان ذلك قدرة وتأديباً، فلمّا أن فعل ذلك افتقد الطّير والطّير كبراء المؤمنين حسن نغمة التّوحيد فلمّا أن أظهر النّسيان افتقدت ما كانت تعهده منه فتخلّفت وكان ذلك معصية.

قال المفضّل: قلت: فلم ذلك: قال: لأنّ الله قد أعلمه أنّ الخطا لا يجوز عليه ولا السّهو والنّسيان، فأراد أن يعلم كيف يمتحنهم بصغير الشّيء وكبيره، فلمّ أن

فقدهم أظهر عوداً فنقره وركّب عليه الأنف وشدّ عليه الأوتار وملاوي خمسة ثمّ أخذ المضراب بيده ونقر به فوقع به صوت الزّبور، فأجابه الوتر والبنب وترجم بلسانه وغيّر بيده فسمع الطّير والوحش حسن سجاه وطيّب نغمته وحسن نقره، فأجابته وسمعوا منه شيئاً م كانوا يعهدونه، فكانو يترنّون ويبكون ويتأسّفون على ما فاتهم وعلموا أنّهم ألزموا الخطأ. فعندها استغفروا وتابوا، فجعل الله لهم المراتب ورتّبهم عليها.

وروى عن أبي عبد الله الأسديّ عن صالح بن ابي حمزة عن عليّ قال: سمعت زكريّ بن آدم يحدّث عن إبراهيم أنّه قال: استحسنت من العجم أربعة أشياء: ضرب العود والصّوالج ودخول الحمّام والحلال فسألته عن ضرب العود أيجوز: فقال: يا زكريّ صوت العود صرير أبواب الجنان إذا فتحت وهي الأربعة أوتار وأربعة أديان الأصل واحد والشّرائع مختلفة وفّقنا الله لما يحبّ ويرضى.

حدّثني أبو الحسن سليمن بن نجيم بن الهظيم عن الحسين بن محمّد الرّازي عن عبد الله بن عبد الرّحمن عن عيسى بن محمّد قال: سألت محمّد بن سنان في حملة مسائل عن فهرنك فقال: كان مؤمناً عارفاً وفهرنك معروفٌ في العجم بضرب العود.

وروى عن بعض العلماء أنّه قال: العود باطنه شخصٌ ناطقٌ بخمسة ألسن: إذا شاء صمت وإذا شاء نطق.

وروي أنّ الله بعث سلمان في القدم إلى أمّة من الأمم فدعاهم إلى توحيد الله فلم يجيبوه، فأخذ خشبه فسدّ عليها خيطاً وضرب بها، فجعل يدعو إلى الله والخشبة تجيبه، فلمّا رأوا الخشبة تجيبه قالوا: إذا كانت الخشبة تجيبه فمن نحن، فأجابوه إلى توحيد الله، والخشبة هي الطّنبور.

وقال بعضهم: النّور ثابتٌ في الهياكل الّتي تجري منها النّغمات، فبذلك النّور تنطق الملاهي وبه تجري وبه تتحرّك وهي أبدان الحكماء والعلماء العارفين بالله في الأزليّة والأحديّة.

وروى محمّد بن عبد الله القمّي عن عليّ بن موسى الطّلحيّ عن محمّد بن عليّ الصّيرفي عن محمّد بن سنان عن محمّد بن مروان عن يزيد بن عبد الملك النّوفليّ قال: سألت مولاي جعفر بن محمّد عن لعب الشّطرنج فقال: هو أخوك الشّطر فيما بينك وبين الله، وهو باب نجاتك من الله، واللّعب به حبس حقّه وترك طاعته، والرّدّعليه فيما يقول والوقيعة فيه، قلت: فاللّعب بالنّرد؟ قال: النّرد محمودٌ إذا لعب به المؤمن لأنّه في المحرّم الذّهاب والتّكرير فيكرّ إلى أن يصفو وهو ما تراه في القمار من اللّعب وردّه، وسبيله سبيل المؤمنين الممزوجين الّذين يكرّون إلى أن يصفوا، فإذا صفوا ثبتوا والمذموم منه الّذي يلعب به المذمومون ويقامر بعضهم بعضاً وهو ما يغضب أحدهم صاحبه في دنياه.

والقمار المحمود الثّبات على الصّفوة والقمار المذموم هو الغضب في القمار والاغتياب والمقالة الرّديئة النّجسة، وبالله نسأل الفوز والرّحمة، قلت: يا سيّدي: شرحت لي ما كنت عنه غافلاً، فقال يزيد: شرحت لكو الله علّم الأوّلين والآخرين، فأمّا الأوّلين فهو النّورانيّون الّذين لم يزالوا نورانيّين، وأمّا الآخرين فهم الّذين تأخّرت عنهم المعرفة إلى وقت التّصفية فهم في التّكرار حتّى يصفوا.

عن محمّد بن سنان عن المفضّل قال: قال السّيّد الأكبر: لا بدّ للمؤمن من موتة وقتلة: إن مات كرّ حتّى يقتل وإن قتل كرّ حتّى يموت.

وقال بعضهم: إنّ في سائر الأشياء الظّاهرة دليلاً على الوحدانيّة والعدل، فمن ذلك الرّدّ [النّرد] أنّ **الكلبين اللّذين في أسفل الرّقعة** سبيلهما سبيل المؤمن في المسير إن كان سنة كان كالموت وإن ردّ بسبقه كان قتلاً، و**الخمسة الّتي فوقها** فسبيلها سبيل المؤمن إذا كرّر في الظّهور خمسين سنة، و**الثّلاثة الّتي فوقها** المؤمن الّذي يعيش في كرّةٍ واحدةٍ مائة وخمسين سنة، فصارت ثلاث كرّاتٍ في كلّ كرّةٍ إلى أن ينتقل ثلاث مرّاتٍ في سنةٍ واحدةٍ في هذه الألف سنة والسّبعة وسبعين سنة والسّبع ساعات **والخمسة الّتي فوق الثّلاثة** أنّه يعيش في ثلاث كرّاتٍ مائة وخمسين سنة لا يزيد عليها ولا ينقص.

والبيوت أربعة وعشرون بيتاً سبيلها سبيل أبدان المؤمنين، وذلك أنّه يرتفع إلى درجة الصّفا في أحد وعشرين كرّة، والبيوت أربعة وعشرون بيتاً، فصارت الثّلاث كرّات كرّة واحدة من جميع الحساب إلى الأصل وهي أحد وعشرون بيتاً، والنّقص كالشّمس والقمر: فالشّمس كالحجاب الأكبر والقمر حجاب الوليّ فلا يزال النّقصان يدور حتّى يصفو فلا يبقى فيه شيءٌ من المدورة، والّذي يبقى قائماً أبداً فذلك المذموم الّذي ينحطّ من درجةٍ إلى درجةٍ أبداً وينكص على عقبيه.

فصلٌ في لزوم التّقيّة.

روى أحمد بن محمّد عن أبي هارون عن يونس بن ظبيان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: الصّلاة والصّيام والحجّ والغسل من الجّنابة وما أشبه هذا رجالٌ ولكن من لم يعمل بظاهره لم يقبل منه الباطن.

أخبرنا عليّ بن أحمد عن محمّد بن يعقوب عن أبي عليّ الأشعري عن معلّى بن محمّد بن صاعد مولى أبي عبد الله عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله يقول: مذيع السّرّ شاكٌ وقائله عند غير أهله كافر.

فصل من كتاب المرشد في لزوم التّقيّة: قال أبو الّيث محمود الشّاشي في كتاب المرشد: حدّثني الحسين بن عبد الله عن محمّد بن الحسين عن محمّد بن عليّ عن محمّد بن سنان عن المفضّل بن عمر قال: قال الصّادق: يا مفضّل صن دينك، قلت: سيّدي كيف أصونه؟ قال: بإظهار العبادة ومواساة أولياء الله، يا مفضّل: من عرف جيرانه أو واحداً من المقصّرة بشيءٍ من الشّهوات الشّنيعة ينالها ظاهراً فهو كافرٌ بالله مردود بالتّهتّك، ثمّ قال: يا مفضّل: استعبدوا هذه الأنفس الأمّارة بالسّوء بإقامة التّأديب، ومن أظهر منكم بخلاف ما أظهرناه فقد خالفنا ومن خالفنا فقد بارزنا، يا مفضّل عوّدوا أنفسكم هذه الآصار في الخلا كي لا تسهوا عنها في الملا، أقيموا الفرائض والتّأديب ولا تغفلوا عنها، أيحبّ أحدكم أن يدخل السّوق عرياناً.

وبالإسناد عن المفضّل قال: سمعت الصّادق يقول: إنّ في هذه العصابة قومٌ يدخلون فيها ليسقطوا عن أنفسهم العزائم ويستخفّوا بحمل الفرائض، ما هؤلاء منّي

ولا أنا منهم أولئك وقُودُ النّار يا مفضل كلّما ناله المؤمن في دولة إبليس حرامٌ عليه إلاّ ما يظهره لعدوّه، وما لا يهتك به ستره، ويجد السّبيل إلى الطّعن عليه وعلى من قال بقوله، يا مفضل أمّا أنّه حلالٌ لكم معكم حرامٌ عليكم مع غيركم.

حدّثني أبو الحسن بن المنذر قال: حدّثني محمّد بن عبد الله بن مهران عن محمّد بن سنان عن فرات بن أحنف قال: سمعت السّيّد عليّ بن الحسين يقول: افترضت على أوليائي الممتحنين أن يقرّوا بالصّلاة باطناً وهي معرفتي ويقيموها ظاهراً والإقرار بها باطناً وأنا السّيّد الموجود لأوليائي المؤمنين وأعدائي هم الأبالسة.

وبالإسناد عن ابن سنان عن أبي خديجة قال: بعثني الصّادق إلى أهل المدائن المؤمنين منهم أن أقيموا الصّلاة الظّاهرة بعد معرفة الباطن وصوموا شهر رمضان بعد معرفة باطنه وآتوا الزّكاة بعد معرفة باطنها وحجّوا بيت الله الحرام بعد معرفة باطنه ولا تدعوا شيئاً ممّا فرض الله عليكم في الظّاهر ومن يترك الظّاهر بعد ما عرّفه الله الباطن سلخه الله من الظّاهر والباطن معاً.

قال: حدّثني الحسن بن المنذر عن أحمد بن محمّد البرقيّ عن أبي سهيل الآدميّ عن ابن سنان قال: سمعت أبا جعفر الثّاني يقول: إقامة الصّلاة ظاهراً هي معرفة الله عند الأعداء وأهل الخلاف.

قال: حدّثني أحمد بن يوسف قال: حدّثني اسحاق بن محمّد عن ابن مهران عن عبد الله بن سنان قال: سألت المولى الصّادق عن قوله إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، قال: أعلمكم بالتّقيّة.

وقال الحسن بن المنذر عن أحمد بن محمّد بن خالد البرقيّ عن أبيه عن ابن سنان قال: شكا رجلٌ إلى محمّد بن المفضّل أنّ جماعة ممّن ينتحلون هذا الأمر من الموحّدين يقولون بالإباحة ويرون ترك الأصار، قال: فأظهر الغضب وقال: إنّما ظهر الله بذاته ليؤخذ بآدابه.

باب خلق الأرواح والأبدان ونقلتها والتّناسخ

والتّماسخ والمجازاة سوى ما في باب الابتداء الخلق، قال الله جلّ ثناؤه: «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ» وقال: «قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ» وقوله: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ» وقال: «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّوَرِ – بفتحة الواو – فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ» وقال: «عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ» وقال: «فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ» وقال: «الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ » وقال: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ» وقال: «أَ فَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ».

فصلٌ من كتاب الهفت والأظلّة عن المولى الصّادق أنّه قال: ما من مؤمن يموت الا وتحلّ روحه إلى الامام فينفث فيها، فإذا كان مؤمناً ممتحناً صافياً اصعدت الملائكة بروحه إلى السّماء فغمستها في عين على باب الجنّة يقال لها عين الحياة، فإذا خرج ألبس البدن بدنه النّورانيّ وأقيم في الجنّة، والبدن يربى في بطن أمّه وذلك في تلك السّاعة الّتي تخرج روحه من بدنه تقع النّطفة في بطن أمّه في تلك السّاعة وفي ذلك الوقت بعينه فتربى النّطفة وهي بدنه حتّى تصير علقة، فإذا صارت علقة أخذت الملائكة روحاً من أرواح الكفّار فتودع تلك العلقة فتعذّب في الأرحام حتّى تصير بدناً وروح المؤمن في الجنّة تتنعّم، ثمّ تصير مضغة، فإذا صارت مضغة أخذت روحاً من أرواح المنكوسين في الكفر فتستودع في ذلك البدن في الرّحم فتجعلها أسفلها أعلاها حتّى يبلغ البدن مداه، فإذا بلغ البدن مداه اجتمعت الملائكة إلى الرّوح الّتي في الجنّة فتأخذ عليها الميثاق وتأخذ الأمرأة في الطّلق على قدر احتباس الرّوح ابطأت فإذا أبطأت الرّوح إبطاء الطّلق على الامراة وكلّما امتنعت الرّوح كان أشدّ لطلقها وتعرض الرّوح على الرّبّ فيأخذ ميثاقها بنفسه، ثمّ تنزل الملائكة والإمام

معها، فإذا انتهت إلى الموضع زجرت الملائكة البدن فينقلب في جوفها فيصير أسفله أعلاه، فإذا خرجت أولجت الملائكة روح هذا المؤمن فيه وذلك عندما يسقط.

قال المفضّل: فقلت يا سيّدي: أخبرني عن الرّوحين المحبوستين في البدن، فقال: أحدهما تسمّى المنتهرة، فمنها يكون العطاس والتّثاؤب والاحتلام والرّؤيا والحركة والأخرى العلقة، فمنها يكون الغائط والبول والرّيح المنتنة.

قال المفضّل: قلت: يا سيّدي: فميلاد الكافر؟

قال: إذا خرجت روحه من جسده عند موته وقعت في تلك السّاعة نطفة في بطن أمّه فتجيء الملئكة وقت خروج روحه من جسده عند فيأخذونه حتّى يأتوا به إلى الهواء الأوّل من الأرض الأولى الّتي فيها النّار الأولى فتغمسها في عينٍ من النّار يقال لها عين الرّذّال لأنّ الأرواح ترذل في تلك العين، ثمّ تغمسها فيها غمسة فتجد في تلك الغمسة من الألم ما لو وضع على جبلٍ لهدّه، فتنسى عند ذلك ما مرّ عليها من نعيم الدّنيا ولذائذها، ثمّ تنزل الرّوح في تلك النّار أربعين يوماً حتّى تصير النّطفة علقة، ثمّ تخرجها الملائكة من ذلك العذاب فتسجنها في الرّحم، فلا تزال تمتصّ الدّم والحيض وتأكل العذرة حتّى يأتيها الوقت المعلوم فتأتيه الملائكة ملائكة العذاب، فإذا نظرت الرّوح إلى الملائكة ضاقت بها ذرعاً وتظنّ أنّها تخرج إلى العذاب وإلى العين الّتي كانت فيها، فعند ذلك تقع الامرأة بالطّلق فيشتدّ عليها، والملائكة حضورٌ في غير صورها، ويحضر الامام فيزجرها زجرة فينقلب الرّأس إلى أسفل فوقاً فيخرج الولد باكياً مقطباً وتخرج العذرة من فيه ودبره وربّما انكبّ على وجهه فرقاً فلا يزال باكياً حتّى يغيب عنه الامام.

وقال العالم في كتاب الأسوس: لكلّ مؤمنٍ سبعة أبدان أبدانٌ نوريّة وسبعة أبدان دنيويّة وللكافر سبعة أبدان دنيويّة في كلّ نوع من المسخ.

وقال العالم في كتاب الهفت والأظلّة: طبائع الانسان أربعة: المرّة والدّم والرّيح والبلغم.

ودعامته أربع: العقل: فمنه الفطنة والفهم والحفظ والعلم.

وأركانه النّور والنّار والرّوح والماء.

وصورته طينيّة، فأبصر بالنّور وأكل وشرب بالنّار وجمع وتحرّك بالرّوح، ووجد الذّوق والطّعم بالماء.

معرفة الرّجل المأبون وكيف سبب ذلك

قال المفضّل سألت العالم على ذكره السّلام قلت: سيّدي أخبرني أيحبّ الرّجل من النّكاح ما تحبّه الإمرأة وتريده ويشتهر بذلك ويفتضح ويعرف، فقال: يا مفضّل إنّك سألت عن النّجاسة والرّجاسة وأنّ الله تبارك وتعالى لم يبتل أحداً من أوليائه وشيعتنا بذلك ولا يبتلي به أحداً من المؤمنين، يا مفضّل: هذا الدّاء قد برّيء منه المؤمنين ولا يبلى به إلاّ أعداؤنا وأعداء شيعتنا وكيف يبلى الله بهذا المؤمنين وهم أطهارٌ والطّهارة بعيدةٌ من النّجاسة، وكلّ من أنكر ولاية أمير المؤمنين وسبق إلى قلبه بغض أحدٍ من أوليائه ابتلي بهذا الدّاء.

قلت: سيّدي: قد بلغني أنّه ربّما نسب هذا الدّاء إلى رجلٍ يذكر أنّه يتوالى أمير المؤمنين قال: كذب والّذي فلق الحبّة وبريء النّسمة أنّ أمير المؤمنين قد يحبّه الكافر أيضاً فالكافر الّذي يحبّه والمؤمن بريئان من هذا الدّاء وإنّ هذا الاسم لا يصلح أن يسمّى به أحدٌ إلاّ إبتلاه الله بالأُبنة.

قلت: سيّدي وما هذا الاسم؟ قال: اسم أمرة المؤمنين لأنّه لا يجوز ذلك لشيءٍ متقدّم في الكرّة، قلت: وما هذا الشّيء المتقدّم الّذي كان في هذا الرّجل المأبون؟ قال: كان أصل هذا امرأة باغية مشؤومة، فكانت تبغي وتفجر وربّما عملت ببغيها وفجورها أعمال البرّ وبلغك ذلك؟ قلت: نعم، فإنّ هذه الامرأة إذا ردّت في الكرّة الثّانية ردّت رجلاً، ويجعل قبلها دبرها فيكون سبب علّة شهوة الإنسان النّكاح على ما كانت من الامرأة فاجرة، فهذا الدّاء لا يكون إلاّ في الجّنس الّذي وصفت لك والعلّة فيه على ما أخبرتك من بغض أمير المؤمنين وأشياعه وحبّ أعدائه وما كان الله عزّ وجلّ ليجعل هذه النّجاسة والرّجاسة في أحدٍ ممّن أخلص المعرفة وأقرّ بالوحدانيّة وأحبّنا أهل البيت، فأمّا الّذي بلغك ممّا خبّرتني به، فإنّ الّذي ينسب إلى

حبّ أمير المؤمنين وبه هذا الدّاعليس بصافٍ في الحبّ وفي قلبه غلٌّ وعداوةٌ لله ولأوليائه.

معرفة هل يرد الرّجل المؤمن في صورة الامرأة المؤمنة وهل ترد الامرأة المؤمنة في صورة الرّجل المؤمن.

قال المفضّل: سألت العالم على ذكره السّلام قلت: يا سيّدي: أيرد الرّجل المؤمن في صورة الامرأة المؤمنة وترد المرأة المؤمنة في صورة الرّجل المؤمن؟

قال العالم على ذكره السّلام: أمّا الرّجل المؤمن فلا يرد في صورة المرأة المؤمنة وأمّا المرأة المؤمنة فترد في صورة الرّجل المؤمن فالرّجل المؤمن أكرم على الله أن يردّه في صورة الامرأة فيحطّ درجته الّتي نمى إليها بل ترتقي المرأة المؤمنة إلى منزلة أرفع من منزلتها، فأمّا الرّجل المؤمن فإنّما يرتقي من درجةٍ إلى ما هو أرفع منها والمؤمن في ازدياد وسموّ وارتفاع حتّى ينتهي إلى درجة أفضل من درجته وإلى منزلة المخلّصين والكافر ينحطّ مندرجةٍ وضيعةٍ إلى ما هو أخسّ منها وإلى المنزلة الدّنيئة حتّى يكون في أصناف المسوخيّة الّتي يستوحش النّاس منها.

قلت: سيّدي: فتكون الامرأة ترد في صورة الرّجل وفي صورة النّساء؟ قال: لا تكون أصلاً في صورة النّساء بعدما قد ردّت رجلاً إنّما تكون في صورة الرّجال أبد الأبدين ودهر الدّاهرين، أليس قد أخبرتك أنّ المؤمن لا يرد أصلاً في صورة النّساء ولا ينقل من صورةٍ إلاّ إلى ما هو أحسن منها وإلى المنزلة هي أرفع وأعلى من المنزلة الّتي كان فيها وعليها، فكيف ترد الامرأة بعدما قد ردّت في صورة الرّجل إلى صورة النّساء لو كان ذلك كذلك لكانت تكون في الانحطاط وكان تكون تنزل من درجة إلى ما هو أتمّ منها وأنّ المؤمنة إذا ارتفعت إلى درجة الرّجال إنّها ترتقي إلى أعلى من درجتها ويكون سبيلها سبيل المؤمن الّذي يرتقي من درجةٍ إلى ما هو أرفع منها ولا ترتقي الامرأة إلى درجة الرّجال حتّى ترد في صورة الرّجال، فهذه سبيل العلّة في النّساء وردّهم في صورة الرّجال على ما أخبرتك به.

ولقيت أبا عبد الله الخصيبي فروى رواية صحيحة عن الفارس الجنّان أنّ الامرأة لا ترد في صورة الرّجل المؤمن أبداً ولا تنجب أبداً فسلّمت إليه ذلك وقبلت قوله.

معرفة هل يرد الكافر امرأة كافرة

والامرأة الكافرة ترد رجلاً كافراً أو في أيّ صورةٍ يردّون

قال المفضّل سألت العالم على ذكره السّلام عن الامرأة الكافرة فتردّ في صورة الرّجل الكافر وعن الرّجل اكافر يردّ في صورة الامرأة الكافرة؟ قال: نعم يردّ الرّجل الكافر في صورة الامرأة الكافرة ولا تردّ الامرأة الكافرة؟ قال: نعم يردّ الرّجل الكافر كما أنّ المؤمنين من الرّجال والنّساء يرتقون في الدّرجات حتّى يصير عامتّهم نساء.

قلت سيّدي: إنّه روي عن أبيك أنّه قال: النّساء شرٌّ؟ قال: يا مفضّل إنّ أصل كلّ شرٍّ النّساء وإنّما أخرج آدم صلعم من الجنّة بسبب حوّاء حين أغوته وأكرهته على أكل الحبّ وإنّما قتل قابيل أخاه هابيل بسبب نساء هجنه وبلغك ما حكاه الله عزّ وجلّ عن امرأة نوح وامرأة لوط وما خانتاهما وإنّما قتل يحيى بن زكريّا بسبب امرأة وعقرت ناقة الله بسبب امرأة بغياً وقد قال النّبيّ صلوات الله عليه وعلى آله: والله ما أبلغ في القول وأوجز في المعنى حين نظر في النّار فرأى أكثر أهلها نساءً وكيف لا يكون كذلك وهنّ أكبر غائلة وأقوى كيداً من الرّجال، قال أي والله ومن الشّياطين والأمردة وإنّ الانسان من الرّجال إذا ارتقى في كفره وعتوّه وتمرّده وانتهى صار إبليساً وردّه في صورة امرأة.

قلت: سبحان الله ما علمت ذلك ولا ظننت أنّه بكائن، قال: أوماتقرأ القرآن في قوله: «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً» وقال: «إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ» يعني إذا صوّروا نساءً، قلت: صدقت يا سيّدي، قال: يا مفضّل هذا سبب تراكيب الكفّار في صورة الامرأة الكافرة.

معرفة تركيب البهائم وهل يرد الذّكر أنثى والأنثى ذكراً

قال المفضّل: سألت العالم منه السّلام عن البائم هل يرد الذّكر أنثى والأنثى ذكراً؟ قال العالم على ذكره السّلام أمّا ما كان منها ما يحلّ أكله فإنه يرد الذّكر أنثى والأنثى ذكراً وذلك أنّ هذه البهائم الّتي يحلّ أكلها من ذنوب المؤمنين، فإذا مضى مؤمني ذلك العصر مضت البهائم وردّوا وردّت البهائم فلا يحلّ أكل شيء منها لأنّهم قد ركّبوا في مسخ آخر ممّا لا يحلّ أكله، فحينئذ يردّ الذّكر ذكراً والأنثى أنثى ولا يردّ الذّكر أنثى ولا الأنثى ذكراً، فثمّ يخرجون من ذلك المسخ إلى مسخ أوحش منه إلى أن يردّوا في مسخ تستوحش منه البهائم فضلاً عن النّاس فهم ما بين ذلك في المسوخيّة إلى أن يردّوا إلى مسخ يعاد بهم جميع البهائم والسّباع، فهم بعداوتهم إيّاهم يأكلونهم ويقتلونهم ولعداوتهم بعضهم بعضاً أشدّ من معاداة الكافر للمؤمن والمؤمن للكافر إلى أن يمسخوا في المسوخ الّتي تكون في البحر فتعافه كلّ دابّة تكون في البحر وتخافه من شدّة لعنته ومكائده، فذلك أقدر المسوخ وأشدّها عتوّاً وتمرّداً وله اقتدارٌ وسطوة فمنه التّنّين الّذي يجذب الشّيء من مقدار فرسخ وربّما وقع شعاعه الّي يخرج من جوفه على علوة فرسخ وأكثر وربّما يمسخ على هذا الحال الثّعبان وله رؤوسٌ كثيرة وإنّ مرّ نَفَسه من بطنه بالشّجرة أحرقها، فهذا وما أشبهه يكون وغير ذلك بما هو أوحش وأبغض وألعن في الصّورة والتّراكيب نسأل الله تعالى العافية من ذلك بمنّه وإحسانه إنّه قريبٌ مجيبٌ.

معرفة هل يكون المؤمن عبداً لمؤمن أو لكافر والعلّة في ذلك.

قال المفضّل: سألت العالم منه السّلام عن المؤمن يكون عبداً مملوكاً للمؤمن أو الكافر وعن السّبب ي ذلك قال: إنّ معنى العبوديّة على وجهين، فأمّا الوجه الأوّل فإنّ المؤمن قد يكون عبداً مملوكاً لمؤمن ولا يكون عبداً مؤمناً لكافر.

قلت: سيّدي وما السّبب في ذلك والعلّة فيه أن يكون المؤمن عبد المؤمن؟

قال: العلّة فيه أنّ هذا العبد في الذّرو الأوّل كان واخى لهذا المؤمن الّذي قد ملكه في الدّور الثّاني وكان هذا المؤمن قد صحبه رجاءً أن ينال منه معروفاً وخيراً،

وكان من هذا المؤمن الثّاني تقصيرٌ إليه في أداء حقّه الّذي يجب له عليه، فجعل يمنّيه ويسوّفه طول الأمل وجعل هذا المؤمن يطيعه رجاءً أن ينال منه الخير، فذهبت أيّامه هدراً ولم ينل منه شيئاً ممّا كان يؤمّله إلى ان مات على ذلك، فلمّا ردّه في الكرّة الثّانية أدال الله عزّ وجلّ للمؤمن المتعب من المؤمن الّذي لك يؤدّ حقّه ولم يقم بما يجب له عليه من حقّ الإخاء والإيمان إلى ان انقطع رجاؤه فملكه الله رقّ أخيه المؤمن يتعبه مثلاً بمثل وسواء بسواء والله عزّو جلّ عدلٌ لا يجوز، فما كان من طريق المملوكيّة والعبوديّة من هذا الوجه على ما أخبرتك به.

قلت: سيّدي:صف لي الوجه الآخر؟ قال: ذلك في الحريّة والعبوديّة فيما بينه وبين ربّه وذلك أنّ للمؤمن درجات كثرة، وإنّ لكلّ درجةٍ من درجاته علامةً، فإن كان في أدنى درجاته فيما يجب عليه من الظّاهر إقامة الصّلاة والصّيام والزّكاة والحجّ والجّاد وغيرذلك من الشّرائع فهو عبدٌ مملوكٌ يجب عليه أن يقيم بهذه الشّرائع على حدّ العبوديّة طائعاً غير كارهٍ إلى أن ينتهي إلى درجة الأحرار.

قلت: سيّدي ومولاي وما درجة الأحرار؟ قال: إذا عرف الله وانتهى في المعرفة مخلصاً من غير إرتياب أنّ ربّه العليّ الأعلى وأقرّ بربوبيّته ووحدانيّته وأنّه غنيٌّ عزيز.

قلت: مولاي: ما معنى غني؟ قال: غني بنفسه عن غيره فكتف ليس به إلى أحدٍ من خلقه حاجةٌ والخلق كلّهم محتاجون إليه مفتقرون إلى رحمته، فإذا كان على هذا المثال وعرف الله بهذه الصّفة فقد انتهى وخرج من التّيه ومن حدّ المملكة والعبوديّة وصار حرّاً يطاع حيث ما توجّه من أرضٍ أو سماءٍ.

قلت: سيّدي وفي السّماء أيضاً؟ قال: نعم ما من ملكٍ مقرّب ولا نبيٍّ مرسلٍ ولا صديق ولا شهيد يعرفه ويطيعه بأنّه وليّاً مخلصاً لله عزّ وجلّ وأكثر مسكنه في السّماء مع الملائكة ويعرج إليهم متى شاء ويهبط من عندهم إلى الأرض متى شاء وتطوى له الأرض، لو شاء أن يأتي المشرق والمغرب في ساعةٍ أو في لحظةٍ أتاه ولو أحبّ أن يعرج إلى السّماء في لحظةٍ وينزل إلى الأرض لفعل وهو قادرٌ على

ذلك مكرمٌ أينما أقبل وأدبر تعرفه الجّبال والبحار والشّجر وكلّما ظهر على الأرض وفي الهواء وفي السّماء وما بين ذلك وما بينهما لأنّه وليٌّ مخلصٌ بالغٌ قد إنتهى.

قلت: سيّدي ومولاي، فهل بهذا الزّمان إنسانٌ بهذه الصّفة؟ قال: نعم يا مفضّل أناسٌ كثيرةٌ.

قلت: سيّدي أتراهم؟ قال: نعم ويروني ويسلّمون عليّ وربّما كان ذلك وأنتم حضورٌ إلاّ أنّكم لا تعرفونهم.

قلت: سيّدي قد مننت عليّ فأسمعني؟ قال: قد علمت ما خطر ببالك إنّك أردت أن تسألني أعرض عليك بعضهم.

قلت: سيّدي هو أحبّ إليّ، قال: نعم فوالله ما استممت سؤال سيّدي حتّى استفتح الباب رجلٌ فقال لي: هذا منهم، فسلّم عليه، فقلت: يا أخي من أين أقبلت؟ قال: من السّماء، قلت وإلى أين تريد؟ قال جئت مسلّماً على مولاي أبي عبد الله، قلت: سيّدي أخبرني أنّ الجّبال والبحار تعرفك ولا تمتنع عليك وتأمرهم فيطيعوك، قال: ويطيعني أكثر من ذلك؟ قلت، وما ذلك، قال: السّماء والأرض والجنّة والنّار.

فنظر إليّ سيّدي وتبسّم وقال: صدق. فقلت: سبحان الله ! قال تسبّح عجباً ممّا ذكرت. قلت سيّدي شيءٌ أكثر من ذلك، قال: نعم، فإنّه يطيعني أعظم من السّماء والأرض والجنّة والنّار والجّبال والأبحار وغير لك. قلت: سيّدي: ما أكبر من ذلك؟ قال: نعم. قلت: سيّدي وما هو؟قال الله ربّ العالمين صانع هذهالأشياء وخالقها ومقدّرها. قلت: سيّدي: وما طاعة الله لك؟ قال: أسأله فيعطيني وأدعوه فيجيبني وهل كلّ طاعة إلاّ دون هذه؟ قلت: صدقت، قال لي العالم – على ذكره السّلام – إنّك متعجّبٌ غير مصدّق وليس الخبر كالعيان فاسأله أن يعرض عليك شيئاًمن ذلك، قلت: إن فعل قال: اسأل عمّا بدا لك وعمّا أحببته أعرضه عليك. قال: فنظرت فلم يكن شيءٌ أقرب من شجرة في دار العالم على ذكره السّلام، قلت: فهذه الشّجرة تأتيني؟ فقال: أيّتها الشّجرة أطعمينا من رطبك ولم يكن يومئذ أوان الرّطب، قال: فتدلّت علينا أغصانها وتقاربت أوراقها إلى أن أطعمتنا الرّطب وأكل وأمسكت، فقال

لي العبد الصّالح كل، فتناولت وأكلته مليّاً، ثمّ قال: اهتزّي علينا فانثرت إلى أن ملأت كلّ ناحيةٍ في الدّار، ثمّ قال لها ارجعي، فرجعت إلى مكانها وعادت إلى هيئتها، ثمّ اقل: أوتعجب من لك؟ قلت: أي والله أكثر، العجب.

قال: فقال العالم على ذكره السّلام، لا تعجب فلو أمر الجبّال الرّواسي أن تسير معه لسارت ولو أمر البحار أن تفيض لفاضت ولو أمر السّماء أن تهطل لهطلت ولو أمر الأرض أن تنبت لنبتت ولو أمر الجنّة أن تخرج من حليها وحللها وسندسها واستبرقها لفعلت ولو أمر النّار أن تأخذ هذا الخلق المنكوس لأخذتهم وقد فعل في يومه هذا أكبر من ذلك أنّك لمّا سألتني على صفة الأولياء الأخيار ودرجاتهم ومراتبهم في السّماء السّابعة وأنّه هبط من السّماء السّابعة، فهل هذا أكبر من جميع ما أخبرنا به من المنازل والمراتب والدّرجات.

قلت : سيّدي ففي كم بلغ هذا العبد الصّالح هذه الدّرجة؟ قال: في إحدى وعشرين كرّة، قلت: سيّدي ومولاي وكم مقدار الكرّة من السّنين.

معرفة كم يبلغ المؤمن ويرتقي في درجاته إلى أن يكون مخلصاً صافياً

قال المفضّل سألت العالم على ذكره السّلام في كم يبلغ المؤمن ويرتقي في درجاته؟

قال: في إحدى وعشرين كرّة.

قلت: سيّدي في كم مقدار هذه الكرّات من السّنين؟ قال: ألف سنة وسبع وسبعون سنة وسبع ساعات، يكرّ فيها إحدى وعشرين كرّة، وذلك إنّ لكلّ مائة سنة من هذه العدّة كرّتان، فإن عاش في كرّته أكثر من خمسين سنة نقص من عمره في الكرّة الثّانية على مقدار الزّيادة الّتي يزيدها في الكرّة الأولى، وكذلك إن عاش أقلّ من خمسين سنة زيد في عمره على قدر ما بلغ من النّقصان، فعلى هذا إلى أن يكرّ في إحدى وعشرين كرّة في هذه الألف من السّنين وسبعة وسبعين سنة وسبع ساعات.

قلت: سيّدي ومولاي: ويعيش الإنسان مائة سنة وأكثر من ذلك وربّما عاش مائة وعشرين سنة وربّما أيضاً زاد على ذلك.

قال العالم - على ذكره السّلام - كلّ ذلك في جملة هذه الألف كذا وكذا، ومنها لأنّه ربّما ولد ولداً فيموت من يومه وفي الكرّة الثّانية وكلّما كرّ فيعيش السّنة والأكثر والأقلّ على ذلك إلى أن يستوفي هذا العدد وكذلك الكافر في مسوخيّته على هذا الحساب مثلاً بمثل وسواءً بسواء في درجاته من الصّفا والإخلاص والكافر في حالته من الإنحطاط والوكس ولا يزالون يكرّون ولا يبقى مؤمنٌ ولا كافرٌ حسنة أو سيّئة أو شيء ممّا عمله إلاّ وفي لذّته في هذه الدّنيا أو في جملة هذا العدد، ثمّ قال: يا مفضّل هذه دار الجّزاء ودار البلاء ودار الانتقام «وتُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ» ففي هذا المقدار بتغيير المسوخيّة بينهما ما قبلهما من المسخ الّذي يردّون إلى غيرها من حيٍّ وميّتٍ ومعذّبٍ ومركّبٍ ومقتولٍ يبلوه أو كقاتل أو مقتول بهذه الآفات.

فصل في التّماسخ

عن ابي نصر عن ابي عبد الله قال: سمعته يقول: مسخت عائشة وحفصة ذبحين.

قلت: وما الذّبح قال: ضبع ذكر عبرة من الله لنبيّه لئلاّ يثب عليهما شيءٌ من السّباع.

وروي عن الصّادق أنّه قيل: مرّ بأعمى مقعد فوقف عليه وقال له: سابور أما انّك قد كنت ملكاً عنيداً فوثب إليه وهو يقول: يا سيّدي، يا سيّدي: ويدور ويطلبه ومضى أبو عبد الله فقال له بعض أصحابه: من كان هذا يا بن رسول الله؟

قال: كان هذا رجلاً من ملوك العجم يعلو النّاس في الخراج حتّى تنخلع أعناقهم، فمات فمسخه الله في عشرين نوعاً من أنواع المسوخيّة، ثمّ عذّبه بأشدّ ما يكون من النّار.

وقال في كتاب الأشباح والأظلّة: أمّا الخلافة فتكون على قدر الحجاب إن أراد أن يقتله فلم يفعل خطا ملك الدّنيا وإذا هتك الحجاب فقتله جعل في أسْرّ المسوخيّة وذلك أنّ المعصية في الحجاب هي الغاية والطّاعة فيه هي الغاية ولا طاعة ولا معصية بعدهما.

قال العالم في كتاب الأسوس: النّاس على جهتين أحرار وعبيد، فأمّا العلماء فهم الأحرار وأمّا الجهّال فهم العبيد وأمّا الكفّار هم عبيد العبيد من المركوب والمذبوح يتقرّب بهم إلى الله، قال العالم: وإنّما لم يتقرّب بهم إلى الله إذ كانوا كفّاراً لأنّهم كانوا على صورته إعظاماً وإجلالاً للصّورة، فإذا فارقوا الصّورة وصيّروا إلى المسوخيّة تقرّب بهم إلى الله، فما جعل منهم القربان فهم الّذين تولّوا القتل بأيديهم وأرادوه ولم يكن في قلوبهم رحمةٌ وكانوا مواظبين عليه، وأمّا ما تقسمه النّاس بينهم بلا قربان فهم الّذين قتلوا المؤمنين على الحقّ، وأمّا ما كان من البهائم الّتي لا تذبح فهم المساكين من الكفّار لم يدروا فيما فعلوه حقّاً أم باطلاً، ثمّ قال لكلّ واحد من الكفّار ألف موتة وألف قتلة وألف ذبحة، وبعد ذلك عذاب النّار.

قال المسوخيّة العذاب الأدنى والنّار العذاب الأكبر ومنه قول الله: «ولَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ» الآية.

وقال أبو شعيب في كتاب المثال والصّورة: والمثال أنّ الحجارة والنّبات والحديد أبدانٌ وأنفسٌ وليس من شيءٍ إلاّ وهو في ذاته له نفسٌ تعلم ما يصل إليها غير ناطقة ولا متحرّكة، فأمّا النّاطق المتحرّك فما كان في المسوخ.

وحدّثني محمّد بن إبراهيم عن أبي عليّ عن محمّد بن موسى وعبد الله بن سنان وزيد بن طلحة عن المفضّل عن جابر وأبي حمزة قالا جميعاً: قال العالم: إنّما سمّي السّنّور بهذا الاسم لأنّه مشتقٌّ من نور وهو ملكٌ كان مع أمير المؤمنين بعثه إلى فارس يدعو خمس نفر، فلمحبّته للدّعوة دعا النّاس جميعاً فدعا عليه أمير المؤمنين فحول كما ترى، وكذلك قال السّنّور من أهل البيت.

وقال النّبيّ: إنّها من الطّوّافات عليكم.

وحدّثني عنه عن محمّد عن الكرخيّ عن أبي سمينة وعبد الرّحمن عن ابن سنان عن الصّادق قال: النّسخ هو المثل والحكاية والمسخ غيره لأنّه لا يطمس في القبح.

وبالإسناد عن الكرخيّ عن أبي هاشم عن هشام عن المفضّل قال: قال سيّدي: ما النّسخ في الصّورة والمثل للشّيء في وقتين مختلفين أو مكانين: أما ترى أنّك تأخذ نسخة الكتاب فلا يكون غير ما أخذت ولا يكون شيء بعينه فتنقله إلى مكان آخر.

وأمّا المسخ فهو صورة متحرّكة عن صورة الانسانيّة.

وحدّثني عنه عن محمّد بن الحسن الزّعفرانيّ عن إبراهيم الثّقفيّ عن الحكم عن جابر قال: قال الباقر منه السّلام: المسوخ هم الحيوان غير الانسان، قلت سيّدي، فالجنّ والملائكة هي حيوانّ؟ قال: الملائكة هم المؤمنون، وأمّا الجنّ فهم الشّياطين مسوخ الخطايا،ألا ترى أنّ لهم حركاتٍ وكلّ ذي حركةٍ ملعونٌ.

وأمّا الفسخ فما الفسخ غير الحيوان ويفسخ من أجسادهم فهو عذابهم وهو قوام أجسادهم كالحنطة والشّعير وجميع ما تنبت الأرض وجميع ما خرج من النّسوخ والمسوخ من الفسخ والعذرة والرّوث وما يخرج من ذلك أعني النّسخ والمسخ من جميع ذلك قوام أبدانهم.

وقال مؤلّف كتاب الهفت والأظلّة، ولكن عن أبي عبد الله أنّ عقاب الكافر بجحوده وإنكاره وكفره في العاجل بتعذيبه في كلّ شيء خالف الصّورة الإنسانيّة ممّا دبّ ودرج وذبح وقتل وذلّ ومركوب وهوان فهو مسخ ونسخ وما أكل فهو نسخ وما لم يؤكل فهو مسخ، وذلك عدلٌ من الله، قال الله: «وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»، العذاب الأدنى ممّا يمرّ بأرواح الكافرين في أبدان المسوخيّة المنكوسة، ثمّ قال: إنّ عدوّنا ليمسخ في كلّ شيءٍ خلاف الصّورة الإنسانيّة، حتّى أنّ أحدهم ليقتل ألف قتلة وألف ذبحة ويموت ألف موتة وخلّص الله أولياءنا من المسوخيّة، فذلك العذاب الأدنى وأمّا العذاب الأكبر فعند قيام القائم، فينتقم كلّ وليّ من كلّ عدوّ له، قال: أوّل ما ينكس الكافر، فإنّما يصير في الضّان حتّى

يمرّ في كلّ شيء من البرّ من العذاب، ثمّ يمرّ في البحور، ثمّ يمرّ في الهواء والجوّ حتّى يصير في أضيق من سمّ الخياط، وأمّا ما لم يكن فيه روح الحيوة مثل الحجر والشّجر والماء والملح وغير ذلك ممّا لا يدبّ ولا يدرج فإنّه ممّن يتحلّل من أبدان المؤمنين وأبدان الكافرين، فكلّ ما رأيت وسمعت ممّا قاله من الطّعم الطّيّب والرّائحة الزّكيّة والملامسة اللّيّنة أو مطعم أو مشرب طيّب فإنّ ذلك ممّا يتحلّل من أبدان المؤمنين، وكلّما خالف هذه الأشياء إلى غيرها من نتن أو امرأة أو مالح أو كره ممّا يكرهه الانسان في مشمّه أو في منظره أو ذوقه أو ملامسته في جميع الحالات فإنّ ذلك ممّا يتحلّل من أبدان الكافرين، وليس للكافرين بدنٌ طاهرٌ ولا هم فيه أنعم من بدن الانسانيّة، فإذا استوفى دولته أخرج من بدنه إلى أخبث الأبدان وأشرّها وهي الأبدان المنكوسة وهي سجن له، فلذلك قيل: جنّة الكافر وسجن المؤمن، والمؤمن إذا صفا عادت روحه إلى مافيه بدت لأنّ الله خلقها من نوره ووضعها من رحمته، فالمؤمن أخو المؤمن من أمّه وأبيه، فأبوهما النّور وأمّهما الرّحمة.

فصلٌ منه: قلت: سيّدي ما العلامة في المسوخيّة الأولى والثّانية؟ قال: كلّ شيء حرامٌ أكله وذبحه، فهو ما كان في الزّمن الأوّل قبل زمانكم هذا أو قبل آدمكم هذا: أما ترى هذه المسوخيّة وأصنافها، هل ترى فيها إلاّ وحشة لأنّه قد غيّر خلقها الأولى، فمن أجل ذلك حرّم أكلها وذبحها، وذلك أنّهم قد عوقبوا في ذلك الوقت والعصر وذبحوا وأكلوا، وإنّما يحلّ لكلّ قومٍ من المأكل ما يخلق لهم من معاصيهم فحرامٌ ذلك أكله عليهم.

وعلامة أخرى أنّه لا يتقرّب بشيءٍ من المسوخيّة الّتي لا يحلّ أكلها إلى الله، ويتقرّب به سائر ما يحلّ ذبحه وأكله لأنّه خرج من معاصيكم فصار حلالاً لكم.

ثمّ قال: يا سيّدي: إنّ للكافر ألف ذبحة وألف قتلة وألف موتة.

قلت: ما الفرق بين القتل والذّبح؟

قال: بينهما علّة التّحليل والتّحريم، أما علمت أنّ ماقيل لم يحلّ أكله وما ذبح حلّ أكله، وقد يكون في المسوخ المترفّه والمكدودة وفيهم من قد وسع عليه ومن ضيّق عليه.

فقلت: يا سيّدي: وممّا ذلك؟

قال: إنّ الجّاهل والعارف يسبّح الله على قدر معرفته وما من شيءٍ إلاّ يسبّح بحمده.

قلت: فيؤجرون على ذلك؟

قال: بلى يوفون أجورهم في الدّنيا، أما رأيت الكافر منعماً موسعاً عليه إنّما ذلك لعمل عمله في كفره من أعمال البرّ مع المؤمنين، فيأتيه الله أجره في الدّنيا ويوسع عليه ويعافيه في بدنه حتّى يوفيه ذلك في دنياه، فإذا وفّاه أجره في النّاسوتيّة عاد إلى العذاب في المسوخيّة.

ثمّ قال بعد كلام طويل: إنّ الطّغاة إذا ركّبوا في النّسوخيّة على صورة الانسانيّة يظهرون على الأولياء لأمرٍ قديمٍ كان من الأولياء قبل ذلك في التّراكيب المتقدّمة من تراكيب صور الإنسانيّة، أما رأيت مؤمناً ضرب كافراً وربّما قتله؟

قلت: نعم.

قال: فإنّه إذا ردّ في التّراكيب الأخرى من المسوخيّة اقتصّ له منه، ثمّ قال: إنّ المؤمن قد ركّب في النّسوخيّة في صورة الإنسانيّة وإنّه لا يركّب أصلاً في صورة غير صورة الانسانيّة في الأدوار كلّها، قلت: فالكافر: ما حاله في التّراكيب؟

قال: إنّ الكافر إذا ركّب في المسوخيّة يركّب أصلاً في صورة أخرى من صور البهائم والسّلام.

باب الرّبا وأكل مال اليتيم ظلماً

قال المفضّل: أكل الرّبا على وجوه: منها مداهنة أهل الخلاف والميل إليهم وإظهار الولاية لهم لينال بذلك الدّنيا، ومنهم من يلقي العلم إلى رجل آخر يريد به الدّنيا وما عنده ولا يريد به الله عزّ وجلّ، ومنها الأخذ من المخالف والقبول منه بعد أن تبيّن لك ضلالته وخلافه.

أمّا أكل مال اليتيم فوجهان: إنّ اليتيم آل محمّد والمال هو الخمس الّذي يأكله أعداء الله، وأعداؤهم ولا يعطونه أهله، وفي وجهٍ آخر: اليتيم هو المؤمن والمال هو العلم ولا ينبغي للمؤمن أن يمنع المؤمن ما عنده من العلم إذا كان أهلاً لذلك بعد العهد والميثاق، فإن منعه فقد أكل مال اليتيم ظلماً ووجهٌ آخر: إنّ أكل مال اليتيم منعه أن يساويه بما في يده ظاهراً وباطناً فيأكل رزق المؤمن ظلماً.

قذف المحصنة وعقوق الوالدين

قال المفضّل في وجهٍ آخر: إنّ المحصنة هي فاطمة وفي وجهٍ آخر إنّ المحصنة هو المؤمن قذفه أو أعان عليه فقد قذف المحصنة، وقال الصّادق في خبرٍ طويل كتب سنده وشرحه في باب الخمر: أمّا الوالدين في الباطن اليتيمان اللّذان يوردان عليك من علم الباب وهو الوالد الأكبر الّذي تولّد نوره عليك واصبغ عليك نعمته وفي الباطن الباطن الوالدان الشّخصان أخوك المؤمن الّذي القى إليك المعرفة فتفقده واحفظه وصنه وارع حقّه.

وأمّا قاذف المحصنة فإنّه من طعن على من هو أعلم منه ولم يقبل منه وذكره واغتابه، وقاذف المحصنة فالّذي ألقى علم الملكوت إلى من هو دونه فأقرّ بقوله ثمّ حبس عليه الدّينار والدّراهم وما يحتاج إليه من معرفة الله.

حدّثني المبارك عن محمّد بن الحسن عن فيّاض بن عليّ عن الحسن بن المنذر عن محمّد بنعبد الله عن عليّ بن حسّان عن موسى بن بكر قال: سمعت أبا الحسن يقول حين ورد عليه موت الفضل: كان الوالد بعد الوالد بعد الوالد، اما أنّه قد

استراح الفرار من الزّحف وهو بيعة أمير المؤمنين وقد كان محمّد صلعم وعلى آله أخذ له العهد والميثاق ليقرّ له بالطّاعة، فلمّا استخلف الأوّل دعاهم أمير المؤمنين إلى نصرته فلم ينصروه، فذلك فرارهم من الزّحف، وفي وجهٍ آخر: الفرار الانكار لولاية الأئمّة وفي وجهٍ آخر الفرار الانكار لحديث آل محمّد وتكذيب أهله.

أخبار في الإيمان

حدّثني عن جعفر بن محمّد عن محمّد بن عبد الله بن إبراهيم بن خالد عن محمّد بن سليمان عن تغلب قال: قال أبو عبد الله: أنتم في زمانٍ من عمل منكم بعشر ما آمره به نجا، وسيأتي على النّاس زمانٌ من ترك عشر ما آمره به هلك.

حدّثني الحسن بن محمّد عن عليّ بن أحمد عن أبيه أحمد بن عليّ العقيقي عن عليّ بن إسماعيل عن حمّاد بن عيسى عن الحسن بن مختار عن فضل بن عثمان عن أبي عبيدة قال: قلت لأبي جعفر قال رسول الله: من مات ولم يعرف امامه مات ميتة جاهليّة، قال: نعم قد قال ذلك رسول الله صلعم وعلى آله، قلت جاهليّة ماذا؟ قال: جاهليّة كفر ونفاقٍ.

وبالإسناد عن أيّوب قال: حدّثني محمّد بن همّام عن صفوان بن يحيى عن فضيل بن عثمان عن حارث بن المغيرة البصريّ قال: قلت لأبي عبد الله: قال رسول الله من مات ولم يعرف له إماماً مات ميتة جاهليّة؟ قال: نعم، قلت: جاهليّة لا يعرف إمامه أو جاهليّة جهلاء؟ قال: كفر ونفاق وضلال.

وحدّثنا عنه عن محمّد بن همّام عن عبد الله بن جعفر قال: حدّثنا أيّوب بن نوح ومحمّد بن الحسن عن صفوان بن يحيى عن العلا بن شبانة عن أبي عبد الله قال: قلت له: أصلحك الله إنّ عندنا رجلاً يقرّ بما تقوله كلّه ويشهد أنّ الامام منهم لهم الطّاعة المفترضة ولكنّ القوم اختلفوا فيما بينهم وأنا واقفٌ حتّى يستقيم الرّجل منهم، فإذا استقاموا تأمّمت به، قال: إن مات على هذا مات ميتة جاهليّة.

وحدّثني عنه عن إبراهيم بن هاشم ويعقوب بن يزيد والحسن بن طريف عن ابن ابي عميرة عن ابن أذينة عن المفضّل قال: ابتدأني أبو جعفر من قبل أن أسأله

فقال: قال رسول الله صلعم وعلى آله: من مات وليس له إمامٌ مات موتة جاهليّة، قلت: قد قال رسول الله: قال إنّي والله لقد قال ذلك رسول الله، فقلت: أصلحك الله، فكلّ من مات ليس له إمام فقد مات موتة جاهليّة، قال: نعم إنّه إنّما يعني جاهلاً لأنّ الواقف جاهلٌ والنّاصب جاهلٌ مشركٌ.

أخبار في معانٍ مختلفة.

حدّثني المبارك بن محمّد عن محمّد بن الحسن عن فيّاض عن عليّ عن الحسين بن صناعة عن الحسين بن راشد عن حماد بن عيسى عن حبيب السّجستاني قال: قال أبو عبد الله إنّ لله ملكاً في السّماء الرّابعة يقال له: إسماعيل تسبيحه: سبحان من دلّ هذا الخلق القليل من بين هذا الخلق الكثير على هذا الدّين العزيز.

وحدّثني عنه عن أحمد بن محمّد عن محمّد بن عمران عن عمر بن صالح قال: سمعت أبا عبد الله يقول: اعرفوا منازل النّاس منّا على قدر روايتهم عنّا.

وحدّثني أحمد بن هودة عن إبراهيم عن اسحاق عن عبد الله بن حمّاد عن معاوية بن عمّار قال: قال أبو عبد الله: كما لا يضرّ أهل المعرفة سيّآتهم كذلك لا ينفع مع نكرة حسنة.

وبالإسناد عن عبد الله بن داوٗد يذكر عن أبي عبد الله قال: أيّ شيءٍ شرّ ما خلق الله؟ قلت: الخنزير قال لا النّاصب لله ولرسوله شرّ منه.

حدّثني الحسن بن عليّ عن أحمد بن الحسين عن أبيه عن أحمد بن عثمان عن عبد الله بن كثير قال: سألت أبا عبد الله عن الجنّ هل لهم ثوابٌ أم لا؟ فقال للجنّ ثوابٌ وعليهم عقابٌ.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن أحمد بن الحسين عن مروان بن عبيدة عن رجلٍ قال: قلت لأبي عبد الله: أيدخل مؤمنيّ الجنّ الجنّة؟ فقال: لا، فقلت: أين يكونوا؟ فقال: إنّ حدائق دون الجنّة يسكنها مؤمنوا الجنّ وأصحاب الكبائر من شيعتنا لأنّ الجنّ خلقوا من النّار فلا يدخل إلى الجنّة من خلق من النّار.

فقال: قال رسول الله صلعم وعلى آله: من مات وليس له إمامٌ مات موتة جاهليّة، قلت: قد قال رسول الله: قال إنّي والله لقد قال ذلك رسول الله، فقلت: أصلحك الله، فكلّ من مات ليس له إمام فقد مات موتة جاهليّة، قال: نعم إنّه إنّما يعني جاهلاً لأنّ الواقف جاهلٌ والنّاصب جاهلٌ مشركٌ.

أخبار في معانٍ مختلفة.

حدّثني المبارك بن محمّد عن محمّد بن الحسن عن فيّاض عن عليّ عن الحسين بن صناعة عن الحسين بن راشد عن حماد بن عيسى عن حبيب السّجستاني قال: قال أبو عبد الله إنّ لله ملكاً في السّماء الرّابعة يقال له: إسماعيل تسبيحه: سبحان من دلّ هذا الخلق القليل من بين هذا الخلق الكثير على هذا الدّين العزيز.

وحدّثني عنه عن أحمد بن محمّد عن محمّد بن عمران عن عمر بن صالح قال: سمعت أبا عبد الله يقول: اعرفوا منازل النّاس منّا على قدر روايتهم عنّا.

وحدّثني أحمد بن هودة عن إبراهيم عن اسحاق عن عبد الله بن حمّاد عن معاوية بن عمّار قال: قال أبو عبد الله: كما لا يضرّ أهل المعرفة سيّآتهم كذلك لا ينفع مع نكرة حسنة.

وبالإسناد عن عبد الله بن داؤد يذكر عن أبي عبد الله قال: أيّ شيءٍ شرّ ما خلق الله؟ قلت: الخنزير قال لا النّاصب لله ولرسوله شرّ منه.

حدّثني الحسن بن عليّ عن أحمد بن الحسين عن أبيه عن أحمد بن عثمان عن عبد الله بن كثير قال: سألت أبا عبد الله عن الجنّ هل لهم ثوابٌ أم لا؟ فقال للجنّ ثوابٌ وعليهم عقابٌ.

وبالإسناد عن أحمد بن عليّ عن أحمد بن الحسين عن مروان بن عبيدة عن رجلٍ قال: قلت لأبي عبد الله: أيدخل مؤمنيّ الجنّ الجنّة؟ فقال: لا، فقلت: أين يكونوا؟ فقال: إنّ حدائق دون الجنّة يسكنها مؤمنوا الجنّ وأصحاب الكبائر من شيعتنا لأنّ الجنّ خلقوا من النّار فلا يدخل إلى الجنّة من خلق من النّار.

وبالإسناد عن أحمد بن الحسين عن أبيه عن بكير عن محمّد بن مسلم قال: سئل أبو عبد الله عن رجلٍ من أهل هذا الأمر وهو لا يأنس به وهو ولد زنى، قال: إن كان كما ذكرت جعل في ايوانٍ من النّار يقيه حرّها.

باب غرائب الأخبار ونوادر الآثار

حدّثني أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم عن أبي البصيري قال: حدّثني محمّد بن موسى عن ابن مهران عن أبي سمينة عن المفضّل قال: جاء سماعة إلى الباقر فقال له: عن من آخذ معالم ديني؟ فقال: انظر إلى رجل ترميه العامّة بالزّندقة وتتبرّأ منه المقصّرة وتجهله المفوّضة فخذ دينك عنه.

وحدّثني أيضاً عنه قال: حدّثني حمزة بن القاسم عن الرّبيع قال محمّد قال السّيّد حدّثوا عن فضلنا ولا حرج وعن عظم أمرنا ولا اثم فإنّ أمير المؤمنين قال: إنّ لي منزلة لم تخطر على قلب بشرٍ ولم يحط بها الفكر وإنّ الرّبوبيّة لتخطر على قلب البشر.

ورواه البصريّ عن عبد الله بن إدريس عن زيد بن الحكم البصيري عن جابر عن حبيب بن مطاهر عن أمير المؤمنين قال: إنّ لي منزلة لم تخطر على قلب بشر ولم يحط بها الفكر وإنّ الرّبوبيّة لتخطر على قلوب البشر، ونحوه قول الباقر لسماعه إنّ لنا من الله منزلة إذا كنّا بها كان هو نحن فإذا أزالنا عنها كان هو كما هو ونحن كما نحن.

وعنه قال: حدّثني أبو عليّ عن أبي محمّد عن أبي سعيد عن عليّ بن الحسين عن يونس بن ظبيان قال: كان لأبي يعفور عندي مالٌ فطالبني بالقاضي، فقلت له: تعال إلى سيّدي يسئلك أن تنظرني، فأبى إلاّ إحلافي بين يدي القاضي، فاجتزت بسيّدي فأخبرته، فقال لي اذهب فاحلف له فإنّه لا يمين لمن لم يعرف الله على رجل عرف الله.

وبالإسناد عن ابن سنان عن المفضّل عن جابر عن ميثم عن عمر بن الحمق وحجر بن عديّ بن عبد الله قالا: قال رسول الله صلعم وعلى آله يوماً لأصحابه: أيّ

شيء أكبر ما افترضه الله عليكم؟ قالوا الصّلاة، قال: إنّها لكبيرة وليست هناك، قالوا الزّكاة؟ قال إنّها لكبيرةٌ وليست هناك، قالوا الجّهاد: قال: إنّه لكبيرٌ وليس هناك، قالوا فما هو يا رسول الله؟ قال الحبّ في الله والبغض في الله.

وحدّثني عنه قال: حدّثني عبد الله بن العلاء عن ادريس بن زياد عن زيد بن طلحة عن محمّد بن جعفر الصّادق قال: إنّما فرض الله على المؤمنين أربعة: أن يعرفوه فيوحّدوه ويعرفوا وليّه فيطيعوه ويعرفوا عدوّه فيتبرّأوا منه ويعرفوا لاخوانهم المؤمنين حقّهم.

قال اسحق في كتاب الصّراط عن محمّد قال: حدّثني ابن بكير قال: حدّثني الأعسر بن أبي سفين عن جابر قال: قال رسول الله: لا يضرّ مع حبّ عليّ عمل كما لا ينفع مع بغض عليّ عمل.

حدّثني أبو عبد الله عن عليّ عن محمّد بن موسى عن الكرخيّ عن محمّد بن سنان عن شريك الفضل عن الفضل قال: قلت لسيّدي كيف نعلم حال من لعنتموه، فكانت لعنتكم له رحمة ممّن لعنتموه فكانت عليه سخطاً؟ قال: إنّا لا نبتدي بلعنة المؤمن ولا نؤخّر لعنة الكافر.

وروى محمّد بن عبد الله بن مهران في كتاب المترجم بكتاب المحمودين والمذمومين عن أبي سعيد الضّرير عن يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله قال: الكفّار فينا أهل البيت أحسن حالاً من المقصّر لأنّ الطّيّار يقال له انزل فيزانزل، فكأنّي أنظر إلى يد أبي عبد الله وهو يومي بها إلى الأرض ينتهي إلى ما يريد، والمقصّر يقال له ارق فلا يرقى فهو لا يأتي بخير أبداً.

ما أحسن هذه الإشارة إلى محض التّوحيد ومدح الارتفاع لأنّ قوله انزل فينزل يقول قل فينا الظّاهر بغير ما تعتقده فيفعل طاعةً له وتقيّة من عدوّه ويقال للمقصّر قل بالحقّ فلا يفعل، وذكرت الغلويّة في مجلس أبي عبد الله فقال كالمغضب: عظّموا الاثم وشربوا الخمر فإنّ الله أكرم بيتاً قد ظهر فيه وقد نسبه إلى نفسه أنّه لن يصفو أحدكم حتّى يكون له ولادةٌ فينا.

وحدّثني المبارك بن محمّد بن الحسين عن الفيّاض بن عليّ عن محمّد بن مسلمة عن الحسن بن أسد عن رجل عن أبي عبد الله قال: قال الله لأعذّبنّ كلّ رعيّة دانت بإمامٍ ليس من الله وإن كانت في أعمالها برّة تقيّة ولأرحمنّ كلّ رعيّة دانت بإمامٍ من الله ولو كانت في أعمالها ظالمة مسيئة.

قال المفضّل: قلت للرّضا: في كم يبلغ المؤمن حتّى يكون مخلصاً يعرج إلى السّماء ويهبط إلى الأرض؟ قال: في إحدى وعشرين كرّة، قلت: وكم مقدار هذه الكرّات من السّنين؟ قال: ألف سنة وسبعون سنة وسبع ساعات، يكرّ المؤمن فيها احدى وعشرين كرّة وذلك أنّ لكلّ مائة سنة من هذه السّنية كرّتية، فإذا عاش في كرّة أكثر من خمسين سنة فإنّه ينقص من عمره في الكرّة الثّانية على قدر ما زاد على الخمسين في الكرّة الأولى ولو عاش في الأولى أقلّ من خمسين سنة زيد في عمره في الكرّة الثّانية على مقدار ما نقص منه، وربّما كانت له كرّتان فيعيش فيها سنة وأقلّ، فما زاد على المائة فإنّه يخبر به نقصان الكرّتين، فأمّا جملة الكرّات فلا تزيد على أكثر ممّا ذكرت لك، وسأله عن العاهات والنّوازل والفقر في المؤمن فيما يضمره ويفعله بالمؤمنين ممّا لم يتحقّقه ولم يؤثره فيطهّره الله في ذلك وكلّ فعل الله بالمؤمن خيرٌ له ونظر جميل وربّما فعل عاجلاً وربّما كان آجلاً، أمّا العاهات والنّوازل الّتي تنزل بالكافر فتجتاحه وأهله وولده بما فعله بالمؤمن وارتكبه منه ولم يتب على ذلك ولم يؤجر، فالنّوازل بالمؤمن كفّارات وطهارات وبالكافر ذلّةٌ وإنتقامٌ.

وسألته عن قلّة المؤمنين وكثرة الكافرين فقال: لأنّ المؤمن إذا انتهى وصفا صعد إلى السّماء فصار مع الملائكة والكافرين يمسخون فيبقون في الأرض لأنّه ليس في السّماء مسخ.

وسألته عن الرّجل يحبّ من النّكاح ما تحبّه الامرأة، فقال: سألت عن أصل النّجاسة والرّجاسة إنّ الله لم يبتلي أحداً من أولياءنا وشيعتنا بذلك ولا يبتلي به أحداً من المؤمنين، وأصله أنّ هذا المأبون كان في الكرّة الأولى امرأة بغيّة، فكانت تبغي وتفجر وربّما عملت مع ذلك أعمال البرّ، فلمّا ردّت في الكرّة الثّانية ردّت رجلاً

وجعل قبلها دبرها فيكون سبب علّة شهوة الانسان النّكاح، والّذي ينسب إلى حبّ أمير المؤمنين وبه هذا الدّاء فليس بصافي الحبّ، وقال منه السّلام: أمّا الرّجل المؤمن فلا يردّ في صورة الامرأة وتردّ الامرأة المؤمنة في صورة الرّجل المؤمن لأنّ المؤمن أكرم على الله من أن يحطّه درجة بل يرفع المؤمنة درجة فتردّ في صورة الرّجال، ثمّ لا تردّ إلى النّساء أبداً.

ثمّ قال: يردّ الرّجل الكافر في صورة الامرأة الكافرة ولا تردّ الامرأة الكافرة في صورة الرّجل الكافر، كما أنّ المؤمنين من الرّجال والنّساء يرقون في الدّرجات حتّى يصير عامّة المؤمنين رجالاً كذلك الكافرين ينحطّون من درجة الرّجال حتّى يصير عامّتهم نساء.

وسألته عن البهائم: هل يردّ الذّكر أنثى والأنثى ذكراً؟ قال: أمّا ما كان منها ممّا يحلّ أكله فإنّه يرد الذّكر أنثى والأنثى ذكراً، وذلك أنّ هذه البهائم الّتي يحلّ أكلها من ذنوب المؤمنين، فإذا مضى مؤمنوا ذلك العصر ومضت البهائم ردّوا وردّت البهائم، فلا يحلّ لأكلها لأنّهم قد ركّبوا في مسخٍ آخر ممّا لا يحلّ أكله، فحينئذٍ يردّ الذّكر ذكراً والأنثى أنثى، قال والقشش سبعة طير وسمك وبهائم وسباع وهوام وجوهر ونبات، فيردّ الكافر في كلّ نوعٍ منها سبعين مرّة فأزكى البهائم وأطيبها لحماً ولبناً ما كان له كرش وأذكى الطّير لحماً وبيضاً ما كان له قوانص وحوصلة وأزكى السّمك وأطيبه ما كان له فلوسٌ، فما كان منه هكذا فهو نسخٌ وما كان سوى هذا فهو مسخٌ، وما كان من القشاش في رحمٍ وله أذنان وما كان من البيض فهو بشر والدّرّ والياقوت والزّبرجد فسخ والحديد والرّصاص والنّحاس رسخ.

وعن جعفر بن عليّ بن صفوان عن محمّد بن سنان قال: قال أبو الحسن: ما من طائرٍ يطير إلاّ وله أبٌ وعمٌّ وخالٌ، ثمّ التفت إلى نجارٍ ينجر في داره فقال: هذا النّجّار كان في الدّور الأوّل ديكاً وهو اليوم نجّار.

معرفة اللّواط وهو على وجهين محمودٌ ومذمومٌ: قال إسحاق في كتاب الصّراط: اللّواط في الباطن على وجهين محمودٌ ومذمومٌ، فأمّا المحمود فاتيان ما هو

أعلم منك تسأله عن علم التّوحيد، قال: وكلّ مؤمنٍ علا في العلم على مؤمنٍ فالعالي ذكر والّذي دونه أنثى ويسمّى العالي سماء والّذي دونه أرضاً، والمذموم الضّعيف الّذي ليس بمستحكم.

ومعنى باطن النّكاح مذاكرة العلم ومطارحته، وذلك أنّ كلّ من صدّ عن الله فهو مدبرٌ عنه ومذاكراته هي النّكاح فهو بمعنى دبره أي إدباره وغرامه، قال المفضّل: الّواط إتيان الذكران من العالمين وهم المردة من النّصّاب فمن ألقى إلى أحدٍ منهم هذا السّرّ ودعاه إليه فقد أتى الذّكران من العالمين والمنكوح وهو الّذي يقبل من النّاصب المخالف، والكذّاب لأنّه أمكن المخالف من مسامعه.

باب فرض التّقيّة وكتمان الإيمان وإقامة الأعمال الظّاهرة

قال الله: «لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ» وقال وقد ذمّ قوماً «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ» وقال: «يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ» وقال: «وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» جاءت الرّواية أنّ الحسنة التّقيّة وروي في قوله: «وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ» أنّها التّقيّة وقوله: «أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا» أنّها التّقيّة.

وروي عن يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله في كتاب الأظلّة أنّ الله أوحى إلى هبة الله شيث ابن آدم أن لا يحارب قابيل وأن يعبد سرّاً، فجرت التّقيّة إلى الوقت المعلوم.

وحدّثني محمّد بن عليّ عن عبد الله بن العلا عن إدريس الكفرتوني عن هاشم عن المفضّل قال: قال الصّادق، ولزمت التّقيّة آبائي قبلي مثل ما قتل قابيل هابيل لإذاعته سرّ الله وهي ديني ودين آبائي.

وحدّثني أبو عبد الله محمّد بن عليّ البصريّ قال: حدّثني محمّد بن موسى عن الكرخي عن أبي سمينة عن محمّد بن سنان قال: قال الصّادق أمرُنا أهل البيت سرٌّ مستترٌ مقنّعٌ بالسّرّ، فمن أذاعه فقد هتك حجاب الله.

وحدّثني أيضاً عنه عن عبد الله بن العلا عن إدريس بن زياد عن زيد بن طلحة عن يونس عن المفضّل قال: قال الصّادق: ما لله سرٌّ إلاّ وهو في الّذي خلقه ولا له خزانة هي أحرز من جهلهم به، فمن عرّف أعداء الله سرّ الله فقد حاد عن أمر الله.

وبالإسناد عن زيد بن طلحة عن عليّ بن عبد الملك عن شريك عن المفضّل قال: قال الصّادق: ظهور الله بين ظهورات عباده سرٌّ وعلمه فيهم مستترٌ كذلك ما عرّفكم مستترٌ عمّن ليس منكم وكونوا على طريقة منهاجه فإنّه لو شاء هتك ما ستر ولكن ليبلو بعضكم بعضاً.

وحدّثني عبد الله بن العلا عن إدريس بن زياد عن ابن سنان عن المفضّل قال: قال الصّادق: من أذاع لنا سرّاً ستر الله سرّنا وابتلاه بالجّنون أو بحرّ الحديد.

وبالإسناد عن الصّادق قال: سرّ الله مبثوثٌ بين خلقه لا يعرفه أكثرهم ولو أراد عرّفهم، فمن أذاع ما ستر الله فقد عانده.

وحدّثني عنه عن محمّد بن موسى عن الكرخي عن محمّد بن عليّ عن ابن سنان قال: قال الصّادق من استعمل الظّاهر أعطاه الله الظّاهر والباطن ومن استعمل ترك الظّاهر سلبه الله الظّاهر والباطن جميعاً.

وبالإسناد عن محمّد بن موسى عن محمّد بن جعفر عن ابن عليّ الحسن عن محمّد بن سنان قال: قال الصّادق: إنّما ظهر الله بين خلقه ليؤخذ بآدابه، فما عملناه فاعملوه وما رفضناه فارفضوه.

الخمس والزّكاة والغنائم

قال الله: «الّذِينَ لا يُؤتُونَ الزّكاةَ وهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ» وقال إسحق في كتاب الصّراط: حدّثني محمّد بن الحسن عن عبد الله بن عبد الرّحمن عن عبد الله بن

القاسم عن مالك بن عطيّة عن ابان بن تغلب عن الصّادق في قوله: «وويلٌ لِلْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وهُمْ بِالأَخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ» قال الصّادق: أترى طلب الله من المشركين زكاة أموالهم وهم يعبدون معه إلهاً غيره؟ قلت، فما هو؟ قال: ويلٌ للمشركين بالإمام الأوّل ولم يؤدّوا في الآخرة ما قال فيه الأوّل وهم به كافرون، وقد خصّ الله الزّكاة في مواضع كثيرة فلو كانت هي الظّاهرة أن يؤدّي الانسان عن ماله ما جاءت به الرّوايات ما كان يخلو أن يدفع ذلك إلى مخالفٍ وموافقٍ، فأمّا المخالف فقد جاء عن ساداتنا ما ردّته القزمانيّة في النّهي عن الصّدقة عليه ما لا يحصى كثرةً وغلظةً في ذلك حتّى قالوا هو كالنّاكح أمّه في الحرم، وأمّا الموافق فإنّ الله قد فرض له فرضاً في غير موضعٍ جاءت بذلك الأخبار وجعل له نصف مالك وأن تعطيه وتعينه ولا تستلذّ بشيءٍ دونه في مالٍ ولا علمٍ إن قلّ أو كثر ولا يحلّ للمؤمن أن يشبع وأخوه جائعٌ، فلمّا رأينا الزّكاة لا تجب لهذين علمنا أنّ لها باطناً وهو المفروض، فأمّا الظّاهر عن المال فإنّه قال اسحق الأحمر أنّه لأقرب الأقوال إليك في وصف الحقّ، وهي تلك الطّبقة الّذي لا يجب لهم الخروج ولا مقاسنة، وإنّما أقيم الظّاهر ليستدلّ به على علم الباطن، فأمّا الفرض في الباطن في الزّكاة فإنّ أهلها باطنيين ليسوا بظاهرين، وعلمنا أنّ ها هنا مالاً باطناً يجب عليه زكاة باطنة لقومٍ باطنين وهو علم التّوحيد، فإن قالوا أمّا الزّكاة الباطنة على العلم الباطن؟ قلنا لهم: إنّ المؤمنين طبقاتٌ والإيمان درجاتٌ ففيهم الضّعيف الّذي لا تجب له الصّدقة الباطنة والزّكاة الباطنة، فإنّك تروي مائتين حديثاً في الباطن الأوّل فتروي لهذا الضّعيف منها خمسة أحاديث أو من العلم الّذي هو الباطن من ذلك، فتروي له من كلّ أربعين حديثاً حديثاً واحداً على قدر ما يحتمل عندك، وكذلك كلّ ما وقع عليه فرض الزّكاة، ثمّ تجري الفرائض في الباطن للمؤمنين على حسب منتهاهم في الإيمان، فمنهم من لا يجب له الخروج إليه من جميع المال على مثل ما جرى به الحديث في المال الظّاهر.

وقال أنّه روي عن المقامات في قول الله: «والَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ، لِلسَّائِلِ والْمَحْرُومِ، » السّائل الّذي يحسن أن يسئل عمّا يجب عليه ممّا لا يعلمه من صنوف الفقه والفرائض والسّنن الّتي هي ارتفاع الدّرجات في المعرفة والإيمان والتّوحيد، والمحروم الّذي قد حرم أن يعرف كيف يسأل ويحسن ذلك المال، فالمال الباطن العلم لأنّ الله جعله ضدّ المال الظّاهر منه.

خبر أمير المؤمنين مع كميل بن زياد قال: يا كميل العلم خيرٌ من المال: العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النّفقة والعلم يزكو على الانفاق، وقول: وأنت تحرس المال والمال تنقصه النّفقة والعلم يزكو على الانفاق وقوله: منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا وقوله: أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكافرين، فامال المحمود هو الباطن وهو ضدّ المال الظّاهر المذموم وقال في قوله: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والْمَسَاكِينِ والْعامِلِينَ عَلَيْها والْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وفِي الرِّقابِ والْغارِمِينَ وفِي سَبِيلِ اللَّهِ وابْنِ السَّبِيلِ» فهذه ثمانية أصناف جعل الله لهم سهماً من الصّدقات، فالسّهام أهل المعرفة على اختلاف اسماء الفرائض على الوصف في المعرفة والصّفا في المعرفة طلاّب المعرفة والمقصّرين عن بلوغ حقائقها لتعطي كلّ ذي سهمٍ سهمه وتصير إلى كلّ ذي حقٍّ حقّه، فأمّا الفقير الّذي لا علم له وعنده جماعة المعرفة فهو مفتقرٌ إلى علم التّوحيد والمسكين الّذي قد سكنته المعرفة واستكان للحقّ وأعطى قوده، والعامل عليها الّذي يعمل على معرفة والمؤلّفة قلوبهم قومٌ يتألّفون بأعطائهم من العلم ليعرفوا أفضل علم التّوحيد على غيره، وفي الرّقاب، قومٌ استخرجهم من رجس إبليس إلى المعرفة بالدّعاء إلى الله وإلى توحيده فقد فكّكت رقابهم، والغارمين الّذين لله عليهم ديونٌ يعينهم على قضاء ما لله في رقابهم من الدّين في سبيل الله ويعطيه من العلم ما يكشف به طريق الله من طرائق ابليس وليس بغير زادٍ ولا نفقه تبلغه الحج، فقد فرض الله عليك أن تعطيه أيّها العالم من ماله سهمه الّذي فرض له في علمك حتّى يبلغه الحجّ ويحجّ حجّة الاسلام.

وقال اسحاق بن محمّد في كتاب باطن التّكليف في قوله تعالى: وما غنمتم من شيء فلله خمسه وللرّسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السّبيل، فالغنائم هي العلوم الّتي يستفيدها المؤمن الكامل فيجب أن يعلم الّذي دونه واليتامى الّذين يؤتون العلماء فيصدّونهم والمساكين الضّعفاء من المؤمنين وذوو القربى من قرب من الباب وابن السّبيل الّذين عرفوا الباب وهو سبيل الله وأشخاص الخمسة الأيتام والزّكاة من كلّ مائتي حديث وتفسير معاني خمس معاني يجب على المؤمن الكامل أن يعلّم من هو دونه، وشخص الزّكاة المقداد وهو قوله: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى» من عرف المقداد ودان بطاعته، فظاهر الغنائم الّتي هي في المؤمنين هي العلوم وقوله: «ولا يَسْئَلْكُمْ أَمْوالَكُمْ، إِنْ يَسْئَلْكُمُوها فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ويُخْرِجْ أَضْغانَكُمْ، ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ ومَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ واللَّهُ الْغَنِيُّ وأَنْتُمُ الْفُقَراءُ » أموالكم يعني معرفتكم أن تظهروا عليها الجبّارين لا يجبركم بذلك انفاءَ عليكم أن يسألكموها: فيحفكم بالقول تبخلو: تشفقوا على أنفسكم على أنفسكم أن تبدوا ما يكون فيه هلالكم وقتلكم ويخرج أضغانكم إذا اشتدّ الأمر من الحيرة، قلتم مرّة: يقول لنا لا يظهروا على مذاهبكم من قرب منكم يقول اظهروا عليها عدوّكم وهذا هو الضّغن الّذي ذكره فنزّه الله المؤمنين أن يجبرهم بما ليس لهم به طاقة والله أعلم بخلقه.

وروى أنّ الزّكاة في الباطن الأوّل معرفة الأئمّة وفي الباطن الثّاني مكعرفة الأبواب وفي الثّالث حقّ الاخوان في المواساة.

وروى الحسن بن محمّد بن جعفر التّميمي عن محمّد بن جعفر الورّاق عن الخصيب عن محمّد بن جعفر البرسي عن محمّد بن يحيى الأرمني عن محمّد بن سنان عن يونس بن ظبيان عن المفضّل بن عمر قال: سألت الصّادق فقلت: يا بن رسول الله: لم جعل زكاة المائتي درهم خمسة دراهم؟ قال: إنّ الله خلق مائتي نور فأمرهم أن يسمعوا ويطيعوا الأنوار الخمسة وقال: إنّي أقمتهم من نوري، فهم

الخمسة الذّين فرضهم الله في كلّ شيءٍ وهم معرفة محمّد وفاطر والحسن والحسين والمحسن.

وحدّثني المبارك بن محمّد عن مالك عن الحسين بن عليّ الجّوهري عن محمّد بن سنان عن المفضّل قال: سألت أبا عبد الله عن الزّكاة فقال: الظّاهرة أم الباطنة؟ قلت أريدهما جميعاً، فقال: أمّا الظّاهرة فمن كلّ ألفٍ خمسة وعشرون وأمّا الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك وبه تستجير.

معرفة الحجّ

قال الله: «وإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وأَمْناً واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى وعَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وإِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ والْعاكِفِينَ والرُّكَّعِ السُّجُودِ» «وأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وعَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» وكذلك الرّواية في التّنزيل، وقال: «إِنَّ أَولَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وهُدىً لِلْعالَمِينَ، فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ ومَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً ولِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً».

وحدّثني الحسن بن محمّد عن الحسن البلدي عن محمود عن أحمد بن يوسف عن أبيه يوسف قال: حدّثني اسحاق بن محمّد قال: حدّثني عثمان بن رشيد وغيره عن محمّد بن سليمان السّوسيّ عن أبي السّقائح عن الصّادق قال: البيت الّذي فرض الله إليه الحجّ محمّد والباب سلمان وهو المدار واليتيمان المقداد وأبو الذّرّ.

وروى عن يونس بن ظبيان في كتاب الأظلّة أنّه لمّا نزل جبرائيل على آدم يُريه ما يعمل، فلمّا بلغ موضع الجّمار تعرّض له إبليس فقال له: يا آدم أين تريد؟ فقال له جبرائيل: لا تكلّمه وارمه بسبع حصوات وكبّر مع كلّ حصاة، ففعل آدم ذلك حتّى فرغ من رمي الجّمارات، ثمّ قال في موضع آخر منه: إنّ إبليس كان الدّلام، فمن أجل ذلك يصلب دلام وصاحبه في كلّ سنة حتّى ترمى الجّمرات حتّى يُرجموا.

حدّثني محمّد بن البصيري عن البصريّ قال: حدّثني محمّد بن العلا عن إسماعيل بن عليّ القمّيّ عن ابن صدقة عن الرّضا قال: وقف النّاس متوجّهين إلى

البيت فقال سيّدي: ما بقي لإبليس صنمٌ في الأرض يعبد من دون الله إلاّ هذا البيت، قال المفضّل: المحرم والخائف الوجل من الظّالمين لا يحلّ له صيد البرّ والبحر كلّ حرامٍ من الظّاهر إذا كانم محرماً لا يزكّيه يعني إذا كان عليه رقيبٌ، فالمؤمن محرمٌ ما دام في دولة الشّيطان، وقال: البيت هو الغاية وفي وجهٍ آخر البيت الباب، وفي وجهٍ آخر البيت هو الرّسول، فأمّا الأركان فهي أشخاص الغاية محمّد وفاطر والحسن والحسين وفي وجهٍ آخر الأركان جعفر وحمزة والمقداد وأبو الذّرّ، والطّواف بالبيت سبع أشواط أن يعلم أنّ السّبع مقامات واحدٌ.

وروى أنّ السّبع مقامات هي آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد والقائم وهم سبعة فمن عرفهم أنّهم واحدٌ وأقرّ بذلك فقد طاف بالبيت، وقال: صيد البرّ والبحر في الظّاهر وصيد البحر ما هو حلالٌ في الباطن، وقيل في كتاب الأنوار: أنّ الأركان سلمان والمقداد وأبو ذرٌ وعمّار والحجر الأسود المقداد واليماني أبو ذرّ.

حدّثني الحسن بن المبارك عن محمّد بن الحسن عن الحسين بن عتاب عن اسحاق بن محمّد الأحمر عن محمّد بن الطّفيل عن ابن عياض عن ليث عن مجاهد عن ابن عبّاس قال: الحجر الأسود يد الله الّذي يصافح بها خلقه.

وبالإسناد عن اسحاق عن سليمان بن الحارث عن حمّاد بن سلمة عن عليّ بن زيد عن أوس بن خالد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: يبعث الله الحجر الأسود يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسانٌ يشهد لمن استلمه بحقٍّ.

قال إسحاق في كتاب باطن التّكليف: وقال مؤلّف كتاب الأشخاص أركان أهل البيت محمّد وفاطر والحسن والحسين والغامضة محسن وأرض البيت فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف والسّقف أبو طالب والباب سلمان والميزاب جعفر بن أبي طالب والحجر طالب بن عقيل بن أبي طالب والرّزّة الّتي تقعل عليها حلقة الباب الّتي يجري فيها عمود القفل محمّد بن جعفر بن أبي طالب والحلقة أمّ هانيء ابنة أبي طالب والحرم في الجملة لؤيّ بن غالب وهو الّذي لوى الأنوار من فارس إلى

الحجاز، وما ذبح بمنى من الابل والبقر والغنم فهم الّذين حضروا محاربة السّيّد وأنصاب الحرم ولد أمير المؤمنين خلا الحسن والحسين ومحمّد والأميال الّتي على الطّريق يستدلّ بهم فهم الدّعاة الّتي يرفعك واحدٌ إلى واحدٍ حتّى تصير إلى المواقيت وهو ملكٌ ميقات أهل اليمن المقداد وميقات أهل الشّام والجحفة أبو ذرٌ وميقات أهل نجد قرن وهو عمّار وأهل العراق وبطن العقيق والعامّة يقولون ذات عرقٍ وهو قنبر ومعنى الميقات يراد أنّه الغاية والوقت الّذي لم يبق عليه إلاّ الوصول إلى الباب فيوصله اليتيم إليه والأعراب الّذين يقطعون على الحاجّ المقزمنة ويصدّونهم بتقصيرهم والمسجد الحرام عبد المطّلب ومقام إبراهيم المقداد وهو اليتيم الأكبر وإبراهيم في هذا الموضع الباب وزمزم آمنة ابنة وهب الصّفا أم سلمة المروة ريحانة القبطيّة والسّعي بينهما جابر بن عبد الله الأنصاريّ ومنى هاشم بن عبد مناف والثّلاث جمار مقام شنبويه وأبو حفص ونعثل والاحدى وعشرون حصاة اللّواتي ترمي المؤمنين الجّمار إحدى وعشرين شخصاً من مناطق الباب يجعلونهم رداءً بينهم وبين شنبويه، والمشعر الحرام أبو الذّرّ وعرفة خديجة ابنة خويلد وصفيّة ابنة عبد المطّلب وهؤلاء الأشخاص شعائر الله من الأنوار، أمر الله أن يقام بحقّه فيهم ويعبدونه بخوفهم.

وعن جعفر بن مالك عن عبد الله عن يونس عن الحسن بن عليّ عن أبي سعيد المدائني عن المفضّل عن جابر عن أبي خالد عن عليّ بن الحسين قال: حدّثني سعيد الخدري قال: جاء رجلٌ إلى منزل أمير المؤمنين فقال: إنّي أريد الحجّ، فقال له: أنا الحجّ الّذي من حجّ إليّ فاز ونجا.

وعن جعفر بن محمّد عن المفضّل في كتاب آداب الدّين: النّظر في بئر زمزم يذهب الداء يعني أنّ معرفة آمنة ابنة وهب يذهب الشّكّ عن المؤمنين وماؤها محمّد وهو العلم الجّاري من محمّد إلى من هو دونه، وقال الرّكن الطّيّب أبو طالب والحجر الأسود عقيل بن أبي طالب، وقال في قول أمير المؤمنين نفقة درهمٍ في

الحجّ تعادل ألف درهم في غير الحجّ معناه حرف من العلوم الباطنة إلى مستحقّ في وقته تعادل ألف كلمة من النّاطق في غير وقتها.

الجّهاد والقتل في سبيل الله وبرّ الوالدين وصلة الرّحم

قال الله: «ولا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» الآية.

وروي أنّ الجّهاد في الباطن الأوّل أن يجاهد النّاصب بالولاية والبراء، فإذا أجاب جاهدته بالإمامة، فإذا أجاب جاهدته بالتّوحيد وفي الباطن الآخر مجاهدة النّفس الّتي هي الأمّارة بالسّوء، فجهاد النّفس أشدّ من جهاد غيرها.

قال أبو شعيب: الوالدان اللّذان أمر ببرّهما وطاعتهما سلمان وأمّ سلمة.

قال أبو جعفر بن المفضّل: الصّدقة تدفع ميتى السّوء وهي مطارحة العالم المؤمن ممّن هو دونه في العلم وميتة السّوء الكفر بالله.

صلة الرّحم هو المؤمن لأنّه الأخ الباطن وقال: معرفة تنفي الفقر وهو الكفر، وقال في قوله: صلوا أرحامكم ولو بالسّلام والأرحام هم المؤمنون ولا رحم أقرب إلى المؤمن من أخيه وقال: صلوا المؤمنين ولو باللّقاء اليسير من العمل ليتّقوا وفي قول الله: «واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسائَلُونَ بِهِ والأَرْحامَ» والأرحام ها هنا المؤمنين في أوّل باطن وفي الثّاني الأرحام الأبواب وأصحاب المراتب كلّ على مقداره.

حدّثني أحمد بن هودة عن إبراهيم بن اسحا عن عبد الله بن حماد عن ابان بن تغلب عن أبي عبد الله قال: كان ّذا ذكر هؤلاء الّذين يقتلون في الثّغور يقول: ويلهم ما يصنعون ما بهذا يستعجلون قتله في الدّنيا وقتله في الآخرة والله ما الشّهداء إلاّ شيعتنا وإن ماتوا على فراشهم.

حدّثني محمّد بن همام عن جعفر بن محمّد قال: حدّثني محمّد بن الحسين عن أحمد بن أبي مسعود قال: كتبت إلى أبي عبد الحسن روي عن جدّك أنّه قال: إنّ الرّجل ليصل رحمه فيزيد الله في عمره، فكتب إليّ: رحم الإيمان ومن قال بقولك.

معرفة الصّوم

قال الله: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» وقال: «فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا، فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا، يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا، فَأَشارَتْ إِلَيْهِ» الآية، وروي أنّ الصّوم في الباطن الأوّل ترك الاذاعة ونفس الصّوم الّذي وقع به هذا الاسم هو الباب لئلاّ يطلع عليه من ليس هو من أهل الدّعوة، فإذا نطق الباب فعندها يقع الافطار هو اسقاط التّقيّة وكشف ما ستره.

وروي أنّ شَهْرُ رَمَضانَ هو عبد الله بن عبد المطّلب الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ أي محمّد، ومعنى ثلاثون يوماً ثلاثون شخصاً من ظهور آدم وهم الأبواب إلى وقت انقضاء الدّور وظهور المهدي وقيل رمضان أبو طالب ومعنى ثلثون يوماً أم عابده ثلثون فصار نجيباً وعصموا من الزّيغ وكذلك من النّساء.

معرفة تراكيب المسوخيّة في الكافر وتراكيب النّسوخيّةفي المؤمن والفرق بينهما.

قال المفضّل: سألت العالم على ذكره السّلام عن تراكيب الكافر في المسوخيّة وعن تراكيب المؤمن في النّسوخيّة والفرق بينهما قال: يا مفضّل: المؤمن يركّي في النّسوخيّة على صورة الانسام ثمّ لا يركّب في غيرها على صورة أخرى من صوره وإنّه لا يركب المؤمن أصلاً في صورةٍ غير صورة الانسانيّة، قلت في الأدوار كلّها؟ قال نعم في الأدوار كلّها والأعصار.

قلت والكافر ما حاله في التّراكيب؟ قال: إنّ الكافر إذا ركب في المسوخيّة لا يركب في صورة الانسانيّة أبداً وإنّما يركب في صورة أخرى في صور البهائم، وكذلك يردّ ويركب في صور السّباع وفي صورة الوحش حتّى يردّ في صورةٍ يستوحش منها، فهذا دأبه أبداً لا يردّ في صورة الانسانيّة.

قلت: فالمؤمن؟ قال: المؤمن أمن أن يركّب في صورة البهائم والسّباع، وعن ذلك يامفضّل أنّ من دخل في المسوخية لا يردّ إلى الانسانيّة، أما سمعت ما ذكّر الله به الطّغاة الفجرة في قوله: «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ، ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ»، ثمّ ذكر الأتقياء البررة فقال «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وعُيُونٍ، آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِينَ، كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ ».

قلت سيّدي: ما معنى قوله: «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ، ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ» ما هذه الفتنة الّتي يذوقونها؟ قال: يا مفضّل: ما يذوقون في المسوخيّة من التّعب والنّصب والوصب والوسخ والفسخ والرّسخ، وذلك من ألوان العذاب وصنوفه، ثمّ قال سيّدي يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون.

قلت فقوله في الأتقياء: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وعُيُونٍ، آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ» أي ما أعطاهم من الأمن من المسوخيّة لا يذوقون ذلك ولا يدخلون فيه، والحق بهم درجات النّجباء والنقباء والأبواب حتّى لحقوا في النّسوخيّة في الأدوار والأعصار والأكوار «إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِينَ» يقول مقرّين بالوحدانيّة مذعنين منيبين إلى العليّ الأعلى الّذي يظهر في أيّ صورة شاء ويحتجب فيما أراد ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد «لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وهُمْ يُسْئَلُونَ» بإقرارهم بوحدانيّته والطّاعة منهم له، فبذلك نسبهم إلى الإحسان فقال: «إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِينَ».

معرفة انتقام الكافر من الكافر والمؤمن من المؤمن فيذلك.

قال المفضّل: سألت العالم منه السّلام كيف يدال الكافر من الكافر والمؤمن من المؤمن حتّى لا يبقى لخلقٍ على خلقٍ تبعة ولا قصاص؟ قال العالم: يا مفضّل إنّه إذا كان من المؤمن إلى أخيه المؤمن عثرة أو ذلّة أو أدنى مكروه قديماً اقتصّ منه في حياته قبل أن يردّ في النّسوخيّة، وربّما أخّر ذلك وذلك من القصاص عاجلاً أو آجلاً، فما كان عاجلاً فهو ممّا بينهم وما كان منه آجلاً فهو من الكور الثّاني مثل بمثل وسوىً بسوى لقوله عزّ وجلّ: «النَّفْسَ بِالنَّفْسِ والْعَيْنَ بِالْعَيْنِ والأَنْفَ بِالأَنْفِ والأُذُنَ بِالأُذُنِ والسِّنَّ بِالسِّنِّ والْجُرُوحَ قِصاصٌ»، فمنه عاجلٌ ومنه آجلٌ، وكذلك في

صورهم في الإنسانيّة، فمنه عاجلٌ ومنه آجلٌ، وربّما اغتاب الانسان المؤمن انساناً مؤمناً فيكون ذلك المؤمن يغتابه ويوقع فيه لا في التّراكيب، ولكن في الانسانيّة، قلت سيّدي لا يدخل في شيءٍ من التّراكيب؟ قال: لا إلاّ في نسوخيّة الإنسانيّة.

قلت: فكيف تقتصّ البهيمة منه وهو انسانٌ؟ قال قد علمت في بدوه أنّه عقره أو ضربه أو قتله، فأمّا ما كان من انتقام الطّغاة بعضهم من بعضٍ فليس عاجلٌ ولا آجلٌ، فمتى ما اعتدى واحدٌ منهم على صاحبه فإنّه لا يدخل العادي في التّراكيب في المسوخيّة فيعتدي له منه.

قلت: سيّدي، فإنّه تقع بينهما المناوشة فيحمل كلّ واحدٍ منهم على صاحبه ويقتتلان ويفنيان جميعاً فما ذلك؟ قال العالم على ذكره السّلام: يا مفضّل إن علمت ذلك قد سبقت في الأدوار والأعصار أنّه قد يكون يعمل واحدٌ منهم قصاصاً عند صاحبه فيدال لهذا من هذا سواءً بسواء ومثل بمثل، فأمّا إذا قتل أحدهما صاحبه فأمّا لذلك القاتل على المقتول فضل التّبعة فيقتصّ منه بما كان لأحدهما قبل صاحبه جريمةً اجترمها إليه أو غيبةً اغتابه بها أو وقيعةً أوقعه فيها وما أشبه ذلك فيدال منه على قدر ذلك وربّما نظر إليه فيروي أو رمى ببصره إليه مطرقاً في الأرض لا يهمّه ولا ينظر إليه إلاّ جرمه المتقدّم كان منه إليه في الذّرو، فقد ردّ ذلك النّظر الشّزر ومآلهم لواحد وهذا وما أشبه على قدر واحدٍ وإن كان خيراً فخير وإن كان شرّاً فشرٌّ فيكون منهما خيرٌ أيضاً، ثمّ قال العالم على ذكره السّلام: أوما علمت يا مفضّل وما رأيت وما سمعت صنع مع مؤمنٍ خيراً؟ قلت: بلى يا سيّدي، وعلمت ورأيت وسمعت، قال: فإنّ ذلك من شيءٍ كان من المؤمن إلى هذا الكافر في الذّرو الأوّل الخير والشّرّ يجريان في قرنٍ واحدٍ في واحدةٍ مثلاً بمثل وتلا العالم: «ولِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ».

رسالة موضحة حقائق الأسرار

لأبي محمد الحسن بن شعبة

إنّ هذه الرسالة لأبي محمد الحسن بن شعبة الحرّاني هي رسالة خاصّة بالتعليق على الرسالة الرستباشيّة للشيخ الخصيبي وتحديداً على مشكلة هامّة وهي مشكلة ظهور الاسم، هذه المشكلة الّتي لم تحلّ بين العلويين حتى الآن.

وقفت يا سادتي الإخوان وجمهور هذا الزّمان أيّدكم الله بإسعاده وحضّكم بتوفيقه وإرشاده على الفصل الّذي ذكرتموه والشّرح الّذي أوردتموه منرسالة سيّدنا أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي شرّف الله مقامه في أوّل السّياقة وظهور المعنى بالسّبعة الذّاتيّة وإلى قوله ستّة تصير الكلّ ثلاثة عشر وفي قوله أعلى الله شخصه في آخر السّياقة، وهذا أظهره في مقامات المعنويّة لم يزل الاسم ظاهراً فيها – وسؤالكم أدام الله بكم الإمتاع وأحسن عنكم الدّفاع تفسير ذلك لكم وتسهيله لديكم وإيضاحه لاشتكاله عليكم، اعلموا علّمكم الله الخير أنّ المعنى تعالى وإن ظهر كالاسم فإنّه أحدٌ أبداً معنى المعاني وربّ المثاني لا يظهر إلاّ بالذّات ممتنعٌ من النّعوت والصّفات لا يزول عن كيانه وإن ظهر لعيانه كما قال الشّيخ الثّقة أبو الحسين محمّد بن عليّ الجلّيّ قدّس الله روحه في دعائه: يا من لم يزل عن كيانه وإن ظهر لعيانه، وإنّما يقع التّغيير في عالم المزاج في قولهم: مثلي وذاتي لأنّ العالم يرون المعنى تعالى على ثلاثة ضروب، فالعالم العلويّ النّورانيّ يرونه أنزع بطين

لا تتغيّرعليهم صوره والعالم النّورانيّ الممزوج بالكدر فيرونه مثليّ وذاتيّ بما شاء أن يقلّب أعيانهم، والعالم الظّلميّ يرونه بشراً مثلهم وكذا الاسم إليه التّسليم وإن ظهر بالباب ظهور مزاج فهو واحدٌ ولو ظهر بمائة ألف شخص لكان معدن تلك الأشخاص واحدٌ ونورها واحدٌ لأنّه الشّجرة وأشخاصه أغصانها وهو الجّرثومة وأشخاصه متفرّعةٌ منها وكذا الباب وإن إختلفت الأساميو الصّفات مثل صفق ومؤهّل فهو وحدانيّة نوراً واحداً ومعنى الوحدانيّة أنّه أوّل الخلق وأنّه أوّل بدو الخلق وهو معدودٌ في جملتهم وكذا قيل في الرّبوبيّة لتخطر على قلوب البشر يعني سلمان لأنّه أوّل البشر، فالقول عن سيّدنا شرّف الله مقامه في قوله: وهذا أظهره في مقامات المعنويّة لم يزل الاسم في مقامٍ منها إنّما هو على سبيل السّهو ممّن نقله وإنّما لم يدخل الاسم في مقامٍ منها هكذا جاء في هذا الموضع في نسخة الأصل بإجازة الشّيخ الثّقة أبي الحسين محمّد بن عليّ الجلّي قدّس الله روحه في السّبعة الأدلّة وهي إلى قوله – شرّف الله مقامه – في السّياقة بعينها، والّذي ظهر به المعنى جلّ وعلا بغير إزالة شخصٍ والظّهور بمثله في سبع مقاماتٍ في مقام هابيل وشيث ويوسف ويوشع وآصف وشمعون الصّفا وأمير المؤمنين.

ثمّ قال في فصلٍ آخر: وأمّا ما نسق من أسماء المعنى بالذّات والاسم فنحن نبيّنه ونشرحه على الإيضاح والبيان بتوفيق الله ومعونته وقصد رضاه وطاعته فنقول في ذلك:

أســـــماء ســــبعٍ تســـمّي مســــــمياً لا مســـــمّى
بهــــا وســــبعون اســـماً للإســـم هـــنّ أعمّـــا

فقوله بها إنّما هو نهاية الأوّل بتمامه وابتداء الثّاني بنظامه فينفرد المعنى بالذّات وما سواه بالأسماء والصّفات، وأربعٌ لا سواها أسماؤه حين تمّا.

ثمّ قال شرح ذلك وبالله التّوفيق: أسماء سبعٍ للمعنى بالذّات لم تقع على غيره من اسم ولا باب وهي بالحقيقة هابيل وشيث ويوسف ويوشع وآصف وشمعون

وأمير النّحل وهو المسمّي لجميع الأسماء وهي الاسم، وقال أيضاً في موضع آخر: وهي السّبع مقامات قدّمنا ذكرها وشرحنا نعتها قام فيها بالذّات لا بصورة ولا بشخص أزاله المعنى وظهر بمثل صورته كما أزال الصّور في مقامات النّبوّة والرّسالة وهي السّبعين اسماً أسماء الاسم من آدم إلى السّيّد محمّد في مقامات النّبوّة وفي مقامات الإمامة إلى المهدي، ثمّ أحد عشر مقاماً في بالبابيّة وذلك إنّه لمّا شرّف المعنى الأزل للاسم بالظّهور بمثل صورته شرّف الاسم للاب بالظّهور به لعظم منزلته وعلوّ درجته وهذا ما لا يعرفه عامّة أهل التّوحيد، وكذا قال الشّيخ الثّقة أبو الحسين محمّد بن عليّ الجلّيّ نضّر الله وجهه في قصيدة له

و يظهـــر المعنـــى كأســـمائه … و حجبـــه مـــن غيـــر تجســـيد
ظهـــور إفـــراجٍ بـــلا خلطـــة … و لا مـــزاج فـــي التّعاديـــد
و لا زوالٍ زال عـــن ذاتـــه … و لا بتقريـــب وتبعيـــد
لكنّـــه شـــرّف أســـماءه … و خصّـــه منـــه بتمجيـــد
و يظهـــر الحمـــد بأبوابـــه … ظهـــور تمـــزيجٍ وتســـديد

و قد نطقت وصيّته أيضاً بمثل ذلك قوله نضّر الله وجهه: والظّهور ظهوران إفراج وظهور مزاج، فأمّا ظهور الافراج فهو ظهور المعنى كالحجاب وظهور المزاج ظهور الاسم بالباب، وقد ذكر أبو الحسن عليّ بن بطيطة قدّس الله روحه في قصيدة له مثل ذلك

إذا أراد الله جـــلّ اســـمه … يظهـــر كـــالميم تعـــالى وقـــدر
يغيـــب المـــيم تعـــالى ذكـــره … تحـــت تلالـــي نـــوره إذا ظهـــر
و يظهـــر القـــدرة والنّطـــق بـــه … و المعجز البـــاهر إذ قيـــل بهـــر
و هو بتلك الصّـــورة الأولـــى الّتـــي … يعرفها بـــالعين مـــن كـــان نظـــر
مـــن غيـــر أن يبـــدو تعـــالى مثلـــه … أو صورة محدثـــة مـــن الصّـــور

و له تسع مقامات قام فيها بالذّات لم يزله المعنى فيها ويظهر بمثل صورته وهي آدم ويعقوب وموسى وهارون وسليمان وعيسى وعبد الله ومحمّد رسول الله ومحمّد بن الحسن الثّاني عشر، فالباري تعالى وتقدّس إذا أراد أن يشرّف الاسم بالظّهور كمثل صورته من غير إنتقالٍ غيّبه تحت تلالي أنواره وظهر كمثل صورته، فقول الخصيبي شرّف الله مقامه تحت تلالي أنواره دليلٌ على أنّه لا يختلط بالأنوار الّتي منها اخترع بعد إنفصاله ولا يمازجها بل يكون تحتها لأنّ الباري تقدّس فوقها بالعلوّ ويكون تحت أنواره بمنزلة التّكوين والخليقة، فافهموا هذا حرسكم الله وفكّروا فيه، وإنّما الاسم إليه التّسليم يسلب جسده النّوريّ، وقولنا يسلب جسده النّوريّ ليس هو بمعنى ينفصل عنه لأنّ جسده متّحدٌ به مذ كوّن، فإذا رجع إلى تلالي نور الذّات تقدّست أغشته من أنوارها ما لا يثبت فيرى وكذا قال سيّدنا شرّف الله مقامه في رسالته في خبر موسى وبقي الاسم نوراً مجرّداً من هيكله لأنّه لم يثبت لنور الذّات فيرى، فقوله لم يثبت دليلٌ على بقائه معه وقوله فيرى دليلٌ على أنّ قد غشيه من الأنوار ما لا يستطيع مقاماً عندها فيكون تحت النّور كمثل القمر إذا كان في السّرار تحت أنوار الشّمس أغشاه كثرة أنوارها،فلا يرى ولا يعاين، فإذا بعد عنها وعن أنوارها رأى إلى الكمال وإنّما ضربنا هذا المثل ولا مثل للباري تعالى ليقرب فهمه على سامعيه فتتصوّره الدّراية وتقرب معرفتها عنده لأنّ الشّمس إذا كانت ظاهرةً والقمر جميعاً في السّماء لم يكن للقمر نوراً ولا يقع العيان على شيء من أنواره، فإذا غربت الشّمس عنه وبعدت أضاء نوره المتّحد به وأشرق واتّسع في شرقها وغربها وغيّبت أنواره لنور القريب منه من الكواكب، فهذا معنى مليح لمن يدريه والله الموفّق، فإذا علم هذه الاشارات أزيل عنه كثيرٌ من الشّبهات شبهات المتخرّصين واستغنى عن هواديرهم وتخرّصهم وممّا يؤكّد جميع ما ذكرته وينصره وتثبت به الشّهادة من الأخبار وتؤكّده ما رواه الشّيخ أبو سعيد ميمون بن القاسم الطّبراني قدّس الله روحه قال: حدّثني الشّيخ الثّقة أبو الحسين محمّد بن عليّ الجلّي نضّر الله وجهه وذلك بحلب سنة سبع وتسعين وثلاثمائة قال: حدّثني شيخي ووالدي

أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي شرّف الله مقامه عن عمّه أحمد بن الخصيب عن يتيم دين الله أحمد بن محمّد الكاتب يرفعه إلى فرات بن أحنف قال: كنت يوماً بحضرة مولاي الصّادق منه السّلام وبين جماعة من العارفين والمتوسّطين والمقصّرين وهم يسألونه، وإذا سألوه أجابهم عن فنون من العلم إذ خطر في قلبي وجال في فكري وأنا أنظر إلى مولاي وأتأمّله بالصّورة الجعفريّة، فقلت في نفسي، ليتني تمكّنت من سؤاله، فكنت أسأله أن يريني كيف كانت صورته لمّا كان ظاهراً بالصّورة الهابيليّة ولم أحرّك به لساني بل جاش في صدري فما استتمّ خاطري حتّى رأيت مولاي وقد أدار عنقه في أزياق وتغيّرت صورته ورأيت صورة غير الأدلّة وبين عينيه مكتوبٌ بالنّور هكذا كانت صورتي لمّا كنت ظاهراً بالذّات الهابيليّة، وأنا الله العليّ العظيم، فرجعت أدير عيني وأتأمّل الصّورة إذ خطر بقلبي أن قلت: يا ليتني سألته أن يريني كيف كان لمّا ظهر بالصّورة الشّيثيّة، فأدار عنقه في أزياق ورأيت صورة غير الأدلّة والثّانية وبين عينيه مكتوبٌ بالنّور بهذه الصّورة كنت وأنا شيث وأنا الله العليّ العظيم، وأقبل يخطر بقلبي سؤاله عن صورة صورة كيف كان يظهر بها من السّبعة، وكلّما كمل في خاطري السّؤال أظهر مولاي ما أظهره حتى ظهر بصورة الأنزع البطين، ثمّ التفت إليّ بمحضر من الجّماعة وهم كالبهائم لا ينطقون ولا يسمعون ولا يعون، قال لي: يا فرات: نظر النّاس إلينا بأعين الباطل والتّشبيه ونظرت إلينا بعين الحقيقة، ما زالت عن كياني وإن ظهرت لعياني وأنا الله العليّ العظيم، أقلّب القلوب والأبصار كيف أشاء وفيّ يقول اسمي وحجابي: «وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ».

فهذا جواب ما سألتم وإيضاح ما أردتم وله قصدتم وفّقكم الله بحسب ما وصل إليّ ومنّ الله سبحانه عليّ وله أسأل أن يعطيني وإيّاكم شكر منه ولا يخلّينا من إحسانه ونعمه وجزيل قسمه إنّه وليّ الإجابة آمين.

مسائل لأبي محمد الحسن بن شعبة الحرّاني

هذه المسائل التي سئل عنها الشيخ الخصيبي هي أهمّ المسائل العلوية على الإطلاق وقد استشهد بها الطبراني في كتابيه الردّ على المرتد وفي تعليقاته على الرسالة الرستباشية للشيخ الخصيبي.

يقول السيّد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي رضي الله عنهما.

قرأت رسالة الشّيخ الموفّق للصّواب أكرمه الله فوجدتها بلوغاً لمن اهتدى، غير أنّي وقفت منها على أشياء يجب البحث على تمام علمها ومعرفتها على سبيل الإستفهام لا على جهة الردّ عليه.

فمن ذلك قوله عن السّيّد محمّد منه السّلام: **إنّه لا متّصل ولا منفصل عنه** وهذا شرحٌ لا يعلم معناه **إمّا أن يكون متّصلاً به فلا فرق ولا فاصلة وإمّا أن يكون منفصلاً عنه فهو غيره وليس قسم ثالث. الجّواب وبالله التّوفيق:** إنّي تبعت بهذا القول السّيّد سلمان إليه التّسليم لا أقول محمّد مخلوق إجلالاً بل الله المعنى فوقه تعالى فقال له: لم ينفصل عنك يا مولاي ما إخترعته، ولا بان عنك ما أطلعته، وأقول من غير كتمان. وأعوذ بالله من الزّيادة والنّقصان إن كانت الغيبة قدماً فالظّهور كلّه حدثٌ، إلاّ ظهوره بالأنزعيّة فقط ففيها ظهر الرّبّ في القدم.

المسألة الثّانية وبالتّوفيق: القول في الصّورة المرئيّة إنّما هي هو إثباتاً وإيجاداً وعياناً وتيقيناً لا هو هي جمعاً ولا كلاً ولا حصراً ولا إحاطةً وقد وجدنا من يقول: إنّ الصّورة المرئيّة هي هو ولا هو هي وهو على حقّ فما يقول الشّيخ وفّقه الله تعالى في ذلك؟ الجّواب وبالله التّوفيق: إنّ الّذي قال إنّ الصّورة المرئيّة هي هو أراد بذلك أنّه يقول: إنّ الإله الأحد القديم الأزل لا يقال له أين ولا حيث ولا خارج ولا داخل ولا عدم من شكل يحمل ذلك على قدم القديم، يريد به إثبات الأحديّة

الصّمدانيّة الفردانيّة لا نفي وجود الصّورة المرئيّة فقد أصاب وإن أراد غير ذلك فقد ضلّ وكفر.

المسألة الثّالثة: ما يقول الشّيخ وفّقه الله تعالى في ظاهر الصّورة المرئيّة وما هو باطنها وما ظاهر الإسم وما باطنه؟ الجّواب وبالله التّوفيق: أمّا باطن الصّورة فاحفظ عنّي وإرجع إلى الله فيه وكن به حفيّاً، فقد جرى في تقدّم القدم في إثبات الأحديّة الفرديّة الصّمدانيّة جواب ذلك وأمّا ظاهرها فهو باطن الإسم عزّت قدرته وظاهر الإسم باطن الباب فإعلم ذلك وإعمل به فتعالى الله عمّا يقول الظّالمون علوّاً كبيراً.

المسألة الرّابعة: هل هذه صفة الرّبّ إحتجب بها وهي غيره؟ الجّواب: هي صفة الرّبّ إحتجب بها وهي علامة الوجود كما أنّ الإسم ترجمة لباطن ما ظهر من الصّورة.

المسألة الخامسة: يخبرني الشّيخ شرّف الله مقامه كيف يكون حلول الغيبات؟ الجّواب وبالله التّوفيق: إنّ الحلول حلولان يتّفقان في باب الحدث ويختلفان في الجّوهر لأنّا لا نقول بما تقوله أصحاب الحلول بل نقول: إنّ الله يحلّ في حجابه فيكون هو النّاطق وربّما كان الحجاب لأنّ الإسم غير الصّفة والصّفة غير الإسم فالصّفة وافقت الجّوهر في باب الحدث وذلك من الإسم لا من القديم الأزل فكان يظهر ويظهر كما يشاء.

المسألة السّادسة: يخبرني الشّيخ حرسه الله كيف يثبت الحقّ في الوجود بلا نسبة فإن يثبت النّسبة كيف يجب أن يكون الظّهور البشريّ؟ الجّواب وبالله التّوفيق: وجود النّسبة ما نطقت به الكتب والنّبيّين أنّه كان عرشه على الماء فهذه نسبة الأبد إلى المكان المنسوب ثمّ قال: هو الّذي في السّماء إلهٌ وهذه نقلةٌ وظهور وإنّما كانت حكمة لا تتغيّر الذّات فلمّا كانت هذه الحكمة في هذين المكانين اللّذين هما لا نطق بهما ولا حركة منزلةٌ فيها وجب أن ينتقل كما يشاء من غير نقص في الصّفة بفضل الإفراد والنّهي وأن ينسب إلى المكان المعروف بغير النّطق والحياة يظهر بالنّبيّين والمرسلين. وكذلك كانت القدرة فإستمع وع فقد سألت عن أمرٍ عظيمٍ

وخطب جسيم وحقّ يقين وسألقي عليك منه قولاً ثقيلاً وأمراً جليلاً وهو الّذي ضلّ في معرفته الخلق الكثير والجمّ الغفير إلاّ من رحم ربّك إنّه هو الغفور الرّحيم.

وهو ما نبّأ به الباقر لجابر بن يزيد الجعفيّ وقد سأله عمّا سألت. وهي المحنة العظمى السرّ المستتر والصّعب المستصعب والوعر الأوعر الّذي خفي عن سائر العوالم إلاّ عن الصّفوة فإختصّوا وشهدوا بحقّ ما عملوا وصدّقوا بما عاينوا كما ذكر في التّنزيل من قول السيّد الجليل إلاّ من شهد الحقّ وهم يعلمون، وفي هذا يا مفضّل سرٌّ لطيفٌ غامضٌ فإعلم أنّ الذّات تجلّ عن الأسماء والصّفات غيبٌ منيعٌ لا يمتنع منه باطن ولا يستتر عنه خفيّ الضّمائر لطيفٌ لا شيء أعظم منه موصوفٌ بأفعاله مشهورٌ بآياته معروفٌ بظهوراته كان قبل القبل ومن قبل أن يجيب مجيب إذ لا أحد غيره، وقبل المكان ولا مكان إلاّ مكانه وهو إلى ما لا نهاية له لا يحول ولا يزول عن حال ولا مكان عن كيانه أزلٌ لم يفتقر به حيث كان، ولم يكن إلاّ هو، ولا مشيئة ولا معرفة ولا إقرار إلاّ بمعرفته هذه النّسبة وهي المكان عزّ عزّه.

المسألة السّابعة: يخبرني الشّيخ حرسه الله تعالى كيف يكون وجه العدل فيمن عصى الله بنصف جوارحه وأطاعه بنصفها أينقسم على تلك الجّوارح العدل فيكون نصفه في المسوخيّة ونصفه في النّعيم نعيم البشريّة؟ الجّواب وبالله التّوفيق: إعلم أنّ الله تعالى خلق الرّوح وهي جوهرٌ بسيطٌ على غير كثافة كهيئة الجّسد وجعل الجّسد قالباً عليها فهي تنظر ما دامت فيه من عينيه وتسمع من أذنيه وتبطش بيديه وتنكح بفرجيه لأنّها صنفته خلقه كهيئتها فإشتركت في الأفعال معه فإذا وقعت العقوبة والنّعيم كانت مشتركةً في الرّوح وكان الجّسد عاريةً لأنّ الجّسد إذا أراد شيئاً لا تريده الرّوح لم يقدر على فعله وإذا أرادت الرّوح شيئاً لا يريده الجّسد قدرت على فعله فلمّا حصل الفعل والإرادة لها وجب أن لا يكون العقوبة والنّعيم إلاّ عليها أو لها وهذا من أوّل دليلٍ على أنّ الجّسد عارية.

المسألة الثّامنة: يخبرني الشّيخ حرسه الله تعالى عن مريم وإسم التّأنيث الواقع عليها بم نزيله عنها كما أزلناه عن المؤمنات ونحتجّ على من تكلّم بهذا من كتاب الله؟ الجّواب وبالله التّوفيق: وذلك قول الله تعالى: «وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرّحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون» فهذا أدلّ دليلٍ على أنّها وأشكالها ملائكة ورسل.

المسألة التّاسعة: يخبرني الشّيخ حرسه الله تعالى ما يكون جواب من قال: إنّ الإسم محدث وكان قوله الحقّ؟ الجّواب وبالله التّوفيق: هذا ما لم أشرحه قطّ حذراً على مكنون سرّ الله ولكن قد ألزمتني أمراً لا بدّ من إيضاحه إعلم أنّ الإسم محدثٌ من القديم قديمٌ لسائر المحدثين.

المسألة العاشرة: يخبرني الشّيخ حرسه الله تعالى: من كان بريئاً من الأضداد والصّاحبة والأولاد كيف يقع على من جحد مقامه وإتّخذ إلهاً سواه وكان ضدّ الله؟ الجّواب وبالله التّوفيق: الضدّ الّذي لله تعالى الّذي إتّخذ إلهاً سواه وعبد ما لم يعلم وأنكر ما رأى والّذي ميّز به الخبيث من الطّيّب والظّلمة من النّور وهو الّذي أطاعته الأملاك ومعه إتّخذت الإشراك وهو الإسم فتعالى الله القديم عن كلّ مثل.

المسألة الحادية عشرة: يخبرني الشّيخ حرسه الله تعالى عن قول الله: «وإن منكم إلاّ واردها كان على ربّك حتماً مقضيّاً، ثمّ ننجي الّذين إتّقوا ونذر الظّالمين فيها جثيّاً»؟ الجّواب وبالله التّوفيق: هي السّاعة الّتي يكون منها ظهور القائم فينجي الّذين إتّقوا بالإقرار والظّالمين في المسوخيّة جثيّاً أقالنا الله وإيّاكم وأعاذنا بدوام عدله وإسباغ فضله وجميع المؤمنين.

المسألة الثّانية عشرة: يخبرني الشّيخ حرسه الله تعالى ما الفرق بين الإسم والميم أم الإسم هو الميم؟ الجّواب وبالله التّوفيق: إنّ الإسم غير الميم لأنّ الإسم سمّاه المعنى الأزل والميم منه نطق عند الظّهور وفيه شرح آخر لم نسأل عنه فيجب أن لا نفصح لك عنه.

المسألة الثّالثة عشر: يخبرني الشّيخ حرسه الله تعالى عن العقل هل هو الميم أم غيره؟ الجّواب وبالله التّوفيق: إنّ العقل حدُّ الذّات في القدم لأنّ أوّل الحدّ الدّالّ على وجود المعنويّة وهو العين.

المسألة الرّابعة عشرة: يخبرني الشّيخ حرسه الله تعالى عن هذه الأسماء الله والواحد والدّائم والأوّل والآخر والصّمد والقاهر في أيّ وقت أظهرها وتسمّى بها؟ الجّواب وبالله التّوفيق: هي أسماء العين ليست أسماء المظاهر وليست محدثات.

مسائل إبن هارون إلى الشيخ الخصيبي

يقدّم ابن هارون -وهو أحد تلاميذ الشيخ الخصيبي الواحد والخمسين-، تساؤلاً عن الفرق بين الاسم والمسمّي وعن الكلمة والمتكلّم وعن الفرق بين النّور وخالق النّور، ويبين له الخصيبي الفرق من انفصال واتصال، ومن الواضح أنّ هذه التّساؤلات لا تنفكّ تتكرّر وتظهر فيما بعد خلافاً عميقاً يشتّت العلويّين ويفرّق شمل كلمتهم، ويكوّن بينهم حروباً دينيّة كانت السّبب في انقسام عشائريّ هائل ستورد له بحثاً كاملاً إذا يسّر لنا الله المتابعة. أوردنا هذه المسائل هنا مع أنها ليست لأحد من أبناء شعبة، وذلك لأن موضوعاتها تتشابه مع موضوعات مصنفات الحرانيين وقد قدمها ابن هارون الصائغ للشيخ الخصيبي بوجود الحسن بن شعبة الحراني.

قال إبراهيم بن هارون: دخلت على سيّدي وممدّي بنور الله الحسين بن حمدان أحسن الله مثواه وشرّف مقامه وأعلاه والرّسالة تقرأ على من بحضرته.

فقلت: يا سيّدي أسألك عمّا سمعته في رسالتك.

فقال قدّس الله سرّه: إسأل يا أبا عبد الله فإنّ السّؤال مفتاح المقال.

فأسألك عمّا وضعته في رسالتك بقولك وأسأله أن يصلّي على الإسم الّذي به يدعى **هل يا سيّدي يدعى المعنى بالإسم الّذي هو الحجاب والمكان؟**

قال نضّر الله وجهه: يا بن هرون أفكان الإسم من غير المعنى بدا؟ قلت: لا يا سيّدي.

قال: لو كان من غيره بدا لكان ذلك الغير قديماً مع المعنى. فقال نضّر الله وجهه: يا بن هرون، إن لم يكن الإسم من غير المعنى بدا فلم تنكر أن يكون إسمه وإذا كان الشّيء من الشّيء فهو إسمه ولا نفرّق بينهما بشيء ولا فاصلة ولا واسطة

فيحصل لكلّ ذات منهما إسم وصفة. وإن كان الإسم من المعنى بدا فهو منه بمعنى الإتّصال لا بمعنى الإنفصال، فالإسم واحدٌ له معنى وهو نوره ومنه ظهوره.

يا بن هرون ألا ترى إلى قولك شمس إسم واحد لنورٍ وقرصٍ، وإن ثبت في اللّفظ نور وقرص فإنّ لها إسماً واحداً بأن يقال: شمس وكذلك الإسم والمعنى.

إن قلت الله والإسم فهما واحدٌ، وإنّ المقام هو الواحد الّذي بدا منه الأحد، وهو النّور من المنير والظّاهر من المظهر، والقدرة من القادر، والمحدث من المحدث، والإسم من المسمّي، والرّسول من المرسل بدا منه وإليه يعود.

فقلت: يا سيّدي بدا منه فكيف يعود إليه؟ فقال – نضّر الله وجهه –: حتّى إذا بلغ مغرب الشّمس وجدها تغرب في عين حمئة، ثمّ قال: يا بن هرون لمّا بلغ الباب إلى غيبة الحجاب وغروبه وجده يغرب بالمعنى عزّ عزّه إذ هو عينه الّتي منه بدا وفيه يغرب إذ هو أصله وقديمه وحكيمه.

قلت: –يا سيّدي– إذا كان النّور نوراً واحداً فلم أوري في الظّهور نورين منقسمين بإسمين وصفتين؟

فقال –رضي الله عنه–: ليكون داعياً من نفسه إلى نفسه بنفسه.

فقلت: يا سيّدي المعنى دعا من ذاته إلى ذاته بذاته؟

فقال: يا بن هرون: المعنى دعا من نوره إلى ذاته بنوره في أكواره وأدواره وأعصاره لوجوده عدلاً منه في خلقه. إذ النّور المكان المقصود، والواحد الموجود، وهو النّفس المحذّرة، والعين النّاظرة، والحجاب اللّصيق، واللّسان النّاطق.

فقلت: يا سيّدي إذا وقع الظّهور الكامل بذاته في العدل السّنيّ الشّامل، ورأينا المعنى عزّ وجلّ ظاهراً بإسم وصفة ورأينا نوره الّذي هو الحجاب ظاهراً بإسم وصفة يعرف بهما، فإلى أيّهما نشير، وإلى أيّهما ندعو؟

فقال: قل أدع الله أو أدع الرّحمن أيّاً ما تدعو فله الأسماء الحسنى.

ثمّ قال: يا بن هارون إنّ الإسم وإن ظهر بألف إسم وألف صفة لم تكن تلك الأسماء الّتي ظهر بها إلاّ للمعنى لأنّه هو الظّاهر بها والمسمّي لها.

فقلت: يا سيّدي؟ لمن تلك الإرادة وحقيقة العبادة؟ فقال، يا بن هارون: إن وصلت إتّصلت وإن فصلت إنفصلت، أو لم يبلغك الخبر المأثور؟

فقلت: وما هو يا سيّدي؟ قال: ما روينا عن المولى الرّفيع الأعلى (ع) أنّه قال: من عبد الإسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الإسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بحقيقة معرفة الإسم فقد وحّد.

فقلت: يا سيّدي ما الدّليل على ذلك على أنّ عبادة الإسم متّصلة بالمعنى؟

فقال: يا بن هرون ألست تُجمع معي أنّ الإسم من نور المعنى بدا؟ فقلت بلى يا سيّدي. فقال: يا بن هرون، فلو أنّه فرض عليك عبادة الماء ثمّ رأيت ثلجاً فهل كنت تقضي به فرضاً أم لا؟

فقلت: بلى يا سيّدي. قال: ولم ذلك؟ قلت: لأنّه من الماء بدا وإليه يعود وينتهي. فقال: يابن هرون، وكذلك الإسم من المعنى بدا وإليه يعود كان بدوه منه إنفصالاً، ورجوعه إليه إتّصالاً، وإن ظهر برؤيته الإنفصال، فإنّ الإنفصال بالحقيقة إتّصالٌ كإتّصال الشّعاع بالقرص، وكما أنّ الضّوء من النّار والحركة من السّكون وكالنّطق من النّاطق وكالنّظر من النّاظر، موصولٌ بالنّور مفصولٌ بمشاهدة الظّهور.

فقلت: يا سيّدي أيجوز أن يقال: إنّ النّور نورٌ واحدٌ؟ قال: نعم يجوز ذلك، أن يكون النّور نوراً واحداً، وكذلك لا يجوز أن يقال للعبد مولى ولا للإسم معنى.

قلت: يا سيّدي ولم ذاك وأنت تقول: إنّ النّور نورٌ واحدٌ، والإسم إسمٌ واحدٌ، ثمّ تقول: لا يجوز أن يقال للعبد مولى ولا للإسم معنى. إعلم أنّ الإسم وإن كان من نور المعنى بدا فإنّه مكوّنٌ وكلّ ما كان مكوّناً فهو داخلٌ تحت الحدوث أفيكون المحدث كالقديم!

فقلت: يا سيّدي إذا كان الإسم محدثاً، أفهو مخلوقٌ. فقال: يا بن هرون لا يقال لنور المعنى مخلوق.

فقلت: يا سيّدي ما معنى مكوّن؟ فقال: إنّ معناه به محيط وكلّ محاط به واقعٌ تحت التّكوين والمعنى فوقه لأنّ المكوّن يدخل في الأعداد ويثنى في القسمة، وإنّما

كوّن من نوره نوراً جعله إسماً وصفة ومكاناً يذكر مع المكوّنات ويوصف مع الصّفات وكذلك قيل حجاب حجب الذّات عن الأسماء والصّفات.

فقلت: يا سيّدي وكيف بدا من القديم؟

فقال: إنّ المعنى الأزل القديم كان ولا مكان معه فلمّا شاء أن يكوّن المكان كوّنه من نور ذاته ودلّ عليه وناجاه وأنطقه فكبّر نفسه فكبّره، وسبّح نفسه فسبّحه، وقدّس نفسه فقدّسه، وحمد نفسه فحمده فسمّاه الله، وهو إسم للمعنى القديم أنحله إيّاه إذ هو ظاهره من نوره. فالمعنى هو الأحد الّذي أبّد الواحد وهو المكوّن للمكان والمسمّي للإسم.

فقلت: يا سيّدي فنقول: إنّه مكوّن محدث ولا نقول إنّه مخلوقٌ؟ فقال: يا بن هرون قد سئل سلمان عن ذلك فقال: لا أقول إنّ السّيّد محمّد مخلوق إجلالاً وإعظاماً بل المعنى فوقه وإنّه لم يزل المعنى القديم فوق المحدث والمحيط فوق المحاط به والمكوّن فوق المكان.

فقلت: يا سيّدي إذا أردنا الأزل القديم المكوّن للمكان ماذا نقول وبم ندعوه حتّى نصيب ولا نخطيء ونسرع ولا نبطيء. فقال: تدعوه وتقول: يا أحد، وإذا أردت الإسم المسمّى المحدث تدعوه وتقول: يا واحد.

فقلت: يا سيّدي الإسم إسمٌ واحدٌ للإسم ومعناه. فقال نضّر الله وجهه: هذا الإسمان للتّعريف في الظّهور وعند أهل الخبر ليعرف الأبد من الأبدي، والأزل من الأزلي، والقديم من المحدث، والإسم من المسمّي، والرّسول من المرسل، والقدرة من القادر أن تقول: إنّ الإسم للمعنى سمّاه به وحجبه عند تكوينه إيّاه.

وقال: وإذا قلت وأردت به المعنى فأنت مصيب وإذا أردت به الحجاب فأنت مصيب لأنّ الإسم موهوبٌ محبوبه الإسم الأكبر والنّور الأزهر ولذلك سمّي إسم أي أنّه إسم للمعنى يدعى به وأنحله لحجابه فإفهم وإعلم أنّه فوقه، وإنّ هذا فقه الدّين ونجاة العارفين والحمد لله ربّ العالمين.

كتاب الأصيفر

لأبي عبد الله محمد بن شعبة الحراني

الأصيفر تصغير الأصفر الّذي هو الذّهب وقد اعتاد المؤلّفون من قديم أن ينتقوا لمؤلّفاتهم أسماء مغرية تستلفت الأنظار وتستهوي القلوب، فعمدوا إلى أنفس ما لديهم من الأشياء ووضعوا أسماءها على كتبهم مبالغةً بها وإطراءً كمروج الذّهب، والجّواهر، وعقود الجمّان، والدّرّ الثّمين، وفرائد اللآلىء، وكثير غيرها.

إلاّ أنّ بعض الإخوان قالوا: لا يبعد عندنا أن يكون الأصل في إسم هذا الكتاب الأصيفر تصغير الأصغر بإعتبار أنّه أصغر كتابٍ من كتب مؤلّفيه وبتوالي الأيّام واللّيالي ضمرت الغين وصغر حجمها حتّى صارت تقرأ فاءً ومن ثمّ عرف بـ «الأصيفر» وإشتهر بهذا الإسم عند جميع الموحّدين وأهمل إسم الأصيغر حتّى لم يعرفه أحدٌ منهم وأمّا نحن فنرجع تسميته إلى المشهور المتعارف ونترك لكلّ أحدٍ رأيه يسمّيه ما يشاء.

القول في المعنى

بسم الله الرّحمن الرّحيم.

الحمد لله حمداً نبلغ به رضاه، وننال برّه ولقاه، ونسأله من جوده ممّا أفاضه على أوليائه ونستهدي منه رحمةً توصلنا إلى لقياه وتشركنا في جملة من أيّده وهداه، وقرّبه من جنابه واصطفاه وخلّصه من برازخ الظّلمة ونجّاه إنّه سميع الدّعاء فاعلٌ

لما يشاء وصلاته على محمّد المحمود والمقام المقصود المشار إليه بالركوع والسّجود وعلى باب هدايته وأنواره وحجبه وأستاره وبررته وأخياره صلاةً توصلنا بهم إلى علمه وبرّه وفضله إنّه جوادٌ كريمٌ عليٌّ عظيمٌ.

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين:، وما خَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنْسَ إلاّ لِيَعْبُدُونِ، ولمّا كان الله الموجد لكلّ موجود والمحيط بكلّ مقصود وكانت الطرق إلى معرفته تفترق والسّبل إلى توحيده تختلف قال الله تعالى: «وأنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » ونبّه بقوله:«مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي» وقد سألني ما عليه هذه الأمّة من إخواننا وفّقهم الله تعالى من الإختلاف والإنحراف وقلّة الإنصاف وكثرة الدّعاوي للمنتهي والمبتديء تعسّفاً لأخبار ومسائل في الظّهورات وأسرار علم التّوحيدو إستنادهم إلى أقاويل إذا طولبوا بها لم يوجد لها عندهم جوابٌ إلاّ البهت والمغالطة والتّكذيبو المنافرة.

فلا تنطوي مجالسهم إلاّ على الأباطيل والإقتداء بسيرة من روى الكفر والتّبطيل وكلّ واحدٍ قد هيّأ له مسائل يلقيها عند تمكّن البطنة وإستيلاء الشّراب على عقولهم، فلا تسمع في مجالسهم إلاّ الصّياح والنّفور والعربدة والشّرور واللّغو والسّفه وترك النّصفة والإنزواء عن العلم والمعرفة فهم كما قال الله تعالى: «تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ »، لم يقفوا على نبذةٍ من العلم ولا حقّقوا شيئاً من بواطن المعرفة ولا تمسكوا برشيدٍ يهديهم إلى جادّة الحقّ وطريق الصّواب فيسلكوا مسلك العلماء الّذين وقفوا على بواطن الأخبار وعرفوا غوامض الأسرار، بل تكلّموا بالظّنّ وما تهوى الأنفس جرأةً منهم وجهالةً وقلّة مبالاةٍ ببوادرعذاب الله وسخطه، ثمّ إنّهم إنتقلوا إلى الكلام في الصّورة المرئيّة وأحالوا بأقوالهم على مواضع بعيدة من الغرض المقصود الّذي حثّت الغلاة إليه وعولّت عليه، فأتوا بأقاويل تبعد عن المراد وتفسد الإعتقاد.

وقد قال السّيّد أبو شعيب عليه السّلام في كتاب المثال والصّورة «مثال الله غير الله والصّورة غير المثال والمثال غير الصّورة».

وقد روي في الخبر أنّ الله خلق آدم على مثاله وصورته ثمّ أجرى فيه روحه ونفسه على أنّ كلّ إسمٍ [1] معلوم وكلّ ظاهرٍ مخلوق [2] وكلّ صفةٍ غير الموصوف [3] ولكنّك بقصدك وعقلك ومعرفتك تعلم أنّ الّذي يقول النّاس هو (عليّ) هو الله الّذي يظهر كيف يشاء وأين يشاء ولم يغب عن سمائه بمشاهدة أرضه، فمن زعم أنّه رأى بعضاً فقد بعّض الله، ومن قال هو الله يظهر كيف يشاء لمن يشاء من خلقه لا موصوفاً ولا وحدوداً ولا مقتضياً عليه بزوالٍ ولا حركةٍ ولا إنتقالٍ ولا حدٌ ولا مثالٍ إستدللت على معرفته بقدرته [4] ومن إستدلّ بمعرفته وصورته عليه فقد صار بمعرفة الله إلى سبيل النّجاة.

وعن أبي شعيب عليه السّلام أنّه قال: «كذب من زعم أنّ الله في شيءٍ أو من شيءٍ أو على شيءٍ، فمن زعم أنّه من شيءٍ فقد جعله محدثاً، ومن زعم أنّه في شيءٍ فقد جعله محصوراً، ومن زعم أنّه على شيءٍ فقد جعله محمولاً والله غاية من غايات المعنى والمعنى غير الغاية توحّد بالرّبوبيّة ووصف نفسه بغير حدٍّ ورؤيةٍ، فالذّكر لله غير الله [5] والله غير أسمائه وكلّ إسمٍ غير الله أو صفةٍ أو معنىً أو شيءٍ يقع عليه إسمٌ فهو مخلوقٌ وقال: من زعم أنّه يعرف الله بحجابٍ أو صورةٍ أو مثالٍ فهو مشركٌ لأنّ حجاب الله غيره وصورته غيره ومثاله غيره وإنّما عرف الله بالله [6]، فمن لا يعرفه به فليس يعرفه بل عرف غيره وإنّما عرفه المؤمن بقلبه لأنّ القلب

---

[1] المراد هنا بالإسم الملحوظ بتعيينٍ من التّعيينات (الشّيخ عبد اللطيف)

[2] قوله: وكلّ ظاهر مخلوق لأنّ كلّ ظاهر مرئيّ جسمٌ وكلّ جسم متحيّزٌ في مكان ويكون محدودا وذا لونٍ وصفةٍ وكلّ ذلك من صفات المخلوقين (الشّيخ عبد اللطيف)

[3] لأنّ الصّفة تترتب على الموصوف فيكون هو أوّلا وهي ثانياً فوجود زيدٍ مثلاً كان قبل أن يتّصف بالعلم والشّجاعة والكرم وغيرها مع الإحتراس على صفات الله القديم فليست داخلة في هذا التّحديد (الشّيخ عبد اللطيف)

[4] الإستدلال على معرفة الله بقدرته طريقة الموحّدين والإستدلال عليه بالوجود طريقة المدققين من الفلاسفة، قالوا مسمّى الوجود مشترك وانّه زائدٌ على ما هيّات الممكنات ووجود الباري لا يصحّ أن يكون زائداً على ماهيّته فتكون ماهيّته وجوداً ولا يجوز أن تكون ماهيّته عارية عن الوجود فلم يبقَ إلا أن تكون ماهيّته هي الوجود نفسه وأثبتوا وجوب ذلك الوجود وإستحالة العدم عليه والإستدلال عليه بالموجود أي بأفعاله طريقة المتكلّمين قالوا: كلّ ما لم يعلم بالبديهة أو بالحسّ فإنّما يعلم بآثاره الصّادرة عنه والباري الطّريق إليه أفعاله وبما أنّ العالم محدثٌ فله محدثٌ وبما أنه ممكنٌ فله موجدٌ..الخ في نسخة أخرى وجدت بصورته وليس بقدرته (الشّيخ عبد اللطيف)

[5] قوله: الذكر لله غير الله لأنه تعالى لا يذكر إلا بأسمائه وصفاته وهو غيرها (الشّيخ عبد اللطيف)

[6] لأنه هو الدّليل لأدلته مع ما ركبه في العقول والفطر من إلهام معرفته والتّصديق بوجوده كدلالة الأثر على المؤثر والصّنعة على الصّانع (الشّيخ عبد اللطيف)

يمحو ما تراه العين [1] ولذلك مثّلوا معرفة الله بالأبدان كعبادة الأوثان، أعاذنا الله وإيّاكم من سخطه.

وفي الخبر من كتاب التّوحيد عن محمّد بن سنان قال: دخلنا عليه ونحن أربعةٌ وثلاثون رجلاً «في حقائق أسرار الدّين سبعة عشر رجلاً» وكلّ واحد منّا يزعم أنّه بلغ معرفة التّوحيد [2] فقال لنا محمّد بن سنان: توحّدون الله؟ قلنا: نعم نوحّده قال: كيف توحّدونه؟ قلنا: نشهد أنّ المعنى هو ربّ العالمين الّذي لم يزل ولن يزل ظاهراً بأسمائه الحسنى وأنّ محمّداً عبده ورسوله.

فقال محمّد بن سنان: على أيّ معنى توحّدونه على أنّه ظاهرٌ أو محتجبٌ؟ قلنا: على أنّه ظاهرٌ وهو المعنى المحتجب.

قال: من زعم أنّ عليّاً الظّاهر هو الله فقد كفر، ومن زعم أنّه يحدّه فقد أشرك معه غيره، ومن زعم أنّه يعرف الله بالظّاهر فقد فسق، ومن زعم أنّه يعرف الله بالباطن فقد محق، ومن زعم أنّه يعرف الله بصفةٍ فقد مرق.

قلنا: إنّا لله وإنّا إليه راجعون فقد فنيت أعمارنا وذهبت أيّامنا حتّى ظننّا أنّنا وحّدناه وبلغنا المنتهى في معرفته.

فقال لنا محمّد بن سنان: أوليس الإسم خلاف المعنى والمعنى خلاف الإسم.

قلنا: ليس الإسم خلاف المعنى.

قال: إن كان الأمر على ما تقولون فأعوذ بالله العليّ العظيم فالظّاهر هو الباطن والباطن هو الظّاهر، قلنا: قد قال لنا «هو الأوّل والآخر والظّاهر والباطن» فدلّ على أنّه الظّاهر هو الباطن والباطن هو الظّاهر.

---

[1] في بعض النسخ يحكي ما لا تراه، وفي بعضها يحيي ما لا تراه، والقلب هنا العقل ويمحو ما تراه العين أي ينفيه لأنه يعلم من هذه قدرته ليست تلك صورته

[2] من أشار إلى الذّات فقط بعقله البريء السّليم من غير توريةٍ باسم أو تحليةٍ برسم مخلصاً مقدّساً فقد وفى حقّ التّوحيد بقدر طاقة البشريّة لأنه أثبت الآنيّة ونفى الأينيّة والكيفيّة وعلاه عن كلّ فكر ورويّةٍ (عن كتاب المقابسات لأبي حيان ص ٢٥٩) (الشيخ عبد اللطيف)

قال: نعم قد قال ذلك ولكنّه أراد بالظّاهر أنّه ظهر بالظّاهر إمتحاناً منه لهم ولم يكن لظهوره بالظّاهر حقيقة، وإنّما ظهر لتكون له الحجّة على خلقه وليأنس إليه المؤمن إذا رآه من جنسه في البشريّة فعلمنا أنّها القدرة الّتي أظهرها لخلقه.

فقلنا: الظّاهر خلاف الباطن والباطن خلاف الظّاهر.

فقال محمّد بن سنان: أجل هذا هو الحقّ لأنّ الحجاب خلاف المحتجب به والقدرة خلاف النّاسوت [1] وهي البيوت الّتي نطق منها الرّبّ ثمّ قال: أو لستم إذا نظرتم إلى مخلوقٍ مثلكم تعرفونه بإسمه وصفته وكنيته ونسبه؟

قلنا نعم.

قال: كيف قلتم أنّه الله والله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ثمّ قال: أوليس الله باطناً محتجباً لا يرى.

قلنا: نعم.

قال: فالباطن المحتجب الّذي لا يرى هو الله القديم الأزل الّذي لا شريك له ولا نظير ولا ضدّ ولا ندّ.

قلنا: صدقت.

قال: فهل لهذا المعنى إسمٌ؟

قلنا: نعم.

قال: ما إسم هذا المعنى؟

قلنا: أعلمنا.

---

[1] ورد ذكر النّاسوت واللاهوت في هذا الخبر تحوثماني مرّات ولا يخفى أنّ هاتين الكلمتين من طقوس الدّين المسيحي لا الإسلامي وعندي أنه ليس من اللائق بحقّه تعالى أن نقول (علي ناسوت والله لاهوت) كما يقول المسيحيّون في المسيح لأنّهم يوقعون عليه القتل والصّلب ونحن ننفي عنه الصّورة والقتل والعجز وننزّهه عن كلّ ما يشعر بالحدوث وقد قال الشيخ رضي الله عنه

أسـماء سـبع تسـمّى مسـمّياً لا مسـمّى

و قال الزّاد " فليقل بهذا القول أن يكون عليّ إسم ناسوت إذ كان هو المسمّي لجميع الأسماء...الخ(الشيخ عبد اللطيف)

قال: إنّ عليّاً إسم للمعنى والمعنى خلاف الإسم.

قلنا: المعنى هو الغاية.

قال: المعنى هو المحتجب بالغاية والغاية هي الأزل القديم لأنّ الله لا يظهر لوقتٍ من الأوقات إلاّ بغايةٍ والمعنى هو النّاطق من الغاية والغاية هو المحتجب بالحجاب البشريّ الآدميّ.

ثمّ قال محمّد بن سنان: قال لي سيّدي ومولاي: الله باطنٌ لا يدرك وظاهرٌ لا يغفل، فظاهر الله هم الأوصياء فاقبل قبولاً حسناً.

قلت: سيّدي أعده عليّ.

فقال: باطن الله غيبٌ لا يدرك وظاهره أنوارٌ من حجبه وهم الأوصياء.

ثمّ قال محمّد بن سنان: لا يدلّ على الله إلاّ من كان منه أو من نوره الخاصّ.

قلنا: أعده يا رحمة الله.

قال: لا يدلّ على الله إلاّ من كان منه.

قلنا أعده علينا يا رحمة الله.

قال: ألستم تعلمون أنّ محمّداً دلّ على عليّ بقوله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» يعني معناها ومحمّد دلّ على عليّ إذ كان منه ومن نوره الخاصّ أفهمتموه؟

قلنا: نعم.

قال: أوليس عليٌّ حروفاً مقطّعة ومتّصلة [1]؟

قلنا: نعم.

قال: والله حروفٌ مقطّعة ومتّصلة.

قلنا: نعم.

---

[1] الحروف المقطعة القائمة برؤوسها لا تدلّ إلا على نفسها والحروف المؤلفة المجموعة تدلّ على غيره من أسماء وصفات والأسماء غير المسمّيات والموصوفات وهي تدلّ على كمال الله ووجوده ولا تدلّ على الإحدية كما تدلّ على الوجود الذي هو التربيع والتدوير والتثليث، ولو كانت صفاته لا تدلّ عليه وأسماؤه لا تدعو به لكانت العبادة لأسمائه وصفاته دون معناه ولو كان كذلك لكان المعبود غيره والموصوف سواه (عن كتاب نخب العقول) (الشيخ عبد اللطيف)

قال: من زعم أنّ حروف الله هي الغاية فقد كفر، ومن زعم أنّ حروف عليّ هي الله فقد كفر.

قلنا: فسّر لنا هذا.

قال: إنّ إسم عليّ ثلاثة أحرف والمعنى واحدٌ وهو خلاف الإسم والشّيء هو الجّسم والمعنى هو النّور الّذي منه بدا الجّسم وغاية الشّيء هي النّفس لأنّ النّفس نور الجّسم والرّوح في النّفس لا في الجّسم والله ظاهرٌ غلاف في جوف غلاف ولو ظهر في غلافٍ واحدٍ لكان قد عرفه الصّادر والوارد [1] والله أجلّ من أن ينزل بيتاً كثيفاً كدراً ولكنّه ينزل في نفسه المحذّرة وهي الغاية ويظهر نفسه في النّاسوت وهو قوله: ويُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ والغايات هي أوّل مقامات الله.

قلنا: فالإسم على من وقع؟

قال: إسم عليّ وقع على النّاسوت وإسم الله وقع على اللاّهوت [2] وعليّ هو الله والله هو عليّ لأنّ ذلك النّاسوت عرف بإسمه كما عرف ناسوت كلّ مخلوقٍ بإسمه وإنّما سمّي ناسوتاً بهذه العبارة للوجود وإثبات المعرفة.

قلنا: أخبرنا عن اللاّهوت وما يقع عليه إذ هو باطنٌ نوريٌّ.

قال: يقع عليه إسم الله.

قلنا: فهل تقع عليه الحروف؟

قال: لا لأنّ الحروف محدثةٌ ومن قبلها ضلّ من ضلّ.

---

[1] قال تعالى: وما خلقتُ الجِنّ والإنسَ إلاّ ليَعْبُدُون، أي ليعرفوني فإذا كان خلقهم ليعرفوه فلماذا لم يظهر لهم في غلافٍ واحدٍ ليعرفه الصّادر والوارد وتثبت عليهم الحجّة في ذلك؟

الجّواب ليس من الحكمة في شيءٍ أن يظهر في غلافٍ واحدٍ وهو القدرة ويحيي الخلق إلى معرفته والإقرار بربوبيّته فتسقط المحنة والإختبار ولكنّه ظهر في جوف غلافٍ واحدٍ وهو القدرة ويحيي الخلق إلى معرفته والإقرار بربوبيّته فتسقط المحنة والإختبار، ولكنّه ظهر غلاف في جوف غلاف يعني بالقدرة والصّورة، فالعارفون عرفوه بالقدرة والجّاهلون جهلوه بالصّورة ليهلك من هلك عن بيّنةٍ ويحيا من حيي عن بيّنةٍ (الشّيخ عبد اللّطيف)

[2] في الرّسالة الرّذاذيّة لإبن العجوز قال: من إعتقد أنّ عليّا إسم ناسوت والله إسم لاهوت وأثبت أنّ الله جسمٌ مترجمٌ لاهوتٌ وناسوتٌ فقد كفر وأشرك وعاد إلى قول النّصارى في المسيح بأنّه مترجمٌ لاهوتٌ وناسوتٌ وأنّ القتل والصّلب وقع على النّاسوت وأنّ اللاهوت رفع إلى السّماء وعاد إلى ما منه بدا...الخ وقد نهى عن القول بأنّ الله جسمٌ أو صورةٌ لأنّ المعنيّ في حدّ ذاته ليس جسماً ولا صورةً يظهر كيف يشاء (حقائق أسرار الدّين) (الشّيخ عبد اللّطيف)

قلنا: فعلى من تقع الحروف؟ قال: تقع على وليّه لأنّه أنحله الأسماء والصّفات ولأنّ الله باطنه غيبٌ لا يدرك ووليّه نورٌ ظاهرٌ مدركٌ فتقع الحروف الظّاهرة على شخص محمّد فيكون محمّد إسم الله ونفسه وصورته وتقع حروف محمّد على وليّه سلسل، ومحمّد ووليّه ظاهران مدركان واللاّهوت هو المعنى الظّاهر بالغاية والغاية هي الأزل القديم «إنّ الله أنحله إسمه وصورته وأسماءه وصفاته » وإنّ الأسماء والصّفات والنّعوت واقعةٌ على الوليّ لأنّ الله أجلّ من أن يقع عليه إسمٌ أو صفةٌ أو نعتٌ قال إبن سنان: «قال مولانا الباقر منه السّلام: إنّ ورائي غيري وليس عليكم معرفة ذلك الغير » أراد به المحتجب بالحجاب.

قلنا: فلأيّ معنى أقام النّاسوت؟ قال: لعلّة وجود أبدانكم فلمّا ظهر منه العلم والقدرة وعجز المخلوقون عنها علموا أنّ لتلك الصّورة معنىً وأنّ البشريّة الّتي أظهرها لم يكن لها حقيقةٌ وأنّ الحقيقة في الرّبوبيّة لإظهار القدرة لا في البشريّة لإظهار العجز وإنّ الله ظهر فيما شاء كيف شاء من كبير الخلق وصغيره وألهمكم معرفته في النّاسوتيّة لئلاّ ترتابوا أو تضلّوا.

ثمّ قال: إنّ المعنى هو الأزل القديم والغاية هي الحجاب الّذي يحتجب به وهو غاية هذا الخلق وصاحب النّداء الواضح والدّعاء الظّاهر حيث دعا إلى الله وظهر منه النّطق والقدرة والتّوحيد، ألم تعلم أنّ الله الأزل القديم ظهر بالغاية وهي الصّورة الأحديّة ونطق بالمعنويّة والمعاني هي الحجب لأنّ المعاني خلاف المعنى والمعنى هو الفرد والمعاني صورٌ شتّى والحجاب هو الّذي يحتجب الله به فهذه معرفة الغاية والمعنى والمعاني المحدثة ومعرفة الحجاب وإنّما يدلّ الحجاب على المعنى بالقدرة والقدرة تدلّ على الله بالحجاب [1].

---

[1] في كتاب حقائق أسرار الدّين لابن شعبة باب أداب الدّين قال: " إنّ الله عزّ وجلّ فردٌ لا يعرف بغيره وحده يعرفون به وكلّ صورةٍ يظهر بها فالصّورة صفة من صفاته وإسمٌ من أسمائه والله لا تقع عليه صفة ولا إسمٌ وهو غير صفته وإسمه إلى أن قال: وهو المعنى، ثمّ قال: لا تقولوا بالحجاب ولا بالصّورة وقولوا بالمعنى الذي حجز الصّورة والحجاب ولا تقولوا بصاحب النّطق فإنّ صاحب النّطق يخطيء ويصيب وصاحب القدرة لا يخطيء وهو مصفّى من الكدر فلا يدّعي ما ليس له فإذا رأيتم من شخص قدرةً أو معجزةً يعجز الخلق عنها فاسألوه وكم قال لكم صدّقوه فإنّ صاحب القدرة لا يدّعي ما ليس له (الشيخ عبد اللّطيف)

فصلٌ فيه زيادةٌ وتنبيهٌ

عن المفضّل عن جابر قال: سئل أبو جعفر عليه السّلام عن تفسير الصّعب المستصعب فقال.

الصّعب الإقرار بالصّورة المرئيّة والمستصعب الإذعان لها بالعبوديّة وكلاهما سرٌّ مستترٌ فمن فهم ذلك وأذاعه فقد هتك سرّ الله.

قال: وبالإسناد عن الكرخي عن إسماعيل بن عليّ عن محمّد بن صدقة عن محمّد بن سنان عن المفضّل قال.

قال الصّادق علينا سلامه: من عرف المعنى من جهة الإسم [1] فقد جهل أكثر ممّا علم، ومن عبد المعنى والإسم فقد أشرك، ومن قال أنّه يرى فقد أحال على عدم، ومن قال أنّه في خلقه فقد أحوجه إلى مكانٍ، ومن قال إنّه خارجٌ عنهم فقد نفى وجوده ومن عرفه بدلائله وأشار إليه من حيث ظهرت علاماته وآمن بما شاهد من معجزاته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين.

فصلٌ فيه زيادةٌ وتمهيدٌ

قال: وبالإسناد عن محمّد بن صدقة عن يونس عن المفضّل قال.

قال الصّادق منه السّلام: «من عبد ما لا يرى فقد عبد مجهولاً، ومن عبد ما يرى فقد عبد محدوداً، ومنقال إنّه غير مشاهد فقد أحال على غائب، ومن قال إنّ الأبصار تشاهده فقد يرى مثله، ومن عبد المعنى والإسم فقد أشرك، ومن وصفه بما وقع عليه من فكره فإنّما وصف نفسه، ومن قال إنّه محتجبٌ عن خلقه فإنّما عنى غيره، ومن قال إنّه ظاهرٌ لهم يرونه فقد عيّنه [2] ومن عرفه من جهة ظهور المعجزات ونفى مارأى وأثبت ما علم فأولئك أصحاب أمير المؤمنين ».

---

[1] المراد بالإسم الذّاتيّ الذي يقع على مظاهر المعنى نوراً وبشراً ويطلق الإسم عند العرفاء على نفس الوجود ملحوظاً بتعيينٍ من التّعيينات الكماليّة (والمسمّى) أي (المعنى) على الوجود والصّرف ملحوظاً بلا تعيين وقد روي هذا الخبر في الفصل السّادس من البحث والدّلالة وفي الباب السّادس من المصريّة وأورد بعضه الشّيخ محمّد آل الحسين النّجفي آل كاشف الغطاء في كتابه الدّين والإسلام ج ١ صفحة ٩٣ وهو من الإماميّة (الشّيخ عبد اللّطيف)

[2] عيّنه أي جعله متعيّناً في جهةٍ أو هي (عاينه) وكلّ معاين متعيّن ومحدود (الشيخ عبد اللّطيف)

فصلٌ هدايةٌ

قال تعالى: «فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وجْهُ اللَّهِ » وقال: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» إشارة إلى موجودٍ لا مفقودٍ، وكذلك قوله: «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ» فهذه المواضع وأمثالها إشاراتٌ للعارف لا للجّاهل، وإنّما سمّي العارف بالله مؤمناً لأنّه عرف الله من كلّ المواطن فإستحقّ إسم الإيمان.

وقد قال الله تعالى: «وما شَهِدْنا إلاّ بِما عَلِمْنا وما كُنّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ» والشّاهد إنّما شهد بما علمه وفهمه وحقّقه وصدّقه ودقّقه وإتّضحت له الحجّة على صحّة دعواه.

وقول القائل إذا شهدت عليه أو شهدت عليه نفسه (أنّ الصّورة المرئيّة [1] هي الغاية الكلّيّة ليست كلّيّة الباري ولا الباري سواها) ألست أنت الشّاهد على نفسك بأنّ الصّورة المرئيّة وتثبتها وتشهد بأنّك معاينها ومحقّقها فإذاً تلزمك الحجّة بموجب شهادتك إن كنت صادقاً على إقامة الدّليل على وجود الصّورة وإيضاح ظهورها وبقائها وسرمديّتها وكونها ثابتةً للعيان دائمة الكيان.

فإن أوضحت الحجّة وأقمت البرهان كنت بهذا القول صادقاً وإلاّ فأنت مبطلٌ فيما إدّعيت لقلّة معرفتك لأنّك شهدت بالحقّ وجحدته فلزمك الحرمان لقصر علمك ومعرفتك.

وإن كنت قانعاً بما نقلته عمّن تقدّمك فإنّما أنت مقلّدٌ ومصدّقٌ بأقاويل مظنونةٌ غير موثوقٍ بصحّتها فالحجّة تلزمك وتلزم من تقدّمك ممّن قلّدته بالشّهادة.

---

[1] إذا قلت " إنّ الصّورة المرئيّة " فقد أثبتّ عليه الجّسميّة والكيفيّة والأينيّة وأوقعت عليه الأسماء والصّفات وألحقته بالمحدثات، وإن قلت إنّه جسمٌ فقد نفيت وجوده وجعلته معدوماً والقول الأوّل تشبية والثاني تعطيلٌ وقد لمّح إلى هذا المعنى سيّدي الوالد قدّسه الله في إحدى قصائده فقال في الصّورة

صـــحّ إثباتهـــا بنفـــي الصّـــفات فـــوق حـــدّ التّشـــبيه والتّعطيـــل
كنـــه ســـرٌ قـــد دقّ معنـــى عـــلاه و سما عـــن مكيّفـــات العقـــول

(الشيخ عبد اللطيف)

ونهاية القول عند السّالكين المحقّقين أنّ المعرفة [١] سببٌ لنجاة كلّ عارفٍ وغنم كلّ فائزٍ [٢] وسعادة كلّ مسترشدٍ وهي خاتمة الصّلاح ومفتاح الخير واليمنو النّجاح فيجب أن تبحث عن هذا المطلوب وتحقّق القول فيه، لأنّ المعرفة لا تكون بالشّيء الزّائل وإنّما تكون بالشّيء الثّابت الدّائم لأنّ الجّوهر دائمٌ بدوام مبديه، والعرض فانٍ فاسدٌ والجّوهر لا يتغيّر.

وقد نبّهك إن عقلت وعرّفك إن علمت في قوله (الصّورة المرئيّة) بأنّها ثابتةٌ في الوجود والعيان، ثمّ قال: (هي الغاية الكلّيّة ليست كلّيّة الباري) لأنّها ليست كلّيّة الوجود ولا كلّيّة الإله المشار إليه بالمعنى ثمّ قال: (ولا الباري سواها) لأنّها صورة الوجود المتّصلة بالمعبود وصورة الوجود هي الباب الدّالُ وغاية الآمال وموقع الأمثال وطريق الإستدلال وموقع الصّفة وقرار المعرفة ومستقرّ دعوة النّصفة وهي صبغة الله وصفته [٣] ونطقه وكلمته [٤] وبيته ونفسه وحجابه وحجّته ونوره وهدايته وصراطه المنصوب إلى جنّته وسرّه الظّاهر لخليقته والمدبّر ما في ملكه والنّاشر أرواح بريّته وإليه الإشارة بقوله: «ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السّماواتِ والأَرْضِ ولا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ» وكذلك نبّهك بقوله: «يا كلّ يا أزل لم تزل» وبقوله: «وأشرق منه ما فيه يغرب» وإنّما شهدت بصورة حاضرة لجميع الموجودات منفردة بالقدرة العظمى والكبرياء مباينة لجميع الصّور ذاتها ذات نوريّةٍ [٥] أحديّة أبديّة

---

[١] المعرفة عبارةٌ عن مدركاتٍ عقليّةٍ تتكوّن في مجموعها من حقائق كلّيّة يستخلصها العقل (الشيخ عبد اللطيف)

[٢] السّعادة عند أفلاطون أربعة أجزاء

١. الفلسفة: وهي العلم بعالم المثل
٢. تفهّم الإرتباط بين عالم المثل وعالم الحسّ
٣. التثقيف بأنواع العلوم والفنون
٤. التمتع بلذائذ هذا العالم النّقيّة الطّاهرة البريئة والترفّع عمّا هو منها خسيسٌ دنيءٌ

هذه هي السّعادة والفضيلة الفلسفيّة وهي المعرفة والصّلاح عنده (الشيخ عبد اللطيف)

[٣] صفات الله عين ذاته ليست زائدة عليه كصفات المحدثين (الشيخ عبد اللطيف)

[٤] هي الوجود المنبسط في المراتب الثمانية والعشرين وهي العقل والنفس والأفلاك التسعة والأركان الأربعة والمواليد الثلاثة وعالم المثل والمعقولات الكثيفة العرضيّة المواليد الثلاثة عند الحكماء: (المعدن والنبات والحيوان) وأمّا الأركان الأربعة فهي (النار والهواء والماء والتراب) والأفلاك التسعة (الأطلس والثوابت زحل مشتري مرّيخ زهرة عطارد قمر)ترتبت عنها المادّة (الشيخ عبد اللطيف)

[٥] هي النوريّة الوجوديّةالحقيقيّة المستقلّة الحيّة النافذة في أعماق الأشياء وبواطنها المظهرة لكلّ الماهيّات لا أفول لها ولا تغيّر لا النوريّة المصدريّة الحسّيّة العرضيّة القديمة السّفور المنبسط على ظواهر السّطوح المظهرة للمبصرات اللاحق بها الأفول (الشيخ عبد اللطيف)

سرمديّة قدسيّة جبروتيّة لا يعرف لها بداية ولا تحيط بها نهاية، ولا يمتنع فعلها ولا يردّ حكمها.

وقد قال: «إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ والأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً، لَقَدْ أَحْصاهُمْ وعَدَّهُمْ عَدًّا» فتكون إذا حقّقت مقصدك من هذه الصّورة وصرت إلى معرفة المجرّدات والمعقولات وعلمت ما ترشد به إلى مطلوبك من معرفة الصّورة المفاض عنها جميع الصّور وقد قال السّيّد في الرّسالة «صورة لا مصوّر لها، وصورةٌ لها مصوّر» وقال: (ولعلّه البغدادي): هو الهيولى وكلّ الخلق صورته.

فصل إرشاد وتذكير

إذا كنت ذا فطنة وعقل لم تحتج إلى الإكثار بل يقنعك اليسير من التّذكار وقد قال الله تعالى: «و ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» وإنّك إذا إرتقيت في العلم إلى درجات المعرفة [1] وتأمّلت وإستقريت الوجود إمّا من أعلاه وإمّا من أدناه لم يداخلك شكٌّ فيما تحاوله من العلم والمعرفة أنّ الإله تعالى ليس بجسم ولا يحلّ في جسمٍ ولا تحصره مصنوعاته.

ثمّ إذا نظرت فيما ذكره العلماء وشهد به أهل الدّين والعقل أنّ الإله أبدع من نور ذاته نوراً لا يحدّ ولا يعدّ ولا يحصر ولا يبلغ إلى نهاية ولا ينتهي إلى غاية وهو العقل الفعّال الّذي هو حجابه ونبيّه وصفيّه وكلمته المتّصلة بموجده ومبديه الّذي هو الإله ومنه ظهرت القدرة والمشيئة والإرادة وهو المشار إليه بالميم إليه التّسليم.

ثمّ ظهر عن هذا العقل الفعّال الّذي هو حجاب الله وصفته النّفس الكلّيّة الفائض عنها عقول ونفوس من في السّموات والأرض وهي الباب اللاّصق والشّبح النّاطق.

---

[1] المعرفة هنا هي الفلسفة وهي تبتديء حيث ينتهي العلم أي أنّ الحدّ الذي يستطيع العلم بلوغه ولا يقدر أن يتجاوزه فإنّ منه تبتديء الفلسفة وتشير إلى مستوى أرفع (الشيخ عبد اللطيف)

والأشباح إنّما تكون للمعقولات والمحسوسات وقد علم وحقّق أنّ كلّ شبحٍ ذي حسٍّ فهو لطيفٌ وكثيفٌ فاللّطيف هو النّفس الدّالّة على الصّورة والكثيف هو الجّسم القائم بها.

والجّسم ما فرض وجوده عقلاً وحسّاً وكلّ ما أدرك بالحسّ ووقع تحت البصر وأدركت نهايته وإلى مثله أشار بقوله: «ظاهري إمامةٌ ووصيّةٌ وباطني غيبٌ لا يدرك ».

وكذلك تفهم من قوله «صورةٌ» أنّه حقّق بالمعاينة ووقع تحت الحسّ فإذا عقله العالم وجرّده عن الصّور والموادّ أدركه معقولاً مجرّداً قائماً بالكلّ سابقاً وجوده لوجود الموجودات لا يدخل عليه النّقص والفساد وهو كاملٌ في ذاته مشارٌ إليه بالكلّ لأنّ الكلّ لا يحتاج إلى زيادةٍ عليه ولا نقصٍ منه فإذا كان معلوماً مدركاً بالعقل والحسّ باطنه الحقيقة وظاهره المعرفة كان من أدلّ دليلٍ على قوله: «الصّورة المرئيّة » أنّها دليل الكلّ.

أي كلّ موجودٍ «هي الغاية الكلّيّة » يعني الباب اللاّصق والشّبح النّاطق لأنّ الوجود هو الباب الّذي ظهر منه الكمال الوجوديّ واليتيم الأكبر الّذي هو أرض الباب.

وإذا جرّد الوجود وكان واحداً معقولاً وأدركت مرتبة الباب أنّه متّصلٌ بالحجاب الأعلى الّذي هو حجاب الله على الحقيقة لا على المجاز.

وإذا قلت: «يا أزليّ لم تزل» فالإشارة إنّما تقع على ظاهر الميم إليه التّسليم وظاهر الميم الباب لأنّ المجرّدات والمعقولات والنّفوس أزليّاتٌ دائماتٌ لا يلحقها التّغيير والفساد والإضمحلال.

وحينئذٍ لا يمكن أن يشار إلى الصّورة إلاّ بالمجرّد المعقول الّذي لا يمكن زواله والصّورة الواحدة الّتي يلزمها الكمال هي الدّائمة الثّابتة الأزليّة وإنّما تعرف بموضع لا يلحقه الإنصرام ولا يتغيّر على ممرّ الأيّام ولا تختلف هيآته ولا تتباين صفاته فيستدلّ بظاهره على باطنه.

وإنّما يمكن الوصول إلى معرفة النّفوس والعقول الّتي هي الحجب والأبواب المجرّدات بالقوّة والفعل للمرتاض المتدرّب على العلم وحينئذٍ يعرف أنّ الأزل غير الأزليّات [1] لأنّ الأزليّات ممتدّةٌ للزّمان والدّهر ما تقدّم أمده والغاية هي نهاية الشّيء المطلوب وعليه قول الجلّيّ قدّس الله روحه:

محمّـــد الحمـــد لنـــا غايـــةٌ　　　من غاية الغايـــات ذي الجـــودِ

و الغاية الكلّيّة هي السّيّد الميم إليه التّسليم وإليه وقعت الإشارة وهو الّذي له صورة الكلّ.

فمن وقع قصده إليه فقد بلغ حقيقة معرفة المعنى وقد ضرب الله الأمثال للنّاس والمقصود بها مدلولاتها.

فمنها أنوارٌ وبسائط مجرّداتٌ ومنها كثائف ومحسوساتٌ مدركاتٌ فالكثائف والمحسوسات آلة للتّعريف والتّفهيم.

وإنّ التّغيير والتّبديل واقعٌ بالأمور الظّاهرة ومعقولاتها أعني مجرّداتها هي الباقية لأنّ الكثائف أعراضٌ والمعقولات جواهرٌ ولذلك صار التّوصّل من الأخسّ وهو البدن إلى الأشرف وهو النّفس والعقل وقد قيل.

«لا يدلّ على الله إلاّ من كان منه أو من نوره الخاصّ».

فصلٌ فيه تنبيهٌ ونكتٌ وهدى إلى الحقّ

إعلم وفّقك الله وإيّانا في قول الحقّ مقنع لمن تدبّر ووعى أنّ قوله تعالى: «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ والْمَلائِكَةُ وأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» والله هو الحجاب وقد يطلق على الباب عندما يشرّفه بالظّهور فباطن الباب ظاهر الحجاب وباطن الحجاب ظاهر المعنى والملائكة أهل المراتب وأولوا العلم العلماء من المؤمنين الّذين قاموا بالقسط وعرفوا الله بغاية الإمكان وعرفوا حجابه

---

[1] قوله: الأزل غير الأزليّات لأنّ الأزل هو القديم الذي لا بدء لأوّليّته وهو من أسماء المعنى التي لا تطلق على غيره والأزليّات غيره لأنّها منسوبة إليه وكلّ منسوبٌ إلى شيءٍ فهو محدثٌ بالنّسبة إلى المنسوب إليه وإمتداد للزّمان نسبتها الأزليّة التي تتصل بالأزل وتطلق على مظاهر الإسم الأعظم صلعم وعلى آله (الشيخ عبد اللطيف

وبابه ومراتب قدسه وأنواره في الباطن والظّاهر كما قال السّيّد: «في باطن الباطن الخفات».

فكانت معرفتهم المراتب القدسيّة بالعقول الصّافية والأذهان النّيّرة والفكرة الصّحيحة ولذلك جرّدوا الله عن سائر المصنوعات وعرّفوه في مواطن الظّهورات مع أهل النّور في السّموات ومع أهل البشر في البشريّات فقالوا: «وما شَهِدْنا إلاّ بما عَلِمْنا وما كُنّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ » فتمّت معرفتهم بالشّهادة لأنّهم حقّقوا ما شهدوا به في المراتب الثّلاثة فكانت شهادتهم على الحقيقة لا على المجاز فقالوا: «هي هو إثباتاً وإيجاداً ويقيناً» ولم يحملوا هذا اللّفظ على التّسامح والسّعادة الأبديّة وهي الرّتبة العالية الإلهيّة الّتي ليس ورائها رتبةٌ ولا يدخل على عارفها شكٌّ ولا ريبةٌ وإليهم أشير

يســـيحون فـــي ملكـــوت القـــديم   و قد طهّروا من جميـــع الـــذّنوب

فصل زيادة وتمهيد

والله تعالى يقول: «ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُ أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ » وقال: «ولا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ» وقال المولى: «الكذب مجانب الإيمان» فكيف يجوز لمن إدّعى الإيمان أن يعرف الله ويحقّق مراتب قدسه وأنواره بالنّقل والأخبار والتّقليد الفارغ الخالي من المعرفة والرّشد والله تعالى يقول: «أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها ».

والشّهادة هي كما قيل عن الصّلاة أنّها نهاية حقيقيّةٌ إتّصال العارف بالله وعند كمالها بلوغ الغاية من المعرفة والمولى يقول: «المصلّي مناجٍ ربّه» والمناجي لا يكون بغير معرفةٍ ويتحقّق لما يقصد إليه.

وقال مولانا جعفر الصّادق منه السّلام: «الأسماء حدودٌ [1] والصّفات عبيدٌ والصّورة صفةٌ من الصّفات لا ذات حاضرة الذّات ولا قائمةٌ بنفسها بل تقوم بموجدها ومظهرها فكيف يسع القائل أن يقول: إنّ الصّورة المرئيّة صورة المعنى ويشير إلى معرفتها بالبشريّة حصراً وتحديداً بزعمه على لسان من قلّده والله مفيض الصّورة والمواد وجاعل السّبب والإستعداد ومظهر القدر ومبدي الفطر وكون القائل ينفي الصّورة تارةً ويثبتها أخرى فإذا طولب بإقامة الدّليل وإيضاح الحجّة فما يكون جوابه؟

فإن قال: لم يكن لها حقيقةٌ بل تخييلٌ في أعين النّاظرين فقد كذّبه الله في مرحلة مقالته وفضحه في جهالته بقوله: «ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ » وقوله « أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ» وقول السّيّد الميم: «ما كنت أعبد ربّاً لا أراه » فإذا قلت: «لا هي هو كلاً ولا جمعاً ولا إحاطةً ولا حصراً » فقد نبّهك وفهّمك إن كنت ذا رشدٍ بقوله: «ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ » عند الوصول إلى رتبة الحجاب حجاب الله وبهذا العلم والمعرفة إستحقّوا أن يقال لهم سالكون وعارفون وموحّدون وأنت إذا نظرت إليه من حيث الموجودات [2] وجدته ذا هيآت متكثّرةٍ متقسّمةٍ متجدّدةٍ وأدركت كثيفه قائماً بلطيفه وجوهره واحدٌ قائمٌ بالكلّ مملوءٌ نوراً وهو شخص الباب وصفته ونعته

---

[1] الأسماء حدودٌ لأنّ بها تعرف المسمّيات ويتميّز بعضها عن بعضٍ والصّفات عبيدٌ يعني أنها من لوازم النعب التي لا تفارقها وإذا قلنا الصّفات أعراضٌ يعني لا تقوم بالجّواهر ووقوله: والصّورة صفة من الصّفات لأنّه لا بـ لكلّ صورةٍ من صفةٍ ولكلّ موصوفٍ من إسمٍ ولكلّ إسمٍ من مسمّى ولكلّ مسمّي من جسمٍ ولكلّ جسمٍ من حيّز ولكلّ حيّزٍ من حدّ ولكلّ حدٍّ من جهةٍ والله منزّهٌ عن كلّ هذه الأحوال التي حدثت من جهة المخلوقين ولحدحثهم قوله: لا ذات حاضرة الذّات بمعنى: لا هي هو كلاً ولا جمعاً ولا إحاطةً ولا حصراً وقوله: ولا قائمة بنفسها بل تقوم بموجدها دلّ على أنّها عرضٌ والعرض لا يقوم بنفسه وكلّ ما لا يقوم بنفسه لا يدلّ دلالة حقيقيّةً على خدمه به (الشيخ عبد اللطيف)

[2] أي من حيث ظهوره كصفة الموجودات وجدته ذا هيآت متكثّرة متقسّمة لأنّه لا بدّ لظهوره من جسمٍ وكلّ جسم هيئةٌ متكثّرةٌ لأنّك إذا نظرت إليه من ناحيةٍ وجدته يتألّف من أجزاءٍ كثيرةٍ وإذا نظرت إليه من ناحيةٍ أخرى وجدته واحداً قائماً بمفرده وهذا ما يسمّون الكثرة في الوحدة والوحدة في الكثرة وقوله: متقسّمٌ لأنّ كلّ متقسّمٍ متجزّئٌ وبالعكس وإذا قلنا ذا هيآتٍ متكثّرةٍ متجدّدةٍ فالمراد تجديد الظّهور في كلّ زمانٍ ومكانٍ وإنّ الظّهورات لا تزال والدّعوات لا تزال ممّا يدلّ على سعة ملكه وقوّة سلطانه سبحانه وقوله: وأدركت كثيفه قائماً بلطيفه لأنّ الكثيف عرضٌ واللّطيف جوهرٌ والعرض يقوم بالجّوهر وإنّه يجلّ عن الأعراض والجّواهر وقوله: جوهره واحدٌ قائمٌ بالكلّ جوهره هنا ذاته المقدّسة جلّت وعلت وقوله: وهو شخص الباب، المراد به نظرة الباب المعبّر عنها بنصب. والله أعلم (الشيخ عبد اللطيف)

وصورته المفاضة من مبدع الكلّ وواهب الجّود وإليه الإشارة بقوله: «اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ والأَرْضِ » مثّل على وجوده وظهوره وتمام دعوته وإبلاغ كلمته قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ إلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ولَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً».

فالظّلّ هو النّور المتّصل بالوجود بأسره من نور الشّمس فكان الظّلّ نوراً لا كظلال أجسامنا المظلمة الكثيفة فجعل الشّمس مبدأ لظهور الظّلّ والنّور كما قال: «نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ ويَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثالَ لِلنَّاسِ واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» وفيه قال: «وأشرق من نوره ما فيه يغرب» فكان هذا النّور الشّعشعانيّ الفائض من ينبوع الأنوار ومبدع الجّوهر وواهب الصّور ضياءً والضّياء ظلاً وأقام فيه صورة الوجود وجعل الوجود قائماً بالنّور والنّور باطنه ذات قائمةٌ بذاتها غير مفتقرةٌ إلى حامل مستغنية عمّا أوجدت والصّورة الفائض عنها النّور والضّياء والظّلّ هيولى الهيولات وأسّ الحركات وفاعل المفعولات.

فصلٌ فيه تنبيهٌ وبيانٌ

أنظر أيّها الأخ الصّالح وفقّك الله وإيّانا لما يرضاه إلى قوله تعالى: «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي » وقوله تعالى: «إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» وإنظر إلى قول الرّسول منه السّلام: «من لم يرشده القرآن لم يرشده الله » وقوله: «من لا يهتدي بالأنوار فهو ضالٌ » وقوله:«ما إختلفتم فيه فأعرضوه على كتاب الله » وأنظر إلى قول الله: «عالِمُ الْغَيْبِ والشَّهادَةِ » فالغيب هو الوجود المجرّد عن المواد [1] والصّور.

والشّهادة هي عالم النّور والرّقّ المنشور والبيت المعمور والسّقف المرفوع والبحر المسجور وحقيقة الوجود والظّهور والبعث والنّشور والدّليل على السّرّ الخفيّ المستور.

---

[1] الغيب: هو الحدّ المجهول المعبّر عنه بالبطون الذي ليس للقائل فيه مقالٌ والشّهادة: هي الحدّ المعلوم المعبّر عنها بالظهور الذي ظهر به للمخلوقين فرأوه من حيث هم، والحدّان هما في الحقيقة شيءٌ واحدٌ لا يتغيّر في حال ظهوره عن بطونه ولا في حال بطونه عن ظهوره (الشيخ عبد اللطيف)

وإعلم علّمك الله الخير أنّ النّور يقسم إلى قسمين ظاهرٌ وباطنٌ فالظّاهر أقسامٌ متعدّدةٌ كنور الشّمس والكواكب والأنوار المستفاضة منها والباطن أقسامٌ متعدّدةٌ كالأنوار المجرّدة السّماويّة وما دونها في الرّتبة كالعقول والنّفوس المنسوبة إلى البشر وأفعال القوى فإنّها غير ظاهرة للعيان وآثار فعلها موجودٌ في الوجود وتحقيق ذلك شهادة القرائن لها بظهور فعلها وما يظهر للحواسّ من العجائب والأفاعيل الدّالّة بالإطلاق على صورة الوجود.

فالأنوار المجرّدة المتّصلة بالمعبود هي صورة الباب وصفته ونعته وحقيقة وموضع طلبته وسبيل الله إلى هدايته والأنوار المدركة بالحواسّ هي مثل وصورة لصورة الوجود المعقولة المقوّمة لحقيقة وجود الوجود المجرّدة غاية التّجريد.

فكأنّ القائل إذا قال «الصّورة المرئيّة هي الغاية الكلّيّة، أيكون قد نظر إلى كلّيّة الوجود الظّاهرة وأمسك عن الباطنة لأنّ ظاهر الوجود هي الصّورة المرئيّة وباطن الوجود حقيقة الصّورة فكأنّه أشار إلى باطن المجرّد المعقول من النّفس فجعل الصّورة المرئيّة بالعقل والنّفس لا بالحسّ والآلات البدنيّة لأنّ الصّورة لا تكون إلاّ ذاتاً وحقيقة يقصد إليها بالإشارة كقولنا: الإنسان ذو نفسٍ ناطقةٍ عاقلةٍ مميّزة مدركةٍ للحقائق.

والفرق بين النّاطقة والنّطق هو أنّ النّاطقة جوهرٌ شريفٌ عالٍ والنّطق عرضٌ والعرض لا يقوم بنفسه بل بغيره وما يقوم بغيره لا يدلّ دلالةً حقيقيّةً كما قال أمير المؤمنين منه السّلام: «النّطق لا يبرزه والمعنى لا يبلغه» وكأنّه وقصّة الإشارة منه على ما في باطن الإنسان الّذي هو الأشرف المدلول عليه بالإنسانيّة وأنّ الأجساد الواقعة تحت الحسّ أعراضٌ بالنّسبة إلى الحال وهو الجّوهر المقصود بالإشارة وهو الدّائم الباقي بالجّوهر لا بالأعراض لأنّ الأعراض قائمةٌ بغيرها وموجودةٌ لأجل غيرها والجّواهر قائمةٌ بنفسها مستغنيةٌ في وجودها عن سواها وهي في ذاتها حقائق يقصد بالإشارة إليها ولذلك قيل: «لا يعرف الله إلاّ من كان منه أو من نوره الخاصّ».

وكأنّك إذا قلت: «الصّورة المرئيّة» أوقعت اللّفظ على ما وقع تحت الحسّ وإذا جرّدت المدرك بحسّك وعقلته مجرّداً تكون أدركت المجرّد عند رجوعك إلى ذاتك العقليّة فقلت عند تجريدك الصّورة «هي الغاية الكلّيّة» أي غاية المطلوب للتّوصّل وقلت: «ليست كلّيّة الباري» أي كلّيّة الباري الّذي منه تجسّد الإله وقلت: «ولا الباري سواها» أي أنّ الباب لا يعرف إلاّ بالصّفة والصّفة للباب رتبة اليتيم الأكبر وهو الجّسم الّذي ظهر به الباب للتّعريف فتكون قد أفردت الباب وفهمته وحقّقته في رتبة العقول والنّفوس المجرّدة.

وإذا قلت: «هي هو إثباتاً وإيجاداً وحقّاً ويقيناً» كنت قد أكملت معرفة حقيقة الصّورة الظّاهرة والباطنة المجرّدة ومواقع الأنوار والخليقة ومبدي الكون ونهاية كلّ عارفٍ وهداية كلّ مسترشد وهي الرّتبة البابيّة الأزليّة المجرّدة الإلهيّة كما قيل: «لا دخول إلاّ منه ولا معرفة إلاّ به».

فإذاً الصّورة مختصّةٌ بالباب [1] الّذي وجد العوالم وأبدأ الأكوان وظهرت عنه الأنوار وهو نهاية كلّ عارفٍ ومقصد كلّ عالمٍ والشّاهد والمشهود وظلّ الله الممدود وحوضه المورود وسبيله الهادي ودليله المؤدّي عنه وهو صورة الوجود الظّاهرة والباطنة وغاية طلب العالم وكلّيّة الوجود وهو الجّسم الإلهيّ وهي شجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنّة المأوى وإليه الرّجعة والمنتهى وبه الممات والمحيا وقد قال الله تعالى: «فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ، إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وكَفَرَ، فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذابَ الأَكْبَرَ، إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ » فإن كنت ذا أذن واعيةٍ فقد أسمعتك وإن تصاممت فقد قال الله تعالى:« إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ».

---

[1] الباب: هو باب الوجود المشار إليه بالرّكوع والسّجود (الشيخ عبد اللطيف)

فصلٌ فيه كشفٌ وتلويحٌ

إعلم أيّها الأخ البارّ أنّ العلماء والسّادة من الموالي قد أجمعوا على حقائق لا يداخل ذا عقلٍ ولبٍّ وعلمٍ فيها شكٌّ البتّة أنّ الباب العظيم [١] والسّبب القديم هو النّفس الكلّيّة المخترعة من العقل الأوّل الّذي هو النّفس الكلّيّة الّتي فاضت عنها نفوس السّموات وظهرت بظهورها الموجودات وهي الباب اللاّصق والشّبح النّاطق والحجّة المبشّرة وعالم هذه المرتبة عالم الإله المجرّد [٢] وعن هذا فاضت العقول والنّفوس والماهيّات والذّات [الذّوات] والمفارقات [٣] هذه المرتبة مرتبة الأنوار ومجرّداتها ومقام الباب الكلّيّ الّذي هو النّفس الكلّيّة وصورة العقل الفعّال المستفاضة من الحقائق وهو في علم الباطن جنّةٌ وإلى هذا الموضع وقعت الإشارة إليه بقوله: «تلك صفات النّور وقمص الظّهور ومعدن الإشارة وألسن العبارة حجبهم بها عنه ودلّهم منها عليه لا هي هو ولا هو غيرها محتجبٌ بالنّور ظاهر بالتّجلّي كلٌّ يراه بحسب طاقته ويتأمّله بقدر معرفتهم فمنهم من يراه قريباً ومنهم من يراه بعيداً».

وإعلم أنّ الصّورة قدرة قديرٍ ونورٌ منيرٌ وظهور مولاك رحمة لمن آمن وأقرّ وعذابٌ على من جحد وأنكر.

وإعلم وفّقك الله وإيّانا أنّ للبشر عقولاً بالقوّة لا بالفعل وهي تحصل بالعلم والتّعليم ونفوساً بالقوّة والفعل تدرك بها المطالب وهي الآلة للإكتساب فمتى تحدّث النّفوس بالعقول صار لها العلم وكملت وواجهت العقل الفعّال [٤] من جهة فأدركت المعلومات وجميع المطالب المرتسمة فيه من الجّهة المواجهة لها كما ترتسم صور المحسوسات في النّظر إذا كان الهواء مضيئاً نيّراً بحصول بعض الأضواء وذلك

---

[١] الباب العظيم الذي هو النّفس الكلّيّة يراد به النّظرة الصّنيانيّة في البقعة القدسيّة والعقل الأوّل الذي هو حجاب الله يراد به نظرة الإسم المعبّر عنها بالنّور، والنّور حجاب الذّات، وقد ورد أنّ الله حجب ذاته بنوره ونوره بضيائه وضياءه بظله عبارةٌ عن الثّلاث نظرات لذاتٍ واحدةٍ والتّوحيد في التّثليث مثاله – مثاله – كالشّمس واحدةٌ وفيها القرص والضّوء والحرارة " خذه من فيه بريقٌ طعمه خمرٌ وشهدٌ " (الشيخ عبد اللطيف)

[٢] المجرّد نعت عالم لأنّ في العوالم ما هو مجرّدٌ وغير مجرّدٍ وأمّا الإله الحقّ فلا يكون إلا مجرّداً (الشيخ عبد اللطيف)

[٣] المفارقات: هي الأنوار اللّطيفة المثاليّة التي فارقت المادّة ولواحقها من المكان والزّمان وغيرها فلا يحجب بعضها بعضاً لبساطتها وشفافتها وهي خلاف المفارقات (الشيخ عبد اللطيف)

[٤] العقل الفعّال هو العقل الأوّل (الشيخ عبد اللطيف)

كمواجهة المرآة للمرئيّات فالنّفس كالمرآة وعلمها وتعقّلها كصقال المرآة وإنّ صو
الحقائق موجودةٌ في العقل الفعّال بالقوّة والفعل والنّفس مستمدّةٌ منه فإذا واجهته ع
إشراقها أدركت المعلومات في أقصر زمانٍ وأيسر مدّةٍ وشاهدت الأمور كلّ
المجرّدة وغير المجرّدة مشاهدةً حقيقيّةً.

لأنّ إرتسام جميع الموجودات في العقل الفعّال مواجة لها من كلّ جه
فيحصل للنّفس الإكتساب من جهة النّفس بالعلم والمعرفة وأنّ المعرفة تتقدّم عل
العلم لأنّ كلّ عارفٍ عالمٍ وليس كلّ عالمٍ عارفٍ.

وقد أشير إليه بقوله:«وعَلَى الأعْرافِ رِجالٌ» وهم العارفون بالمرات
الثّلاث.

- الظّهور.
- والدّعوة المتقدّمة.
- والنّداء.

وذوو العمى والجّهل والضّلال لقصر علمه وكلال فهمه لا يكاد ذهنه يتصوّ
ما ذكرت ولا يتّضح له منه وجة من الوجوه يسدّ خلله وإنّه لنقص حظّه وردا
منقلبه إذا قرأه لأصحابهو ذويه ومن يناسبه بالقصور يرمي به كالزّاري المستخف
بقدره لئلاّ ينسبوه إلى النّقص والتّقصير وإنحطاط الرّتبة وسوء الفهم.

وإذا سئل عن موضعٍ من هذه المواضع المتقدّمة لا يجد له فيها مقالاً ولا يفه
لها معنى فيرمي كتابي هذا تستيراً لخجله وتسديداً لخلله فيكون قد أشاع ومرق م
الدّين وبارز الله بالكفر المبين والجّحود لربّ العالمين وإستحقّ اللّعن لأبد الآبدي
ودهر الدّاهرين..

فصلٌ فيه زيادةُ إرشادٍ وهدايةٍ (عن الصّورة المرئيّة)

ولنرجع الآن إلى ما بدأنا به أوّلاً فنقول.

إنّك أيّها الأخ المشار إليه بالإيمان إذا قلت: «الصّورة المرئيّة» ألست قد أثبتّ رؤيتها ووقوعها تحت حسّ البصر وأشركتهابالمرئيّات المحسوسات ثمّ تقول بعد ذلك: «لا حقيقة لها بل تخييلٌ في عيون النّاظرين.

فإنّك بزعمك وجدت ثمّ نفيت وبقصدك وإختبارك من غير علمٍ ولا مطابقةٍ معنى نسبت إليه ما لو تفطّنت لما تقول لكذّبت نفسك وكذّبك أصحابك على جحدك وجهالتك كيف أوقعت تحت حسّ البصر ما لا حقيقة له ولا وجود ولو طولبت بما تشير إليه من الصّورة المرئيّة وحقيقة معرفتها وأنّك جعلت لها قبائل ونسباً وبيتاً ومسجداً يحويها وهي ذات صورة لعنّفك الصّبيان الّذين في المكتب وخجلت وإستحيت من قولك وقد قدّمت لك ما سبق من ذكر الموالي: «النّاسوت واللاّهوت» فلم تتدبّر ما سمعت بل أعرضت عن الكلام صفحاً.

وقد قال أبو سعيد في خطبته: «ظهر لخلقه كخلقه مجانساً وتقرّب إليهم برحمته مؤانساً وشاكلهم في الأجناس والصّور وباينهم في الحقيقة والجّوهر».

وقال السّيّد:

باطنٌ ظاهرٌ صموتٌ نطوقٌ غائبٌ حاضر

فإن إحتججت وقلت في حجّتك: ماعرفت الصّورة المرئيّة إلاّ وهو أنت ما رأيته ولا عاينته ولا حضرت زمان الظّهور ولا شاهدت الغيبة والحضور فكيف تشهد بما لم تعلم صحّته ولم تتحقّق رؤيته والله يقول: «ولا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إلاّ الْحَقّ» ويقول: «لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» ويقول: «وما شَهِدْنا إلاّ بِما عَلِمْنا» وقال أمير المؤمنين منه الرّحمة: «ظاهري إمامةٌ ووصيّةٌ وباطني غيبٌ لا يدرك» وقال: «من مال إلى ظاهرنا وترك باطننا سلبه الله ولايتنا».

فلو إنتبهت من رقدتك وصحوت من سكرتك وعنّفت نفسك على جهالتك وإتّبعت الحقّ لكنت علمت وشهدت أنّ الّذي ذكرته في الأرض حصرته وجزّأته وأجريت عليه ما يجري على عالم الكون والفساد وأخليت نظرك من السّماء وعالم العقل ومن أحاط بالكلّ قدرةً وقوّةً وسلطاناً وعظمةً وجلالاً ومهابةً أنّه لا يخلو منه مكانٌ ولا يحصره زمانٌ ولا يحيط به أوانٌ.

وهو في الكلّ محيطٌ بالكلّ وهو في عالم العقل وعالم الغيب وعالم الشّهادة وعالم النّور وعالم البشر بكونٍ واحدٍ لا يحول عن كيانه وإن ظهر لعيانه ظهوره قدرةٌ ورحمةٌ وبطونه منّةٌ وعظمةٌ لا يغيب عن أرضه بمشاهدة سمائه ولا عن سمائه بمشاهدة أرضه ولا يغيب عمّن عرفه ولا يجحده من وحّده ولا تختلف رؤيته على من عرفه بالبصر ولا تغيب معرفته عمّن حقّقه بالعقل.

ظهر للكلّ ظهوراً واحداً في أوانٍ واحدٍ وزمانٍ واحدٍ ووقتٍ واحد لا يغيّبه شيءٌ عن شيءٍ ولا يحجبه شيءٌ عن شيءٍ ظهوره رحمة وبطونه لطفٌ ومنّةٌ.

وإنّما الظّلمة والكدر والجّحود حجبت العيون عن رؤيته وإنّ الصّورة صفته والصّفة على مثلها تدلّ [1] وإنّما يعرف الله بالله والله ليس كمثله شيءٌ والصّورة لها مفيضٌ ومصوّرٌ وهو واهب الصّور ولا يمكن أن توجد الصّورة الواقعة تحت حسّ البصر إلاّ في محلّيٌ وموضعٍ والصّورة في الوجود ومقارنة للهيولى [2] والهيولى أصل العلّة وكيف يسع أن يشهد موجوداً منزّهاً من عنده من الجّهالة والضّلالة ما يجعله لا يعرف الله إلاّ بمقارنة الصّورة.

---

[1] لأنّ الصّفة محسوسة فيكونالموصوف محسوسا مثلهاوالمحسوس محدثا غير القديمو لمّاكانت الصّورة صفة وجب تنزيه الباري عنها وأمّا الصّورة التي يشهدها السّالكون فلا يشيرون إليها إلا بالمجرّد المعقول الثابت الدّائم الذي لا يمكن زواله وهو القدرة ومن هذه قدرته فليست تلك صورته (الشيخ عبد اللطيف)

[2] قوله: " والصّورة في الوجود مقارنة للهيولى " لأنه لا بدّ للصّورة إذا ظهرت للوجود والعيان ان تقارن الهيولى أي تشاكلها فإذا ظهرت لأهل النور قارنت هيولى النور وإذا ظهرت لأهل البشر قارنت هيولى البشر وأنّ الصّورة لا تفارق الهيولى أبداً فالإنسان مثلاً صورته وماهيّته التي يتركّب منها هيولى، قوله: " والهيولى أصل العلّة " يعني أصل علة كلّ ما هو كائنٌ لأنها ازليّة أبدعها الأزل فكانت علة ثابتةً لعلةٍ أولى لا معلّ لها وهي عند الفلاسفة أصل كلّ شيءٍ وعند الموحّدين الإسم الأعظم وهو أصل الأشياء وفي النّسخ والهيولى أصل الظلمة فيكون المراد بالهيولى العناصر التي يتركّب منها الإنسان وهي حجابه وظلمته التي خلقته في معصيته والله أعلم (الشيخ عبد اللطيف)

أما ترى هذا البائس المسكين عبد الصّورة والمثال والجّسم القائم بظهورها جملةً وهذا هو الضّلال وإعتقاد الجّهّال الّذين يتكلّمون في ذات الله بغير علمٍ – نسأل الله العافية –.

وقد قيل: «من جهل ذاته فهو بذات غيره أجهل.

وقد قال السّيّد الميم إليه التّسليم: «أعرفكم بنفسه أعرفكم بربّه» ونفسك أيّها الجّاحد المعاند لست تدري ما هي ولا تعلم كيف إتّصالها ببدنك ولا كيف تديرها الحواسّ الّتي هي آلات بدنك.

فإذا كنت ذا جسمٍ كثيفٍ ونفسٍ لطيفةٍ مجرّدةٍ وتعجز عن إدراكها وتحقيق معرفتها ولا يمكنك ضبطها وحصرها وتحقيق وجودها وهي فيك قائمةً بجملتك فكيف يتهيّأ لك أن تحيط بمن أحاط بالسّموات والأرض وما فيهنّ وما بينهنّ قوّةً وقدرةً وتثبت لذاته ما تثبت لجميع الذّوات ولا تجرّده مع عظمته عن الماهيّات والهيآت والصّفات والآلات والحركات ونعته في القرآن واضح الحجّة والبرهان: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ» تنزّه أن يداخله حدٌّ من حدود الصّفات أو يجوز عليه ما يجوز على المخلوقات، لقد إفتريت كذباً وتعدّيت شططاً.

فصلُ هدايةٍ وشواهد ونكتٌ في معرفة الباطن

وقد سبق لنا القول في النّاسوت واللاّهوت وأنّ النّاسوت خلاف اللاّهوت فالصّورة تدلّ على النّاسوت دلالة إلتزامٍ [1] وتدلّ على اللاّهوت دلالة تضمين والله يقول: «هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ » ويقول: «صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ

---

[1] دلالة إلتزام: هي ملازمة أمر لآخر بحيث إذا ذكر أحدهما شعر الذّهن بوجود الثّاني كالدّخان يلزم بوجوده وجود النّار

ودلالة التّضمين هي دلالة جزء الشّيء أو بعض مشتملاته على كله كدلالة الضّوء على الشّمس والضّاحك على الإنسان

فقوله: الصّورة تدلّ على النّاسوت دلالة إلتزام لأنّ كلّ ناسوتٍ يلزم وجوده وجود صورةٍ

وقوله: تدلّ على اللاهوت دلالة تضمين لأنّ الصّورة قد تشمل على اللاهوت في وقتٍ ما وظهورٍ ما وذلك في صورٍ معلومةٍ خاصّةٍ

قوله: وإنّ النّاسوت خلاف اللاهوت دلّ على تنزيهه عن النّاسوت وعن كلّ ما يشعر بالحدوث (الشيخ عبد اللطيف)

لَهُ عابِدُونَ » وصبغته صورته الّتي لا مثال ولا شكل يضاهيها فتضرب بها الأمثال ظاهرة للوجود والعيان بالقوّة والقدرة والجّبروت والعظمة موجودةً في عالم الكيان لا يوجد لها سابقٌ غير مبديها ومخترعها [١] ومنشيها فهي صفته الّتي لا تحدّ ونوره الّذي لا يقهر وبرهانه الّذي لا ينقطع وحجّته الواضحة ودليله المرشد والشّاهد على كلّ نفسٍ بما كسبت الظّاهر بالنّور المؤيّد بالتّجلّي مادّة الحياة وينبوع الأنوار موجد القوى مبدع الذّوات مفيض الصّور والصّفات مكوّر الأكوار مدهّر الدّهور والأعصار ناشر الأرواح وخالق الأشباح وفالق الإصباح ومسخّر الرّياح وجه الله العزيز وجنابه الحريز ونوره الّذي لا يطفأ وقوّته الّتي لا يبلغ لها مدى، سرادق الله القدسيّ وشبحه الظّلّيّ، وسرّه في خليقته وموهبته لأهل صفوته وخالص حضرته وخيرته من بريّته الّذين ظهر لهم وأزال عنهم الحسد والحقد ومكائد الشّيطان وجعلهم خزنة علمهو أمناء وحيه وتراجم سرّه.

فإن جهلت أيّها القاريء كتابي هذا هذه الصّورة [٢] والصّفة ولم تصل إلى حقيقة المعرفة فقد قارنك الخسران وبؤت بالحرمان وكنت كالمخادع لنفسه الغائب عن عقله وحسّه وقد قال الله تعالى: «يُخادِعُونَ اللَّهَ والَّذِينَ آمَنُوا وما يَخْدَعُونَ إلاَّ أَنْفُسَهُمْ وما يَشْعُرُونَ » وإذا إتّبعت في سلوك دينكطريق التّقليد وتجنّبت ما يؤهّلك إلى حقيقة المعرفة والتّوحيد كنت كالّذي يقول بلسانه: «لا إله إلاّ الله » وقلبه فارغٌ ممّا قال.

وأمّا الّذي عنده الإتّصال والمشاهدة والتّجريد إذا قال: «لا إله إلاّ الله » فإنّه يعرفالنّفي والإثبات وصحّة التّوحيد يؤيّد ذلك ما قيل في المؤذّن ولم تضعه النّبوّة عبثاً وذلك أنّ المؤذّن إذا وقف للأذان يحقّ له أن يكون يعرف الله بحقيقة المعرفة

---

[١] كلّ صورةٍ مسبوقةٍ بالمادّة والمدّة فهي مبتدعة ويراد بالأولى المواليد الثّلاثة الحيوان والنّبات والجّماد لأنّ وجودها من مادّة وإيجادها في مدّة، ويراد بالثّانية العالم العلويّ السّماويّ لأنه مخترعٌ من عنصرٍ واحدٍ غير العناصر الأرضيّة وهو النّور الذي وجوده من مادّة بدون مدّة، ويراد بالثّالثة العقل الأوّل الذي أبدعه مبدعه بدون مادّة ومدّة، ومرتبة الإبداع أعلى من مرتبة الإختراع، ومرتبة الإختراع أشرف من مرتبة التّكوين (الشّيخ عبد اللّطيف)

[٢] هي الصّورة التي لا يشار إليها إلاّ بالمجرّد المعقول الثّابت لا بالمركّب المحسوس الزّائل وهذا ممكنٌ لذوي الرّياضة العقليّة السّالكين نهج الحكماء الإلهيّين والعرفاء الرّبّانيّين وغيرهم فلا، والله أعلم (الشّيخ عبد اللّطيف)

العالية السّماويّة ويقول ثانيةً «الله أكبر » عن أن يتصوّر أو يتمثّل أو يدرك بالحواسّ ثمّ يترقّى تلك المراتب كالمجرّد لها عن الصّور والموادّ ويقول: «الله أكبر » أن يكون له شبية أو مثالٌ أو يحيط به شيءٌ بل هو محيطٌ بكلّ شيءٍ وحينئذٍ يصل إلى الرّتبة العالية الإلهيّة والحضرة القدسيّة والجّلالة الجّبروتيّة فتصحّ دعوته عند نهاية رتبته فيدعو إلى الصّلاة بحقيقة الإتّصال ومعرفة إجابة الدّعاء والتّثويب في التّكبير.

مرويٌّ عن الصّادق قوله: «الله أكبر عمّا يتصوّر في ضمائر العقول والأفكار، الله أكبر عن تناهي لطائف الأسرار» وقوله: «وأشهد أنّ الأحد معيد غيبة الأبد » يعني به الصّورة الأزليّة وأنّها أحديّة الذّات والحقيقة مرشدةٌ إلى توحيد الأبد، ثمّ قال: «وأشهد أنّ الواحد منه رسولٌ وعليه دليلٌ لم ينفصل عنه فيكون بائناً ولم يتّصل به فيكون هو هو بل كلمته العليا وآيته العظمى ».

وقد قدّمنا لك القول في غير هذا الموضع مبيّناً لتعرفه إن شاء الله وما جعلت الإقامة للصّلاة فرادى إلاّ لتجريدها عن النّظر إلى المراتب العالية والسّلوك في مراتب الأنوار المجرّدة.

وقد قال الله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارى» والسّكر هو الغفلة والجّهل فأمر بتجديد النّفس عن علائقها وقطعها عن شواغلها لتكون متهيّئةً مستعدّةً لقبول مواهب الله.

لأنّ المصلّي إذا أحضر نفسه عند المواجهة والذّكر لجلال الله وجبروته وعظمته وسلطانه ونظر إلى المراتب العالية رتبةً بعد رتبةٍ ونزّه الله وأجلّه وعظّمه عن الرّتبة البابيّة الّتي هي مقام النّفي الكلّيّة والكلمة الإلهيّة ترقّى إلى رتبة الحجاب الأعلى الّذي هو مقام العقل الكلّيّ وحينئذٍ يتأدّب ويقف وقوف العارف المتّصل بالله المشاهد لجلال جبروته وعظم سلطانه فيكون مصلّياً على الحقيقة متّصلاً بالله بمقدار طاقته ويكثر إكتسابه من بوارق الأنوار والمواهب القدسيّة على قدر قوّة عقله وإستعداد نفسه فيكون إذاً موحّداً ومنزّهاً ومجرّداً ومالكاً وعارفاً وهذه رتبة أصحاب الإتّصال بالله الّذين إتّسموا بالإيمان.

وأمّا إن كان وقوفه لعباً وكلامه لغواً فيكون أشدّ جحوداً من المنكر المخالف قال الله تعالى: «أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، ولِساناً وشَفَتَيْنِ، وهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ» وإنّما جعل له العينين ليهتدي بهما في الأنوار ويفرّق بين الكثيف واللّطيف وجعل له اللّسان ليترجم عمّا أدركه من المعلومات ووصل إليه من المراتب والدّرجات وجعل له الشّفتين حجاباً للّسان لكي يصمت وينطق في الوقت الّذي يصلح فيه الصّمت والنّطق والنّجدين العقل والنّفس لتشعّب مدركاتهما وتباين مطلوباتهما.

فمتى حصلت هذه الرّتبة للعارف كان مصلّياً على الحقيقة متّصلاً بالله محشوّاً قلبه خوفاً وورعاً وكان في قوله أشدّ إعتباراً وأوضح حجّةً وتذكاراً إذ يقول: «يا حاضر يا موجود يا من منه بدا ما إليه يعود وأشرق من نوره ما فيه يغرب من غير جحود».

وإنّما يؤتى الإنسان من غفلته وقلّة إعتباره وإنصرافه عن العلوم كأنّه يقنع بالنّقل والأخبار والكلام الّذي ليس تحته تحصيل حاصل بدون معرفة ما يراد به من لفظ وما يشار إليه من معنى.

وأحضر ببالك عند ذكر السّيّد قدّس الله روحه ونوّر ضريحه قوله: «حضرة تاج العلى وقبلة الهدى والطّريق إلى الملأ الأعلى» أليس هذا تعليماً وتفهيماً وتنبيهاً لذي الرّشد أن يفهم الإشارة إلى الملأ الأعلى فهو الهداية لمن إهتدى وبعلم الموالي إقتدى.

وقوله في التّوحيد: «أحدٌ متوحّدٌ بذاته منزّهٌ عن أسمائه وصفاته كان قبل القبل» فهل تدرك معاني هذه الألفاظ إلاّ بالعلم والمعرفة البالغة وقوله: «طيّارة الرّشد ليس تعلو، وليس تنحطّ ساقطاتٍ» أليس قد أشار بهذا القول إلى العقل والنّفس وتجرّدهما عن بدنهما وإتّصالهما بالعالم الأعلى حيث بإرتقاء نفوس الأشخاص البشريّة إلى السّماء وجولانها في الملكوت تهتدي بالأنوار العالية إلى المجرّدات فتجعل الأنوار طريقاً ومقصداً يرشدها إلى الحقائق الإلهيّة.

وذلك أنّ أصل النّور وينبوعه الحجاب الّذي إنبجس عنه نور الباب وجميع الأنوار عنه ظهرت وفيه إستترت وهو النّور القاهر لجميع الأنوار الّذي لا قصد إلاّ إليه ولا سبيل إلى دخول الجنّة إلاّ منه ولذلك عرّف المولى السّيّد أنّ النّفوس الّتي تتجرّد عن أبدانها وتنصرف عن ملاذّها تتّصل بجنّات الله وتشاهد عالم قدسه ومحلّ أنسه وهي بعد منغمةٌ [مقيمةٌ] في أبدانها فتتعلّم السّلوك إلى مراتب الأنوار وممازجة الأضواء ومفارقة البدن تارةً ورجوعها إليه أخرى وهي متعلّقةٌ بعلائقها ويبقى لها التّجرّد ما ملكت الإتّصال بالأنوار العالية وممازجة أهل النّور.

وأمّا نفوس أهل الظّلمة فإذا فارقت أبدانها وإلتحقت بالمواطن الّتي تتّصل منها بعالم النّور تغشاها بوارق الأنوار فترجع على أعقابها هرباً كما يهرب الخفّاش من نور الشّمس ولهذا شواهدٌ من قول الموالي: «من عرف الله بالنّورانيّة أمن من المسوخيّة ».

ولا يمكن أن يصبح المؤمن موحّداً عارفاً بالله إلاّ أن تجعل له ملكة الإنصراف عن العالم المظلم الكدر والإتّصال بمجرّدات الأنوار وحينئذ تتنفّس في نفسه الحقائق الإلهيّة قال الله تعالى: «فَتُوبُوا إلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» [1] أراد قطع النّفوس عن العلائق البدنيّة وإتّصالها بالعالم الأعلى الّذي هو مرتبة الحياة الحقيقيّة والبقاء الدّائم والخلود في النّعيم الأبديّ.

ولأنّ السّموات دار الأنبياء ومقرّ الأولياء ومنزل السّعداء، سمّاها أهل التّوحيد مدناً وقباباً وجنّاتٍ وسمّوا أنوارها عيوناً ومياهها وأنهاراً ومساجد ومشاعر وأبوابً وأيتاماً وطرقاً وهداةً إلى كثيرٍ ممّا أشارت به الموالي تلويحاً وتصريحاً.

فلا يحمل القاريء كلامي هذا في الأنوار والمجرّدات على نقص علمه وقصر فهمه ويكبر عنده ما ذكرت ويعظم في نفسه ما إليه أشرت فيبادر إلى تكذيبه من غير علمٍ يستند إليه ولا برهان يعوّل عليه.

---

[1] وردت الآية كاملة: " وإذْ قالَ مُوسى لِقوْمِهِ يا قوْمِ إنّكُمْ ظلمْتُمْ أنفسَكُمْ باتّخاذِكُمُ العجلَ فتُوبُوا إلى بارِئِكُمْ فاقتُلُوا أنفسَكُمْ ذلِكُمْ خيْرٌ لكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ فتابَ عليْكُمْ إنّهُ هُوَ التّوّابُ الرّحِيمُ

فوالّذي لا إله إلاّ هو خالق كلّ شيءٍ لولا خشية الإفراط ومعرفتي بقصور الأذهان عن معرفة الحقائق على جهتيها لأوردت لهذه الطّائفة من هذا الفنّ المنبّه إلى السّعادة في الآخرة ممّا لا يهتدي إليه إلاّ كلّ ذي لبٍّ ثاقبٍ ورأيٍ صائبٍ ولكنّي أفعل كما قيل: «إرفق بأخيك فإنّه لا يحمل ما حملت» وإنّما حملني على ما أوردته وأكثرت القول فيه حالتان.

- الأولى: ليتشوّق إليه كلّ ذي معرفةٍ صافي الذّهن حسن الدّيانة يرغب فيما عند الله من الثّواب والبهجة والسّرور والخير الدّائم الّذي لا ينقطع.
- الثّانية ردعاً للسّفهاء وتوبيخاً للجّهلة الّذين يتصدّرون في المجالس ويتكلّمون بمسائل لا يعرفونها وحقائق لا يدركونها فيهلكون بذلك نفوسهم ونفوس الضّعفاء المستجدّين في طلب الدّين ويكونون كما قال الله تعالى: «رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وكُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ، رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ والْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً، ذلك بأنّهم إستهانوا بما إستصعبه الموالي وجعلوا كلامهم فيه على سبيل الوحي والإيمان لئلاّ يقع إلى أهل الجّهالة والكفر والضّلالة فجعلوها سرّاً وأودعوها في قلوب أوليائهم ومحبّيهم وحافظي أماناتهم ورمّزوه في الكتب وأخفوه جهدهم.

وإنّما فعلت ما فعلت لضيق صدري وإحراجي فأنا أستعيذ بالله ممّا جنيت وأتوب إليه.

وإعلم أنّ للقرآن إشارتٍ باطنةً يقصر عنها العلماء قال تعالى: «أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً، ومِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً » وقال موسى: «إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ ومَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ »[1].

---

[1] وردت الآية كاملة: " وقالَ مُوسى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ ومَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ "

فصلٌ فيه زيادة إرشادٍ (في الأوضاع والأطباع)

إعلم أنّ كلّ وضعٍ [١] فله المواجهة من كلّ جهةٍ إلى مبدأه ولذلك دام بقاؤه وسرمديّته لأنّه صورة الباب الأعظم فالعالم العارف بالله يجب أن يكون ذا وضعٍ صحيحٍ لتحصل له المواجهة وتكمل له المناسبة ويتحرّك بالحركات الشّوقيّة ليمكنه قبول الفيض وإكتساب إشراقات الأنوار وبوارق الجّود وسوابغ الرّحمة من جهة المبديء الأوّل «الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى ».

فتحصل للمستعدّ قبول الفيض بساطةً في ذاته وتجرّدٌ عن كثافته وهو في عالمه ويصير نوراً متّصلاً بينبوع الأنوار آخذاً من القوى العالية بمقدار قسطه وإستعداد ملاحظة حضرة الجّلال والجّبروت فتنصرف نفسه عن الشّواغل والشّهوات ولا يؤلم بمرور المؤلمات بل يقوى حدسه ويزداد إشراق نور نفسه.

فيكون سبباً للهداية وطريقاً للرّشد ومعدناً للقصد ومكاناً للتّوسّم ويتسمّى بإسم أهل الأعراف ويكتب من أهل الذّكر الّذين قال الله فيهم: «رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وإِقامِ الصَّلاةِ وإِيتاءِ الزَّكاةِ » وفي هذه الآية أسرار ظهورها أنوار فالتّجارة هنا الإكتساب من الحقائق والتّرقّي في درجات العلم إلى بواطن المعلومات.

والبيع هو المناسبة بين الأقوال الباطنة والظّاهرة الدّالّة على معرفة الله ومعرفة أنواره [٢] وذكر الله هو المواجهة له من كلّ جهةٍ بالإنقطاع عن عالم الحسّ وذلك أنّ الإنسان ذو وضعٍ وهيئةٍ تحيط به جهاتٌ شتّى.

فإذا نظر إلى معقولٍ مجرّدٍ وكان مجرّداً عن الكثافة من جميع جهاته يمكنه إدراك الأنوار المجرّدة وحينئذٍ يرى الإله محيطاً بالكلّ.

---

[١] الوضع عند الحكماء عارضة للجّسم بسبب نسبتين: نسبة أجزائه بعضها إلى بعض ونسبة أجزائه إلى الأمور الخارجيّة كالقيام أو القعود فإنّ كلاً منها هيئة عارضة للشّخص بسبب نسبة أجزائه بعضها إلى بعض وإلى الأمور الخارجيّة وهو أقسامٌ حيٌّ وغير حيٍّ وطبيعيٌّ وغير طبيعيٍّ وإختياريٌ وغير إختياريٍ ومضاف إلى إحدى الجّهات وهو المقصود هنا والوضع إحدى المقولات العشر يفهم من كتب المنطق كالإيبارجي وغيره(الشيخ عبد اللطيف)

[٢] يعني أنّهم إرتقوا في الرّتبة عن الإكتساب من الحقائق وعن المناسبة بين الأقوال الباطنة والظاهرة ولم يلهوا به عمّا هو أعلى منها وأغلى (الشيخ عبد اللطيف)

وأمّا الصّلاة: فإتّصاله العقليّ والنّفسيّ بالمتّصل فيضه الدّائم بكلّ شيء على قدر الإستحقاق ومتى كان الإنسان قد ناسب الوجود فبذاته وهيآته كان من المتّصلين بالمواجهة المنقطعين عن الظّلمات والبرازخ المرديات.

وأمّا الزّكاة: فإذا زكت نفسه إتّصلت بالنّفوس والعقول وإستمدّت منها لوامع الأنوار وحقائق الأسرار وقد جاء في قوله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها » أي من وصلها وأوصلها بالعقل فردّها إلى مبدئها وذلك قوله: «يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبادِي، وادْخُلِي جَنَّتِي » وهو ممازجها لعالم الصّفاء وأهل التّجريد والجنّة والحجاب وهو العقل الّذي كان مبدؤها منه وعودها إليه وإتّحادها بالنّفس الإلهيّة الّتي هي رتبة الباب اللاّصق والشّبح النّاطق فتكسب منه وتأخذ عنه.

ولمّا كان الإنسان في أسر الطّبيعة وقديد الشّهوة كالغريق إحتاج إلى العبادة [1] والعمل لتحصل له السّعادة.

وإنّ الإنسان ليميل بالطّبع إلى قوى البدن فكأنّه منجذبٌ إلى القوى الشّهوانيّة والميل من دواعي الأهواء وتلك مشغلةٌ عن عبادة الله عائقةٌ له عن نيل السّعادة مدعاةٌ إلى قبح الأعمال موجبةٌ للعذاب الدّائم ومتى إنجذبت إلى الأعمال الصّالحة إستحقّت من الله الكرامة وجاءتها البشرى بدليل قوله: «يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ ورِضْوانٍ وجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ ».

فصلٌ فيه هدايةٌ وتنبيهٌ (عن قول أفلاطون)

قال أفلاطون: النّازلون على مصبّ ماء الفرات قد جاوزوا الأجسام الكثيفة إلى النّوع البسيط من العالم بالإستعانة بحركة الأشخاص العلويّة فأدركوا ماهيّة

---

[1] العبادة: أن يعمل العبد بما يرضي الله تعالى وهو لعوام المؤمنين والعبوديّة للخواصّ من السّالكين وهي أن ترضى بما يفعل ربّك وليس شيءٌ أشرف من العبوديّة ولا إسمٌ أتمّ للمؤمن من إسمه بها ولذلك إختاره الله سبحانه وتعالى لرسوله في أشرف أوقاته في الدّنيا ليلة المعراج فقال: " سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ " وقال: " فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى" ولو كان إسمٌ أشرف من العبوديّة لسمّاه به والعبادة على ثلاثة ضروب، عبادة خوفٍ وعبادة طمعٍ وعبادة حبٍّ والأولى عبادة العبيد والثّانية عبادة الأجراء والثّالثة عبادة الأحرار (الشّيخ عبد اللطيف)

حركتها الّتي هي أسرع الحركات فالواجب عليكم أن لا تعجزوا عن معرفة الأمور يعني مراتب الوجود ومعرفة حقائقها والرّقيّ إلى معرفة ماهيّاتها كما هي عليه.

والنّاس النّازلون على مصبّ الفرات هم الصّابئون الكاتبون العلماء بعلم الأفلاك ومعرفة القضاء بها على ما هو كائنٌ وهم أوّل من تكلّم في إخراج الضّمير.

وقال: إنّ هؤلاء هم ذوو أجسامٍ كثيفةٍ عكرةٍ من ثقل الطّبيعة وكدرها وصلوا إلى معرفة النّفس البسيطة ووقفوا على حركاتها الّتي هي أسرع الحركات وألطفها حتّى وقفوا على ما هو كائنٌ بحركة الأشخاص العلويّة فكذلك يجب على المتأخّر في العلم أن يترقّى إلى أشرف المطالب الّتي تحصل السّعادة الأخرويّة والنّجاة بسبب معرفتها.

ثمّ قال: بالنّفساني يعرف الطّبيعي كما أنّه بالعقل تعرف النّفس أمّا العقل فمنع الطّبيعة من الجّولان فيه فضلاً عن الإحاطة به.

وهذا القول جمع فيه الحكيم علّة البدء والإنقضاء وماهيّته ذلك الشّيء الّذي عن أصله كانت الأشياء وهو الإله الّذي أراد وبإرادته كان العقل الّذي هو الحجاب وبإرادة العقل كانت النّفس البسيطة الّتي هي الباب حقّاً ومن النّفس الّتي هي الباب كانت الطّبائع المفردة [1] وهي الأشخاص العالية الّتي تولّدت منها الطّبائع المركّبة.

ويروى أنّه لا يعرف الشّيء إلاّ بما فوقه والنّفس فوق الطّبيعة وبها تعرف الطّبيعة والعقل الّذي جلّت قدرته وإستحال الوقوف على ماهيّته.

وإذا كان قد تقدّم القول بأنّه لا يعرف الشّيء إلاّ بما فوقه وكأنّ أرفع ما فينا العقل والله تعالى فوق العقل فالواجب أن نقف على ماهيّته إلاّ بالإعتقاد بوجود وجوده والإستدلال عليه بما هو موجودٌ وإخراجه جلّ ثناؤه عن الإحاطة به ومعرفة ماهيّته.

---

[1] ربّما يراد بالطّبائع المفردة عوالم النّور لأنها من طبيعةٍ واحدةٍ صافيةٍ شفافةٍ لا كدر فيها ولا ظلمة والطّبائع المركّبة عالم المزاج والكدر وهي منفصلة عمّا قبلها والطّبائع المركّبة أربعة: الحرارة والبرودة والرّطوبة واليبوسة فإذا مزجت مزجاً مخصوصاً إنتزع منها طبيعة مفردةٌ ليست حارّةً مطلقة ولا رطبةً مطلقة ولا باردةً مطلقة ولا يابسة مطلقة وهي مزاجٌ محدودٌ عند الحكماء بأنّه كيفيّة حاصلة من كيفيّاتٍ متضادّة (الشّيخ عبد اللّطيف)

وقال أفلاطون: إنّي جلت السّموات الثّلاث: سماء الطّبيعة المركّبة وسماء الطّبيعة المفردة وسماء النّفس، فلم أجد هنالك مسلكاً فجذبتني الطّبيعة فإنجذبت.

وقال: النّفس أعون للطّبيعة من العقل كما أنّ النّفس أعدّت من أجل العقل فالنّفس أولى بالطّبيعة لقرب المشاكلة فوجب أن تعرف الطّبيعة بالنّفس كما وجب أن تعرف النّفس بالعقل وكذلك جعل في الإنسان الشّهوة للطّعام الّذي به قوامه ليكون إنشغاله في طلبه مشغلةً للرّوح الطّبيعيّة عن الشّغب والأذى ودواعي الهوى فتفرد النّفس القدسيّة بطلب مبادئها وتشتاق إلى عالمها بسبب غفلة الرّوح الطّبيعيّة وإنشغالها بتدبير آلاتها وإنمائها بالأكل والشّرب ليقوى جسيمها على الإجتماع والمذاكرة والبحث عن حقائق الأمور ويكون لها ملكة الإنصراف عن البدن عند إنقطاعها إلى ذكر الإله وتوحيده والبحث عن أسرار عوالم ومراتب قدسه والسّلوك في مراتب أنواره على التّرتيب الآتي بالتّوصّل إلى معرفته ومعرفة أشخاص كلّ مرتبة من عالم الأنوار وعالم المجرّدات فيحصل للبدن إشتغالٌ بما يلائمه وللنّفس إشتغالٌ بما يخصّها ولكثرة مذاكرتها وتشوّقها إلى عالمها تحصل لها مناسبةٌ تشوّقيّةٌ فتشرق عليها بوارق الأنوار وبهجة الفرد الجّلال وتكثر عندها المواهب القدسيّة والمعارف الرّبّانيّة فيعمّ نفعها وتزداد بهجتها وسرورها ونورانيّتها وتستعدّ لقبول السّعادة الأبديّة والخير الّذي لا ينقطع والشّكر الدّائم الّذي لا يمتنع فيسهل لها حينئذٍ الخلاص من أسر الطّبيعة وقيد الشّهوة.

فصلٌ يؤيّد ما تقدّم وينبّه على الفضيلة في قول أفلاطون

ولكن من القضايا المعقولة الّتي تكون على مقدّمات برهانيّة [1].

السّبب الأوّل منها علّة لكون الثّاني هو الإله الّذي لا يرى ولا يلحقه نعتٌ من نعوت الكون من إرادة وعلم وقدم وغير ذلك ممّا يسبّذ له بسيط الرّأي على المراتب العقليّة البرهانيّة وذلك أنّ الحكماء نهوا أن يقال له قديم لأنّ القدم في الزّمان ونهوا

---

[1] إذا تركبت المقدمات البرهانيّة من قضايا صحيحة كانت النتيجة صحيحة مثاله: العالم متغيّرٌ وكلّ متغيّرٍ ممكنٌ فالعالم ممكنٌ (الشيخ عبد اللّطيف)

أيضاً أن يقال له عليم لأنّ هذه الصّفة تلحق بطبيعة من يجوز عليه الجّهل وكان مرادهم في نفي هذه الصّفات أن لا يتوهّم كون شيءٍ مع الإله البتّة بل مجرّداً قائماً بذاته منزّهاً عن النّعوت والصّفات [1] وقالوا ما أثبته غيرنا فلا يمكن عندنا أنّه يجوز فأمّا معرفته من حيث هو فمحالٌ وأمّا معرفته من حيث التّصوّر النّفسانيّ والعقليّ المركّب الطّبيعيّ فالإله الأوّ تعالى لا يليق به شيءٌ من الصّفات المعقولة ولا المحسوسة.

وأمّا العقل فلإستحقاق إسم التّكوين جاز أن ينسب إليه الفعل والإرادة المعقولة وأنّ الإرادة من العلّة الأولى غير معقولةٍ إذ هي عين هذه الإرادة [2] الّتي فوق العقل الواجب منه الإدراك والإدراك ما يكون بالحركة المعقولة لا بالحركة المحسوسة الّتي تكوّن من الأجسام فإذا ثبتت الحركة المعقولة وجاز من العقل الإتّصال بها بما إستحقّ من إسم التّكوين وكانت الحركة من الصّفات الّتي لا تكوّن إلاّ بالجّواهر جاز إثبات ما قدّمنا من كون الجّوهر المتحرّك هو النّفس البسيطة والنّفس حامل للعقل والعقل ما أدركت به الأشياء والنّفس ما يقدر بها على الإدراك.

فالإدراك من صفة العقل والإدراك والقدرة من صفة النّفس فالنّفس تحوي الصّفتين أعني الإدراك والقدرة والعقل لا يحويهما معاً لأنّ النّفس الّتي هي حاملٌ للعقل محسوسةٌ ومعقولةٌ فإذا حقّقت ما تقدّم من القول عرفت كيف أنّ ضعيف القوى

---

[1] وعندهم لا ينبغي أن يطلق على الباري (موجود) لأنّ الموجود مقتضٍ للواجد والواجد مقتضٍ للموجود والله تعالى يجلّ عن هذه الرّتبة لأنه لا واجد له ولو كان له واجدٌ لكانت مرتبة الواجد فوقه ومرتبة الموجود بدلالة سائر الأسماء والصّفات، فإن أطلق الموجود على أنه إسمٌ فقط جاز لأنّ الموجود في الأوّل إقتضى الواجد وصار متضمّناً به لأنه إلتبس بالصّفة فإذا جرّد اللفظ من معنى النّعت وإستعمل على مدرجة الأسماء لم يكن كبيراً تقصير إلا من وجهٍ واحدٍ وهو أنّ هذا الإسم بعينه هو صفة في مكان آخر فالشّركة حاصلة ضرورةً والتّوحيد مباينٌ للشّركة (عن المقابسات) (الشيخ عبد اللطيف)

[2] هذا يدلّ في الإعتبار العقليّ والتّحليل الفكريّ لا في الخارج والحقيقة والواقع على أنّ صفات الباري عين ذاته لا زائدةً عليها وهذا راي الإماميّة عن أئمتهم والمعتزلة عن متكلميهم بخلاف الأشعريّة الذين يجعلون صفاته تعالى زائدة عليه قياساً على الشّاهد

وعن الصّادق (ع): لم يزل ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم والسّمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسّمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور...الخ

وقال (ع): والكلام صفة محدثة ليست بأزليّة كان الله ولا متكلم منه أقول: يدلّ كلامه (ع) أنّ للذات صفات قديمة وصفات حديثة وليست القديمة غير الحديثة لأنه ليس من نوعين بل ربّما يشار بالقديمة إلى الحدّ المجهول وبالحديثة إلى الحدّ المعلوم وكلاهما واحدٌ والله أعلم (الشيخ عبد اللطيف)

القاصر عن العلم لا يعرف الإله إلاّ بصورة يجعلها ذات تخطيطٍ فيكون لمجرّد الشّهادة قد أحاط بالإله وحصره وحيّزه وحدّه وعدّه وأثبت وجوده وعيانه وأفرده عن العقل وأفرد العقل عن النّفس الّتي هي الباب وهذا هو الضّلال وإعتقاد الجهّال أعوذ بالله من ذلك.

وإنّ العالم البشريّ كان وجوده عن عالم الأنوار العالية وبرهان ذلك واضحٌ لا يحتاج إلى دليلٍ عليه لأنّه قد تقدّم في الملل والشّرائع برهان ذلك فلا حاجة إلى إكثار القول فيه.

فالعالم الأعلى وهو عالم النّور أقدم من البشريّة عند الإله وما حصره العلماء وأقاموا البراهين عليه أنّ كرة الأرض بجميع أجزائها من البرّ والبحر مثبةٌ في وسط السّماء كالنّقطة في الدّائرة وكلّ كوكبٍ أكبر من كرة الأرض بأضعافٍ كثيرةٍ وهذا ممّا لا ينازع فيه أحدٌ لأنّه مجمع عليه بإتّفاق العلماء فإذا كان على ما يزعم بعض النّاس على أنّ الإله ظهر بالبشريّة وحدها دون أن يكون له ظهورٌ في السّماء وإنتقل من عصر آدم إلى زمان الحسن العسكريّ وظهور الحجّة ثمّ إمتنع عن الظّهور والوجود والحضور فلا يخلو من أحدِ أمرين.

- إمّا أن يكون النّاس كفروا فغاب عنهم.
- وإمّا أن يكون غضب عليهم فإنتقل إلى موضعٍ آخر يدعو أهله ويرشدهم.

وجميع ما ينسب إلى هذه الأقوال باطلٌ ومحالٌ وذلك لأنّ الله تقدّست أسماؤه حاضرٌ موجودٌ لخلقه غير مفقودٍ ظاهر بكلمته باطن بحكمته يدعو الخلق بالنّطق الواضح إلى ربوبيّته «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ » وأزليّته قاهر الوجود ببقائه وديمومته ظاهر بأنواه بادٍ بمشيئته قاهر الكلّ بقدرته حيٌّ قيّومٌ لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ نشر الأرواح وحرّك الأشباح وسخّر الرّياح ومدّ الظّلّ والنّور وجعل الوجود رقّة المنشور والسّماء سقفه المرفوع والفضاء بحره المسجور وكلّ ذلك دلالةٌ على حقيقة الوجود وجود الرّبوبيّة وإثبات دوام الأزليّة ووجود السّرمديّة فكان ظهوره

بالبشريّة عدلاً منه وإنصافاً لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل فنطق من البشر وأظهر المعجزات والقدرة ودلّهم على ذاته بأسمائه وصفاته فكان ظهوره قدرة ونطقه حكمة ودلالته على ذاته رحمة وغيبته وعظمته «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ » وقد قال الله تعالى: «وهُوَ الَّذي في السَّماءِ إلهٌ » فدلّهم على حقيقة الظّهور ووصل نورهم بالنّور وقال: «أَأَمِنتُمْ مَنْ في السَّماءِ أنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأرْضَ فإذا هِيَ تَمُورُ » وقال: «إنَّ ناشِئَةَ اللّيْلِ هِيَ أشَدُّ وطْئاً وأقْوَمُ قيلاً، إنَّ لَكَ في النَّهارِ سَبْحاً طَويلاً، واذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وتَبَتَّلْ إلَيْهِ تَبْتِيلاً، رَبُّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ لا إلهَ إلاَّ هُو فاتَّخِذْهُ وكِيلاً » وقال: «رَبُّ المَشْرِقَيْنِ ورَبُّ المَغْرِبَيْنِ» وقال: «فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشارِقِ والمَغارِبِ إنّا لَقادِرُونَ» وقال: «إنَّ في خَلْقِ السَّماواتِ والأرْضِ واخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ لآياتٍ لأُولي الألْبابِ » وقال: «إنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرْضَ في سِتَّةِ أيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى العَرْشِ يُغْشي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثيثاً والشَّمْسَ والقَمَرَ والنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأمْرِهِ » وقال: «وذَكِّرْ فَإنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ المُؤْمِنينَ».

وقد بلّغت بالتّلويح والتّصريح بكشف الحقّ وإيضاحه غاية الوضوح والبيان لكلّ ذي عقلٍ ثاقبٍ ورأيٍ صائبٍ.

وأسأل الله أن يؤيّد بمعرفته كلّ ذي ديانةٍ وأن يجري الخير على يده ولسانه فتثبت في قلبه معرفة مراتب الوجود والأنوار والنّفوس والعقول والعقل المشار إليه بإيجاد العالم وبدئه بغاية ما يصل إليه وفوق كلّ ذي علمٍ عليم.

فصلٌ فيه كشفٌ وتصريحٌ وهدايةٌ (الأنفس والأرواح)

قال الله تعالى: «قُلْ لَو كانَ البَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبّي ولَو جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً».

إعلم أيّها الأخ البارّ الموفّق السّعيد الّذي هديّتي هذه إليه لا إلى ذي العناد والزّيغ والجّهالة والبهت والمكابرة البعيد من رحمة الله ورضوانه أنّ العلماء من قبلنا نبّهوا على المراتب وعرّفوا النّاس أشخاص كلّ منزلةٍ وعرّفوا أشخاص الصّلاة

والزّكاة والصّوم والحجّ والجّهاد والأيّام واللّيالي ونبّهوا على أشخاص الأعياد والمواسم وأكثروا القول فيه لكي يشحذوا القرائح في طلب العلم ويحثّوا على الإستزادة من الفضيلة ويعرفوا مواضع السّعادة. **فجعلوا للأشخاص البشريّة مثلاً وأطلقوها على ما هو أقدم حسّاً وعقلاً وهو العالم السّماويّ الأعلى البسيط الّذي لا تركيب فيه وهو الدّائم الأبديّ السّرمديّ الّذي عنه ظهر الزّمان وعن ظلّه ظهر عالم الكون والفساد والتّبدّل والنّسيان.**

وهو عالمنا عالم البشر المركّب من العناصر الّذي لا يمكن ثبات شيء منه على حالة واحدة ولا بقاؤه ولا دوامه وقد نبّه الموالي على ذلك بقولهم: «عالمنا عالم الإقرار والإجابة » وقال الصّادق منه الرّحمة: «الصّعب المستصعب معرفة ظهور الإله بالبشريّة وأراد بذلك معرفة البسيط الّذي لا تركيب فيه من المركّب الكثيف المستحيل الّذي لا ثبات لبقائه في هذا العالم» وقال: «خلقت أجسامنا من طينة علّيّين وخلقت أرواح شيعتنا من فضل تلك الطّينة».

فعرّف أنّ أجسامهم خلقت من الأنوار الصّافية الّتي لا تصلح أن تكون أرواح المؤمنين منها وقال: «إنّ الله خلق أرواح المؤمنين من نورٍ واحدٍ ».

فعرّف أنّ النّور هو الّذي يقصد ويشار إليه بأنّه سببٌ إلى الهداية ومناسب الأنوار العالية وبه الإتّصال إلى عالم الإله وهو المعروف بمراتب الوجود وإليه أشار السّيّد بقوله: «من عبدٍ أنعم الله عليهو جعل له نوراً يمشي به في النّاس » والله يقول: «ومَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ ».

وقد نبّهت بغاية الإمكان وإجتهدت على الإرشاد غاية الجّهد ومن الله نسأل الهداية إنّه جوادٌ منّانٌ وليّ الخير والإحسان.

وإعلم وفّقك الله وإيّانا لما يختاره وجنّبنا وإيّاك القواطع إنّ حجاب الله الأعلى[1] الّذي ليس له فرقٌ ولا فاصلةٌ من مبديه ومنشيه وهو العقل الأوّل المحيط بالكلّ قوّةً وقدرةً وعظمةً وجلالةً وكبرياءً ومهابةً وهو محدث الوجود وإليه نهاية العالم ليس بجسمٍ ولا يحلّ في جسمٍ ولا يقع تحت نعتٍ ولا يحيط به فكرٌ ولا وهمٌ ولا يقدر ولا يمثّل ولا يحيط به زمانٌ ولا يحصره أوانٌ ولا يدخل عليه التّبديل ولا التّغيير ولا الفساد قائمٌ بالقوّة والقدرة الإلهيّة والعظمة فائضٌ عن ذاته سائر الذّوات من بدع الكلّ.

فذاته لا تحدّ ولا تعدّ ولا توصف ولا تنعت بنعتٍ وهو من الوجود في كلّ موجودٍ لا حصراً ولا إحاطةً بل لطفاً لا تبلغ نهايته ولا توصف غايته، قريبٌ في غاية البعد، جميع ما في الكلّ فيه ومنه وعنه ظهر، لا يخلو منه شيءٌ ولا يحيط به شيءٌ وهو إسم الله العظيم [2] وصراطه المستقيم الّذي منّ الله بمعرفته على النّبيّين والصدّيقين والسّالكين العارفين ومن إختصّه من المؤمنين فهذه بعض نعوت الحجاب الأعلى والإشارة إلى صفاته.

وأمّا الباب الأعلى الّذي هو باب الله اللاّصق والشّبح النّاطق فهو النّفس الكلّيّة المشار إليه بالبابيّة وهو نور الله وسرّ وجود الوجود وهو نور العقل وصفته ونطقه وكلمته، نوره غير محدود وأمده غير معدود ومكانه غير مفقود وظهوره غير مشهود.

---

[1] هل يراد به الإسم الأقدم الذي وصفه الصّادق (ع) بقوله: " خلق الله إسماً بالحروف غير مصوّت وباللفظ غير منطق وبالشّخص غير مجسّد " إلى أن قال: " فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً ليس واحدٌ منها قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة لفاقة الخلق إليها وحجب واحداً منها الإسم المكنون المخزون وسخر لكلّ إسم أربعة أركان فذلك إثنا عشر ركناً، ثمّ خلق لكلّ ركنٍ منها ثلاثين إسماً..إلى أن قال: " فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتّى يتمّ ثلاثمائةٍ وستّين...الخ

قال الشّيخ محمّد الحسين النّجفي الإمامي في شرح هذه الإسم: هو الوجود المطلق المنبسط على هياكل الموجودات أو قوابل الممكنات وهو النّفس الرّحماني والفيض المنبسط والحقّ المخلوق به... إلى أن قال: لا فرق بين هذا الإسم ومسمّاه إلا أنّه عبده وهو ربّه: " أنا أصغر من ربّي بسنتين الحدوث والإمكان، إشارة إلى حقيقة المعطوفيّة المتحقّقة بتلك الرّتبة التي تقاعس الرّوح الأمين عنها في المعراج وقال: " لو دنوت أنملة لإحترقت " الخ عن كتاب الدّين والإسلام ج١ ص ٢٢٠ وذكر هذا الحديث في كتاب الكافي للكليني (إمامي) وفي حقائق أسرار الدّين إبن شعبة الحرّاني (الشّيخ عبد اللطيف)

[2] قيل: إنّ عائشة قالت: يا رسول الله علمنا ممّا علمك ربّك، فقال: نهينا عن تعليم النّساء والصّبيان، ذلك لأنها طلبت منه معرفة الإسم الأعظم (الشّيخ عبد اللطيف)

ظاهرٌ بالقدرة متجلٍّ بالعظمة بادٍ بالمشيئة منير كلّ نور وسرّ كلّ ظهورٍ وإليه البعث والنّشور وفيه بالقوّة كلّ الأشكال والصّور وعنه ظهر الجّوهر وفيه إستقرّ وله الآيات والقدر وهو سرُّ الله الّذي ذكر وكلمة الله ونوره وسرّه وصراطه وهدايته وسبيله وجلاله وآياته ودلالته وهو المشار إليه بالكرسي لطفاً وعظمةً وجلالةً وكبرياءً وسعةً وعلوّاً وتمكيناً.

وعنه فاضت الصّور النّفسانيّة والبهجة الملكوتيّة والجّلالة القدسيّة والأجرام المضيّة والصّور النّورانيّة الدّائمة الأبديّة الظّاهرة للوجود المتّصلة بالمعبود والمدركة بالعيان الحافّة حول عرش الرّحمن.

وهذا عالم النّفس المجرّد المتّصل بباريه المؤيّد بقدرة منشيه لطفاً ورحمةً لعباده لئلاّ يرتّابوا ويضلّوا.

ثمّ أظهرت النّفس الّتي هي الباب جوهراً لطيفاً شريفاً قامت عنه السّبعة الأفلاك المشار إليها بالسّموات وأبدى فيها نفوساً نيّرةً وكواكب مزهرةً وبثّ فيها ملائكته وأظهر فيها عجائب صنعته وظهر لهم بما أظهرهم به لطفاً ورحمةً وسمّاهم جنّاتٍ وعيوناً وملائكةً وحجباً وأنواراً وأستاراً وأيتام الملأ الأعلى.

فكان ظهوره بصورةٍ وصفةٍ ومثالٍ وكانت هي القائمة بصورة الوجود ظاهرها نورٌ وقدرةٌ وضياءٌ وعظمةٌ وكبرياءٌ وعن جوهرها فاضت الجّواهر وأشرقت البواطن والظّواهر ونارت السّرائر والضّمائر وظهر الوجود وقصدت عبادة المعبود وباطنها النّفس الكلّيّة المجرّدة عن الآلات المعرّفة بالأزليّة الّتي هي رتبة الباب المتّصل بجلالة الحجاب.

فكان ظهور النّفس في الحالين ووجودها بادٍ للكونين في وقتٍ واحدٍ، لم يختلف النّور ولا تغيّر الظّهور ظهر ظهوراً تامّاً عامّاً من روح القدس وهو السّعير لأهل الجّحود والشّمس البادية نوره المشرق من جلالها وجوهرها دالٌّ على بهجته وجماله وأفعاله ولذلك قيل: «لا شيء أعظم من روح القدس إلاّ النّازل فيه ».

ثمّ فاضت فيها ثانياً على ما دونها في المنزلة ويتلوها في الرّتبة وهي رتبة القمر وهي النّفس النّاطقة وهي جبرائيل وهو الدّليل وهو باب الأبواب ومسبّب الأسباب فلا يدخل إلاّ منه ولا يقصد بالدّعاء إلاّ إليه وجعل روح القدس في كلّ سماءٍ رتبة البابيّة وسمّيت عيناً وكوكباً ودليلاً ومقصداً قال الله تعالى: «وفُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أَبْواباً، وسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً» ثمّ إنصاغ عن جواهر أنوارها كونٌ ثالثٌ وهو العناصر الأربعة فظهر عنها النّار والهواء والماء والتّراب ومزجت من مفترقاتها فكان من ذلك كون العالم البشريّ وسائر الأكوان الموجودة وسمّيت إستقصاءات وعناصر وأركاناً ثمّ إستخلص ما في كون البشر ممّا هو أقرب إلى الكمال والجّلال والإعتدال فأفشت على ذلك النّوع قوّتها وبدت منه جلالتها وحكمتها ونطقها بكلمتها وظهرت بكلّيّتها منه على عظمتها ووصلته بموضع رتبتها فمازج العاليات المفارقات وإتّحد بالذّوات الباقيات الدّائمات فنطق ذلك النّوع عن الغائبات وأخبر بالكائنات وجرت على يديه الكرامات والمعجزات فكانوا هياكل النّور ومعدن الظّهور ومواطن الإشارة وألسن العبارة فظهر الإله فيهم ونطق منهم ودلّ على ذاته بذاته فكان ذلك الفيض العظيم والسّرّ القديم ناطقاً من أعلى رتبة الجّلال إلى نهاية رتبة نوع الإنسان بادياً لأهل العلم والعرفان.

فتارةً يظهر الباب والحجاب ويكونان باطنين وخفيّين ناطقين من أعلى العلى إلى نهاية قرار الأرض السّفلى بنطقٍ واحدٍ لا يختلف يعرف ذلك ذوو العلم والمعرفة قال الله تعالى: «وهُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وجَهْرَكُمْ ويَعْلَمُ ما تَكْسِبُونَ».

وإعلم أنّ الباب لا يظهر إلاّ بظهور الحجاب والحجاب لا يظهر إلاّ بظهور الباب وإنّ الباب مادّته وكونه وذاته وفعله من الحجاب والحجاب لطيفٌ جدّاً لا يظهر إلاّ ببابه وهو النّفس الكلّيّة.

والنّفس الكلّيّة لا يظهر فعلها ولا تتعرّف إلى عالم الأكوان إلاّ من روح القدس وهو الشّمس ومن روح ذي المعارج وهو القمر وهما بابان كما قال السّيّد

باب وصفقة وهما باب الهداية وباب حطّة وهو مكان ظهور الباب والحجاب بروح القدس للفيض منه الجّود ومعطي الحياة ومادّة البقاء ومقرّ العزّ والبهجة والخير والسّرور وينبوع النّور وسرّ الظّهور القائم على كلّ نفسٍ بما كسبت الّذي لا يخفى عليه مثقال ذرّةٍ في الأرض ولا في السّماء عالم السّرّ والجّهر وعالم ما تخفي الأنفس وتكنّ الصّدور.

فإذا ظهر الإسم والحجاب في البشر ونطق فيهم ودلّهم على ذاته وأوجدهم حقيقةَ ظهوره وجب إتّباعه وعبادته والدّخول تحت أوامره ونواهيه.

فإذا غاب قصد في غيبته من جهة أنواره وحجبه وأستاره فإذا غابت الأنوار وحجبت الأستار طلب في غيبته من جلال جبروته وباطن ملكوته فلا يحتجب عمّن طلبه ولا يغيب عمّن عرفه.

وإعلم أنّ جميع الأنوار من نوره وصورة وحركة الوجود من ظهوره.

وإعلم أنّ الكثيف محمولٌ باللّطيف.

وإعلم أنّ السّموات والأرض وما فيهنّ من عظيم الخلق ليس لها مقدارٌ عند الرّبّ الّذي هو النّفس الكلّيّة المحيط بالكلّ قوّةً وقدرةً وحكمةً وحفظاً وأنّ المحيط به وبالكلّ حجاب الله الّذي هو العقل الفعّال قوّةً وقدرةً وجلالةً وعظمةً وكبرياء ولطفاً فلا متحركاً ولا ساكناً إلاّ عن قوّةٍ وقدرةٍ وجلالةٍ وعظمةٍ وكبرياء ولطفاً.

فلا متحرّكاً ولا ساكناً إلاّ عن قوّةٍ بابيّةٍ وجلالةٍ حجابيّةٍ ولا يمكن ظهور الحجاب والباب للتّعريف والتّفهيم إلاّ بجسمٍ حاملٍ ونورٍ شاملٍ وإدراك الحجاب والباب في المجرّدات والمعقولات جديرٌ بذوي الرّياضة والعلم والإلهام والتّأييد والفيض المختصّ بالأشخاص البشريّة من العناية الإلهيّة الّذين ألهمهم معرفته ومعرفة إسمه وحجابه وصفته ودليله وحجّته قوله تعالى: «قُلْ لَو كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبّي وَلَو جِئْنا بِمِثْلِه مَدَداً».

وإعلم أنّ الكلمات هي الظّهورات الّتي هي حقيقة وجوده في مشيئته وبوارق أسراره من الّذين إصطفاهم لنوره وأيّدهم بحجّته كما قال الله تعالى: «قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَو شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ».

وإعلم أنّ للباب مراتب عالية على نسقٍ واحدٍ لا خلاف فيه، وأنّ تراكيب الإنسان من جواهر الأكوان جمع على صغره ما في العالم الأعظم على كبره، خلطٌ من جميع الأخلاط الأربعة، وجعل أجزاء بدنه مناسبةً لما في العالم الأعلى بحكته وقدرته ليدلّ على لطيف الصّنع وخفيّ الكون - فتبارك الله أحسن الخالقين -.

وجعل في الإنسان ثلاثة أرواح: طبيعيّة وحيوانيّة ونفسانيّة فشارك بالطّبيعة النّبات وسائر الكائنات وشارك بالحيوانيّة أنواع الحيوان وشارك بالنّفسانيّة عالم العقل وعالم الإنسان.

وله نفسٌ رابعةٌ إنفرد بها نوع الإنسان وهي النّاطقة العاقلة المميّزة المفكّرة المدبّرة المستمدّة من النّفس القدسيّة الإلهيّة ما إرتسم في ذاتها من صور المعقولات المرتسمة من العقل الفعّال المستمدّ من جانب العناية الأزليّة صور المعقولات وما أمكن وجوده في الكائنات فهو مفيضٌ على النّفوس قوّته الّتي إستفادها من واهب العقل والجّود ومفيض الخير على كلّ الوجود فتتقلها النّفوس الفاضلة الخيّرة المستمدّة منه على حسب إستعدادها وقبولها فيرتسم في ذواتها ما إرتسم في العقل الفعّال من صور الحقائق الإلهيّة فينطق بالكائنات ويخبر بعجائب ما في الأرض والسّموات ويشاهد العالم الأعلى مشاهدة عيان لا يقنعها الزّمان ولا يفرقها المكان متّصلةً بعالم الإلهيّة أشدّ إتّصال لا تشغلها الشّواغل ولا تعوقها العوائق فتلك النّفوس متّحدةٌ بمبدئها مستمدّةٌ من مولاها قد نظر الله إليها بعين رعايته ومنّ عليها بهدايته وألهمها محبّته فهؤلاء الّذين قال الله في حقّهم: «فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» وإن مالت مع الهوى وغلبت عليها شهوات الدّنيا وإستقرّت فيها الطّبيعة وإحتوى عليها الشّيطان ونسيت ذكر الرّحمن فألبسها الله الذّلّ والهوان والبوار والخسران

فحصل فيها الجّحود والإنكار والمعاندة والإستكبار وكذبت بحقائق الأخبار فحينئذٍ لا ينفعها الإعذار والإنذار إذ مصيرها إلى النّار وبئس القرار.

وإعلم أنّ النّفس النّاطقة الّتي في الإنسان لها ثماني قوى منها ظاهرة ومنها باطنة.

- فالظّاهرة خمسٌ وهي: السّمع والبصر والشّمّ والذّوق واللّمس.
- والباطنة ثلاثٌ وهي المخيّلة [1] والمفكّرة والمذكّرة.

ومجموع هذا يقال له الرّوح النّفسانيّ، ومن شأن هذه النّفس إذا إنجذبت إلى جهة القوى الباطنة فعلت العدالة والعفّة والدّيانة والنّزاهة والخيرات وما شاكلها، وإذا إنجذبت إلى جهة القوى الباطنة فعلت العدالة والعفّة والدّيانة والنّزاهة والخيرات وما شاكلها وإذا إنجذبت إلى جهة القوى الظّاهرة مالت إلى أمور الدّنيا.

وهذه النّفوس الثّلاث متى غلبت على النّفس النّاطقة مالت بصاحبها إلى الرّذائل ومناسبة البهائم وإكتسبت من الحيوانات أخلاقاً فاسدةً نجسةً مبعدةً له عن روح قدسه ومحلّ أنسه وهؤلاء الّذين قال الله فيهم: «ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنساهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ، لا يَسْتَوِي أَصْحابُ النّارِ وأَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفائِزُونَ»، ولنا أن نقف عند ما أوردناه من هذا الفنّ لئلاّ يطول فيملّ ونخرج عمّا قصدنا إيضاحه وبيانه فإنّ الخواطر من عادتها الكلال والملل وإنّما نبّهت ذوي العلم والفهم على موارد المقاصد وأغلقت على الجّاحد المعاند لأنّني أوردت ما أوردته من نكتٍ وإشاراتٍ وحقائق وهداياتٍ يعرفها العالم فينشرح صدره وينير فكره ويكون له فيها مجالٌ تتّسع به مطالب الأقوال وينكرها الجّاحد فيرتدّ على عقبه خاسئاً وهو حسير.

وقال الله تعالى: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » فأسأل الله الّذي وسع كلّ شيءٍ علماً أن يهدينا جادّة الحقّ ويلهمنا أفعال الخير والصّدق ولا يسلبنا ما منّ به علينا من

---

[1] المخيّلة: قوّةٌ تتجمّع فيها صور الأشياء حتّى بعد زوال الأشياء من أمام الحواسّ
المفكّرة: قوّةٌ تدرك بها المعاني الجزئيّة
والمذكّرة: قوّةٌ تستطيع أن تثير صور الأشياء وتحضرها أمام العقل بإختيارها (الشيخ عبد اللطيف)

فضله ولا يكلنا إلى أحدٍ من خلقه وأن يصلنا بما وصل به أوليائه ويكلنا إلى رحمته وهداه إنّه جوادٌ كريمٌ عليٌّ عظيمٌ.

وأسأل من وقع إليه هذا الكتاب من الإخوان وفّقهم الله إلى طاعته أن يهب لنا غفران الزلّة والتّجاوز عن الهفوة وإصلاح ما يجب إصلاحه فإنّ الّذي قصدناه أعظم من أن نبلغ مداه وينتهي بنا السّير إلى نهاية أقصاه والحمد لله على ما أنعم به وأولاه وله الشّكر على ما هداه.

حجة العارف في إثبات الحق على المباين والمخالف

لعلي بن حمزة الحراني

صنّف هذا الكتاب بعد مقتل أبي ذهيبة اسماعيل بن خلاد، وهذا ما يجعلنا نجزم أنّه المباين والمخالف في نظر المؤلف ليس هو ابن خلاد، بل محاولة لرأب الصدع بعد أن انصرف الطويون يتناحرون فيما بين أنفسهم، لذلك يقول:"وتركوا الإحتجاج على المخالفين، وإرتكبوا التّنكيت على المؤالفين، وأقبل بعضهم على بعض بالطّعن، وجاهر علماؤهم باللّعن، فإذا رأوا أحداً يورد حجّةً عقليّةً ولفظة فلسفيّةً نسبوه إلى الإلحاد وإعتقدوا به شرّ الإعتقاد..."

الكتاب من تصنيف، الإمام العالم الفقيه عليّ بن حمزة بن عليّ بن شعبة الحرّاني، وهو ممّا نسخه لخازنه الأمير السّيّد أبي الحسن عليّ بن جعفر، أعلى الله درجاتهما وضاعف حسناتهما، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعمائة، وإنّه من أجلّ كتب أهل التّوحيد وأعلاها لاعتماده على إقامة الحجج العقليّة والنّقليّة في إثبات القدرة ونفي الصّورة.

مقدّمة الكتاب

بسم الله الظّاهر الموجود للعيان، الباطن في غير مكان، كوّن المكان لحاجة المخلوقين إليه، ودلّهم به عليه، الّذي لا تحويه خطرات الظّنون، ولا تحدّه نظرات العيون، ولا تحصره الأعصار والأزمنة، ولا تحيط به الأفكار والأمكنة خالق الحركة والسّكون، وموجد الماء المعين، منشيء الهيولات والصّور الّتي كوّن بها الجّماد والبشر، مخترع الجّوهر البسيط في الفلك المحيط، لا لحاجة إخترعه، ولا عبثاً إبتدعه، بل الخلق فعله فلم يزل خالقاً، والنّطق دليله فلن يزل ناطقاً وصلواته على نوره المخترع وحجابه المبتدع، كوّنه فكان مكانه وأقامه فأوجد عيانه، وعلى بابه ودليل رشده وسبيل قصده، وعلى أيتامه ونقبائه ونجبائه ومختصّيه ومخلصيه وممتحنيه وعلى جميع عوالم قدسه ومحلّ ضياءاته واللاّحقين بهم أجمعين وسلّم تسليماً إلى يوم القيامة والدّين.

أمّا بعد.

فإنّي رأيت علماء أصحابنا قد سطروا في مصنّفاتهم الأخبار وإنتقوا ما ورد من الحديث والأخبار، وذكروا الإسم والمسمّي والحجاب والمعنى، وكلّ واحدٍ منهم إتّبع هواه، وأوّل الخبر إلى ما يوافق غرضه ويحيله عن معناه، وأهملوا البحث والنّظر والدّلالة على الخبر، وتركوا الإحتجاج على المخالفين، وإرتكبوا التّنكيت على المؤالفين، وأقبل بعضهم على بعضٍ بالطّعن وجاهر علماؤهم باللّعن، فإذا رأوا أحداً يورد حجّةً عقليّةً ولفظةً فلسفيّةً نسبوه إلى الإلحاد وإعتقدوا به شرّ الإعتقاد، لأنّ أفهامهم مقتصرة على معرفة القوانين الثّلاثة من غير إعتراف بالعلم، فهم يوردون الأخبار عن الصّادقين عليهم السّلام ولا يعلمون معنى ما قالوا ولا ما أرادوا بها لأنّ أهل المقامات حمّلوا كلاً بحسب إحتماله وكلّ كلامهم له معنى صحيح ولعمر الله إنّ جميع هذهالأخبار صحيحة والآثار مليحة، ولكن أين البحث والنّظر والفحص عن معنى الخبر، وكشف ما خفي معناه وإلتبس بعضه بسواه، وأين من يسأل عمّا إشتكل عليه.

وقد قال الصّادق منه السّلام: نصبنا لكم لتسألونا.

وقال: رحم الله الضّعفاء من شيعتنا فإنّهم أهل تسليم ولو كان قول الأئمّة يحمل على ظاهره ويؤخذ بالقبول من غير أن تشهد له حجّة العقل لكان ذلك والعياذ بالله محالاً، وإنّما بالنّظر إستدللنا بالظّاهر على الباطن، وعلمنا ما خفي من كلامهم عليهم السّلام لأنّهم حملوا كلّ واحدٍ على حدّ إحتماله، وكلّ ما خرج عنهم فله معنى صحيح.

قال الله تعالى: «أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها»، فحثّ بهذا القول على التّدبّر والنّظر بالقياس الصّحيح الّذي لا يشوبه إعتلال ولا يعتريه محال، ونبّه في موضعٍ آخر على ذمّ التّقليد والإضراب عن التّفكير فقال: وإذا قيل لهم إتّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آبائنا ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون. فدلّ على وجوب الفحص والبحث عن الأصول والتّسليم بصاحب الأمر في الفروع وقد وجدت أهل كلّ ملّة إحتجّوا ونصروا دينهم بحججٍ مليحةٍ وبراهين صحيحةٍ حسّنها غوصّ من أفكارهم فآثرت أن أعمل ما يكون ذخيرةً ليوم المعاد، وحجّةً للمقرّ العارف على المباين والمخالف وأحببت أن أجعله كتاباً مختصراً وأضمّنه حججاً وبراهين ودلائل على إثبات الصّانع والتّوحيد والعدل والظّهور والإبتداء والإنتهاء فجعلته أبواباً ليتّضح معناه ويتبيّن فحواه وذلك في جميع ذلك حججاً صحيحة وبراهين مليحة يشهد لها العقل وينقطع دونها العذر، ويزول بها الشّكّ، ويقوم معها الحقّ، ويندفع بها الباطل، وأيّدتها بالكتاب المسطور والخبر المأثور والقانون المشهور، وفسّرت ما إشتكل معناه، وما إلتبس منه بسواه، وأقمت الدّليل على الأصول، وسلّمت لصاحب الأمر في الفروع لتتأكّد الحجّة وتتمّ المحجّة وهذه أبواب الكتاب.

الباب الأوّل

في إثبات الصّانع والحجّة على من أنكر ذلك وأبطله

فنقول وبالله التّوفيق.

إنّنا لمّا رأينا الأشياء لا بدّ لها من عنصرٍ وجوهرٍ ومبتدأ ومنتهى ومظهر يظهرها وفاعلٍ يفعلها، علمنا بقسم الضّرورة أنّه لا بدّ لكلّ صنعةٍ من صانعٍ، ولكلّ فعلٍ من فاعلٍ، لأنّنا ما وجدنا بناءً إلاّ وله بانٍ، ولا كتابةً إلاّ ولها كاتب، ولمّا رأينا جميع ما في العالم صنعةً، علمنا أنّ له صانعاً صنعه، فإن قلت: إنّ المصنوعات من فعل الطّبيعة وهي قديمةٌ قلنا لك: هذا القول ينقسم على وجهين: أحدهما أن تقول: إنّها قديمةٌ لا بدء لها وهو حدّ القدم، والآخر أن تقول إنّها قديمةٌ لها بدء فقد نقضت قولك وأثبتّ عليها صفة المحدث ونفيت عنها القدم، ولزمك أن تبيّن: هل صنعت نفسها أو صنعها غيرها.

والأوّل باطلٌ لأنّ الشّيء الواحد لا يمكن أن يؤثّر في ذاته وفي غيره، وإن قلت إنّها قديمةٌ لا بدء لها ألزمناك أن تبيّن ما معنى الطّبيعة، ولم سمّيت طبيعيّةً، وما المراد بهذا الإسم الموضوع لها؟

فإن قلت: معنى الطّبيعة هي العناصر الأربعة: النّار والهواء والماء والتّراب وإذا سمّيت طبيعيّة لأنّها تطبع الصّور من هذه العناصر وتظهرها من هذه الهيولى إلى الصّور، وهذا الإسم مأخوذٌ من لغة العرب من قولهم: طبعت بالسّيف أي أظهرته من هيولاه الّتي هي الحديد إلى صورة السّيف: وإذا قلت: إنّها طبيعيّة بإتّفاق.

ومن هذه العناصر الأربعة تخرج المركّبات، فنحن نلزمك أن تبيّن لنا من وفّق بينها هذا الإتّفاق مع أنّه إذا تأخّر أحدها لم يتمّ للثّلاثة الباقية فعلٌ، فإن قلت: هي الّتي وفّقته قلنا لك: بعلمٍ منها أم بغير علم؟

فإن قلت: بعلمٍ منها وهي عالمةٌ بما تفعله ألزمناك إقامة الدّليل ولم تطق ذلك لأنّنا نرى كلّ عنصرٍ من هذه الطّبيعة لا يعلم شيئاً ولا يحسّ الشّيء..

وإن قلت: إنّها تفعل ذلك بجهلٍ منها لا بعلمٍ، فلا يكون الإتّفاق إلاّمن موفّقٍ عالم بما يوفّق.

فإذا أقررت بالموفّق بين هذه الأربعة العناصر، فقد لزمك إثبات الصّانع الّذي وفّق بينها فتصير محدثة للمركّبات قديمة لها محدثة عند الموفّق وهذا ما لا يدفع.

فإن عارضت قولنا: إنّه لا بدّ لكلّ صنعةٍ من صانعٍ، ولهذا الصّانع صانع آخر الخ....

فالجّواب وبالله التّوفيق إنّ جميع ما تحت فلك القمر مصنوعٌ مركّبٌ لأنّها أجسامٌ تظهر بإرادة إستطاعيّة، كلّ جسمٍ من جسمٍ إلى أن يرجع إلى الطّبيعة وذلك كالإنسان أن يظهر من الإنسان بإرادة إستطاعيّة، والإستطاعة مادّتها من الأغذية، والأغذية وجودها من الطّبيعة، فجميع المركّبات شيءٌ من شيءٍ لا خلاف فيه إلى أن يرجع إلى الطّبيعة فينتهي القول: إنّ الطّبيعة محدثةٌ للمركّبات وقديمتها ونهاية لها، وإنّها محدثةٌ عند الموفّق لها وهو نهاية الطّبيعة، وأمّا ما فوق فلك القمر من الأنوار فليس من فعل الطّبيعة لأنّها ليست مركّبة بل بسيطة أحدثها محدث الطّبيعة فليست تتحلّل والطّبيعة أصل المركّبات تتركّب منها وتتحلّل إليها أبداً، وهي لا يدخل إليها فسادٌ ولا على الأجرام العلويّة لأنّها من فعل الحكيم، وأقول أيضاً إنّ الرّوح الّتي تدبّر أجسام الحيوان بسيطةٌ لا مركّبةٌ، والدّليل على ذلك أنّ الأجسام آلةٌ لها تتّحد بها إتّحاد ممازجةٍ كما تتّحد النّار بالفتيلة، فكما أنّه لا يمكن وجود النّار إلاّ بجسمٍ تتعلّق به لأنّها بيطةٌ فكذلك الرّوح لا ترى إلاّ بجسمٍ ولا بدّ لها من جسمٍ بقسم الضّرورة.

وقد قال أرسطاطاليس: إنّها تمام الجّرم الطّبيعيّ الّذي حياته بالقوّة، وذكر أنّه آلةٌ بيدين ورجلين وعينين، كلّ ذلك آلةٌ للرّوح الّتي تحرّك جميعه، ونحن نستوفي ذلك في باب الدّلالة على التّناسخ إن شاء الله، ثمّ نرجع الحديث إلى الكلام الّذي ذكرته من أنّ للصّانع صانعاً وقد سلسلت لك المركّب من مركّب إلى أن إنتهى القول

إلى الطّبيعة وقرّرت أنّ للطّبيعة محدثاً وهو قديمٌ لكلّ قديمٍ وقد إستدللنا عليه بأفعاله من غير أن نلامسه بحاسّةٍ، ولو أطلقنا القول أنّ للصّانع صانعاً وجب أن يكون لذلك الصّانع صانعٌ آخر إلى ما لا نهاية له، وذلك مستحيل فاسدٌ.

ونحن نفسّر قولنا ونجعل له مثلاً فنقول: إنّ الإنسان يظهر من الإنسان بإرادة إستطاعيّة، والإستطاعيّة مادّتها من الأغذية، والأغذية وجودها من الطّبيعة فقد جعلت الطّبيعة بهذا القول أصل المركّبات، ودلنا فيما تقدّم أنّ لها محدثاً يستدلّ بأفعاله عليه ولا يستدلّ به على أفعاله، ونقول إنّ الطّبيعة من فعل الباري بلا كيفيّة وكميّة ولا عنصريّة ولا جوهريّة إستدللنا بها عليه ولا يقال: لم وهو لا يدرك بحاسّة.

بل نقول: إنّه محدثها وهو قديمٌ لا بدء له، فهذا قولٌ مختصرٌ، والعلم واسعٌ، والعمر قصيرٌ والأهواء متباينة والله الموفّق لطريق الرّشاد..

الباب الثّاني
للدّلالة على أنّ الله أحد

إعلم أنّنا نظرنا إلى العدد فوجدناه لا ينفكّ عن الزّوج والفرد ولا يخلو إعتقاد من يضادّنا ويطالبنا بالدّلالة من أن يكون الخالق إثنين أو جماعة، ولا يوجد قسم ثالثٌ في العدد بعد الواحد غيرها فنقول ونقرّر أصلاً بقي عليه الفرع إذ كان حدّ الجّدال إثبات الحجّة على الخصم من حيث يقدر أو لا يقدر أن يدفع، وليس بعد الواحد إلاّ قسمان: إمّا أن يكون إثنين أو جماعةً.

فإن قلت إنّهما إثنان قلنا لك: عاجزان أم قادران؟ فإن قلت: إنّهما عاجزان فالباري لا يوصف بالعجز، وإن أثبتّ أنّهما قادران قلنا لك: هل يقدر أحدهما أن يمنع صاحبه عن مراده؟ فإن أثبتّ أنّ أحدهما يقدر أن يمنع صاحبه عن مراده فهما عاجزان من حيث قلت إنّهما قادران، فإن قلت: إنّ أحدهما يقدر على منع صاحبه

والآخر لا يقدر، فالقادر هو الرّبّ والعاجز هو المربوب، وإن قلت: إنّهما إصطلحا على الأفعال: واحدٌ يحيي، والآخر يميت، فالإصطلاح والمسالمة لا يقعان إلاّ بعد الإختلاف والمقاومة فقد دخل عليهما العجز معاً إذ لا يقدر الواحد منهما على الأفعال كلّها، ومن كان عاجزاً فليس بقديم، وكذلك يلزمك، إن إعتقدت أنّهم جماعةً لزمك ما لزمك في الإثنين من الإحتجاج فقد ثبت لك وصحّ أنّه واحدٌ، إذ لم يبق قسمٌ غيره، والله الهادي إلى سبيل النّجاة.

الباب الثّالث

في الدّلالة على الظّهور للبشر كالبشر

فإن قلت: ما الباري جسمٌ أم عرض، أم جوهر، أم جنس؟

فالجّواب، وبالله التّوفيق، إنّما تحدّ وتوصف وتكيّف المحدثات لأنّها موجودةمحدثة الكيان والجّوهر والجّنس، وأمّا الباري فغير موصوف ولا محدود لأنّه قديم وليس بجوهر ولا عرض ولا جسمو لا جنس، بل هو موجود بدلالة ظهوره للجّنس كالجّنس من غير إحاطة ولا إدراك، بل ظهر للخلق كالخلق ليفهموا عنه أمره ونهيه ويثبتوا وجوده، لأنّ من كان مجهولاً يوشك أن لا يكون شيئاً.

فإن قلت: كلّ موجوديحصره العيان، ويحيط فيه الهواء، ويستقرّ في مكانٍ، وينطق في زمانٍ، وتدخل عليه الأعراض وتحدّه الجّهات السّتّ وهي: فوق وتحت ووراء وقدّام ويمين وشمال وهذه صفات المحدث والمحدث لا يدرك القديم لأنّه ليس في إستطاعته أن يدرك إلاّ مثله.

فالجّواب: إنّا نقول: إنّ القديم ما زال عن ماهيّة الكمال في ظهوره للبشر كالبشر، بل أظهر صورةً ظهر بها علامةً للوجود ونفي العدم، ودليل ذلك ما أظهره من القدرة الّتي خرقت العادة، فليس في إستطاعة الخلق أن يأتوا بمثلها، ومن تلك الصّورة قدرة عجز المخلوقون عنها فتلك القدرة دليلةٌ على أنّ من تلك القدرة قدرته

ليست تلك الصّورة صورته على الحقيقة، بل هي ظاهرة في أعين البشر كالبشر بصورة الإنسان العاجز فعلمنا أنّ تلك الصّورة على غير ما هي عليه من تراكيب البشريّة وأنّ القديم ظهر بها ليثبت وجوده، ويصحّ ظهوره للبشر، وإنّ حقيقتها غير محسوسةٍ ولا مدروكةٍ، وهكذا كلّ من ظهرت منه القدرة فليست له صورةٌ تدخل تحت التّحديد، بل أظهرها إثباتاً وإيجاداً وحقّاً ويقيناً وعياناً وبياناً، لا كلاًّ ولا جمعاً، ولا إحاطةً ولا حصراً.

فإن قلت: كيف لم يكلّم الخلق بالرّبوبيّة الّتي ليس لها هيئة ولا صورة؟

فالجّواب إنّنا قد نرى صوراً كثيرة لا يفهم بعضها عن بعضٍ وهي من جنسٍ واحد، فإن كان الجّنس لا يفهم عن جنسه فكيف نفهم عن الباري أمره ونهيه؟

فإن قلت: بقدرته.

فالجّاب: أنّ القدرة قديمةٌ فكيف يفهم عنها المحدث.

والحال أنّ العربيّ لا يفهم عن العجميّ، والزّنجيّ لا يفهم عن الخزريّ لتباين الأنساب والبلاد وهم من جنسٍ واحدٍ، فلا بدّ إذن أن يظهر بهيئةٍ من جنس خلقه حتّى يكلّمهم فيفهموا عنه أمره ونهيه، وإذا كان المسلمون مجمعين على أنّ الله خاطب موسى من الشّجرة وهي ذات أجزاء مؤلّفة لا حركة فيها ولا نطق، فما باله لا يخاطبهم من البشر الّذي هو أشرف أجناس الحيوان وأشرف من النّبات والجّماد فإذا صحّ أنّه خاطبه من الشّجرة، فما بال الحيّ النّاطق؟ وقد قال الله في محكم كتابه: وجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى ربّها ناظرة، وقد أجمع أهل الشّرع من المتكلّمين وغيرهم إلاّ المعتزلة والإماميّة أنّ النّاضرة من النّضارة وهي ماء الوجه، والنّاظرة بالظّاء من النّظر، وأنّه يمكن أن يرى بنظر العين والأشعريّة تجادلهم في ذلك وتناظرهم عليه وتقول: إنّ الرّؤية ممكنة يوم القيامة.

والإماميّة والمعتزلة يعتقدون أنّه نظر القلب لا نظر العين وهذا خلاف الصّواب لأنّ النّظر للعين والفكر للقلب، ولا يكون في كتاب الله إستعارةٌ وإنّما

الإستعارة في الشّعر والنّظر لا يقع إلاّ على جسمٍ في رؤية العين، لأنّ الجّسم آلةٌ ظاهريّةٌ.

وإذا كان النّظر عندهم يوم القيامة ممكناً، فما باله لا يكون في كلّ عصرٍ وزمانٍ، ووقتٍ وأوانٍ، وما المانع من ذلك؟ فإنّ من دفع ظهور القدرة والمعجز فقد كذّب الإجماع، ومن كذّب الإجماع والنّقل فهو كمن جحد العيان، لأنّ الموجودات على قسمين: منها مشاهدٌ ومنها غائبٌ وقع الإتّفاق عليه كقول القائل: في الدّنيا بلدٌ يقال لها جابرصا، وقد وقع الإجماع على وجوده وإن لم نشاهده بالعيان، وإنّما صحّ عندنا بالخبر، ومن دفع ذلك فهو كمن دفع أنّالثّلج أبيضٌ والدّم أحمرٌ.

وقد أجمعت ثلاث أممٍ أنّ موسى مشى على البحر وكلّمه الله وظلّل على بني إسرائيل الغمام، وأنزل عليهم المنّ والسّلوى.

وطائفةٌ تقول، وهم اليهود، خلق حرفاً فخاطبه منه وهذا صحيحٌ ولكن على خلاف ما يظنّون وفي التّوراة مكتوبٌ: وكلّم الله موسى، تفسيره من فمٍ إلى فمٍ، وإنّ يوشع ردّ الشّمس وليس في إستطاعة البشر أن يأتوا بمثله، فعلمنا أنّ تلك الصّورة على غير ما هي عليه من تراكيب البشريّة وإنّ القديم يظهر بها ليثبت وجوده، وأنّ حقيقتها غير مدروكةٍ ولا محسوسةٍ وكذلك كلّ من أظهر قدرةً فليس له صورةً تدخل تحت التّحديد، بل يظهر بها إيجاداً وإثباتاً وعياناً ويقيناً لا كلاً ولا جمعاً ولا إحاطةً ولا حصراً.

وإن قلت: إنّ موسى لم يدع إلى نفسه وإنّما دعا النّاس ودلّهم على غيره.

فالجّواب: إنّنا نقول: إنّما دلّ على الّذي يظهر به في وقت إظهار المعجز الّذي يعجز الخلق عنه، وإذا ظهرت القدرة بطلت الصّورة البشريّة، وإذا دخل عليه المعجز والإضطهاد والموت وما يشاكل ذلك فإنّما هو واقعٌ على الحجاب البشريّ اللّحميّ الدّمويّ الّذي نطق منه القديم ليفهموا عنه أمره ونهيه.

والنّصارى والمسلمون أجمعوا أنّ عيسى أحيا الميّت وأبرأ الأكمه والأبرص وخلق من الطّين طيراً، وكلّم النّاس في المهد ولا يقدر على ذلك أحدٌ من الخلق، وقد أجمعت النّصارى أنّ شمعون أحيا الميّت وفعل مثل هذه أشياء كثيرة.

فهل في إستطاعة بشرٍ أن يحيي بشراً مثله وإنّ عيسى عندما أبرأ الأزمن الّذي كان على باب كنيسة اليهود قال له: قم.

فقال: كيف أقوم ولي ثمان وثلاثون سنة مقعداً، فقال أنا أبو البشر، قم وإحمل سريرك.

فحمله، فقال اليهود: قد حلّلت السّبت فقال: أنا ربّ السّبت.

ألم تر إلى قوله أنا أبو البشر، يعني الحجاب البشريّ، وقوله: أنا ربّ السّبت، فقتله اليهود وصلبوه، ولم يقع عليه قتلٌ ولا صلبٌ وإنّما ذلك واقعٌ بالحجاب البشريّ اللّحميّ الدّمويّ.

وقد قال الله إخباراً عنه وتكذيباً لهم، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم، وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه، فهل يطلع إلى السّماء إلاّ من نزل منها.

ونحن نوضح الظّهور والنّقل وكيف هو وما يطرد فيه من الحجج في هذا الباب إن شاء الله.

وقد أجمع المسلمون أنّ محمّداً بن عبد الله الهاشميّ لم ير له ظلٌّ في شمسٍ ولا قمرٍ، ولم ير له نجوى، وقد فلق القمر، وجذب إليه الشّجرة من غير أن يقربها، وكلّمه الذّئب والذّراع المسموم ورمى الحصى يوم بدرٍ، وقد أخبر الله عنه بقوله: وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى وهذا يدلّ على أنّ الله هو الّذي ظهر ورمى وهو صاحب القدرة المشار إليه، وإنّ تلك الصّورة المشاهدة كصورة الإنسان العاجز هي حجابٌ وقعت عليه الأبصار ليثبت الوجود ويدلّهم عليه بظهور القدرة من تلك الصّورة المعاينة بالآلة والحركة والسّكون.

وقد أجمعت الشّيعة أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أحيا الميّت وردّ الشّمس، وخاطبته في بقيع الغرقد: السّلام عليك يا أوّل، يا آخر، يا باطن، يا ظاهر،

يا من هو بكلّ شيءٍ عليم، والإماميّة، وهم طائفةٌ قد طبقت الأرض شرقاً وغرباً يقرّون به ويجمعون عليه، ويجعلون له تفسيراً وهو أنّ قولها: السّلام عليك يا أوّل، أي أوّل من آمن بالله ولم يعبد الأوثان، وقولها: يا آخر، أي يا آخر الأوصياء لآخر النّبيّين، وقولها يا باطن، أي يا عالم علم الباطن كلّه من رسول الله، وقولها يا ظاهر أي يا غالب الأعداء وقاتلهم بسيفه، وقولها: يا من هو بكلّ شيءٍ عليم، أي عليمٌ بما كان وما يكون إلى يوم القيامة، بما علمه من رسول الله وكذلك يقرؤون خطبة الكشف الّتي قال فيها من على المنبر.

أنا رفعت سماءها، وسطحت أرضها، وأرسيت جبالها، وأنرت شمسها، وأطلعت قمرها، أنا قرمٌ من حديد، أنا في كلّ يومٍ جديد، أنا أبدي وأعيد.

وهم يرون ذلك ويقرّون به ويخرجون له تفسيراً على نحو ما ذكرت لك في مخاطبة الشّمس تركته إختصاراً، وأمّا إنكار الجّمهور من المسلمين هذه الأخبار ودفعهم إيّاها فهو كدفع اليهود معجز عيسى وقولهم إنّه ما أحيا ميتاً، ولا فعل شيئاً من كلّ ما أجمع عليه المسلمون، وأنّهم قتلوه وصلبوه، كما دفع النّصارى معجز أحمد وقالوا: إنّه إحتال على العالم وغيّر الشّريعة ولم يأت معجزاً وإنّه أخذ النّبوّة والسّير من بحيرة الرّاهب..

ونحن ندلّ على إختلاف الشّرائع في الظّاهر وإتّفاقها في الباطن في هذا الباب إن شاء الله.

فأمّا الإنكار فليس ممّا يدفع به حقّ، وقد ثبت وصحّ بإجماع كلّ واحدةٍ من هذه الأمم أنّها شاهدت من شخصٍ معاينٍ قدرةً عجز المخلوقون أن يأتوا بمثلها، وإذا ثبت ذلك فقد ثبت ما إحتجّ به لإثبات الظّهور، وإنّما دفع أولئك هذا الظّهور في هذه القبّة لتكون الحجّة عليهم، فإن قلت: كيف تنفون تلك الصّورة وتقولون لا حقيقة لها في البشريّة، وأنّ حقيقتها غير مدروكة، ولا محسوسة، وقد رئي آكلاً وشارباً وله أزواج وأولاد، ورئي مقتولاً ولا يجوز أن يكون في الموجودات شيءٌ على حالةٍ ويرى بخلاف تلك الحالة.

فالجّواب إنّنا نقول: لمّا رأينا من تلك قدرته ليست تلك صورته، ونفينا عنه الأعراض والقتل في الحقيقة، وإن كانت واقعةً به في نظر العين، ومتى نفينا عنه الصّورة وجب أن ننفي عنه الأعراض الدّاخلة عليها لأنّه لا حقيقة لتلك الصّورة، ألا ترى إلى قول الله عزّ وجلّ في المسيح: وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم، وقد أجمع الّذين رأوه أنّ الّذي كان على الخشبة هو ذلك الّذي خاطبهم وأظهر لهم القدرة والمعجز، وكذلك أرسل لوط حين أتوا إبراهيم بالبشرى فصنع لهم طعاماً ووضعه قدّامهم وهم في صفة الآدميّين فأكلوا، والحقيقة بخلاف ذلك كما دلّ عليها قولهم للوط: إنّا رسل ربّك لن يصلوا إليك.

وقد قال الله تعالى: ونُقَلِّبُ أفْئِدَتَهُمْ وأبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أوَلَ مَرَّةٍ، ومقال: «فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ، وما لا تُبْصِرُونَ » عنى بما تبصرون الصّورة، وما لا تبصرون القديم الّذي لا تدركه الحواسّ، ولا يقضى عليه بحركةٍ ولا سكون، وهذا دليلٌ على ما شرحناه، ونحن نرى في الموجودات أشياء كثيرة بخلاف ما هي عليه من ذلك السّراب الّذي نراه في منتصف النّهار عند إشتداد الحرّ فلا نشكّ أنّه ماء وليس بماء، وننظر إلى البحر فنرى كأنّ آخر ما يقع عليه نظرنا ملتصقٌ بالسّماء، وهو بخلاف ذلك وننظر إلى الجبّال، ونحن بأرضٍ فسيحةٍ فنرى كأنّها قريبةٌ من السّماء وهو بخلاف ذلك، وفي الموجودات أشياء كثيرة تشاهد بخلاف ما هي عليه، وكذلك ما ظهر من القدرة فقد تقرّر الكلام وثبتت الحجّة في صحّة ما أوردناه ونحن نوضح ما ورد من الدّليل في كتاب الأسوس على هذا المعنى إن شاء الله.

فصلٌ منه:

قال العالم جواباً للسّائل: إذا كان الله ممازجاً للأشياء فهو لها شبية وإن كان مبايناً فهو لها ضدٌّ، وإن كان لا مبايناً ولا ممازجاً فهو عدمٌ.

ولكنّي أقول: إنّه مباينٌ لها في جوهره، لا مباينٌ لها مضادّ، وأقول: إنّه خارجٌ عنها أريد أنّه ليس فيها بل أريد أنّ جوهرها مختلطٌ بجوهره لأنّها محدثةٌ وهو قديمٌ، وهي مخلوقةٌ وهو خالقٌ، تفسير ذلك، قوله: إن كان الله ممازجاً للأشياء فهو لها

ضدٌّ، أراد به إثبات الظّهور من غير مجانسة لها في حدثها، وإنّه لو باينها في الظّهور لكان ضدّها،و لا يجوز أن يكون شيءٌ ضدّه، وقوله: إن كان لا ممازجاً ولا مبايناً فهو عدمٌ لأنّه ليس بعد هذين القسمين إلاّ العدم، وإنّما أراد بهذا الدّلالة على الظّهور ونفي الصّفة عنه، ألا ترى إلى قوله: ولكنّي أقول إنّه مباينٌ لها في جوهره، يعني أنّ جوهر القديم مباينٌ لجوهر الحدث لا مباينٌ لها مضادٌّ، يعني ليس هو ضدّها من جهة الظّهور، بل يظهر كهي وقوله: إنّه خارجٌ عنها لا أريد أنّه ليس فيها، أراد به الظّهور، ثمّ بيّن ذلك بقوله: بل أريد أنّ جوهره مباينٌ لجوهرها، يعني القديم، وقوله: وإن كان فيها، أراد به الظّهور، وقوله: ولا أقول: إنّ جوهرها مختلطٌ بجوهره لأنّها محدثةٌ وهو قديمٌ، وهي مخلوقةٌ وهو خالقٌ، نفى أن يكون جوهر القديم مختلطاً بجوهر الحديث إختلاط ممازجةٍ، بل مباشرة ظهور فقط ليثبت الوجود ويصحّ العيان والقدم.

ثمّ قال بعد كلامٍ طويلٍ: الله شيءٌ أم جسم؟

قال العالم في موضعٍ آخر ومواضع كثيرةٍ: هو جسمٌ، فلذلك تكافأت الأسماء والحجج، ولو كان الشّيء أبين من الجسم لظهرت حجّتك، ثمّ قال: والشّيء يدخل فيه ضعفٌ من خمسة أوجه لأنّه عرضٌ والعرض لا يقوم بنفسه وحركةٌ والحركة لا تقوم بنفسها، بل يقوم بغيره، والجسم يقوم بنفسه وتحتاج هذه الأعراض إليه، والشّيء داخلٌ في باب الجسم، وليس الجسم داخلاً في باب الشّيء، والصّورة أقوى من الجسم، تفسير ذلك قول السّائل: الله شيءٌ أم جسمٌ؟

فهو إستفهامٌ عن ماهيّته ولا تخلو جميع الموجودات من هذين القسمين، إلاّ أنّ الشّيء أعمّ من الجسم لأنّه يعمّ جميع الموجودات، والجسم إختصّ منه لأنّه لا يعمّها، فكلّ جسمٍ شيءٌ وليس كلّ شيءٍ جسماً، وقوله: والشّيء داخلٌ في باب الجسم فإنّما عنى به الأعراض الّتي تكون في الجسم وتحدث منه مثل البياض والسّواد والحمرة والصّفرة والحركة والسكون، فهذا كلّه يقع عليه إسم الشّيء وهو داخلٌ في باب الجسم، والجسم ما كان له ثلاثة أبعاد وهي طولٌ وعرضٌ وعمقٌ.

وقول العالم: هو جسمٌ لا يريد به ما ذكرناه من الأبعاد الثّلاثة تعالى الله عن التّحديد، وإنّما أراد به أن ينزّهه ويخرجه عن حدّ الشّيء الّذي هو أنكر النّكرات، وأن يدلّ عليه بما هو أخصّ، لأنّ الشّيء يقع على كلّ محسوسٍ من جوهرٍ وعرضٍ وحدٍّ ورسمٍ وينفي عنه التّحديد لأنّه ليس بمحدّدٍ فيناسب الأجناس والأجسام المحدّدة بالطّول والعرض والعمق، وإنّما أراد إثبات الجّوهر ونفي الصّفة وقوله: إعلم أيّها السّائل أنّ الجّسم شيءٌ والشّيء جسمٌ، ولذلك تكافأت الأسماء والحجج فقد أخبر أنّ الجّسم شيءٌ، ولا خلاف في أنّ كلّ جسمٍ شيءٌ، وليس كلّ شيءٍ جسماً كما قدّمنا، وقوله: والشّيء جسمٌ أراد به شيئاً بعينه وهو الظّهور الّذي هو علامة الوجود، وقد أثبت له (ال) التّعريف والعهد بينه وبين مخاطبه، وقوله جسمٌ، أي في العيان، أمّا في الحقيقة فلا يجوز أن يقال له شيءٌ أو جسمٌ، كلّ ذلك لينفي عنه الأسماء والصّفات، ويثبت الوجود وينفي العدم.

فإن قلت إذا نفيت عنه إسم شيءٍ وجسمٍ وجوهرٍ وعرضٍ فقد دخل في باب العدم.

فالجّواب: إنّ هذا القول لا يلزمنا لأنّا نعتقد في الصّورة أنّها دليل الوجود، وننفي عنه الصّفات والأعراض ونستدلّ بالقدرة وهذا قولٌ لا تلزمنا فيه حجّةٌ والشّيء هو المثال، والجّسم هو الصّورة، إلى قوله: ولذلك تكافأت الأسماء والحجج، فالأسماء الأمثلة والحجج الصّور.

ثمّ بيّن ذلك بقوله: ولو كان الشّيء أبين من الجّسم لظهرت حجّتك، وقوله: والشّيء فيه ضعفٌ من خمسة أوجهٍ لأنّه عرضٌ والعرض لا يقوم بنفسه الخ.. أراد بها كلّها العرض.

والمثال هو الّذي يظهر به الموت، وذلك عرضٌ في أعين النّاظرين إليه، ألا ترى أنّ النّاطق هو الجّسم والصّامت هو الشّيء فإذا ظهر النّاطق عند الموت بطل الشّيء فالّذي يرى على المغتسل هو الشّيء، وهو الصّامت وتقوم الصّورة، وهي الجّسم الّذي يدعى وصيّ الإمام بعد الإمام بيان ذلك أنّ جعفر الصّادق منه السّلام هو

النّاطق، والصّامت هو موسى، والمثال هو محمّد الباقر وهو الّذي رئي على المغتسل في أعين الممزوجين، والّذي أقام بالأمر بعده هو النّاطق فمن هذه الجّهة أطلق أنّه شيءٌ، والشّيء تدخل عليه الأعراض، وهذا واضحٌ جدّاً.

وقوله: لا يقوم بنفسه يعني العرض، ولا خلاف في أنّ الأعراض لا تقوم بنفسها، ألا ترى إلى صفرة الوجل وحمرة الخجل لا بدّ لهما من جسمٍ تظهران فيه، وهكذا البياض والسّواد والحركة والسّكون، ومراده بذلك أنّ الموت لا يقع إلاّ بمثالٍ في أعين الممزوجين.

وقوله: إنّ الجّسم مستغنٍ عن الأشياء يعني الصّورة مستغنيةٌ عن الأعراض، مظهرةٌ لها، وقوله، بعد كلامٍ طويل: إنّه ليس بخارجٍ عن حدّ الأجسام وهو خارجٌ عن حدّ الأعراض، وذلك أنّ الخالق ليس هو طعمٌ، ولا لونٌ، ولا رائحةٌ، ولا صوتٌ، ولكنّه جسمٌ آخر خامسٌ مفردٌ بالوحدانيّة القديمة الأزليّة يدرك بالعيان، شرح ذلك قوله: ليس بخارجٍ عن حدّ الأجسام – يعني في الظّهور – لا في الجّوهر والكيفيّة، وقوله: وهو خارجٌ عن حدّ الأعراض، وذلك لأنّ الأعراض، لا تقوم بنفسها ولا بدّ لها من جسمٍ تظهر فيه، وقوله: لأنّه يحدّ بغير هذه الحدود، يعني حدود الأعراض، وإن كان يدرك بحدود الأجسام في النّظر فإنّما ينفيها عنه بالقدر الّذي تظهر منه ليثبت حدود القدم.

وقوله: إنّ الخالق ليس هو طعمٌ، ولا لونٌ ولا رائحةٌ، ولا صوتٌ نفى أن يظهر بالأعراض، ثمّ إستدرك فقال: ولكنّه جسمٌ آخر خامسٌ منفردٌ بالوحدانيّة، أراد بقوله: جسمٌ آخر، أي مباينٌ للأجسام العرضيّة، وقوله خامسٌ منفردٌ، أي خارجٌ عن حدّ الطّبيعة، مباينٌ للأجسام المركّبة من الطّبائع الأربع، وقوله: يدرك بالعيان، أراد به الظّهور، والقديم لا يدركه المحدث، وقد وصفه بالقدم وأفرده عن الحدث ثمّ قال: يدرك بالعيان يعني به الظّهور الّذي هو دليلٌ على الوجود، فإنظر إلى هذا الكلام المتباين لفظاً المتّفق معنىً.

ثمّ قال: إنّ الله إذا أراد أن ينتقل فالإرادة محدثةٌ وإنّما ينتقل الجّوهر بالصّفة في الموضع وهو بالصّفة منتقل تفسير ذلك قوله: إذا أراد أن ينتقل فالإرادة محدثةٌ، أي إذا أراد أن يظهر فالظّهور محدثٌ وإرادة الباري تعالى قديمةٌ فيه، وهي فيه بالإستطاعة والفعل وليست كإرادة المخلوقين تبدو لهم حالاً بعد حالٍ، والقديم بمجرّد إرادته تحدث له الأشياء، وذلك لأنّه تعالى لا تدخل عليه الأعراض فينتقل من حال إرادةٍ إلى حال غير إرادةٍ أخرى، وإنّما عنى بالإنتقال الظّهور لا غير.

وقوله: وإنّما ينتقل الجّوهر بالصّفة في الموضع، وهو بالصّفة منتقلٌ، يريد بالجّوهر القدرة، وبالصّفة الصّورة، يعني تظهر القدرة بالصّورة فيبدو للخلق ما يعجزون عنه، وقوله: في هذا الموضع، يعني حجاب الظّهور الّذي يظهر فيه، وقوله: وهو بالصّفة منتقلٌ نفى عنه الإنتقال من حالٍ إلى حالٍ لأنّ حدّ الإنتقال هو ما شغل حيّزاً وأخلى حيّزاً، وهذا منفيٌّ عنه لأنّه يظهر ولا يتغيّر في ظهوره من حالٍ إلى حالٍ، فليس إنتقاله عرضيّاً فيتغيّر له، بل هو إنتقالٌ بالصّفة، يعني بإختلاف الصّورة وإتّفاق القُدر لإثبات الوجود ونفي العدم.

وقال السّائل: فهل يظهر كهيئة خلقه أو يخلق خلقاً يستتر به ويتكلّم منه.

أمّا قول السّائل فمفهومٌ، وأمّا قول العالم فقد تبيّن أنّ الظّهور حدثٌ وذلك لأنّنا رأينا صورةً نفيناها عن الظّاهر بها وأثبتنا النّاطق منها.

قال السّائل: فكيف صارت له صورةٌ؟ قال العالم: لحاجة المخلوقين إليها كحاجتهم إلى الكلام، لأنّه لا كلام إلاّ من صورةٍ، فأتاهم من حيث يعرفون.

قال السّائل: وكيف طوّل على العباد ولم ينادهم من مكانٍ واحدٍ بلا تفريق، يعني لِمَ لم يظهر ظهوراً لا إختلاف ولا غيبةَ له؟

قال العالم: إذا كانت القدرة للقادر فعلى النّاس أن يجيبوها من حيث جاءت ويصدّقوها من حيث ظهرت، وإن إختلفت الصّور فلم تختلف القدر، وإنّما يعبد صاحب القدرة الّذي له هذه الأشخاص المختلفة.

مسألةٌ على أهل الظّاهر.

يقال لأهل الظّاهر: هذا الرّسول لا يخلو من أحد قسمين: إمّا أن يكون من جنس المرسل إليهم وإمّا أن يكون من جنس المُرسِل، فإن قلتم: إنّه من جنس المرسل إليهم فهو بشرٌ مثلهم محدثٌ فكيف فهم عن القديم أمره ونهيه؟

وقد نرى المحدث لا يفهم عن المحدث وهو غير مباين له كالعربيّ لا يفهم عن العجميّ والعجميّ لا يفهم عن الرّوميّ والرّوميّ لا يفهم عن البربريّ مع أنّه لا إختلاف بينهم في الجّنس ولا في الصّورة والقديم مباينٌ للمحدث فكيف فهم عنه؟

وإن قلتم إنّه من جنس المرسِل فقد شاركه في القدم وذلك محالٌ، فإن قلتم بقدرته فالقدرة قديمةٌ لا يفهم عنها المحدث.

وإن قلتم: إنّ الباري لا يعجز أن يفهمه أمره ونهيه ولو كان محدثاً فالباري تعالى لا يعجزه شيءٌ ولكن إنّما يستدلّ بالممكن على الممكن، وبالكائن الشّاهد على الكائن الغائب.

فإن قلتم: إنّ الباري تعالى يقدر أن يفهم المحدث أمره ونهيه ألزمناكم: هل يقدر الباري أن يخلق مثله، وإن كان قادراً أن يخلق مثله فهل يكون مساوياً له؟

وهذا مستحيلٌ وقد جعله الله ممتنعاً، ونقول أيضاً قولاً يدلّ على إمتناعه: هل يقدر الباري أن يجمع السّموات والأرض في قشرة لوزةٍ لا السّموات والأرض تصغران، ولا القشرة تكبر، وهذا مستحيلٌ أيضاً ولو كان ممكناً لكان من العقل دليلٌ يشهد له فقد تبيّن فساد ما ذهبتم إليه.

وإن قلتم: إنّه فهم عن القديم أمره ونهيه بواسطةٍ لزمكم من الحجّة في ذلك ما لزمكم في الرّسول وقد تقدّم ونحن نبيّن إعتقادنا فيه فنقول: إنّ صاحب الشّريعة الّذي رأيتموه حجاب النّاظرين إليه، وإذا أتى بالقدرة فتلك دليل القادر، وإذا أتى بالعجز فتلك صفات الحجاب البشريّ ودليل ذلك أنّنا وجدنا لكلّ جسمٍ ظلاً في الشّمس أو في القمر وقد أجمع أكثر المسلمين أنّه لو يكن له ظلّ فعلمنا بأنّه خلاف ما رأيتم.

وقد قال الله تعالى: هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والْبَاطِنُ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، فلو لم يكن يظهر لخلقه ما كان لقوه الظّاهر معنى ههنا والعجز منسوبٌ إلى ما رأيتم

من الصّورة البشريّة والقدرة منسوبةٌ إلى القديم تعالى الله عن الأضداد علوّاً كبيراً إنّه على كلّ شيءٍ رقدير.

الباب الرّابع
في الصّفة والموصوف والإسم والمسمّي

فالصّفة تجلية الموصوف بما يعرف به، والإسم لفظٌ يدلّ على معنىً في نفسه، والصّفة تنوب مناب الإسم وتقوم مقامه، وتسدّ مسدّه، وتؤدّي معنى الإشارة إليه لأنّها تزيده حالةً أخرى وقد وضعت الصّفة لبيان الموصوف مثال ذلك: زبدٌ أبيض، فالزّبد هو الأبيض، والأبيض هو الزّبد، إلاّ أنّ الصّفة فرّقت بينه وبين ما كان أسود.

والإسم لفظٌ يدلّ على المسمّي وهو الصوت المفهوم بالحروف المقطّعة على ضربٍ من التّهجّي غير مقترنٍ بزمانٍ كقولك يا زيد ويا عمرو والصّفة تشارك الإسم فيما يؤدّي عنه وتزيده إيضاحاً، فهذا الفرق بين الإسم والصّفة، والإسم غير المسمّي، والصّفة غير الموصوف والفرق بين أسماء الباري وبين أسماء الخلق هي عبارةٌ عن ألفاظ وضعت لمسمّيات تدلّ عليها، وأنا أبيّن حال الإسم والصّفة في العبارة والأشخاص الّتي تحتاج إليها الخلق ليدعوا بها خالقهم إن شاء الله، أليس تقرّر أنّك إذا قلت: الله فهو الإسم، وإذا قلت: الرّحمن فهو الصّفة، والله هو الرّحمن، «أيّاً ما تدعو فله الأسماء الحسنى» فدلّنا الباري بهذا القول أنّ الله يؤدّي معنى الرّحمن، والرّحمن يؤدّي معنى الله من جهة العبارة الّتي إصطلح العالم عليها..

أمّا من جهة العلم الباطن والأشخاص فالله هو محمّد باطناً، ومحمّد هو الرّسول ظاهراً فإذا ظهرت القدرة فهي من الله، وإذا ظهر العجز فهو من الحجاب البشريّ الّذي عُرف بمحمّد كما تعرف أجسام الخلق، فكذلك جاز للإنسان أن يسمّي محمّداً وعليّاً، ولا يجوز أن يسمّي الله، والله واقعٌ على اللاّهوت ومحمّدٌ واقعٌ على النّاسوت الّذي نطق منه الله، وعليٌّ واقعٌ على الصّفة الّتي تظهر بمحمّد، والله بدا من

الله من غير إنفصالٍ ولا تبعيض وإليه معاده، والله عليّ والله محمّد، ولا فرق بين الله والله، وإنّ معنى الله هو معنى الله، وعليّ هو محمّد، وليس محمّد هو عليّاً، لأنّ القوّة ذاتيّةٌ للمعنى كالحرارة ذاتيّةٌ للنّار فإذا بطلت الحرارة من النّار فليست بنارٍ وهي بالميم إنتقال الظّهور، ومحمّد هو الله بإضافته القدرة، وليست هي الله بإضافتها إلى الصّورة.

فإذا ظهرت القدرة بطلت الصّورة، فمحمّد واقعٌ على ما شاهدتموه والله واقعٌ على القديم الأزل الّذي هو مباينٌ للمحدثات وكلّ حرفٍ نطق به اللّسان وقطعته اللّهاة فهو محدثٌ، والرّحمن ظاهره الحسن والحسن ومحمّد هو الحسن، والله هو الحسن، والحسن هو الرّحمن والرّحمن هو الله، وهذا قولٌ مطّرد في الباطن والظّاهر، والله الموفّق إلى طرق الهدى بإستحقاق إنّه على ما يشاء قدير.

الباب الخامس

في نفي الصّفة وإثبات المعنى المدلول عليه

إعلم أنّ الصّفة تقسم إلى قسمين: صفة قدم وصفةحدث، فصفة القدم غير مكيّفة ولا محدودة، ودليلها ظهور القدرة، وصفة الحدث مشاهدة بالأنظار والحدود والجّهات وهي الصّورة الأنزعيّة، وظهور القدرة منها دالٌّ على صفة القدم نافٍ عن صاحبها أنّه محدثٌ أو مكيّفٌ أو محدودٌ، بل ظاهرٌموجودٌ للوجود والعيان، عدلاً منه تعالى أن يخلق خلقاً ويكلّفهم عبادة معدومٍ.

وصفة الحدث موقعها التّنقّل من حالٍ إلى حالٍ في الظّهور بالصّور المختلفة بالأكوار والأدوار، وصفة القدم موقعها السّرمديّة الّتي هي غير مكيّفةٍ ولا محدودةٍ ولا ولا مدروكةٍ، ولا محسوسةٍ، وإنّما إفترض عليهم، أي على الخلق أن يعرفوا موقع صفات الحدث لأنّه ليس في إستطاعتهم أن يدركوا صفة القدم.

قال جعفر بن محمّد: من عرف مواقع الصّفة بلغ قرار المعرفة.

قال إسحق في كتاب الصّراط: حقيقة التّوحيد إفراد المعنى بالوحدانيّة وتخليصه من أسمائه وصفاته أنّها ذريّةٌ محدثةٌ مكوّنةٌ نصبها لنفي الصّفة إذا أظهرها للعيان ليوقع صفة ما أظهره على حقيقةٍ موجودة، والّذي أظهره من الرّؤية فله مواقع صفة تفسير ذلك موقع الصّفة هو موقع الظّهورات ونطقها.

وقوله: بلغ قرار المعرفة: القرار أراد به النّهاية وهذا لا يصحّ إلاّ لمن هو في قمص التّأجيل وإنّما أراد أن يعرف تعاقب حدث الصّفات وإفراد معناها عنها وأنّه غيرها وإنّما إشارته في هذا إلى المؤمن العارف البالغ والدّليل أنّ إشارته في هذا إلى معرفة صفات الحدث لا صفة القدم قوله – منه السّلام –: إنّ ورائي غيري وليس عليكم معرفة ذلك الغير أراد –بأن – للتّأكيد والوراء هنا يعني به الباطن الّذي أنا ظاهره وقوله غيري أراد به ليس عليكم أن تدركوا القديم لأنّه ليس في إستطاعتكم معرفته، ولستم تطالبون إلاّ بمعرفة الصّورة الّتي يظهر بها للجّنس كالجّنس، فهذا شرحٌ مستقصى نسأل الله التّوفيق بمنّه ورجمته إنّه جوادٌ كريمٌ عليٌّ عظيمٌ.

الباب السّادس

في الدّلالة على تناقض الظّاهر وإتّفاق الباطن واثباته

قال تعالى: وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاّ اللَّهُ، هنا الوقف، ثمّ إستأنف فقال: والرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا، فالرّاسخون مرفوعٌ بالإستئناف لا بالعطف على الله وسمّاهم راسخين لتسليمهم، وقال الله تعالى: إنّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وما قَتَلُوهُ وما صَلَبُوهُ ولكنْ شُبِّهَ لَهُمْ وقال: ونقلّب أفئدتهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة، وقال: وذروا ظاهر الإسم وباطنه[1]، وقال حكايةً عن نوح: «ثُمَّ إنّي أعلَنْتُ لَهُمْ وأسْرَرْتُ لَهُمْ إسْراراً » فدلّ هذا القول على صحّة الباطن، وما رأينا شيئاً من الموجودات إلاّ وله ظاهر وباطنٌ.

---

[1] الموجود في ما بين يدينا من القرآن الآن هو وذرُوا ظاهِرَ الإثم وباطنَهُ

القول على صحّة الباطن مسألة علينا لأهل الظّاهر، يقولون عرّفونا أمر هذا الباطن الّذي تدعون به: هل جاء خصوصاً أو عموماً؟ فإن قلتم: خصوصاً فقد حدتم عن طريق العدل الّذي هو أصل مذهبكم، ولا تلزمنا حجّة إذا لم نعتقده لأنّه لم يأمرنا به، ولا سمعنا منه، وإن قلتم: أتى به عموماً فما نراه إلاّ خصوصاً لقومٍ دون آخرين، ومتى إختصّ به قومٌ بأعيانهم فلا شيء على الباقين.

الجّواب نقول: إنّ الباري تعالى خلق الخلق وجعل فيهم إستطاعةً واحدةً متساويةً وأقدرهم على الإقرار والإنكار، ثمّ جعل الظّاهر دليلاً على الباطن لأنّه لا سبيل إلى معرفة باطن إلاّ بظاهرٍ والدّليل على أنّ بظاهر الأشياء يستدلّ على باطنها أنّك إذا رأيت صورة التّين وهي ظاهرةٌ علمت أنّه حلو المذاق وإنّما دلّ على انّه حلو لصورته الثّابتة عندك وهي ظاهرةٌ.

ألا ترى أنّك إذا رأيت ظاهره أخضر ثمّ لمسته فوجدته ليّناً علمت أنّه يانعٌ وأنّ داخله أحمر، وإنّما دلّ عليه ظاهره وكذلك الإهليلج إذا رأيته علمت أنّه مرٌّ لصورته الثّابتة عندك، ولو أنّك ما رأيت التّين قطّ ولا إهليلج لم تعرف حلاوة هذا من مرارة هذا حتّى تتناولهما بحاسّة الذّوق، وكذلك لا تعلم يانع التّين من فجّه حتّى تأخذه بحاسّة اللّمس فيدلّك لمس ظاهره على باطنه أنّه أحمرٌ لا أبيضٌ، وأنّه حلوٌ لا مرٌّ.

وأوّل ما يقع على الموجودات حاسّة النّظر وهي مدرك لظواهر الأشياء، وهذا قولٌ كافٍ إن شاء الله، ولو كان المراد بالشّرائع ظاهرها لما إختلافت أوامرها ونواهيها وتحليلها وتحريمها، لأنّه لا يجوز على القديم التّغيّر من حالٍ إلى حالٍ.

ألا ترى أنّ الشّريعة الّتي أتى بها موسى نسخت ما كان قبلها من الشّرائع وقد أمر عليه السّلام بتغييرها مثل مذهب الصّابئة والبراهمة وإعتقادهم في الكواكب أنّها تقرّب لهم الذّبائح وأنّ دخانها يصعد إليها وأنّهم بهذا العمل يفوزون ومعهم صحف إدريس الّتي حرّم عليهم في وصاياه أكل الباقلي والفراخ، وإعتكاف البراهمة على البدود وإعتقادهم أنّ بها يعرفون التّواريخ فلمّا أتى موسى غيّر ذلك ونسخه

ونقضه، وحرّم على اليهود الشّحم وألزمهم تعظيم اليوم السّابع وهو يوم السّبت، وألزم قيام الصّلاة في البراق، والتّوجيه إلى قبّة من عهد آدم كان فيها التّابوت، فلمّا عدموا القبّة توجّهوا إلى ذلك الموضع من القدس إذا قاموا إلى الصّلاة وجعل لها أحكاماً وشروطاً غير تلك الأحكام والشّروط.

ثمّ جاء عيسى بخلاف ذلك وعاكس الّذين تقدّموه لأنّهم دلّوا على غيرهم، وأشاروا إلى نفسه، ثمّ حلّل السّبت وكان موسى قد قال لهم: من حلّل لكم السّبت فاقتلوه، ولمّا حلّله قال له اليهود: حلّلت السّبت؟ قال أنا ربّ السّبت، ثمّ إنّ أصحابه عظّموا الأحد لإعتقادهم أنّه فيه قام من القبر وصعد ثمّ جاء عيسى بخلاف ذلك وعاكس الّذين تقدّموه لأنّهم دلّوا على غيرهم، وأشاروا إلى نفسه، ثمّ حلّل السّبت وكان موسى قد قال لهم: من حلّل لكم السّبت فاقتلوه، ولمّا حلّله قال له اليهود: حلّلت السّبت؟ قال أنا ربّ السّبت، ثمّ إنّ أصحابه عظّموا الأحد لإعتقادهم أنّه فيه قام من القبر وصعد إلى السّماء، ثمّ صلّوا إلى الشّرق معتقدين التّوجيه إليه لأنّ اليهود جعلوا وجهه إلى الشّرق لمّا صلبوه فتوجّه النّصارى إلى الشّرق ثمّ إنّه لم يكلّفهم تكليفاً، ولكنّ أصحابه أمروا بالتّكليف، وذلك لأنّه قال لهم: ما حلّلتموه فهو محلّلٌ، وما حرّمتموه فهو محرّمٌ فأمر أصحابه بالقربان والخبز والخمر.

ثمّ إنّه أظهر لهم العجز فأخذه اليهود وقتلوه وصلبوه، فكذّبهم الله على لسان محمّد بقوله عزّ من قائل: وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم.

ثمّ إنّ محمّداً أتى بضدّ هذه الشّريعة وعكسها فأمرهم بالتّوجّه إلى الكعبة والجّهاد وصوم شهر رمضان وتعظيمه، وحرّم لحم الخنزير، وغير ذلك ونسخه، والله أعظم وأجلّ وأكرم من أن يأمر بشيءٍ يجعل فيه طاعته، ثمّ يأمر بتغييره وتبديله، ثمّ يبعث نبيّاً آخر ويأمره ان يأمر الخلق بشيءٍ فيه طاعته ورضاه وينهاهم عمّا فيه سخطه ومخالفته، ثمّ يبعث نبيّاً بعده بضدّ ما أتى به الأوّل تعالى الله علوّاً كبيراً، لأنّ الحكيم لا يدخل عليه التّغيير من حالٍ إلى حالٍ، وهو أجلّ وأعلى من أن يجعل رضاه في جوع كبدٍ أو سفرٍ أو حركات الأعضاء، أو قتالٍ، أو يجعل سخطه

في أكل لحمٍ أو شرب خمرٍ يعود عذرة وبولاً، وأيّ حكمةٍ في ذلك أن يكلّف خلقه تكليفاً لا ينتفعون به، ثمّ إذا قصّروا عن ذلك التّكليف عاقبهم عليه.

وإنّما نفس العدل أنّه إفترض عليهم المعرفة وجعل الجّزاء عليها ثواباً، ونهاهم عن الجّهل وجعل الجّزاء عليه عقاباً، وكلّ ما أتت به الشّرائع من تحليلٍ وتحريمٍ وأوامر ونواهٍ فهي أشخاصٌ تدلّ على معنى واحد، أشخاصٌ أمر الله بمعرفتها وطاعتها، وأشخاصٌ نهى الله عنها، وأمر بالبراءة منها، وكلّ ذلك يدعو إلى معنى واحد، ويدلّ على معنى في الباطن، وهذا موجودٌ عندنا يؤخذ بالتّسليم عن الصّادقين منهم السّلام، إذ قد بيّنت الأصول على النّظر وقد قال تعالى في كتابه الكريم: «قالُوا يا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا » وقال: «الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ والْمُنْكَرِ، وقال: «وذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى »، فدلّ هذا القول على أنّ الصّلاة آمرةٌ ناهيةٌ، وإنّ الذّاكر إسم ربّه مصلٍّ، وإنّ هذه حركات أعضاء فكيف تكون آمرةً ناهيةً.

فإن قلت: فلم فعلها وحثّ عليها؟

الجّواب: قد عرّفناك أنّه أقام ظاهراً جعله دليلاً على الباطن، ولو لم يفعل ذلك لم يعرف إلاّ ظاهراً ولا باطناً، وممّا يبيّن فساد الظّاهر أنّه يبعث في أقصى بلد الصّين رسولاً مثله يأمرهم بما أمرنا به سواء من فرائض صومٍ وصلاةٍ وحجٍّ وزكاةٍ وجهادٍ وغير ذلك إن كانوا خلقاً مثلنا فلم خصّصنا نحن برسولٍ وأهمل ذلك القوم، وقد روي لنا أنّ في الصّين قوماً ما سمعوا بذكر محمّد ولا جاءهم رسولٌ بهذا المعنى، وإنّما الباري تعالى يظهر في كلّ جنسٍ كهو ليدلّ على وجوده ولا ينكر بإختلاف الشّرائع والظّهورات.

ألا ترى أنّه ظهر للفرس كهم، وحلّل ما حظّر في هذه الشّرائع، ثمّ غاب في النّار فهم يعظّمونها إلى الآن، وكذلك يظهر في كلّ جنسٍ كالجّنس من غير إدراكٍ ولا حصرٍ ولا إحاطةٍ، بل إثباتاً وإيجاداً وعياناً، كلّ ذلك عدلٌ منه تعالى.

فإن قلت: إنّ موسى وغيره من الرّسل لم يشيروا إلى أنفسهم وإنّما أشاروا إلى غيرهم وقالوا: نحن رسلٌ فالجّواب قد تقدّم القول في هذا أنّ موسى وغيره حجابٌ ظهر به القديم في وقت إظهار القدرة فهو الله بإضافته إلى القدرة، وليس هو الله بإضافته إلى الصّورة وإنّما دلّ النّاس على الظّاهر به أنّ ما كان من قدرةٍ فهي منسوبةٌ إلى القادر، وما كان من عجزٍ فهو منسوبٌ إلى الحجاب البشريّ اللّحميّ الدّمويّ الّذي شاهده الخلق كأحدهم، ولو ذهبنا إلى شرح ما قاله كلّ واحدٍ منهم من كلامٍ يدلّ على ما ذكرناه لطال بنا الشّرح مثل قول محمّد صلعم وعلى آله: إنّي لست كأحدكم، إنّي أظلّ عند ربّي يطعمني ويسقيني، فقد نفى عنه بهذا القول الأكل والشّرب، ومثل هذا كثيرٌ قد تركناه إختصاراً.

فإن قلت قد قال الله: «وما محمّدٌ إلاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم » وقال على لسان محمّد صلعم وعلى آله: قل إنّما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ، وقال حكاية عن المسيح: ما المسيح بن مريم إلاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرّسل وأمّه صدّيقة كانا يأكلان الطّعام، وقال: ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك، وقال: إنّا أرسلنا نوحاً إلى قومه.

فنقول قد تقدّم القول عنه بقوله إنّما أنا بشرٌ مثلكم، أي ظاهرٌ لكم كأنتم، وهذا القول واقعٌ على الحجاب البشريّ وما كان من قدرةٍ فهو منسوبٌ إلى القديم، وإنّما الصّفة البشريّة حجابٌ وواسطةٌ وقع النّظر عليه والأمر والنّهي منه، يدلّ بذلك على الباطن يظهر به لأنّه لا كلام إلاّ من صورةٍ.

فإن قلت: قد قرّرت أنّ الباري تعالى قادرٌ على كلّ شيءٍ فكيف لم يقدر الخلق على المعرفة ويمنعهم من الإنكار؟

فالجّواب قد بيّنت ذلك أنّه لمّا خلق الخلق جعل فيهم إستطاعةً واحدةً وأقدرهم على الإقرار والإنكار عدلاً منه وإنصافاً ولم يقض عليهم بطاعةٍ ولا معصيةٍ، بل جعل الإستطاعة فيهم واحدةً ثمّ إحتجب بخلقه ونطق من ذلك الحجاب وأظهر منه القدرة لتكون دليلاً على قدمه، فأقرّ وأنكر من أنكر، ولو أجبرهم على الطّاعة

والمعصية لخرج بذلك عن حدّ العدل، فإن قلت: أليس قد علم من الطّائع أنّه سيطيع، ومن العاصي أنّه سيعصي؟ فالجّواب: أنّا نقول: قد علم ولكن ليس علمه فيهم قضاءً عليهم بطاعةٍ أو معصيةٍ بل جعل لهم القدرة والإستطاعة على الفعل والتّرك لئلاّ يلزم الجّبر والإكراه.

فإن قلت نحن نرى الخلق متباينين في الإستطاعة بالعلم والرّزق والأجل والخلق ولسنا نراهم في تعديلٍ واحدٍ ونظامٍ واحد.

فالجّواب إنّما وقع التّعديل بينهم في الإبتداء وهم أشخاصٌ نوريّةٌ قبل أن يخلق لهم هذه الأبدان اللّحميّة الدّمويّة ويكرّرهم فيها، وإنّما بالتّكريرات لحق كلّ واحدٍ منهم ما إستحقّ من خيرٍ وشرٍّ، وغنىً وفقرٍ، وصحّةٍ وسقمٍ، وعلمٍ وجهلٍ، وثوابٍ وعقابٍ، وسيأتي بيانه في باب التّناسخ إن شاء الله.

فإن قلنا لك: هل خلق الله الخلق تفضّلاً منه عليهم أو لحاجةٍ منه إليهم؟ فإن قلت: تفضّلاً فقد كانوا في حال العدم، وإنّما التّفضّل على موجودٍ لا على معدومٍ ثمّ جعلهم مكلّفين بين طاعةٍ يثابون عليها ومعصيةٍ يعاقبون بها، وليس هذا وجه التّفضّل، وإن قلت لحاجةٍ فالباري غير محتاجٍ إلى شيء، وإن قلت: لا تفضّلاً ولا لحاجةٍ فهو عابثٌ، والله يجلّ عن العبث..

الجّواب إن قلت: هل يجوز لفاعلٍ أن يسمّى فاعلاً إن لم يفعل وهل يجوز للفاعل أن يسمّي فاعلاً قبل أن يحدث منه فعلٌ؟

فنقول وهذا بقسم الضّرورة: لا بد للفاعل من فعلٍ وإلاّ لم يسمّ فاعلاً قبل أن يحدث منه فعلٌ.

فإن قلت: الباري خالقٌ أم غير خالقٍ؟

فنقول: خالقٌ ولم يزل خالقاً والخلق فعله، ولو لم يخلق ما جاز أن يقال له خالق، وإن كان الفعل معه قديماً بالإستطاعة، فلمّا خلق سمّي خالقاً ولم يزل مستطيعاً للفعل، والفعل معه قديمٌ بالإستطاعة ظاهراً يحدث بإحداثه له.

فإن قلت: إنّ الباري تعالى كان ولا خلق ولا صفة ولا واصف ولا موصوف وهذه نسبة القديم، ثمّ خلق الخلق فكيف نقول: إنّه لم يزل يَخلُق؟

فالجّواب إنّ أفعال خلقه هي المحتاجة إلى الزّمان والمكان حتّى يقال فيها قبل وبعد، والقديم أفعاله غير محتاجةٍ إلى زمانٍ ومكانٍ إذا كان هو محدث الزّمان والمكان وفعله فعل إستطاعةٍ في الفاعل قبل أن يظهره إلى الفعل وهذا قولٌ كافٍ.

الباب السّابع

في إثبات العدل

قال الله تعالى مخبراً عن عدله في كتابه:«إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً ولَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»، وقال: ولن يتركم أعمالكم، وقال: من يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شرّاً يره، وقال: وإن يكن من مثقال حبّةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين، وقال: ما ترى في خلق الرّحمن من تفاوتٍ.

ولو كان العدل على ما يدّعيه أهل الظّاهر لكان التّفاوت كلّه، فنرى فيه الأزمن والمفلوج، والأعمى، والأسلّ، والسّقيم والفقير، ونرى فيه الصّحيح الجّسم، والمليح الصّورة، والكثير المال فواحدٌ يبيت جائعاً، والآخر له عدّة عبيدٍ وخدمٍ وحشمٍ يرمون له الطّعام وهذا لعمري هو التّفاوت والجّور بعينه في إعتقاد من يعتقد أنّه عدلٌ من الباري على هذا الوجه، ويحتجّ بالتّعويض عن جميع ما يلحقه في الدّنيا يوم القيامة.

وهذا رأيٌ فاسدٌ وإعتقادٌ محالٌ ينسب الباري فيه إلى الجّور تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

ونحن نقرّر الأصل عند من يعتقد هذا الإعتقاد ونبيّن فساد ما ذهب إليه لمن إعتقد العدل من أهل الظّاهر وتكلّم عليه فنقول لك.

ما ذنب الطّفل يخرج من بطن أمّه أعمى، ويخرج أزمن ومفلوجاً، وبم إستحقّ ذلك؟

فإن قلت: أعماها الله ليعوّضه يوم القيامة فهذا نفس الجّور لأنّ التّعويض يكون بالمراضاة وهذا مجبرٌ على العمى، فهل يجوز في حكم العدل أن يقطع السّلطان يدك بغير ذنبٍ ويعوّضك منها ألف دينارٍ وأنت كارهٌ لما فعله بك.

هذا نفس الجّور تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

فإن قلت: رأى الباري في عماه خيراً له فأعماه كما إن رأى الطّبيب عضواً يفسد البدن فقطعه، وكما أنّ الطّبيب يمنع الطّفل الفالوذج ويطعمه الإهليلج عند العرض الدّاخل عليه، وليس في هذا شيءٌ من الفساد ولا من الأعراض الّتي العمى ينفعها ويدفعها.

وأيّ منفعةٍ في الفقر وهو يولد وينشأ ولا يقدر أن يشبع الخبز، وآخرٌ مثله له عبيدٌ ورزقٌ كثيرٌ.

فإن قلت: قد علم الله منه أنّه إذا خلقه صحيح العينين إرتكب المحارم، وإذا خلقه صحيح الرّجلين سعى في الأرض فساداً، فهذا قولٌ يفسد من وجهين.

أحدهما أنّ الباري لا يطالب العباد بعلمه فيهم لأنّه تعالى أعدل من ذلك.

والثّاني أنّا نرى منهو صحيح العينين يرتكب المحارم، وصحيح الرّجلين يسعى في الأرض فساداً، وكثير المال يحتقب الأوزار ويسعى على الأنفس ويتسلّط عليها بماله فلم منع هذا البصر واليدين والرّجلين لعلمه به أنّه سيفعل مثل هذا السّالم المعافى من العاهات كلّها، فلم أعطى هذا وسلب ذلك الآلة الّتي يقدر بها على المعاصي المرتكب لها فهذا قولٌ يبيّن فساد ما ذهبتم إليه.

ونحن نبيّن وجه العدل على مذهبنا فنقول بتوفيق الله.

إنّ الأعمى والأزمن والمفلوج وصاحب هذه الأعراض كلّها إنّما يلحقه ذلك مجازاة له على فعلٍ سلف منه في غير ذلك الجّسم، وإنّ الإنسان ينتقل من جسمٍ إلى جسمٍ ويكون قد تقدّم له في قميص قبل ذلك القميص الّذي عمي فيه، ذنبٌ إستحقّ فيه

العمى يعمى، أو ذنبٌ إستحقَّ به الفقر فيفتقر، وكذلك الّذين أعطاهم الله الدّنيا فقد عملوا ما إستحقّوا به الغنىفإستغنوا على قدر فعلهم سواء خيراً بخير، وشرّاً بشرّ، وسندلّ على هذا في باب التّناسخ ونقيم عليه الدّلائل بحجّةٍ شرعيّةٍ وعقليّةٍ في بابٍ عقيب هذا الباب إن شاء الله.

ألا ترى أنّ كثيراً من الملوك المتجبّرين المتكبّرين الّذين يقتلون الأنفس بغير حقٍّ، ويأخذون الأموال غصباً إنّما أعطاهم الباري ذلك عدلاً بما قد سلف منهم من الفعل الّذي إستحقّوا هذا ليوفيهم أجورهم، ثمّ يحاسبهم على ما إقترفوا منالآثام فيجازيهم عليه.

فإن قلت: يجب على جهة العدل أن يثيبه على ذلك الفعل في ذلك الجّسم ويعاقبه في ذلك القميص الّذي عمل فيه الشّرور، ولا يجوز أن يعاقبه في جسمٍ لم يقترف فيه الذّنب.

فالجّواب إنّ الثّواب والعقاب واصلٌ إلى الرّوح لا إلى الجّسم، والدّليل على صحّة ذلك أنّ الجّسم إذا فارقته الرّوح لا يحسّ بالألم ولو أحرقته، ولا يلتذّ بلذّةٍ ولو طيّبة فلا يحسّ بعقابٍ ولا يلتذّ بثوابٍ، ولمّا كان ذلك كذلك كانت الرّوح هي المعاقبة والمثابة فلا تبالي في أيّ جسمٍ كانت إذ الألم واصلٌ إليها، وهذا بيانٌ واضحٌ قال تعالى: كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ.

وإلاّ فماذنب ذلك الجّسم الّذي لم يعص الله فيه يعاقب بالعذاب، ولولا أن تكون حقيقة العذاب للرّوح والألم واصلٌ إليها لا إليه ما جاز التّبديل لأنّه لا يشعر بشيء.

والجّلود الّتي يبدّلها الله هي المسوخيّات والمركّبات في المذبوحات وغيرها من أنواع العذاب نسأل الله أن يعيذنا من ذلك إنّه على ما يشاء قدير.

فإن قلت: فلم جعل في الخلق إستطاعةً للشّرّ حتّى يعصوه إذا فعلوه ثمّ أقدرهم عليه، ولم يجعل لهم طريقاً إلى الخير فقط، ولم يجعل لهم طريقاً إلى المعصية فتكون سبباً لهلاكهم وتعذيبهم، وهذا لعمري سؤالٌ فيه صعوبةٌ فتأمّل معناه يتّضح لك إن شاء الله الجّواب.

إنّ الله خلق الشّيء وضدّه دليلاً على وحدانيّته يدلّ به عليه، ولحاجة المخلوقين إليه، فخلق اللّيل والنّهار والحركة والسّكون،و الفرح والحزن، كلُّ ذلك لحاجة المخلوقين إليه ليدلّهم على وحدانيّته، فلو لم يخلق اللّيل ما عرفوا حساب السّنين والشّهور، وكان النّهار عليهم سرمداً، ولم يعرفوا للسّنين عدداً، ولو لم يخلق السّكون ما عرفت الحركة، لأنّ الحركة عدم السّكون وحدّ السّكون عدم الحركة، وكذلك الفرح والحزن يجريان هذا المجرى، فخلق الأشياء وخلق أضدادها لحاجة المخلوقين، وكذلك لولا الإنكار ما عرف الإقرار، ولولا المعصية ما عرفت الطّاعة.

وبالجّملة أقوال: إنّ الطّاعة والمعصية ليستا من فعل الباري تعالى، بل من أفعال خلقه حيث جعل فيهم إستطاعةً واحدةً يقدرون بها على الطّاعة والمعصية، فجعلهم مستطيعين ولم يجبرهم بشيءٍ ولم يقضِ عليهم بشيءٍ سبحانه وتعالى عمّا يشركون.

فإن قلت: قد قال الله بكتابه خلاف ما قلت وهو قوله عزّ من قائل: من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً، وقال: إنّك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء.

الجّواب وبالله التّوفيق: إنّ الله تعالى قد دلّ على هذه الآيات بغيرها بكتابه، إنّه فعل فيهم هذا بإستحقاقهم فهدى قوماً إستحقّوا الهدى، وأضلّ قوماً إستحقّوا الضّلالة، قال الله: إنّ الله لا يهدي من هو كافرٌ كذّابٌ وقال: فريقاً هدى وفريقاً حقّ عليهم الضّلالة، فإستحقّها هذا في باب الضّلال وهذا في باب الهداية، وقال: إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات يهديهم ربّهم بإيمانهم فأولئك سبق منهم الكفر فأضلّهم، وأولئك سبق منهم الإيمان فهداهم قال تعالى: «وأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى.

الباب الثّامن
في الدّلالة على التّناسخ

أوّل ما نبدأ فيه من المعقول فنقول: إنّ الإنسان متحركٌ في حال الحياة قائمٌ قاعدٌ، فإذا مات نراه جماداً فلا بدّ بقسم الضّرورة إلاّ أن يكون للرّوح الّتي تخرج منه مستقرٌّ تحلّ فيه، ولا يجوز أن تكون إلاّ في جسمٍ متحرّك.

والدّليل على ذلك أنّا نرى النّار لا بدّ لها من جسمٍ تتعلّق به، ولا يمكن أن ترى إلاّ في جسمٍ، وكذلك الرّوح لا بدّ لها من جسمٍ بسيطٍ أو مركّب، كذلك النّار إن لم تجد جسماً مركّباً تعلّقت في الهواء وعادت إلى عنصرها الّذي منه بدت والدّليل على أنّ النّار تتعلّق بالهواء أنّها لا تثبت إلاّ في جسمٍ ما نراه في الزّناد والسّلاّط والحرّاق، فالسّلاّط يحكّ الزّناد فيدخل الهواء بينهما فتنقدح النّار بقوّةٍ جاذبة، وتثبت في جسم الإحتراق، وهذا قول أرسطاطاليس في النّار، ولا خلاف عند أهل العقل والقياس في ذلك.

وأمّا المنقول فقد دلّ الله تعالى على التّناسخ في كتابه فقال: « يا أَيُّهَا الإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَواكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ » وقال: «وما مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ ولا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنَا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ، وقال: لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ »، معناه جسماً عن جسمٍ، وقال: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها، جاء بالتّفسير يجعل لحاها أذنابها، وقال: كونوا حجارةً أو حديداً أو خلقاً ممّا يكبر في صدوركم، جاء في التّفسير أنّه الذّهب والفضّة، وقال: وجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ والْخَنازِيرَ، وقال: كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ. وآيٌ في القرآن مثل هذه كثيرةٌ إقتصرنا منها على موضع الحاجة.

فإن قلت: فلم لا يذكر الإنسان النّقلة الّتي ينتقل بها من جسمٍ إلى جسمٍ ليكون أوكد في الحجّة وتكون ظاهرةً.

فالجّواب وبالله التّوفيق: إنّا نرى الإنسان يدخل عليه السّهو النّسيان وهو في هذا الجّسم الّذي لم ينتقل منه فكيف لم ينس حالته في هيكله الأوّل، وذلك أنّ الإنسان لو إجتهد أن يذكر قطع سرّته لم يذكر وأولى أن لا يذكر ما كان منه فيما تقدّم من ذلك الجّسم وهو دليل النّسيان.

الباب التّاسع

فيما يجب تقليده من بدء الخلق وتركيبه

وهو ما نقلته الثّقات عن موالينا أهل البيت علينا من ذكرهم السّلام إذ قد بيّنت الأصول على العقل والله الموفّق والمرشد.

قال أبو محمّد الحسن بن شعبة الحرّاني شرّف الله مقامه في كتابه المعروف بحقائق أسرار الدّين: بأنّ يونس بن ظبيان سأل المفضّل بن عمر فقال المفضّل: سألت مولاي العالم على ذكره السّلام: ما أوّل ما خلق الله من شيء؟ فقال: النّور الظّلّيّ، قلت: وممّ خلقه؟ قال: من مشيئته ثمّ قسمه أظلّةً، ألا ترى قول الله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ولَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً، ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً ».

قلت: وعلى أيّ مثال خلقه؟ قال: على مثال صورته، ثمّ قسمه أظلّةً، فنظر بعضهم إلى بعض، فرأوا أنفسهم فعرفوا أنّهم كُوِّنُوا بعد أن لم يكونوا، وجعل فيهم إستطاعةً واحدةً، ثمّ إنّ الله أدّبهم، قلت: كيف أدّبهم؟ قال: سبّح نفسه فسبّحوه، وحمد نفسه فحمدوه، ومجّد نفسه فمجّدوه، ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ كيف يثني عليه ويشكره، ثمّ خلق من الأظلّة أشباحاً وجعلها صوراً، وجعلها لباس الأظلّة.

ثمّ خلق الحجاب الأعلى وتلا قوله تعالى: «وما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وحْياً أَوْ مِنْ وراءِ حِجابٍ ».

وقال أبو محمّد في كتابه المعروف بكتاب الإبتداء قال: سأل يونس بن ظبيان موسى بن جعفر منه السّلام: ما أوّل ما خلق الله تعالى؟ فقال: أوّل ماخلق الله تعالى أهل النّور الأوّل أظلّة ثمّ قسمهم أشباحاً، ثمّ جعلهم طرائق، ثمّ أشخاصاً نوريّة فجعلهم حسّاسين درّاكين ثمّ ظهر لهم كمثلهم ودعاهم إلى نفسه فأجابوه، فغيّر عليهم الظّهور فأجابوه، ففعل ذلك سبع دفعات وهم يجيبون.

ثمّ سطح سطحاً ثانياً، ثمّ قسمه أظلّةً، ثمّ أشباحاً ثمّ طرائق، ثمّ أشخاصاً، ثمّ ظهر لهم كمثلهم فأقرّوا، ففعل ذلك سبع دفعات كما فعل بأهل النّور الأوّل ثالثاً ورابعاً، وخامساً وسادساً، حتّى إنتهى لخلق النّور السّابع وجعل فيهم الإستطاعة متساويةً مثلما جعلها في أهل النّور الأوّل وفي أهل النّور الثّاني عدلاً منه تعالى، ثمّ قسمهم أظلّةً، ثمّ أشباحاً، ثمّ طرائق، ثمّ أشخاصاً، ثمّ ظهر لهم كهم، ودعاهم إلى نفسه فأجابوه وهو قوله تعالى: قالوا بلى، والظّهور هنا النّزول إلى هذه الأرض.

ثمّ غيّر عليهم الظّهور، وكرّر كما فعل بمنتقدّمهم وقال لهم: عبادي قد أذنت لكم أن تنزلوا إلى الأرض فقالوا، وقد داخلهم ضعف اليقين: تعالوا نجتمع إلى ربّنا ونسأله أن لا ينزلنا إلى الأرض وأن يتركنا في سمائه نعبده، فلذلك صارت النّقلة صعبةً، فقالوا إلهنا لا تهبطنا إلى الأرض وإتركنا في السّماء، فقال لهم: عصيتموني بردّكم عليّ قولي، فلو قلتم إلهنا لك المشيئة والقدرة تفعل بنا ما تشاء لكنت شكرت ذلك من فعلكم لكن قد وجب لكم عليّ أن تهبطوا إلى الأرض وأخلق لكم الأبدان الطّينيّة اللّحميّة الدّمويّة وأحتجب فيما أخلق لكم فمن عرفني هنا عرفني هناك، ومن أنكرني هنا أنكرني هناك.

فقالوا: إذا خلقت لنا أجساماً وحجبتنا بها وإحتجبت بها، وظهرت لنا عرفناك، ووحّدناك ولا نعصيك كما قد عصاك من تقدّمنا من العوالم الّتي أهبطتهم إليها دليلُ ذلك قوله عزّ وجلّ: «وإذْ قالَ ربُّكَ للْملائكةِ إنّي جاعلٌ في الأرْضِ خليفةً قالُوا أ تجْعَلُ فيها منْ يُفْسدُ فيها ويسْفكُ الدّماءَ ونَحْنُ نُسبِّحُ بحمْدكَ ونُقدّسُ لَكَ قالَ إنّي أعلَمُ ما لا تَعلَمُونَ «وعلَّمَ آدَمَ الأسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عرَضَهُمْ علَى الْملائكةِ فقالَ أنْبئُوني بأسْماءِ

هؤلاء إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ » قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إلاّ ما عَلَّمْتَنا إنَّكَ أنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ » فآدم في هذا الموضع هو الحجاب الّذي إحتجب به عنهملمّا أهبطهم إلى الأرض، ألا ترى إلى قوله: «قالَ يا آدَمُ أنْبِئْهُمْ بِأسْمائِهِمْ فَلَمَّا أنْبَأهُمْ بِأسْمائِهِمْ قالَ أ لَمْ أقُلْ لَكُمْ إنِّي أعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ والأرْضِ وأعْلَمُ ما تُبْدُونَ وما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ»، ووصف النّجوم المزيّنة وأنّه لا يرى وصفاً يطول شرحه لو إستغرقناه والحجاب الآدميّ منسوبٌ إلى الطّبيعة وأصل الآدميّة من التّراب بدا وإليه يعود، فلمّا ظهر لهم تعالى بالحجاب البشريّ الآدميّ كصورهم، ثمّ دعاهم إلى نفسه فبعضٌ عرف وبعضٌ أنكر على علمٍ منه بطريق الإقرار والمعرفة.

وقد قال الله تعالى: «وأضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ بطريق الهدى:، وإنّما أضلّه الله بعد أن إستحقّ الضّلالة، وقد بيّنّا هذا في باب إثبات العدل فأبلسوا، وكلّ إنسانٍ إبليسه المزاج والكدر الّذي فيه ولكن يتفاضل لأنّ هذا مشتركٌ فيه المؤمن والكافر ولكنّه مع الكافر يستحيل النّور ظلمةً لغلبة المزاج والكدر عليه، وذلك لأنّه جحد على علمٍ منه بطريق الهدى فإستحال مزاجه فصار إبليساً ومع المؤمنين ممتزجٌ غير مستحيل لأنّهم أقرّوا فآمنوا من الإستحالة وهو يتفاضل فيهم بحسب الإستحقاق وإنّما المؤمنين لقبح أعمالهم.

ألا ترى أنّ الإنسان يعمل في بعض قمصه عملاً يستحقّ أن يكرّ في قميصٍ أشرف من ذلك القميص وأوسع علماً ومعرفةً وأكثر مالاً وجاهاً وعبيداً، فيكرّ في ذلك القميص فيعرض له من المزاج الّذي فيه الشّحّ والبخل على إخوانه بدنياه، فيستحقّ أن يكرّ في قميصٍ آخر ذليلاً فقيراً مظلماً، وربّما حجب فيه عن المعرفة، ولولا ذلك لم يكن على وجه الأرض مؤمنٌ.

وإنّما تكريره بإستحقاق ما فعله مع إخوانه، وثوابه على حسب ما يفعله معهم قال تعالى: «ومَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » وما يحثّ نفسه على العلم لأنّ النّفس الجاهلة كدرةٌ، والعالمة شفّافةٌ مضيئةٌ والمؤمنون يرقون إلى عالم الصّفاء،

وهو عالم العقل، والكافرون يرتون في المركّبات ويمزّقون في القشاش وفي الدّردور خالدين، ونحن نبيّن ذلك في باب نهاية المؤمن والكافر إن شاء الله تعالى.

وفي هذه الدّار كانت الدّعوة الّتي جرت في العالم، والإمتحان ههنا واقعٌ والإقرار والإنكار والجّزاء والوفاء، وعالم العقل فهو نهاية المؤمن، ثبّتنا الله وإيّاكم بالقول الثّابت إنّه وليّ ذلك والقادر عليه، وقد وردت رواياتٌ كثيرةٌ غير ما شرحناه ذكرها أبو محمّد الحسن بن عليّ بن شعبة الحرّاني رضي الله عنه في مصنّفاته وحكاها كما جاءت ونقلها من سمعها منه، وهذه الرّواية الّتي أوردناها أثبت في العدل وأوضح في حجّة العقل، وهذا شرح هذا العالم على أنّه كم من العوالم، وكم مضى من الدّهور والأحقاب والأدوار والأكوار، وهذا دالٌّ على قدم الباري تعالى ووحدانيّته وعظم ملكه سبحانه وتعالى عمّا يشركون.

وممّا يدلّ على ذلك ما قاله جعفر بن محمّد منه السّلام وقد سأله بشّار الشّعيري: يا مولاي هل كان آدم قبل آدمنا، وعالمٌ قبل عالمنا؟

قال: نعم كان آدمٌ وآدمٌ حتّى عدّ واحداً وعشرين آدم.

قال: وسأله أيضاً إذا حصل أهل الجنّة في الجنّة وأهل النّار في النّار هل يخلق الله خلقاً غيرهم؟ فقال: يا بشّار تريد أن تعطّل ملكه؟ إنّ ربّك لم يزل خالقاً بلا نهاية.

وهذا خبرٌ أحسن ممّا أوردناه في كتاب حقائق أسرار الدّين.

قال: حدّثني الحسن بن محمّد العلويّ، قال: حدّثني عليّ بن أحمد العقيقي عن أبيه أحمد بن إبراهيم، عن محمّد بن عبد الله بن مهران قال: سألت مولاي الصّادق منه السّلام: كم مضى من الدّنيا؟

قال: مضى من الدّنيا أربعمائة ألف حقب وكلّ حقب أربعمائة ألف سنة، في كلّ حقب سبعة أوادم، وفيكلّ آدم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد.

وهذا دليلٌ على ما ذكرناه.

وممّا يؤكّد ما شرحناه أنّ الأجسام ظهرت من التّراب، وممّا ذكره أبو محمّد بن شعبة قدّسه الله في كتاب حقائق أسرار الدّين من قول العالم على ذكره السّلام في كتاب الهفت وهو رواية المفضّل نضّر الله وجهه: طبائع الإنسان المرّة والرّيح والدّم والبلغم، ودعائمه العقل والفطنة والحفظ والعلم، وأركانه النّار والنّور والهواء والماء، وصورته طينيّةٌ فهو ينظر بالنّور، ويأكل ويشرب بالنّار، ويجامع ويتحرك بالرّيح، ويجد الطّعم والذّوق بالماء.

فإذا صفا المؤمن رقّت الرّوح إلى عالمه الّذي منه بدأت، ويعود التّراب إلى التّراب وكلّ عنصرٍ إلى عنصره، وهذا دليلٌ على قولنا.

وممّا أوردناه في هذا الكتاب قال: أخبرني أبو عبد الله محمّد بن يعقوب المدائني قال: لقيته وهو شيخٌ كبيرٌ بالموصل، عن محمّد بن عبد الله النّيسابوريّ، عن أحمد بن العبّاس بن الحريز، عن إبراهيم، عن عمير، عن أبي يحيى المكفوف، عن إبراهيم بن زيد، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السّلام وقد سألوهما عن الكرسي وصفة العرش وصفة الخلق وهو كتابٌ مترجمٌ بكتاب «الكرسي والقلب والقرآن » إختصرنا منه موضع الحاجة إليه: إنّ الله خلق أركانه أربعة علم وقدرة ومشيئة وإرادة، وأسكن فيهم الأرواح الأربع: روح القدس، وروح الإيمان، وروح ذي المعارج، وروح الأمر فباطن أركانه الأرواح، فجمعهم بالأرض وغرس الأركان على الماء المعين الّذي خلقه بالقدرة بلا شبحٍ، ولا جسدٍ ولا حدودٍ، قائمةً قياماً غير معدومٍ وهو قوله: وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيّ أفلا يؤمنون وكان عرشه على الماء ثمّ بدا الهواء بالبداء، والبداء من المشيئة فأظلّ الماء على الهواء متّصلاً، فأنشأ من الهواء والماء ظلاً، ثمّ أنشأ من ذلك الظّلّ ظلمةً والظّلمة مظلمةً فقال: وجعل الظّلمات والنّور.

ثمّ قال بعد كلامٍ طويلٍ: ثمّ خلق الله النّور الأوّل، والنّار فحجب النّور بالنّار، ثمّ خلق الماء فحجب به الرّيح، ثمّ خلق الطّين فحجب به الماء، فهذه الطّرائق والقداد الّتي تتركّب منها الأجسام اللّحميّة الدّمويّة، والنّور خلق منه الملائكة مصوّرين،

والماء خلق منه الإنس مصوّرين، والنّار خلق منه الجّان مصوّرين، والطّين صورة آدم.

وقد تقدّم القول: إنّ هذا الإسم يحتمل معنيين أحدهما خلق آدم يعني هذه الأجسام الطّبيعيّة من النور والنّار والرّيح والماء والطّين، فصار الإنسان يأكل ويشرب بالنّار، ويجامع ويشمّ بالرّيح، ويجد لذّة الطّعام والشّراب بالماء، ويبصر ويعمل بالنّور.

فلولا النّار الّتي في معدته ما هضمت طعاماً ولا شراباً، ولولا الرّيح ما إلتهبت نار المعدة، ولا خرج من بطنه الثّفل، ولولا برد الماء لأحرقته نار المعدة ولولا النّور لما أبصر ولا عقل، ولولا الرّيح لما جاء ولا ذهب ولا تحرك، فإذا فرّق بين الرّوح والجّسد ردّت الرّوح والنّار والنّور والماء إلى القدد الأولى ونزل الجّسم إلى الأرض لأنّه منها، وإنّما فسد الجّسم في الدّنيا لأنّ الرّيح تنشّف الماء فييبس الطّين ويصير رفاتاً، ويردّ كلّ شيءٍ إلى جوهره الأوّل، فما كان من نفس المؤمن فهو نورٌ مؤيّدٌ بالعقل، وما كان من نفس الكافر فهو ظلمةٌ مؤيّدةٌ بالكفر لإستحالتها.

وثانيهما خلق آدم يعني أهل المراتب من الأنوار الّتي لم يداخلها شكٌّ، وهذا الجّدول الموضوع لمعرفة أهل المراتب والدّرج أورده أبو محمّد بن شعبة في كتابه المعروف «بحقائق أسرار الدّين » وهذا جدولٌ يدلّ على أنّ جميع ما ذكره الله في كتابه من نخلٍ، ورمّانٍ، وزيتونٍ، وصلاةٍ، وصيامٍ، وحجٍّ، وزكاةٍ، ومشارق، ومغارب، وبحار، وجبال، وبيوت، ومساجد، وصوامع، وبيع، ونحل، وطير، وأنعام، وغير ذلك، إنّما هي أشخاصٌ أمر بمعرفتها وطاعتها لا نخل ولا رمّان، ولا جبال، ولا شجر ولا دواب.

وإنّه أعزّ وأجلّ من أن يجعل فرائضه فيما هو زائلٌ حائلٌ، ومحالٌ أن يجعل أوامره ونواهيه بها.

وهذه صورة جدول مراتب ودرج العالم الكبير وبالله التّوفيق.

٤٠٠	الأبواب	الأسماء ٣٠	الحجب ٤٠	الآيات ٥٠	الأنوار ٧٠	الشّموس ٧٥	الأفلاك ٧٥	الغمام ٦٠
٥٠٠	الأيتام	المشارق ٥٠	المغارب ٧٠	الأقمار ٧٠	الأهلّة ٧٠	النّجوم ٧٧	الرّعود ٧٠	البروق ٨٨
٦٠٠	النّقباء	الصّلاة ٧٠	الزّكاة ٧٠	الحجّ ٨٠	الصّيام ٧٥	الهجرة ٩٠	الجّهاد ٩٥	الدّعاء ١٢٠
٧٠٠	النّجباء	الجبّال ٧٠	المعصرات ٨٠	البحار ٩٠	الأنهار ١٠٠	الرّياح ١١٠	السّحاب ١٢٠	الصّواعق ١٣٠
٨٠٠	المختصّون	اللّيل ٩٠	النّهار ١٠٠	الغداة ١٢٠	العشيّ ١٢٠	الغدوّ ١٣٠	الآصال ١١٠	السّبل ١٣٠
٩٠٠	المخلّصون	الأنعام ١٠	الدّواب ١١٥	الإبل ١٢٠	النّحل ١٣٠	الطّير ١٤٠	الصّوامع ١٤٥	البيع ١٥٠
١١٠٠	الممتحنون	البيوت ١٣٠	المساجد ١٤٠	النّخل ١٥٠	الأعناب ١٥٠	الرّمّان ١٧٠	الزّيتون ١٧٠	التّين ١٩٠

وكذلك جميع ما ذمّه الله في القرآن فهو أشخاصٌ وأمر بالبراءة منها مثل الجّبت والطّاغوت وغير ذلك تركناه إختصاراً وهذا جدول العالم الصّغير الّذين أكلوا وشربوا وتوالدوا.

المقرّبون	الكروبيّون	الرّوحانيّون	المقدّسون
١٤٠٠٠	١٥٠٠٠	١٦٠٠٠	١٧٠٠٠
السّائحون	المستمعون	اللاّحقون	
١٨٠٠٠	١٩٠٠٠	٢٠٠٠٠	

وإنّما صار أهل المراتب والترج بأسماء مختلفة لحاجة المخلوقين، وإلاّ فأسماؤهم غير متباينةٍ وكلّها واحدٌ، وممّا يدلّ على ذلك قول الصّادق منه السّلام: إذا إرتقى المؤمن إلى الرّفيق الأعلى فإنّما يدعى كلّ واحدٍ منهم بعبد الله لا بغيره، فقال له ابن عمر: يا مولاي فلم إختلفت أسماؤهم هنا؟

فقال: لحاجتكم إليهم، وهذا شرح ما ذكرناه تقليداً، وقد بنيت الأصول على النّظر والله المعين وحده.

الباب العاشر

في معرفة إبليس وما الفرق بين هذا الإسم وإسم الشّيطان

إعلم أنّ هذا الإسم يقع على معنيين، فإبليس المذكور في القرآن ملعونٌ، وهو أوّل من جحد وأنكر وكفر لما ظهر الباري بصورةٍ بشريّةٍ عند هبوط العالم إلى الأرض، وكان إنكاره على علمٍ منه بالهدى قال تعالى: «وأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ » أي على علمٍ منه وذلك لمّا ظهر بالحجاب البشريّ.

قال الملعون: كيف لم تظهر بي كما ظهرت به، ألم تسمع قول الله تعالى حكاية عنه: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، وقد روي أنّ إبليس خلق من ظلمةٍ ولكنّ الرّواية الأولى أثبت في العدل وأوضح في العقل إنّه كان نورانيّاً من جملة الّذين أهبطوا إلى الأرض، ودليل ذلك قوله تعالى: «كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ » والجّنّ هم المؤمنون، وإنّه بإنكاره إستحال ظلمةً.

ورواه أبو الحسن بن بطيطة رضي الله عنه في كتابه المعروف بالمقنّع: أنّ إبليس سأل الله الإنظار فأنظره إلى يوم الوقت المعلوم، وذلك جزاءً على ما تقدّم من إقراره، وذلك أنّه لا بدّ في ظهور كلّ قبّةٍ أن يظهر فيها بقبّةٍ ومراتب ودرج فيكون له بابٌ في الكفر، ونقيبٌ في الكفر، وإستطاعته الّتي كانت معه هي باقيةٌ معه لم يسلبه الله إيّاها لأنّه سأله الإنظار وأجابه.

ألا ترى أنّ إبليس له قدرةٌ يظهرها ويحدث بها رهطه وأصحابه، ألا ترى إلى الخبر المرويّ المجمع عليه النّاس أنّ سكد وقف على المنبر وقال: يا سارية إلجأ إلى الجّبل، وهو نهاوند، وإقرار أولئك القوم الحيّ أنّهم سمعوا صوته في ذلك الوقت، وكان بينه وبين ذلك الموضع مسيرة ثلاثة أيّام.

ومثله خبره مع النّيل وقد نقض حتّى شكا النّاس إليه فكتب خرقةً من الحجارة ورمى بها في الماء فجرى لوقته وهو يعمل جميع ذلك بالإستطاعة الّتي كانت معه في الأصل قال الله تعالى مبيّناً عجزه عن عباده المخلصين وهم أهل التّوحيد: «إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ » فأخبر وبيّن بقوله: إنّه لا يقدر أن يغويهم، وقد قال الله تعالى مخبراً عن إستطاعته: أنّها باقيةٌ معه بقوله: «وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ ورَجِلِكَ وشارِكْهُمْ فِي الأَمْوالِ والأَوْلادِ وعِدْهُمْ وما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاَّ غُرُوراً » فبيّن بهذا القول أنّ معه إستطاعةً وأنّ له خيلاً ورجالاً وكذلك كان فعل سكد، أخذ الأموال وأمر ونهى وأوردهم المهالك وأضلّهم عن طريق الهدى، أعاذنا الله وإيّاكم منه ومن حزبه ولفيفه وجنوده وخيله ورجاله.

وأمّا الشّيطان فهو إسمٌ يقع على كلّ بارزٍ في الكفر وهذا الإسم مأخوذٌ من الطّول والنّهاية في الشّيء، ألا ترى إذا قيل: إنّ فلاناً حاذقٌ في صناعته قيل على سبيل المزاح: ما هو إلاّ شيطانٌ، والشّيطان في لغة العرب هو الرّجل الطّويل الأسود وهو الشّيظم أيضاً وهو مأخوذٌ من الشّطن الّذي هو حبل البئر البعيدة وكلّ إبليس فهو شيطانٌ وليس كلّ شيطان إبليساً لأنّ الأبالسة قد إستحالوا ظلمةً ولم يبق فيهم شيءٌ من أسباب الهدى إلاّ وقد جحدوه وأنكروه، ولم يبق شيءٌ من الأسباب يعرض عليهم، وقد يقع بهم الحمد في بعض المواضع.

وإبليس لا يقع به حمد، قال الله تعالى: «ومِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ ويَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلِكَ وكُنَّا لَهُمْ حافِظِينَ» فهل يحفظ الله إلاّ مقرّاً لا جاحداً، وأمّا من قال: إنّ مراد الباري بقوله حافظين، يعني حفظ عددهم، والباري تبارك وتعالى لا يخبر إلاّ بما فيه فائدةٌ، وإنّ من يجهل أنّ الباري لا يعلم عدد كلّ شيءٍ فهو كافرٌ، بل إنّما أراد أنّ يبيّن أنّهم محمودون بقوله: وكنّا لهم حافظين، وأمّا إبليس المنعوت في القرآن فهو واحدٌ بعينه يظهر بظهور كلّ قبّةٍ وقد شرحناه في أوّل هذا الباب، وأمّا المعنى الآخر فهو أنّ كلّ مزاجٍ كدرٍ هو إبليس صاحبه فهو مشتركٌ فيه المؤمن والكافر، لأنّ المزاج قد عمّ الكلّ فهم يتفاضلون فيه بحسب الإستحقاق أعاذنا الله وإيّاكم من شرّ كدر المزاج وجميع المؤمنين إنّه على ما يشاء قدير.

الباب الحادي عشر
في معرفة كيفيّة الظّهور والغيبة

إعلم أرشدك الله إلى الهدى أنّ الظّهور والغيبة إذا أضفتهما إلى القدم فلا حقيقة لهما، وإذا أضفتهما إلى الحدث وحدث الظّهور علامة وجود ودليل إثبات عدلاً من الباري تعالى وعرضاً داخلاً على جميع أبصار النّاظرين، وإذا رأوا صورةً

وجسماً بالياً وقياماً وقعوداً وأكلاً وشرباً وأزواجاً وأولاداً وحركةً وسكوناً وقتلاً وموتاً..

ثمّ هذا عصرٌ لنا نرى فيه ظهوراً، وقد قال الصّادق منه السّلام: لا يخلو كلّ عصرٍ وزمانٍ ووقتٍ وأوانٍ من معنى موجود وظلٍّ ممدود وبابٍ مقصودٍ، وهذا عصرٌ ما نجد فيه ممّا قال الصّادق شيئاً.

تفسير ذلك إنّما أراد الصّادق بهذا القول أنّ الخلق ما داموا في هذه الأجسام الكثيفة فلا بدّ لهم من هذه الأشياء وهي معنىً وظلّ وباب لحاجتهم إلى ذلك وقد عرّفناك أيضاً أنّ الظّهور والغيبة ليسا هما بحركةٍ وإنتقالٍ يخلي حيّزاً ويشغل حيّزاً ولكنّه جائزٌ في دليل العقل أنّه لمّا حجب أبصارنا عن جميع الجّهات وأرانا صورةً آكلةً شاربةً باليةً تدخل عليها الأمراض وهو بخلاف ذلك فكذلك جائزٌ أيضاً أن يحجب أبصارنا فلا يرينا هذا الظّهور وهو موجودٌ في الحقيقة والله الموفّق..

الباب الثّاني عشر

في نهاية المؤمن والكافر وإلام يصيران

إعلم ألهمك الله الخير أنّ المؤمن ينسخ نسخاً والكافر يمسخ مسخاً فالنّسخ هو من صورة إنسانٍ إلى صورة إنسانٍ مثلها لا يخرج عن صورة الإنسانيّة حتّى يصفو ويرتقي إلى عالم العقل الّذي ذكره أفلاطون، والكافر يركب في المركوسات والمذبوحات والمعكوسات وسائر أصناف السّليلة الّتي ذكرها الله في كتابه فقال: «فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ ».

وقال أبو علي البصريّ في كتابه المعروف بالسّبعين: بأنّ السّلسلة هي كلّ صنفٍ يدخله يردّ فيه سبعين مرّة، مثال ذلك أن يدخل إلى صورة الغنم فيرد في ذكرانها وإناثها وصغارها وكبارها سبعين مرّة يجري عليه فيها الذّبح والغرق وأكل السّبع والموت، ثمّ يخرج إلى صورة الماعز فيصيبه ذلك، والتّنقّل في السّلسلة يسمّى

أيضاً نسخاً، وكذلك كلّ جنسٍ إلى أن يدخل غيره فيسمّى مسخاً ثمّ ينسخ فيها ونهاية ذلك في الدّردور وهو القشاش والرّسوخ خالدين في ذلك.

فإن إعترض علينا معترضٌ وقال: أيّ عذابٍ عليهم في هذا وهم يجدون الحياة كما يجدها الإنسان في أكله وشربه ونكاحه وقد سقط عنهم الغمّ الّذي هو عذاب الإنسان؟

الجّواب إنّ جميع هذه المسوخيّات تكرّ في كلّ جنسٍ بحسب إستحقاقها فمنها ما يجب عليه التّكرير في المذبوحات أكثر ممّا يجب على المتوالد من السّباع والذّئاب والقرود وأصناف ذلك وجميع ما في هذا العالم من حيوانٍ يجري عليه ثوابٌ وعقابٌ فنقول بالقياس: إنّ الأثقال الّتي تحمل على البغال والجّمال وتقطع السّباسب والفلوات، أليست تحسّ بألم ذلك، والإبل والبقر والغنم والماعز الّذي يجري عليه الذّبح، أليست تحسّ أيضاً بألم ذلك.

ثمّ نرجع إلى قياس المعقول في هذا، ونقول: أيّهما أحبّ إليك أن تكون في هذا القميص النّاطق الحسّاس الدّرّاك، أو أن تكون سبعاً أو بهيمةً في الفلاة لا حسّ له.

إنّي أقول لك: إنّ الرّجل الجّاهل لا يشتهي أن يكون عالماً لأنّه قد منع هذه الفضيلة فلا يحسّ بحلاوة العالم وقد منع هذا الإحساس بجهله ووجد له راحةً في ترك العلم ليخلو فكره من التّعب به والتّفكير فيه، وذلك أنّه يلتذّ بالمأكولات والمشروبات والمنكوحات وهو لا يعلم شيئاً، ولا يجب أن يكون عالماً فنقول من جهة العقل: أيّهما أفضل العالم أم الجّاهل؟ فيقال العالم.

فإذا وجب أن يكون العالم أفضل من الجّاهل وجب أن تكون صورة الإنسان أفضل من صورة السّبع، على أنّ السّبع لا يختار أن يكون إنساناً لجهله بالإنسانيّة وكذلك الجّاهل لا يشتهي أن يكون عالماً لجهله بالعلم ورأينا الإنسان يرى السّبع في صورة البهيمة فيحتال عليه ويصيده ويعلم ماهيّته وجنسه والسّبع لا يعلم ما هو الإنسان، وكذلك العالم يرى الجّاهل كأنّه بهيمةٌ مهملةٌ ونفسه متغذّيةٌ بحلاوة العالم

الّذي منعه ذلك الجّاهل، ويرى المأكولات والمشروبات وجميع ما هو فيه بعين الحقيقة فلا يحفل بها، وذلك الجّاهل لا يعلم ما هو فيه.

وهذا قولٌ واضحٌ يدلّ على الفرق بين الصّورتين الإنسانيّة والبهيمة، ألا ترى إلى ما تضاف إليه صورة البهيمة من التّحكّم بها والأكل لها يتحكّم بها هذا الحيوان النّاطق ويحتال عليها، فمنها ما يدير الدّواليب والرّحى ومنها ما يعمّر الأرض بالحرث، ومنها ما يحمّل عليه الأثقال، ومنها ما يركب، ومنها ما يخلّى للنّتاج بلا تعب، كلّ ذلك جزاء ما إستحقّت ويجري عليها في البهيميّة مثلما جرى عليها في الإنسانيّة من التّعب والتّرفّه ويقتصّ بعضها من بعضٍ إلى يوم ظهور القائم فيرقى المؤمن إلى عالمه، ويكرّ الكافر في التّردور.

وإعلم أنّ للمؤمن من قبل أن يصفو واحداً وعشرين قميصاً هي قمص التّأجيل يرد فيها الإنسان عارفاً بالله عالماً به إلى أن ينتهي القميص الآخر ومبلغ ذلك من السّنين ألفاً وسبعون سنة وسبع ساعاتٍ ثمّ يصفو فهذه نهاية المؤمن.

أمّا نهاية الكافر فقد ورد في كتاب حقائق أسرار الدّين لأبي محمّد بن شعبة نضّر الله وجهه في هذا المعنى شرحٌ طويلٌ إختصرناه خوف الإطالة قال.

قال المفضّل: سألت العالم على ذكره السّلام عن تركيب المؤمن في النّسوخيّة والفرق بينهما؟

قال: يا مفضّل: المؤمن يركب في النّسوخيّة على صورة الإنسان ثمّ لا يركب في غيرها، ولا يخرج عن صورة الإنسانيّة قال: قلت: والكافر ما شأنه في التّراكيب؟

قال: إنّ الكافر إذا ركب في المسوخيّة لا يركب في صورة الإنسانيّة أبداً وإنّما ينتقل إلى ما هو أوحش وأزعر فلا يزال يركب في صور السّباع والوحوش حتّى يرد في صورةٍ تستوحش منها كلّ دابّةٍ أعاذنا الله وإيّاكم من ذلك..

الباب الثّالث عشر
في معرفة العلويّين

إعلم أرشدك الله إلى هدايته أنّ العلويّين منسوبون إلى ذلك الظّهور فهو بيتٌ إستحقّ من الله التّشريف فظهر فيه وإحتجب به وإحتجّ على الخلق منه تعالى الله عن الأولاد والأضداد والأنداد علوّاً كبيراً.

وإنّما ذلك تشريف ظهورٍ ومجازاة، أجل لأنّهم في الظّاهر معظّمون ولا فرق بينهم وبين سائر الأضداد إلاّ من آمن منهم بالله.

قال أبو محمّد نضّر الله وجهه في كتابه حقائق أسرار الدّين قال: ذكرت العلويّة في مجلس أبي عبد الله فقال كالمغضب: عظّموا الإثم وشربوا الخمر، إنّ الله كرّم بيتاً ظهر فيه ونسبه إلى نفسه وإنّه لا يصفو أحدكم حتّى تكون له ولادةٌ فينا.

الباب الرّابع عشر
نوادر الأخبار في الإسم والمسمّى وما أوردناه محمولاً على الكلام

قال أبو محمّد بن شعبة ضاعف الله حسناته في كتابه المعروف بحقائق أسرار الدّين: قال السّيّد أبو شعيب: من زعم أنّه يعرف الله بحجاب أو صورة أو مثال فهو مشركٌ بالله العظيم لأنّ حجابه غيره وصورته غيره ومثاله غيره وإنّما هو واحدٌ معبودٌ فكيف وحّد الله من زعم أنّه يعرفه بغيره.

وعن محمّد بن صدقة، عن يونس بن ظبيان، عن المفضّل بن عمر قال: قال الصّادق منه السّلام: من عبد ما لا يرى فقد عبد مجهولاً، ومن عبد من يرى فقد عبد محدوداً معايناً، ومن قال: إنّه غير مشاهدٍ فقد أحال على عدمٍ، ومن قال: إنّ الأبصار تشاهده فقد يرى مثله، ومن عبد الإسم والمعنى فقد أشرك، ومن وصفه بما وقع في نفسه فقد وصف نفسه، ومن قال: إنّه محتجبٌ عن غيره فقد عنى غيره، ومن قال:

إنّه ظاهرٌ لهم يرونه فقد عيّنه، ومن عرفه من جهة الإقرار، وعلمه من حيث ظهرت المعجزات فنفى ما رأى وأثبت ما علم فأولئك أصحاب أمير المؤمنين.

وعن محمّد الكرخيّ، عن إسماعيل بن عليّ بن صدقة، عن الرّضى منه السّلام قال: إنّ الّذي رأيتموه بأبصاركم من الصّورة هو الله بإضافته إلى القدرة فإذا ظهر المعجز من شخصٍ بطلت الصّورة عنه لأنّ من تلك صورته على الحقيقة لا يستطيع أن يظهر المعجز، ومن أظهر المعجز فليست تلك صورته بل صورة الإنسان العاجز.

وعن أبي شعيب، عن عمر بن دهيم قال: قال الحكيم: كذب من زعم أنّ الله في شيء أو من شيء، أو على شيء، فمن زعم أنّه على شيءٍ فقد جعله محمولاً، ومن زعم أنّه في شيء فقد جعله محصوراً، ومن زعم أنّه من شيءٍ فقد جعله محدثاً، والله غايةٌ من غايات المعنى والمعنى خلاف الغاية توحّد بالرّبوبيّة ووصف نفسه بغير حدوديّة، فالذّكر لله غير الله، والله غير أسمائه، وكلّ إسمٍ غير الله أو صفةٍ، أو معنى، أو شيء يقع عليه إسمٌ فهو مخلوقٌ.

ألا ترى أنّك تقول العزّة لله والكبرياء لله وقد قال الله تعالى: « قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْماءُ الْحُسْنى » فالأسماء مضافةٌ إلى الله، قال الحكيم: هذا هو التّوحيد الخالص فتمسكوا به، وعن عبد الله بن العلاء عن الرّضا منه الرّحمة: إنّ الّذي عاينتموه بأبصاركم من الصّورة إنّما ظهر بحسب ما أنتم عليه لأنّكم لا تقدرون أن تنظروا إلى خلافكم.

وحدّثني عنه، عن محمّد بن موسى الكرخيّ قال: قال الرّضا منه السّلام: القصد إلى الحجاب بالله، لا إلى الله بالحجاب، ولا يعرف الله إلاّ من كان من الله، والحجاب علّةٌ في أعين الخلق ولو زالت ما كانوا يحتاجون النّظر إلى رؤيته بل كانوا يرونه كالقمر لا يضامون في رؤيته.

وعنه عن عبد الله بن إدريس، عن إبن سنان قال: قال الصّادق منه السّلام: إنّما يتوجّه إلى معرفة الله بحجاب فإذا جاء المعجز بطل إعتقاد الحجاب لأنّ الحجاب ذنوب النّاظرين إليه.

حدّثني العدويّ عن محمّد بن صدقة العنبريّ، عن الرّضا منه السّلام أنّه قال: نحن حجب الله فإذا أتينا بالمعجزات زالت الحجب عن معرفة أمير المؤمنين.

وبالإسناد عن الرّضا منه السّلام أنّه قال: أوّل شيءٍ كلّف الله به عباده قال: لا تنكروني في أيّ صورةٍ ظهرت فظهر بمثل صورهم فأنكروه.

وحدّثني عبد الله بن إدريس يرفعه إلى الصّادق منه السّلام أنّه سئل عن إبليس يتغيّر فيتصوّر للخلق؟ فقال: هو أعجز من ذلك، قيل: فيغيّر أعين البشر فتراه كما يريد؟ قال: هو أضعف من ذلك، قيل: كيف هو؟ قال: أعين الخلق ترى التّصوير والتّغيير للعلّة الّتي فيها، ومن العجب أنّهم يجيزون تغيير أبصارهم على إبليس الّذي لا يقدر على تغييرها إلى ما يريد ولا يجيزون ذلك على الله خالقهم الّذي يغيّر أبصارهم كيف يشاء وهو خالق إبليس.

قلت: فيتصوّر لخلقه كصورهم فيرونه؟ قال: يغيّر أبصار الخلق حتّى تراه بحسب فعلهم، ألا ترى أنّهم كانوا يرون رسول الله يأكل ولا يرون له نجوى.

وعن عبد الرّحمن بن أبي نجران قال: سألت أبا جعفر عن التّوحيد فقال: أتوهّم شيئاً غير محدودٍ ولا معقولٍ فقال: مهما وقع وهمك عليه من شيءٍ فهو خلافه، ولا يشبهه شيءٌ، ولا تدركه الأوهام، ولا يتصوّر في الضّمير، وهو خلاف ما يتصوّر في الأوهام لأنّها لا تتوهّم شيئاً غير محسوسٍ ولا محدودٍ.

وعنه عن محمّد بن أبي عبد الله يرفعه إلى أبي جعفر عليه السّلام أنّه سئل: أيجوز أن يقال لله شيء؟

قال: نعم تخرجه عن الحدّين: حدّ التّعطيل وحدّ التّشبيه.

وقيل لأمير المؤمنين: أين كان ربّنا قبل أن يخلق السّماء والأرض؟

قال: أين سؤالٌ عن مكان وقد كان الله ولا مكان.

وعن عليّ بن عليّ البصريّ يرفعه إلى الباقر منه السّلام أنّه قال يوماً لإسماعيل إنّ لنا من الله منزلةً إذا كنّا بها كنّا نحن كما نحن وهو كما هو، ما أحسن هذه الإشارة إلى الظّهور ونفي الصّفة.

رسالة إختلاف العالمين

لأبي عبد الله محمّد بن شعبة الحرّاني

الكتاب من تأليف محمّد بن شعبة الحرّاني، والمقصود بالعالمين هما العالم الكبير النوراني والصغير البشري، وأصل الخلاف هو في معرفة مرتبة الشيخ الخصيبي ودرجته، جرى هذا الخلاف في عصر ابن شعبة الحراني، أي في عصر السيد الجليّ، وهذا يدلّنا على أنّ الزّمن يقع مباشرة بعد رحيل الشيخ الخصيبي، وهذا دالٌ على نقاشٍ يدور بين العلويين حول الاعتراف بقيمة الشيخ وقوّة أدلّته واستنباطاته.

المقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم.

فأمّا بعد يا سيّدي: فإنّ أجلّ ما يبتدأ به الثّناء والشّكر لله تعالى على ما أنعم من اصباغ نعمته وإفاضة مادّة نوره إلى قلوب أوليائه ليؤدّوا بعض مفترضاته عليهم، وتقف له الحجّة عليهم بإتّصال مآة نوره إليهم، فمن ذلك إنّا نسأله أن يصلّي على إسمه الأجلّ وعلى بابه العظيم المحلّ وعلى أيتامه ونقبائه ونجبائه ومختصّيه ومخلصيه وممتحنيه العالم الكبير الخمسة آلاف وعلى العالم الصّغير المقرّبين والكروبيّين والرّوحانيّين والمقدّسين والسّائحين والمستمعين واللاّحقين صلاةً توصلنا بهم وتلحقنا بعلمهم وبمن سبقنا من عالمهم إنّه جوادٌ كريمٌ عليٌّ عظيمٌ.

القول في العالمين

فأمّا بعد يا سيّدي.

إنّي لمّا نظرت إلى إختلاف هذه الطّائفة الخصيبيّة أدام الله تأييدهم وألّف كلمتهم إختلافهم في العالمين، الكبير والصّغير، وأنّهم دفعوا مرتبة سيّدنا إلى أن تركوه كأحدنا، وإنّه قدسنا الله به جرى عليه وعلى العالم الصّغير ما يجري علينا من الغلط والسّهو والنّسيان والأكل والشّرب والنّكاح والولادة والزّيادة والنّقصان والصّفا من الكدر، فأحببت أن أصنّف هذه الرّسالة وأذكر فيها أمر إختلافهم في العالمين، لأن قد ذكرهم سيّدنا قدّسنا الله به في في رسالته فقال: «العالم العلويّ النّورانيّ: الأبواب والأيتام والنّقبا والنّجبا والمختصّين والمخلّصين والممتحنين الخمسة آلاف، وهم الّذين يظهروا لظهور المعنى والإسم والباب ويغيبون لغيبتهم، وقد ذكر العالم الصّغير فقال: العالم البشريّ التّرابيّ الّذين أكلوا وشربوا ونكحوا وتزوّجوا وولدوا وتوالدوا وأزادوا ثمّ نقصوا حتّى صفوا وتخلّصوا وخلّصوا، وهم: المقرّبين والكروبيّين والرّوحانيّين والمقدّسين والسّائحين والمستمعين واللاّحقين.

ونحن نذكر مراد سيّدنا قدّسنا الله به وشرحه وهو في موضعه إن شاء الله تعالى، ولو أنّ سيّدنا بشرح مشكل الرّسالة وإبانه لما كان الشّابّ الثّقة أبو سعيد ميمون قدّس الله لطيفه، ألّف كتاب البحث والدّلالة وإبانه عن مشكل الرّسالة وفسّر فيه ما إشتكل فيها، فقرؤا يا سيّدي إخواننا أيّد الله حراستهم مشكل رسالة سيّدنا قدّسنا الله به ولم يعرفوا مراده فيه، ماذا ونحن نقول كما قال سيّدنا الرّسول صلعم وعلى آله: «إذا كان الله أجلّ الأشياء فالمعرفة به أجلّ العلوم »، فالمعنى الصّمد الأحد إخترع من نور ذاته واحداً جعله إسمه الخالق ونوره الباسق وحجابه اللاّصق، إخترعه من غير حاجةٍ منه إليه لا عيباً به بل لحاجة المخلوقين إليه، لأن ليس في إستطاعتهم أن ينظروا إلى اللاّهوتيّة بل ينظرون إليه من حيث هم، فلمّا علم ذلك منهم أقام الحجاب لهم ليدخلوا منه إليه ويستدلّوا به عليه، وذلك قال الله تعالى: «وما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إلاّ وحْياً أوْ مِنْ وراءِ حِجابٍ أوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فيُوحِيَ بِإذْنِهِ

ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ »، فإنّ الله أمر إسمه العظيم أن يخلق فخلق السّين سرّ الوديعة وأمان يوم المريعة وباب حطّة الرّفيعة وبابه النّاطق، فقام بين يديه يدع الخلق ويدلّهم عليه، ثمّ خلق من بعده الأيتام والنّقبا والنّجبا والمختصّين والمخلصين والممتحنين، وقد شرح ابتداء كونهم سيّدنا قدّسنا الله به فإستغنينا عن إعادته لأنّا قد سبقنا إليه، وأيضاً لتكون رسالتنا قريبة على قارئها سهلة على حافظها ورواتها بل نورد شرح ما العالم به مختلفون من أمر العالم الصّغير وما ذكره سيّدنا قدّسنا الله به وما ذكر من الأكل والشّرب وغير ذلك ممّا قد ذكره، فأوّل ما نأتي به ذكر المقرّبين وهي أقرب مراتب العالم الصّغير إلى العالم الكبير العلويّ.

وقد قال الله تعالى فيهم: «والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ » فأعلا هذه المرتبة درجة المختبرين ويجلّها ثلاث أشخاص وهم: الزّبير بن العوّام وعبد الرّحمن بن ملجم وأبو النّوّاس الحسن بن هاني.

وقد ذكر أنّ المختبرين إثنان أعلاهما وسيّدهم عبد الرّحمن بن ملجم المراديّ لأنّ مولانا أمير المؤمنين منه الرّحمة لمّا أراد الغيبة عزّ من لا يغيب عن أعين البشر قال على منبره وأهل ملكه بأسرهم بين يديه، من منكم يتحمّل فيّ اللّعن إلى يوم القيامة، فلم يتكلّم أحد وذلك لسبق إرادة المولى فيهم، وأوّلهم عبد الرّحمن بن ملجم النّطق فقال: أنا يا مولاي أتحمّل فيك اللّعن إلى يوم القيامة، فجعل رأس درجة المختبرين وأوّل مراتب العالم الصّغير، فأظهر عند ذلك المولى الغيبة عزّ من لا يغيب عن أعين البشر على يده.

فمن يكن ويكون المولى قد خصّه بهذه المنزلة وظهر الغيبة على يده، وكيف يكون من هذه الخلق، أم كيف يجري عليه شيءٌ من الأحوال الدّنياويّة مثل الأكل والشّرب وغيره.

وقد روي عن العالم منه السّلام أنّه سئل عن عبد الرّحمن بن ملجم فقال: هو الوليّ.

وقد وجدنا في كتب التّوحيد أنّ الوليّ هو سلمان وقال الله عزّ وجلّ: «فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» وهذا سرٌّ لا ينكشف إلاّ لمن ألقا السّمع وهو شهيد.

فنقول أنّه لا يجوز لعبد الرّحمن بن ملجم أن يحلّ في هذه المنزلة، بل كما أنّ سلمان وليّ المراتب العلويّة، وهو كذلك أعلاها عبد الرّحمن بن ملجم وليّ المراتب السّفليّة وهو أعلاها.

وقد ذكر سيّنا قدّسنا به في رسالته بعد ذكره مراتب العالم الكبير أسماء المحمودين باطناً في حال المذمومين ظاهراً، وهو الزّبير بن العوّام المختبر لأنّه قاتل مع عائشة النّاكثة، وعبد الله بن عمرو بن العاص مع الباغية، وعبد الله بن مسعود في المرجيّة، وأبو سعيد الخدري في أهل السّنّة وجابر بن عبد الله الأنصاريّ في الشّيعة وكان من الجّوهرة المذمومين ظاهراً وهم محمودين باطناً، وطالب في المشركين وعقيل في المختلفين والفضل بن العبّاس وعبد الله بن جعفر في المقيمين ومحمّد بن الحنفيّة في المفقودين وعبد الرّحمن بن ملجم وأبو النّوّاس من المختبرين.

وقد سبق قولنا في المختبرين هؤلاء وذكر درجاتهم.

وقد ذكر سيّدنا قدّسنا الله به في رسالته وذكر المستودعين والمستحفظين، ونحن أيضاً ذاكرين في رسالتنا أنّهم جميعاً من جملة المائة ألف وتسعة عشر ألف شخص العالم البشريّ التّرابيّ.

وهذه أسماء المستودعين والمستحفظين: قسّ بن ساعدة الأيادي، وسيف بن ذي يزن، وبحير الرّاهب، ونوفل بن ورقا، وزيد الخيل، وحاتم الطّائي وابنه عديّ وسطيح وعبد المسيح وحبيب النّجّار وراشد عرّاف اليمامة وجبريل [1] وهو مؤمن آل فرعون وعاقر بن صلفخد هؤلاء كانوا في الجّاهليّة.

وأمّا الّذين كانوا في الإسلام فهم: ذو البجادتين وهو عبد الله بن جهم وبكنّا السّليل الباهليّ وهو في كتاب المراتب والدّرج وقد وجدناه من المخلصين وهو أعلا

---

[1] ورد حزقيل في بعض النسخ

درجة الأنعان ويحلّها ماية وليّ وهو أعلاها، وأبو لبانة ابنته كني بها، وأبو مرثد الغنوي وهو حيّان بن حصين وكان تربا لحمزة بن عبد المطّلب وهو من النّجبا في كتاب المراتب والدّرج يحلّ مرتبة الرّياح مائة وعشرة أولياء هو أعلاها وواخا رسول الله بينه وبين عبادة بن الصّامت، وأبو برزة وهو عبد الله بن نضلة، وكيسان، وسفيان الثّوريّ، وبهلول المجنون، وعليّان المجنون، فهذه جملة الأشخاص الّذي ذكرها سيّدنا قدّسنا الله به ونسبها أنّها من جملة العالم الصّغير.

فزيد الآن يا سيّدي أن نبتدىء في شرح مراتب هذه الأشخاص، ونذكر في أوّل شرحنا أمر المحمودين باطناً في حال المذمومين ظاهراً، فمنهم أبو سعيد الخدري، وقد ذكره سيّدنا أنّه من أهل السّنّة من جملة الأشخاص العالم الصّغير، وهو في صدر رسالته من إحدى النّجبا من العالم الكبير وذكر جابر بن عبد الله الأنصاريّ أنّه في الشّيعة وأنّه من جملة العالم الصّغير، ووجدناه في رابع مطلع من الأيتام.

وذكر سيّدنا قدّسنا الله به أنّه كان من الجّوهرة المذمومين ظاهراً وهم محمودين باطناً وطالب في المشركين وعقيل في المختلفين، وذكر أنّهم من العالم الصّغير الّذي قدّمنا ذكرهم ووجدناهم في رسالته من جملة أشخاص حروف المعجم من العالم الكبير، والفضل بن العبّاس، وعبد الله بن جعفر، وذكرهم في رسالته في المقيمين من جملة العالم الصّغير، وذكر سيّدنا ومحمّد بن الحنفيّة في المفقودين من جملة العالم الصّغير وهو من حمّالة العرش من العالم الكبير، وذكر في رسالته قدّسنا به قسّ بن ساعدة الأيّادي وسيف بن ذي يزن إنّهما كانا من المستودعين والمستحفظين من العالم الصّغير.

وسأذكر سياقة فيها شرح منزلة هذين الشّخصين ان شاء الله تعالى، وهو ما روي عن العبّاد في سياقة كتاب الظّهورات أنّ المعنى عزّ عزّه كان ظاهراً بأرستطاليس والإسم ظاهر بأفلاطون والباب ظاهر بسقراط واليتيمان ظاهران

ببقراطيس وجالينوس والضدّ ظاهر بسوفسطا، وفي معناه خبرٌ مرفوع إلى العالم منه السّلام إنّه قال: رحم الله يزدجرد إنّه كان موحّد.

قلت: يا مولاي: وأرستطاليس.

قال: نعم أبو عبد الرّحمن.

وعن العالم منه السّلام إنّه قال في بعض الأخبار المشهورة: لكلّ أمّة رستطاليس، وأنا رستطاليس.

وعنه أنّه قال: أرستطاليس أمّة واحدة ويزدجرد أمّة وقسّ بن ساعدة أمّة وسيف بن ذي يزن أمّة واحدة.

وهذه الأخبار جميعها موجودة.

فأنظر يا سيّدي إلى هذا القول عن قسّ بن ساعدة الأيّادي وعن سيف بن ذي يزن إلى قول العبّاد عن أرستطاليس في كتاب الظّهورات: إنّ المعنى – عزّ عزّه – كان ظاهر بأرستطاليس، وإلى قول العالم علينا سلامه: كيف جُعل أرستطاليس أمّة واحدة ويزدجرد أمّة واحدة وسيف بن ذي يزن أمّة واحدة وقد قال الله عزّ وجلّ في قصّة إبراهيم: «كانَ أُمَّةً قانتاً للَّهِ حَنيفاً ولَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكينَ ».

فتأمّل يا سيّدي هذا القول ما أحسنه عند من يتحقّقه ويعرفه ويتميّزه فإنّ فيه غنى ومقنعٌ لمن يرشده الله إليه ويسّر له الوقوف عليه لا حيث يذهب الجّاهل.

فنقول: أيصحّ أنّ المعنى مساوياً لشخص من بعض الأشخاص العُلويّة فيكون قد بطّل إظهار قدرة المعنى من أشخاص أنواره ونطقه فيهم، ونحن نقول كما قال مولانا جعفر الصّادق منه السّلام وقوله الحقّ: ما منزمنٍ ولا حينٍ إلاّ ونبعث منّا برجلٍ يدع الخلق إلى ولايتنا.

وعن العالم منه السّلام أنّه قال: الدّاعي إلى الله هو الله.

وقد قال تعالى في حقّ المنبّأون: «أَو يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ » وقد قال سيّدنا قدّسنا به: إنّ المرسل هو الرّسول.

وقد وجدنا أنّ قسّ بن ساعدة الأيّادي وسيف بن ذي يزن كانا داعيتين إلى الله في الجّاهليّة مشيران إلى الحقّ ومحرّضان على الإسلام وخارجان بأمر صاحب الأمر وداعيان إليه ودالاّن عليه.

والشّاهد بذلك قول الله تعالى: «لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وقَالَ صَوَاباً» فأذن لهم هو بإظهار قدرته منهم، وقد قال العالم في كتاب الأسوس: إنّ القدرة ذاتيّة في المعنى وفي غيره مستعارة، فأين ما حلّت القدرة فهناك القادر ولسيّدنا أبي عبد الله قدّسنا به بيت من منظوم الشّعر يشيد ذلك ويقوّيه وهو قوله

وذلــك النّــور أشــخاصٌ مفرّقــةٌ ... في أيّ ما صــورةٍ أبصــرته حســنا

فاعلم يا سيّدي إنّ النّور نوراً واحداً وإنّ الفعل من الفاعل وإنّ الآراء متفرّقة والقدرة قدرة واحدة وإن كانت أشخاص شتّى كمثل ما قال العالم في كتاب الأسوس أيضاً عن جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

إنّ الله عزّ وجلّ جعلهم بيوته وأحلّ فيهم قدرته فيجب على العارف المحقّ أن يعبد القادر من حيث ظهرت قدرته فإنّه إذا ظهرت القدرة من شخص من بعض الأشخاص النّورانيّة بطلت صورته وبقي بيت من بيوت القادر يحلّ قدرته فيه متى شاء وكيف شاء، ومن ذلك قول النّبيّ لعمر بن الحمق الخزاعيّ: يا عمر فيك مشابهة من شمعون الصّفا صاحب المسيح ويجري على يدك ما يجري على يد شمعون.

فتأمّل يا سيّدي قول النّبيّ لشخص من بعض الأشخاص من بعض أهل المراتب العُلويّة أنّه لا بدّ أن يجرا على يده ما يجري على يد شمعون.

وعمر بن الحمق شخص الرّعد والرّعد قدرة، وقد سبق قول العالم أنّ القدرة ذاتيّة في المعنى وفي غيره مستعارة، فأين ما حلّت القدرة فهنالك القادر.

القول في الشّيخ الخصيبي

وكذا يا سيّدي كان سيّدنا أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي قدّسنا الله به كان داعياً إلى الله عزّ وجلّ وهو صاحب شريعة يدعي أهلها إلى الحقّ وهو متّبعٌ شريعة من تقدّمه من الدّعا.

وقد سأله عن منزلته ولده ووارث علمه الشّيخ أبو الحسين محمّد بن عليّ الجلّيّ قدّس الله روحه فقال: إنّه من الكروبيّين من ثاني مرتبة من مراتب العالم الصّغير وإنّه له من منظوم شعره بيتان يذكر فيها رتبته وهي قوله قدّس الله روحه

و طـــرت بناشـــري ملـــكٍ كروبـــيٌّ إلـــى وطنـــي
إلـــى ســـقف السّـــماء لكـــي أنعـــم فيـــه مـــع ســـكني

فوجب أنّه من الكروبيّين، وأنّه قد ذكر في رسالته لمّا أن ذكر العالمين وقوله بعد ذلك: وأن يجعلنا لهم جميعاً شيعاً وتبعاً، فهذا القول منه إستتارٌ، وممّا يؤكّد أنّه من جملة العالم الصّغير وتبعد عنه وأنّه كان يحتاج إلى أن يسأل ربّه أن يلحقه بآخر اللاّحقين وقوله فيها أعلا الله درجته

هذه المراتب ســبعٌ عــالم كبــرت بالنّور رتبـتهم مـــن قبـــل عالمنـــا
و العالم الأصغر الأرضـــيّ كلّهـــم مراتـــــبٌ ســــبعةٌ الله رتّبنـــا
فســـابقٌ وكروبـــيٌّ ورائحـــةٌ و القـــدس قدّوســـنا منـــه تقدّســـنا
فســـائحٌ وســـميعٌ ثـــمّ لاحقـــةٌ الله ألّفنـــا بـــالنّور بصّـــرنا
فمن دعاهم ومن صلّى علـــى أحـــدٍ مـــن النّبيّـــين حيّانـــا وأتحفنـــا
لأنّنا نحن هم مـــن غيـــر معرفـــةٍ من المصلّين جهلاً ويـــل منكرنـــا

فأمّا قوله: فالعالم الأصغر الأرضيّ كلّهم – ويظنّ الجّاهل أنّهم من عالم المزاج – وأنّه كان يجري عليهم في الأرض مثل ما يجري علينا نحن، بل أراد بقوله الأرض: أنّهم أرض للّذي فوقهم من العالم الكبير.

ووجدنا أنّ كلّ من هو سما الّذي تحته أرض، ويكفيك منه أنّه قد أعطى الويل لمنكره ومنكر عالمه، فهذا ذلك، وممّا ينزّه سيّدنا عن البشريّة ما ذكره الشّابّ الثّقة أبو سعيد ميمون بن القاسم الطّبراني قدّس الله لطيفه في جواب الفصل الثّالث من كتاب البحث والدّلالة عن مشكلة الرّسالة قد ذكر سيّدنا قدّسنا الله به فضل المنبّأين والآيات الّتي أوقعها الله بهم والذّمّ والتّحذير والتّخويف، إستغنينا عن إيرادها لئلاّ تطول رسالتنا.

بل نورد جواب أبو سعيد فيها وهو قوله: إعلم يا سيّدي وفّقك الله لطاعته وجنّبك معصيته أنّ شيخنا قدّسنا الله به كان فقيه وقته وقدوة أهل مذهبه ورسالته فهي رسالة عالم دريّ إلى عالم درّيّ يعلم به أنّه عارفٌ بأغراضه وتلويحاته ولا يشتبه عليه مراده، وذلك أنّ الشّيخ قدّسنا الله به لمّا رفع المؤمن الّذي صفي من عالم البشر عن الغلط والسّهو والنّسيان وإنّما هو مؤمنٌ صافي لم يترتّب في الرّتب ولم يحلّ في المنازل العُلويّة، ثمّ أطلق على السّبع عشر شخص المنبّأين الّذين هم من الأيتام والنّقبا ومن سائر الرّتب العُلويّة إنّهم إستحقّوا بما كسبوا من الذّمّ والتّحذير والتّخويف لم يكن هذا منه جرًا على الله نقص من منازل المنبّأين ورفعاً لمنزلة المؤمن الصّافي، وإنّما جرًا هذا منه على قسمين، تنزيهاً وتأديباً.

فأمّا التّنزيه فهو قوله في تفسير قول الله تعالى: «أو يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإذْنِهِ ما يَشاءُ إنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ » فالمرسل هو الرّسول والّذي أرسلهم من دونه فهم السّبعة عشر المنبّأون في كتاب الله الّذي وقع عليهم الخطاب من الإسم، ويظنّ النّاس أنّ الخطاب واقعٌ من المعنى على الإسم، ومن عقل عن مولاه وعرف التّنزيل والتّأويل لم ينسب هذه الآيات ونظائرها إلى الإسم، فنزّهه قدّسنا الله به عن هذه الآيات وأوقعها بمن هو دونه وهم المنبّأون وجعل ذلك حجّة نقتفيها وطريقة نحتذيها

وسنّة نستسنّ بها إذا كنّا طريقة سلكنا وبعلمه تفقّهنا ولولاه وتوفيق الله لكنّا كغيرنا، ولمّا أوجب نزّه الله شخصه تنزيه الإسم عن ذلك لأنّه إسم الله وحجابه وأنّ ذلك واقعٌ بمن هو دونه من أهل المراتب والأنوار الّذين لا يليق بهم الغلط والسّهو والنّسيان عن ذلك لأنّهم أنوارٌ مضيئةٌ وأجسامٌ شعشعانيّةٌ، وهم الّذين قال فيهم الباري: « وما مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ، وإنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ، وإنَّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُونَ» وإن توقع ذلك بمن هو دونهم من أهل الدّرج النّوريّة والسّبع المراتب السّفليّة وإن وجدت الغلط والسّهو والنّسيان لا يليق بهم والذّمّ والتّحذير والتّخويف من شكلهم وإلاّ نزّههم عن ذلك وتوقعه بمن هو مركّب من أربع طبايع يليق بهم من الخلق البشريّ والعالم التّرابيّ الّذين هم من أجلهم وسببهم ظهر الله بما ظهر وأظهر أنواره كالبشر، فإذا فعلت ذلك وتيقّنته فقد صحّ، كما قال مولانا الصّادق منه السّلام: «نزل القرآن بمعنى إيّاك أعني وإسمعي يا جارة، علمت وعلمت جميع هذه الأنساب والأوصاف فينا موجودة وعلينا مردودة والذّمّ والتّحذير والتّخويف بنا لاحق وعلينا عائد وإلى قوله في الجّواب، فإذا كان ذلك كان المخاطبة بالمعصية والشّجرة والمخالفة في الأكل منها والهبوط من الجنّة النّورانيّة إلى الأرض وهي البشريّة والأجسام التّرابيّة وشهد أنّ العالمين نورٌ من نور وجوهر من جوهر.

وقال جدّي ومولاي الأمير الأجلّ جيش بن ناصح الدّولة قدّس الله روحه في رسالته: «ريحانة الرّوح» ألّفها للسيّد الشّيخ الأجلّ أبو الوقار الحسن بن عمّار نضّر الله وجهه فاستشهد فيها بقول الثّقة أبو الحسين محمّد بن عليّ الجلّيّ قدّس الله روحه عن العالمين العلويّ والسّفليّ فقال: «هما نورٌ من نور وجوهر من جوهر الميم معدنه والسّين مبداه والأيتام آلته.

وكذا في رسالة الفتق والرّتق: سئل عن العالمين فقال: نورٌ من نور وجوهر من جوهر الميم.

فهذا يا سيّدي ممّا ينزّه العالم الصّغير عن أن يماسسه شيءٌ ممّا يماسسنا من معاناة السّهو والنّسيان والغلط والأكل والشّرب والنّكاح والولادة والبول والغائط والذّمّ والتّحذير والتّخويف كلّه واقعٌ بنا وفينا.

والعالم الصّغير يجلّ عن هذا لأنّهم خلقوا بعد العالم الكبير من صفوة الطّينة الطّيّبة وخلقنا نحن من الكدر الطّينتين الطّيّبة والمالحة وفينا من المالحة أكثر من الطّيّبة لأنّ الطّيّبة هي الكون السّابع وهي قدس المعرفة الّتي في المؤمنين.

والطّينة المالحة هي العناصر الأرضيّة والطّبائع الرّديئة.

فإن غلبت الطّيّبة على المالحة في طول التّكريرات والمقتضا في قمصها فعل الخيرات نجت وإلاّ كما قال السّيّد نزّه الله شخصه من شعره

إذا منـــع البـــاب المعـــالج قفلـــه فمن ألف جلدٍ مـــا يصـــحّ أديـــم

و سيّدنا قدّسنا الله به وهو غنيّ عن أن يكون شيئاً في السّماع وإنّما فعل ذلك به مولاه لكيلا تقع السّلسلة المتّصلة في النّسب، ولولا أنّه بعد إنتساب المعرفة لهذا العالم الضّعيف أظهره الله لهم وجعله سبباً بينه وبينهم لما كان في طاقة هذا العالم أن ينسبونا وهم عالم الكدر بالمزاج فيقول أحدهم: سماعي من يتيم الوقت أو سماعي من المولى الحسن العسكريّ عزّ عن ذلك وتعالى.

فلمّا علم من المولى الحسن العسكريّ عزّ عن ذلك وتعالى، فلمّا علم تعالى منهم ضعفهم بينه وتكون أشخاص النّسب بعضها فوق بعض، أقام فيها سيّدنا وهو شخصٌ من أهل مرتبة فجعل سفيراً بينه وبينهم وسبباً لنجاتهم المعرفة ثابتة ولولاه بعد حدوث الغيبة الموجودة كان في الخلق قائماً بأمر مولاه داعياً إليه لما كانوا يرجوا من التّائهين.

وفيه خبر رواه لولده الجلّيّ أنّه جرا له قبل إتّصاله بالجنّان وأخذ أبوّته وذلك أنّ ولده أبو الحسين محمّد بن عليّ الجلّيّ سأله عن مراده في قوله: أنا ابن فراتكم عذباً شروباً.

قال: دخلت في بعض الأيّام على أبي وعمّي فوجدتهم ومعهم كتابٌ مجلّد يقرأون ويتذاكرون شيء من علم التّوحيد، فلمّا أن رأوني سكتوا عمّا كانوا يخوضون فيه.

فقلت لهم: لم لا تتحدّثوا بما كنتم فيه.

فصاح عليّ أبي وعمّي وطردوني.

فخرجت من عندهم باكي العين موجوع القلب ممّا جرى من أبي وعمّي وفتحت باب الدّار وأنا سحت.

فلم أبعد إلاّ قليلاً وإذا أنا بغلامٍ شابّ أحسن من الشّمس وأبها من القمر مقبلاً تجاهي، فلمّا أن وصل إليّ قال: يا حسين ممّا بكاؤك لا أبكا الله لك عيناً، هل أحزنك ما فعل أبوك وعمّك.

فقلت: هو والله ذلك.

فقال لي: أتحبّ أن تعلم ما هم فيه.

فقلت: أي والله يا مولاي إنّي لاهي بذلك.

فقال: تقدّم وافتح فاك.

فتقدّمت إليه وفتحت فاي.

فتفل فيه تفلة وقال مُرْ، فقد أورثتك علم الأوّلين والآخرين.

قال الحسين بن حمدان: فوالله لقد تحقّقت وحسّيت أنّ بين جنبيّ بحراً يتغطماء بأمواجه علماً وفهماً.

ثمّ قال: إمض السّاعة لوقتك فاقصص عليهم ما كانوا يتحدّثون به واتل عليهم كتابهم الّذي في أيديهم من أوّله إلى آخره.

فقلت له: من أنت يا مولاي الّذي منّ الله عليّ بك.

فقال: أنا أبو شعيب محمّد بن نصير النّميريّ.

فذهبت إليهم وقعدت بينهم، فلمّا أن رأوني خبّأوا الكتاب عنّي وسكتوا، فوقفت عند باب المجلس وقلت لهم: أتحبّون أن أعرّفكم بما كنتم.

فقالوا: نعم.

فقلت: معكم الكتاب المترجم بكذا وكذا، وكنتم تحرصون عليه في كذا وكذا، وابتدأت فقرأت الكتاب عليهم من أوّله إلى آخره، فبهتوا ينظرون إليّ وقالوا لي: من أين لك علم ذلك.

فقصصت عليهم قصتّي مع أبو شعيب، فسقطوا لوجوههم سجّداً ثمّ قاموا قياماً وأتوا إليّ واحتملوني على كتفهم وجلسوا دوني وقالوا: نشهد بالله أنّ لك من الله منزلة لسنا نجدها.

وجلسوا يقرؤون الكتاب، فكان عليهم فيه أسباب لا يعلمون ما هي فيسألوني عنها فأعرّفهم إيّاها على حقيقتها، فما منهم إلاّ وقبّل رأسي ويدي وشكروا على ما أنعم عليّ.

ثمّ فانظر يا سيّدي إلى هذا الخبر كيف به شيئاً يدلّ على أنّ سيّدنا قدّسنا الله به كان غنيّاً بلطف مولاه عن الواسطة وإنّما جعل ذلك فيه حتّى السّلسلة والطّريق وضحه، ويكون المتعلّم له سلّماً يتّصل به إلى من هو أعلا منه، ولو لم يكن ذلك كذلك لهلك الضّعيف والمبتدىء.

وممّا يشيد ذلك ويؤكّده ما ذكره أبو الحسين محمّد بن عليّ الجلّيّ قدّس الله روحه في الخبر يزعمون أهل التّقصير عن بلوغ معرفة منزلة الخصيبي قدّس الله روحه قبل ذلك لم يكن إتّصل إلى المعرفة.

وقد اختصرنا من الخبر موضع الحاجة وهو قول سيّدنا قدّسنا الله به.

وبتُّ ليلتي وأنا على أتمّ طهارة وتهجّد، فبينما أنا بين النّائم واليقظان إذا رأيت كأنّي في أرض خضرة ذات حصاء صغار، وإذا بمولاي بصورته ونعته.

قال لي: يا حسين أحزنك صنع أبوك وعمّك لك في معرفتي أرقا على يدي اليمنى فرقيت فهزّني ودحاني وقال لي: أنظر.

فنظرت إلى الأرض وجميع ما فيها تحتي، فكبّرته وهلّلته ومجّدته.

ثمّ دعاني إلى يده وقال لي: أقنعك يا حسين.

فقلت: مولاي منك أطلب المزيد.

فدحاني ثالثة، فرأيت السّماء تحكّ برأسي والكواكب بأزائي، وسمعت الملائكة يسبّحون ويهلّلون فسبّحته وهلّلته ومجّدته.

ثمّ قال: أمضي فإنّ الله سيعلي قدرك ديناً ودنيا وأهلك لم يمنعوك بعدها من علم ويلتمسون لك أباً.

قال الحسين: فأتيت إلى أبي وعمّي وخبّرتهم بما رأيت فصدّقوني وحملوني إلى أبو محمّد عبد الله الجنّان الجنبلاني وسألوه أن يفتح عليّ.

ففعل، واعتقدت أبوّته وسماعه وأخذت العلم من أبي وعمّي، وثمّ.

فانظر يا سيّدي إلى هذا الخبر الأوّل قول أبو شعيب له وفتح فاهه فتفل فيه تفلة وقال له مُرّ فقد أورثتك علم الأوّلين والآخرين، فكيف يكون محتاج إلى معلّم يعلّمه أو مؤدّباً يؤدّبه أو سبباً يكن له غير مولاه.

وبعد فإنّ قول مولانا أمير المؤمنين منه الرّحمة له مُرّ سيعلي الله قدرك ديناً ودنيا، ففيه كفاية لذوي الألباب، لأنّ العالم منه السّلام يقول: من رآنا فقد رآنا، فإنّ الشّيطان لا يمثّل فينا، وإنّما ذلك جعله الله فيه دليلٌ على أنّ المادّة واصلةٌ من المعنى إلى الإسم ومن الإسم إلى الباب إلى العالم الكبير ومن العالم الكبير إلى العالم الصّغير إلى عالم المزاج.

والشّاهد بذلك قوله تعالى: نيوحي بعضهم إلى بعض[1] الآية.

وممّا يؤكّده أنّ العالم الصّغير غير عالم المزاج وأنّهم لم يسلكوا فيه وقول مولانا الصّادق منه السّلام في كتاب الأشباح والأظلّة للمفضّل: أتدري لم سمّي المؤمن مؤمن.

فقلت: أنت أعلم.

فقال: إنّه أمن من المسوخيّات أن يرد إليها أو يدخل فيها.

قال المفضّل: سيّدي ومولاي: فما أوّل درجات المؤمنين.

---

[1] من سورة الجنّ بمعنى مغاير

فقال لي العالية وهي الباب والأيتام والنّقباء والنّجباء والمختصّين والمخلصين والممتحنين.

وأمّا درجات العالم الصّغير فأقربهم إلى عالم المزاج اللاّحقين والمستمعين والسّائحين والمقدّسين والرّوحانيّين والكروبيّين والمقرّبين وهما أعلا درجات العالم الصّغير.

كما أنّ الباب أعلى درجات العالم الصّغير.

كما أنّ الباب أعلى درجات العالم الكبير.

قال المفضّل: سيّدي ومولاي كم الأيتام.

فقال: خمسة أبداً، والنّقبا اثني عشر أبداً، والنّجبا ثمانية وعشرون أبداً، وبقيّة العالم الكبير والعالم الصّغير أصحاب المراتب والدّرج تمام المائة ألف وأربعة وعشرين ألف شخص وهم الّذي يدعو الدّاعي الّذي لا علم له فيقول: «اللّهمّ صلّي علىماية ألف وأربعة وعشرين ألف نبي » وهم يظنّون أنّهم أنبياء ورسل، وكلّ نبيّ ورسول هو سيّدنا محمّد إليه التّسليم، وإنّما سمّيوا هؤلاء أنبياء ورسل لأنّهم نبّؤوا بمعرفة الله في الأكوار والأدوار، وأمّا عالم الإجابة الّذين خلقوا في المزاج فإنّهم لا يحصى عددهم ولا يحيط بهم أحد غير خالقهم فتبارك الله أحسن الخالقين، وهذا دليلٌ على أنّ العالم الصّغير لم يخلقوا في المزاج بل هم من جملة أهل المراتب النّورانيّة، وممّا يرفع عن سيّدنا قدّسنا الله به أنّه كان محتاجّ إلى مخاطبة كمخاطبتنا قوله عن نفسه في قصيدته

وصـــفت مــــدحت فاســـتمعوا ... مقالــــة عــــالم لســـــني
مقالـــــة عـــــالم نطقـــــت ... عزائمـــــه عــــن اللّقنـــــي
عـــن الهـــادي عـــن المهـــدي ... عـــــن المرضـــــيّ للسّـــــنن
عـــن المـــأمول للخيـــرات ... و البركـــــات والـــــيمن

فمن كان تلقّنه عن هؤلاء وهم أصحاب الأمر وكيف يكون محتاج أن يلمس مخاطباً يخاطبه كأمثالنا.

وممّا يصحّح قولنا فيه أنّه صاحب شريعة وصاحب دعوة في هذا ونداء وأنّ مقبسه من كنه سرير السّرّ من بحر سلسل بحر الميم، وأن كان يغتدي من علمه قد أعطاه الحسب والكفاية، وقد حوى لمن يقصره ويقصّر عالمه باللّعن وهو قوله في منظوم شعره وقد تقدّم ذكر بعضه

فحسبك الله يا نجل الخصـــيب فقـد فاضت بحارك بالعلم الّذي خزنـــا
من كنه علم سرير السّـرّ مقتبســاً من بحر سلسل بحر الميم مقتبســاً
و حسب من كنت تغذيه وترضـــعه ثدي الغلــوّ إلــى مــولاك سـيّدنا

و ممّا يرفع أيضاً عنه الأكل والشّرب وعن العالم الصّغير وما قاله في نفسه في قصيدته الّتي ذكر فيها مرتبته وقد قدّمنا ذكرها في موضعين وهي

و قــد ســيّرت فــي الجنّــات مــــع طلـــك يســـيّرني
يقـــال لـــه أبـــو الغفـــران رضـــواناً أبـــو حســـن
فأســـــكنني برحمتــــــه مســــاكنها ومتّعنـــــي
بحــــور بــــين ولــــدانٍ حســـانٍ ثـــمّ ألبســـني
مـــن الخضـــر السّـــنادس مـــا بـــه فـــي الخلـــق زيّننـــي
و فكّهنـــــي بفاكهـــــةٍ و لحـــم الطّيـــر أطعمنـــي

فمن قد سيّر في الجنّات مع رضوان برحمة مولاه ومتّعه بحورها وولدانها وألبسه من الخضر السّنادس ما به في الأرض الخلق زيّنه وفكّهه بفاكهةٍ وأطعمه من لحوم طيورها وسقاه من عسلها ومن لبنها، هو عند مولاه بهذه المنزلة كيف يطعمه من الطّعامات الدّنيّة الخبيثة المولّدة للخبيثين البول والغايط.

ليس هذا الأمر عظيم وعماءً عميّ من هذا الخلق والأركان القليل والبرهان كيف يعجزون القادر عن أن يقيم لهم شخص من بعض الأشخاص ملكه ويتركه يدعوهم إلى طاعته، ثمّ أن نعود وننظر إلى الحقيقة فترى الخالق قد خاطب عبده موسى من الشّجرة لا روحاً فيها ولا حركة، فما يمنعه أن يظهر قدرته من شخصٍ

نورانيٌ ويتركه ويدع الخلق إليه ويدلّهم عليه، وأمّا قول سيّدنا قدّسنا الله به عن العالم الصّغير أنّهم زادوا ثمّ نقصوا، فأمّا الزّيادة فهي عند ورود المادّة بالعلم والتّوحيد إليهم من العالم الكبير فيزدادوا بذلك نوراً وقوّة في الإيمان فيطالبون يرقّون مراتبهم إلى المراتب الّذي جاءتهم منها المادّة فيقصّرون عن ذلك وتنقص همّتهم عن أوانه لمّا سبق منهم من التّوفيق عند النّداء عن الإجابة من وقت الأظلّة.

وأمّا قول سيّدنا قدّسنا به عن العالم الصّغير أنّهم نكحوا فصدق أنّ كلّ من ألقى شيئاً من التّوحيد إلى من هو دونه فقد نكحه.

وأمّا قوله عن العالم الصّغير أنّهم ولدوا وتوالدوا فإذا كان المعنى عزّ أن تضرب به الأمثال قد ظهر بالأولاد وأظهر الولادة، فما يقول باقي العوالم، وهذا ما أمكن وما توفيقي إلاّ بالله العليّ العظيم.

الرّسالة الحرّانيّة

لأحمد بن محمد بن علي العبدي النميري

الرسالة من تأليف أحمد بن محمّد بن عليّ العبديّ النّميريّ، وهي رسالة صغيرة مجملها الثّناء. ولكن المؤلف يشير فيها إلى التشابه المتضادّ بين الرموز العلوية كالأيتام والأبواب والرموز السفليّة كأيتام الكفار وأبوابهم. وهذا أمرٌ قلّما يشار إليه في مصنفات العلويين.

و المؤلف كما يظهر من اسمه هو من أقارب أبي شعيب محمد بن نصير الّذي لم نجد رسالة لنميريّ بعد أبي شعيب غيره.

بسم الله الرّحمن الرّحيم.

وصل الله سيّدي الشّريف برفيع بيوت أجسامه وشمله بثبوت أعلامه وأمال كثافة ناسوته إلى لطافة لاهوته كما وصلني ابتداءً بكتابه العظيم القدر لديّ العميم الخطر عندي ولقد وقفت على مبادي مبانيه فقطعتني الحيرة فيه عن استغراق معانيه ومنعتني الخبرة بالعجز عن فضله دون تناهيه وما حبّره من جليّ ألفاظه فيه.

وسألت مالك أموري ومن إليه مصيري أن يرفع في سنا درجات الإيمان زيهوره وأن يجمع في على مقامات درجات نوره حتّى يشرعه منه إليه ويطلعه دليلاً له به عليه إنّه ذو عطفات وعظم رأفاتٍ وكرم وبعد فذكر في كتابه الواصل إليّ مع الأخ أبي الفتح المحسن أحسن الله عونه أنّه اجتمع مع أصدقاء له كلٌ مشتهرٌ

وأنّه جرى قولٌ فيما تقدّم من السّبق في الإيمان والتّوفيق والحرمان وأنّه شرح لهم فيه ما سمعه عن سيّدنا أعلى الله رتبته وهو ما أورده في كتاب المراتب وأنّ المجتمعين معه في ذلك أيّدهم الله أنكروا ما قاله وتعاظمهم أحواله، فعلمت أنّ الّذي حملع على أن شرح لي ما جرى إشفاقاً منه عليهم واعرففاً أمرهم بي ليرد ما يسكنهم منّي إليهم ومثله أباحه الله العروج إلى جواره ومنحه الولوج إلى سمّاره من ناظر نفسه لآخرته وتاجر بنفسه لإخوته، فقد رواه عن العالم منه السّلام أنّه قال: لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه، وروينا عنه منه الرّحمة أنّه قال: لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون فيه ثلاث سنن: سنّة من ربّه وهي كتمان دينه وسنّةٌ من نبيّه وهي مداراة النّاس وسنةٌ من وليّه وهي الصّبر على البأساء والضرّاء وهو أمتعه الله بمؤانسته فقد ألهمه الله ذلك ويجب عليه الشّكر على الموهبة الهنيّة وأن ينزل هؤلاء الإخوة أيّدهم الله منه المنزلة العليّة والمرتبة السّنيّة فإنّهم يقومون من قوانين معرفة الله عزّ وجلّ بأكثر من علمهم بما وقفوا فيه ممّا تقدّم من هذا وإنّهم كما قيل: إنّ الفاضل لا يسلبه فضله السّابق ما لا يعترضه من العوائق، وكما قيل: أيّ عالمٍ لا يهفو وصارمٍ لا ينبو وجوادٍ لا يكبو وإنّ مالكي العلم الحقيقيّ رجلان، فرجلٌ يعلم ويعلم أنّه يعلم، فذلك عالمٌ فاتّبعوه ورجلٌ يعلم ويظنّ أنّه لا يعلم، فذلك ناسٍ فذكّروه وليس إنباهي إيّاه جعل الله حظيرة القدس مأواه على معرفة منازل هؤلاء الإخوة أيّدهم الله شكّاً في معرفته بذلك لا والله بل متحقّقٌ أنّه سابقٌ إلى كلّ فضلٍ حووه ومعرفةٍ وحائط بكلّ أصلٍ بنوه ومرتبةٍ غير أنّي آثرت إذكاره راغباً في الثّواب ومشاركته في الأجر عند الإنقلاب وكيف لا وقد تفضّل وأودع شرح الرّواية وأدرج كتابه إليّ مستشفعاً أن أشرع في بناء ما يضاهيها إن كانت حقّاً في تناهيها ليكون لي مشرّعاً ولأمرهم مجمعاً وإن كانت غير حقٍّ أن أعترضها بما ينافيها وأنقض ما فيها لتكون لهم جمعاً وردعاً وللقيل والقال قطعاً وأنفذه له وللإخوة المتفضّلة بحسب إعتقادي طاعته وإعتمادي إرادته فبادرت إلى ما

طلب وسارعت إلى ما فيه رغب، فأوّل خطاب أفقوه وآيته وأجلّ بناءٍ أعربه وأبنيه ذكر الله جلّت عظمته فأقول.

الحمد لله الّذي هو بدوه منه الّذي لم يبن عنه فأوجده بنوره الّذي لمع مع لدنه ما طلع، أحمده وهو الله الإسم الأجلّ المعبود والنّفس المحذّرة الّتي تبدي وتعيد والوجه الكريم الّذي له السّجود والعين النّاظرة النّور الموجود والأذن الواعية الّتي لا تبيد واللّسان النّاطق العهد المعهود واليد الباسطة على كلّ يدٍ أثبته معبوداً أحداً جلّت ذاته عن الحسّ والإدراك وأشهده موجوداً فرداً جلّت صفاته عن اللّمس والإشراك وأنزّه أزليّة قدمه عن بسط حدثٍ منظورٍ وأنزع كليّة ديمومته عن انفصال اتّصالٍ بظهورٍ وأسأله بإبانة صفاته هذه الّتي هي له بدية وليست هي منه ألسن عبارته الدّالّة عليه وبمقامه المعنويّ المتجلّي المتسمّى بعليّ أن يصلّي على اسمه المسمّى وعليمه بإيمان وخفى ورسوله المصطفى ونبيّه هادي الورى وصفيّه الدّاعي إلى معرفة المعنى المؤدّي عن مبديه إلى بريّته إذكاراً والدّليل إلى مسمّيه إختباراً المملّك أقاليد العلى والتّقدير والباسط منه مأوى الرّزق والتّدبير وأسلم الأمور إلى العليم الخبير، ثمّ نقول – وبالله نرجو التّوفيق وبلوغ الإدراك في التّحقيق – ما رويناه سماعاً عن الشّيخ الفاضل الثّقة أبي الحسين محمّد بن عليّ الجلّيّ عن شيخه أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي رضي الله عنهما عن عبد الله بن أيّوب القمّيّ عن أبي المثنّى عمر بن مختار الخزاعي وهو الرّاوي لكتاب المراتب والدّرج عن أبي الحسن عبد الله بن معاوية بن عبد الله جعفر بن أبي طالب رواه عن السّيّد الأكبر جعفر بن محمّد منه السّلام أنّ الله تبارك وتعالى خلق الخلق روحانيّين لا يطعمون ولا يشربون ولا يألمون ذوي أجسادٍ نورانيّة وظهر فيهم على هيئتهم وأشكالهم وأظهر لهم القدرة القاهرة والحجّة الباهرة والعلامة النّيّرة وجعلهم يشاهدونه ويرونه ويتبيّنونه وينظرون إليه ويسمعون كلامه ويعرفون قدرته ويعقلون أمره ونهيه، ثمّ إنّه دعاهم إلى معرفته ووحدانيّته والإقرار بربوبيّته وجعل لهم من العقل ما يفصلون به بين الخير والشّرّ والحقّ والباطل والطّاعة والمعصية، فأجابه منهم إلى ذلك من

أجابه وعصاه منهم من عصاه فكان الّذين أجابوا إلى المعرفة بوحدانيّته والإقرار بربوبيّته أجابوه في أوقاتٍ شتّى، فمنهم من أجاب في أوّل دعوةٍ ومنهم من أبى وأنكر، ومنهم من شكّ ووقف فافترق الخلق كلّهم فرقتين فرقةً مؤمنةً وفرقةً كافرةً وكان مقدار الوقت الّذين دعاهم فيه إلى أن افترقوا سبعة أيّامٍ، فجعل الله إيمان المؤمنين ضياء النّهار وجعل كفر الكافرين ظلام اللّيل وجعل المؤمنين أولياءه وجعل الكافرين أعداءه وهو قوله تعالى: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ»، فصار السّابقون في الإيمان رؤساء المؤمنين وصار السّابقون في الكفر رؤساء الكافرين فاستوفى القوم أجمع إيمانهم وكفرهم في هذا المقدار من الأيّام السّبعة واللّيالي السّبعة فجعلها الله الدّائرة بين هذا العالم، ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى جعل المؤمنين والكافرين في مراتب الإيمان والكفر على قدر سبقهم إلى الطّاعة والمعصية، فجعل السّابقين الّذين أجابوا في أوّل الدّعوة على مراتب، فمنهم الأبواب، ثمّ الّذين يتلون الأبواب وهم الأيتام، ثمّ الّذين يتلونهم وهم النّقباء، ثمّ الّذين يتلونهم وهم النّجباء، ثمّ الّذين يتلونهم وهم المختصّون، ثمّ الّذين يتلونهم وهم المخلصون، ثمّ الّذين يتلونهم وهم الممتحنون، فهذه سبع مراتب للمؤمنين على قدر السّبعة أيّام، وكذلك للكافرين أيضاً سبع مراتب في الكفر، ثمّ إنّه قسّم كلّ مرتبةٍ من هذه المراتب على سبع درج حسب ما كان منهم من السّبق في الطّاعة والمعصية، فكمل للمؤمنين تسعة وأربعون درجة، ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى كرّر الخلق أجمعين بالمواليد وظهر لهم وجعل المؤمنين الدّعاة إليه والدّالّين عليه وجعل الدّليل لهم على نفسه عند ظهوره القدرة والمعجزة الّتي لا يأتي بها سواه ولا يزال العبد يكرّ مرّة بعد مرّة ووقتاً بعد وقتٍ وعصراً بعد عصرٍ حتّى يخلص له الإيمان المحض أو الكفر المحض، فإذا خلص العبد منهم الإيمان المحض ردّ إلى الرّوحانيّة والأجسام النّورانيّة، فأسكن في جوار الله وحسن أولئك رفيقاً، وإذا خلص العبد الكافر الكفر المحض أنشيء له من أفعاله جسمٌ من المسوخيّة يعذّب فيه على قدر كفره وجهله،

فالمؤمنون يثابون على قدر إيمانهم ويزدادون والكافرون يعذّبون على قدر كفرهم وجهلهم وذنوبهم، وإذا اقتصّ ما عليهم ردّوا إلى الأشخاص البشريّة فألحقوا بالإقليم الّذي فيه الربّ ظاهر والدّعوة مستأنفة، فهذه الرّواية على حقيقتها قد أوردناها وبغير شكّ أنّ هؤلاء الإخوة أيّدهم الله قد رووها وقرأوها وأنّه لا لمن قرأ هذا الكتاب ورواه أن ينكره وأظنّهم أنكروا ما قاله الشّريف من أنّ أسماء الدّرجات في الكفر كأسماء الدّرجات في الإيمان وعافوا أن يكون الصّافيين السّابقين إلى الإيمان سبع مراتب كما ذكر في هذا الكتاب مسمّاة باب ويتيم ونقيب ونجيب ومختصّ ومخلص وممتحن تتفرّع إلى تسع وأربعين درجة ويكون للمخالفين السّابقين إلى العصيان سبع مراتب أيضاً مسمّاة بباب ويتيم ونقيب ونجيب ومختصّ ومخلص وممتحن تتفرّع أيضاً إلى تسع وأربعين درجة.

فلعمري إنّ الأمر على ما ذكره الشّريف لكن من وقف على ذلك من المؤمنين تنزيهاً لم يقصد به كفراً ورداً حاش لله ولا جحداً، وإنّما يرفع أولياء الله تنزيهاً عن أن يكون لهم شبيهاً أو أن يساويهم الكفرة في منزلة ما من تسمّى بأسماء مرتبة أو تسامى إلى ظهور قبّة، فما دون ذلك، فأمّا إذا حملنا الأمر على ما تقدّم في أنّ الإيمان درجات وجدنا هؤلاء الإخوة الّذين أنكروا ما تقدّم ذكره قد تأوّلوا في وقوفهم تأوّلاً حسناً لم يخرجوا به عن إيمانٍ ولا ولجوا في عصيان بل ضياء إيمانهم يدعوهم إلى أن هم علموا حقيقته قبلوه وإن لم يعلموا حقيقته ردّوه إلى وليّ الأمر ولم يبطلوه وعلمه الشّريف فقال وتحقّقه فقبله، فكان هو وهم في ذلك كما قال الله عزّ وجلّ: «ورَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ» وكما قال جلّ وعلا: «فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ ومِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ومِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ»، وكما قال عظمت منّته: «وكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى» وكما قال سمت حكمته: «لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمانِكُمْ ولكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الأَيْمانَ»، فهؤلاء الإخوة أيّدهم الله مسلمون سالمون ممّا أنكروا بتأوّلهم كما قيل: إنّه أتى على النّاس زمانٌ لم يكن فيه غير عالمٍ واحدٍ عارفٍ بحقيقة معرفة الله وكبر سنّه وخاف النّقلة، فقال في نفسه: أخشى النّقلة وتخلو الأرض من

عارفٍ بالله فأحضر تلميذاً له قد خدمه برهة، فألقى إليه كلمة الإخلاص، فلمّا سمع التّلميذ ذلك منه وثب عليه فقتله، ثمّ إنّهما حضرا بين يدي الله عزّ وجلّ، فقال الله للعالم منهما: ما الّذي حملك على إذاعة سرّي؟ فقال: ربّاه، خشيت أن تخلو أرضك من عارفٍ بك فخصصت هذا التّلميذ بكلمة الإخلاص لأحييه.

فقال الله للتّلميذ: ما الّذي حملك على قتل من طلب حياتك؟

فقال: ربّاه، أغرت على هذا الرّجل كيف سمح به، فأدخلهما الجنّة بتأولهما غير أنّ الّذي وقفوا عنه حقٌّ وواجبٌ من سائر جهاته وصدقٌ لازب في جميع حالاته وأنا أدلّ بلطف أحكم الحاكمين ورأفة ربّ العالمين أنّ الأمر على ما قاله الشّريف بشواهد من الرّوايات ثبتت في التّعريف وأنّ أشخاص الضدّ قد ترتّبت وتسمّى حجاباً هو هو وبباباً له منه ويتيماً غير بائنٍ عنه ونقيباً ونجيباً ومختصّاً ومخلَصاً وممتحناً وإنّه وإن كان مشاركاً كالأهل العالم العلويّ بالتّسمية بأسماء هذه الرّتبة، فإنّ الجّواهر والحقائق مباينةٌ مختلفةٌ وأقيم أبين علامة من آي الكتاب القويم ومستقيم قوانين تمامه من الخبر السّليم مشفعاً ذلك بقول الشّيخ أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي ورواية الشّيخ الثّقة أبي الحسين محمّد بن عليّ الجلّيّ بتوفيق من المولى العليّ.

قال الله تعالت آلاؤه: «ولَو جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً ولَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ» فأنبأ عزّ وجلّ أنّ كلّ شخصٍ من الأشخاص المبتدئة وكلّ صورةٍ من الصّور المرئيّة كالبشريّة منسوبٌ إلى المراتب العلويّة ملبسٌ ظاهره على البريّة، ثمّ إنّ هذا الملك الملبّس كان الضدّ ولو كان الباب اسمه في الظّاهر باباً ثمّ تسمّى الشّخص المذموم الّذي يظنّ أنّ هذا التّلبيس هو حقيقة الباب باباً لم يضرّ الباب في حقيقة وعلانية بديّه لا ينتفع إبليس بهذا الاسم في حقيقة تناهيه وكذلك أهل المراتب من السّابقين إلى الإيمان والسّابقين إلى العصيان تسمّيهم المراتب من السّابقين إلى الإيمان والسّابقين إلى العصيان تسمّيهم بالإشتراك فاعلمه، ثمّ قد قال الله عزّ وجلّ تحكيماً لاسمه جلّ تمامه: «ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» وقال

أمير المؤمنين منه الرّحمة: إنّ الله يحبّ أن يؤخذ برخصه كما يحبّ أن يؤخذ بعزائمه، وذلك قوله: «لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ» فظاهر هذا القول منافٍ للعقول وباطنه أنّ الله أحكم بما يبديه من حكمه وأفعاله وأعلم بما يناسبه من كلمه وأقواله، ثمّ إنّ أمير المؤمنين أنبأ وأمر بأن يؤخذ برخص الله تعالى وبذلك قد أوجب أنّ الأخذ بها غير متجافٍ عن العقول، فأمّا الدّليل على أنّه جائزٌ أن تكون أسماء مراتب الضدّ وأشخاصه في البشريّة كأسماء أهل المراتب العلويّة مثل باب ويتيم ونقيب ونجيب ومختصّ ومخلص وممتحن هو ما رويناه عن الشّيخ الثّقة أبي الحسين محمّد بن عليّ الجلّي رضي الله عنه في سياقة أسماء الضدّ لعنه الله في البشريّة على عهد آدم إلى عصر السيّد محمّد أنّه مع آدم وهابيل وشيث إلى عهد إدريس متصوّراً بشخصين قابيل بن آدم وأخته عناق وبابهما عوج بن عناق وذلك أنّ عناق ولدت مع قابيل توأماً وأنّ قابيل بخلافه على آدم نكح أخته عناقاً وهي مولودةٌ معه وتوأماً كما قدّمنا القول فيه ولدت عوجاً كما نكح الخطّاب أمّه صهاك فجاءت بسكدٍ وهو هو وكان مع إدريس إلى نوح ظاهراً بناحور الجبّار وكان مع نوح وسام ابنه ظاهراً بحام بن نوح وأيتامه يغوث ويعوق ونسر وودّ وسواع، وكان مع هود ظاهراً بعادٍ الأصغر وبابه سدوم صاحب قضاء السّوء الّذي يعرفه أهل الشّرع ويتناقلونه ويقولون إذا جار جائرٌ (هذا قضاء سدوم)، وكان مع صالح ظاهراً بقيدار عاقر النّاقة وبابه سادوم الجبّار وكان مع إبراهيم وإسماعيل النّمرود بن كوش بن كنعان وبابه خوبال وكان مع موسى وهارون فرعون مصر وهو الوليد بن مصعب وأشخاصه هامان وقارون وهو السّامريّ وصفراء وبابه العجل وكان مع داؤود وسليمان جالوت الجبّار وبابه صخر العفريت الّذي يذكر أهل الظّاهر أنّه إختطف خاتم سليمان وابتزّه ملكه وكان مع دانيال والعزيز وأرميا بختنصّر الجبّار وبابه جوبر ابنه وكان مع زكريّا ويحيى وعيسى هيرودوس الملك وبابه يهوذا الاسخريوطي الّذي دلّ على سيّدنا المسيح ووقعت به المثلة والتّشبيه والقتل كما وقّعت المثلة بالثّاني لعنه الله يوم الطّفوف وكان في مقامات الفرس ظاهراً بكسرى

أبرويز بن كسرى أنوشروان الّذي كاتبه السّيّد محمّد فخرّق كتابه وبابه بهرام جوبير وكان بعهد السّيّد عبد المطّلب ظاهراً بأبرهة بن الصّباح الجّلنديّ بن كركر صاحب الفيل وكان مع السّيّد محمّد منه السّلام ظاهراً بأشخاص عدّة منها أبو جهل بن هشام وعمر بن عبد ودّ وسراقة بن مالك الفزاريّ وعائشة والجّملة سكد لعنه الله وبابه زازمد وحفصة والدّليل على ذلك أنّ أبا جهل كان أشدّ قريش بغضاً لمحمّد رسول الله صلعم وعلى آله فأهلكه الله على يد رسول الله محمّد وسراقة بن أعين بن مالك الفزاريّ تصوّر بصورة إبليس يوم بدر ونادى: ألا قتل محمّد.

فخاف المسلمون ثمّ أهلكه الله وضعف كيد سكد وعائشة وبأسهما فقال عزّ من قائل: «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً»، وإجتمعت الشّيطنة كلّها في عمر بن عبد ودّ فبارزه أمير المؤمنين منه الرّحمة قال رسول الله صلعم وعلى آله: الإسلام كلّه بارزٌ للشّرك كلّه ولمّا هلك عمر وبقي زفر ضعف بأسه جزعاً، وكانت التّأنيث في عائشة اجتمعت الشّيطنة كلّها فيها لأنّها أصلها، فقاتلت أمير المؤمنين منه الرّحمة، فقال الله: « إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ»، فأمّا أسماؤه بعد هذا فإنّها لن تخفى على عارفٍ مستبصرٍ وإنّهم الأضداد الّذين كانوا من بني أميّة وبني العبّاس المتسمّين بأمرة المؤمنين ويذكرون ويخطب لهم على المنابر، فإنّهم خلفاء الله في أرضه ويقضون ويمضون بين عباده وأبوابهم الضّالّون الصّادّون مثل أبو حنيفة ومالك وأبو الهذيل والعلاّف والحسن البصريّ وإسحاق وغيرهم وكلّ من قال بالقياس وأضلّ النّاس وكلّ من نصب نفسه بزعمه إماماً وقاضياً يقضي يحلّ ما حرّم الله ويحرّم ما أحلّ الله كلّ ذلك خلافاً على الله وعلى رسوله وعلى الأئمّة الهادية عليهم السّلام وهم أئمّة الضّلال وفيهم يقول الله تعالى: «وجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ويَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ».

وقال الشّيخ أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي رضي الله عنه في رسالته: «وأمّا أسماء الأضداد مع المتوكّل عمر بن فرج السّاكن في بدر أكبر أيتامه عبد الله بن صاعد والأعور الحارثيّ ومروان بن حفصة وأبو زنّة عليّ بن الجّهم

هؤلاء بالعسكر يعني سرّ من رأى ولا يعرف نفسه إلاّ عبد الله بن صاعد وإذ قد ثبت بهذه الرّوايات الّتي أوردناها عن الشّيخ أبي عبد الله وأبي الحسين الجلّيّ رضي الله عنهما أنّه قد يجوز أن تكون أسماء مراتب أهل المعاصي كأسماء مراتب أهل الإخلاص، ثمّ قد ذكرما اسم الضدّ وبابه وأيتامه ولم نذكر نقيب الضدّ ونجيبه ومختصّه ومخلصه وممتحنه وكنّا تبّاع هذين الشّيخين قدّس الله روحيهما، فنحن نقتدي بما قاله الشّيخ أبو عبد الله رضي الله عنه في رسالته وإنّما تركنا تسمية أشخاص المختصّين والمخلصين والممتحنين وهم ثلاث مراتب من سبع مراتب العالم الكبير النّوراني الّذين عددهم خمسةآلاف شخص وأسماء المحمودين وأسماء المستودعين والمستحفظين لأنّهم من جملة المائة ألف وتسعة عشر ألف شخصٍ من العالم الصّغير البشريّ التّرابيّ وجميعهم الّذي يدعو الدّاعي الّذي لا علم له فيقول: اللهمّ صلّ على المائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي وهو يظنّ أنّهم أنبياء ورسل وكلّ نبيّ ورسول، فهو الاسم على ما قدّمنا ذكره وهذا العدد إنّما سمّوا أنبياء لأنّهم نبّأوا بمعرفة الله وحقيقة توحيده في جميع الملك من الكون النّورانيّ الأوّل إلى يوم القيامة والرّجعة البيضاء، فلمّا بعدت أسماؤهم عنّا ولم نحط بها علماً ولا حفظاً ولا إحصاءً ولا عددا سمّينا من المتعارف المعروف في أيدي أهل التّوحيد وصحّحناه ونسبنا كلّ شخصٍ إلى مرتبته ليعلم من لم يكن يعلم، وما توفيقنا إلاّ بالله، ونقول نحن أيضاً إنّا لمّا أحطنا علماً بإقامة الدّليل على اسم الضدّ وبابه وأيتامه لم نحط علماً بأهل المراتب الظّلميّة وأسمائها إذ كانوا من جملة العالم الأسود، والكثير والجمّ الأنكد الغفير ووثقنا بأن يسير الدّليل يغني عن الكثير الطّويل، رأينا أن نشفع ما مضى بما يؤيّده ونتبع ما انقضى بما يسدّده، فمن ذلك قول الله وهو أصدق القائلين: «وسِيقَ الّذينَ كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إذا جاؤُها فُتِحَتْ أبْوابُها» «وسِيقَ الّذينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إذا جاؤُها وفُتِحَتْ أبْوابُها» فقد أوضح عزّ وجلّ وصرّح ولم يلوّح بأنّ للجنّة أبواباً ولجهنّم أبواباً ولهذا نظائره في القرآن كثير.

ثمّ قال في اليتيم: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً» وقال: «وابْتَلُوا الْيَتامى حَتَّى إِذا بَلَغُوا النِّكاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ» فسمّى المشكوك فيه يتيماً والمتحقّق فيه يتيماً، وأعجب من هذا قوله: «وجَعَلْناهُمْ[1] أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ويَوْمَ الْقِيامَةِ» وقال: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» ثمّ قال في الخبر: إنّ أمير المؤمنين منه السّلام سئل عن أبي بكر وعمر فقال: إمامين عادلين كانا على الحقّ والحقّ معهما، حشا الله قبريهما نوراً، فذكره جلّت قدرته في كتابه المخبر وإشهاره ذلك في الخبر أنّهم أئمّةٌ أجلّ من قولنا باب ويتيم ونقيب ونجيب، وغير ذلك.

ثمّ إنّ تمام قوله تبارك وتعالى وإنتظام الخبر إقامة أبا بكر وعمر وعثمان أنفسهم مقام الإمامة والخلافة لله في عالمه وهذه أحكام الرّؤية والمشاهدة فأعظم من قولنا باب ويتيم ونقيب ونجيب وغير ذلك وأعزب من هذا إظهار المولى هابيل منه الرّحمة قتل قابيل له وإستظهاره في الظّاهر عليه من أنّه لو كانت الأفعال والأسماء الظّاهرة للضدّ نافعةً وللوليّ صائرةً واضعة لكان قتله لهابيل - جلّ الله عن ذلك - منفعةً تجلّل موضعه وترفعه ولا تضعه ولكان لمّا أظهرت القدرة في سكد بن الخطّاب في ندائه لسارية وإسماعه صوته من المدينة إلى نهاوند له منفعةً - حاشا لله - بل زيادةً في إثمه ليزداد طغيانه ويقمعه ولكنّا قدّمنا القول أنّه لن يضرّ من هو من أهل النّور أن يرى كالمقهور ولا ينفع الكفور أن يتسمّى بأسماء أهل النّور ويناوي‌عمقام الرّحيم الغفور لأنّ المعنى جلّ سلطانه هو المولى الّذي به يتمعنى كلّ شيء وإليه يعود وإن جلّ، وإبليس فمن لا شيء فهو يضمحلّ كما قال الله سبحانه: «وقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً»، ومن كان هباءً ومن لا شيء فلن يجوز أن يعاند الله تبارك اسمه لأنّه قال: «ولِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ والأَرْضِ طَوْعاً وكَرْهاً»، فروينا عن أشياخنا أنّ قوله: كرهاً يعني به إبليس ومن أكرهه الله على سجودٍ لصورة فهو من أرزل عبيده المقهورة، وإنّما إبليس لعنه الله

[1] وردت في جميع النصوص: وجعلنا منهم أئمّة وفيما بدينا من القرآن وجعلناهم

ضدّ لنفسه من خبث ظنّه، انّ الأنوار الباطنة في ظلال أهل المراتب الظّاهرة من الاسم ومن دونه أشخاصٌ مثله، فهو بقياسه وزعمه يضادّ كلّ شخص ظهرت منه قدرةٌ لأجل ذلك لا يزول هو أبداً عن الهياكل البشريّة الظّلميّة إلاّ إلى سلوك المسوخيّة البهيميّة العميّة والوسوخيّة الكثيفيّة القمّيّة والفسوخيّة الموقدة الذّمّيّة والرّسوخيّة المسبوكة الذّميميّة، ثمّ قد عبد الأصنام وسمّاها الله آلهة بقوله: «فَرَاغَ إلى آلِهَتِهِمْ» الآية، وهذا فأعظم من بابٍ ويتيمٍ ونقيبٍ ونجيبٍ وغير ذلك وأغرب وأعجب من جميع هذا وأقرب قول الله وهو الرّبّ: «وما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللّهُ إلاّ وحْياً أو مِنْ وراءِ حِجابٍ» وقال عن إبليس: «إنَّهُ يَراكُمْ هُو وقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ» فأوجب تبارك وتعالى لنفسه حجاباً ولإبليس حجاباً حتّى أنّه في ظاهر القول مساوٍ له تعالى الله عن أن يبديء بما هو أبداه لأنّ حجاب الله مقامه الّذي به يهتدي إليه وعنده يوجد فيقف العارف عليه، وحجاب إبليس هو حلوله في النّسخ والفسخ والوسخ والرّسخ، فإنّهم إذا حلّوا في ذلك احتجبوا عنكم ورأوكم وأنتم تطأون أرضهم وتسكنون ديارهم وتتمتّعون بنسائهم وتتنعّمون بنعمهم، فتكون عليهم حسرة ولا ترونهم، فبهذا على إيجازه وإقتضابه وإقترابه مقنعٌ لمن اهتدى بالصّواب في هذا المعنى ورفع الشّكّ والإرتياب، ثمّ إنّنا نبيّنه على سابق علم الله وما أمضاه وأحكمه ونوقظ على شائع إرادته وما قضاه وأبرمه بأمرٍ يضاهي هذا المعنى ويقاربه ويباهي هذا القول ويثاقبه، فنقول: إنّ الله عزّت آلاؤه قد سمّى أولياءه في المجانسة ونجباءه في المؤانسة بأسامي أعدائه الأبالسة وبعصاته الوساوسة، فمن ذلك أنّه تقدّست أسماؤه قال: «ومِنَ الشّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ ويَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلِكَ وكُنّا لَهُمْ حافِظِينَ» ثمّ إستثنى في أهل دعوته فقال:«وتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفادِ، سَرابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ [1] وتَغْشى وُجُوهَهُمُ النّارُ»، فسمّى أولياءه الّذين يحفظهم شياطين كما سمّى أعداءه المقرنين في الأصفاد وسرابيلهم من قطران المغشي وجوههم النّار شياطين وقال: «شَياطِينَ الإِنْسِ والْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى

---

[1] لعل المقصود هي الآية: "والشّياطِينَ كُلَّ بَنّاءٍ وغَوّاصٍ،وآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفادِ "

بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً» وقال: «واتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ وما كَفَرَ سُلَيْمانُ ولكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ ومارُوتَ وما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وزَوْجِهِ وما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ويَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ ولا يَنْفَعُهُمْ»، وقال حكاية عن سحرة فرعون لمّا هدّدهم بالقتل والصلب: «قالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ» فسمّوا المستشعرة المنفعة بالإنقلاب إليه سحرة كما سمّي من يتعلّم ما يضرّه ولا ينفعه بسحرة، وقال عن إبليس لمّا أمره بالسّجود أنّه قال: «قالَ أَنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» وقال عن مولانا المنتظر: «نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ» فسمّى أفضل الأئمّة وسيّد الأمّة والحجّة على العباد ناراً كما سمّى إبليس نفسه ناراً ومنها خلق، فهذا أعظم من كلّ ما تقدّم وفات وأحكم من كلّ ما هو آتٍ، وليس غير الرضا والتّسليم وقبول أوامر العليّ العظيم.

كمل ما رسم الشّريف المستقيم ديانته السّليم بناؤه، وقصدت فيما آتاه وانتهيت فيه إلى أمره وامتثلت النّباهة قدره مستشعراً أنّ هذه المقالة محفوفةٌ بالنّجاح موقوفةٌ إلى الصّلاح إذ هي صائرةٌ إليه وإلى الإخوة أيّدهم الله وأسأله وإيّاهم تصفّحها وأن يصفحوا عن الزّلل فيها ويسمحوا بالخلل في تواليها، فإنّهم عندي بفضلهم عن أهل الجّهل ممتازين وقلوبهم للعلم موازين.

أقول قولي هذا وأنا أشهد أنّ المعنى هو العليّ الأعلى وأنّ محمّداً اسمه وحجابه الأدنى وأنّ سلسلاً بابه المرشد إلى الهدى، والحمد فيما رويته وأوردته وفي جواب كتابه أودعته لله العليّ وحده ولمن شملنا فضله ورفده، ثمّ لمولانا الشّيخ الفاضل الثّقة الأمين أبي الحسين محمّد بن عليّ الجّلّيّ بعده ولمن إنتفعنا بعلمه ممّن يودّه وحسبنا الله عوناً على أداء شكره وحمده.

فهرس الموضوعات